سورة النمل

((**طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ** ...))[النمل:1] إلى آخره.

يقول: هذه سورة النمل وسميت به لذكر النمل فيها، وتسمية السور يكون بأدنى مناسبة، ولهذا البقرة سُميت سورة البقرة بذكر البقرة فيها، ولا يمتنع أن تسمى سورة بعدة أسماء لعدة مناسبات.

وقوله إنها مكيّة. الصواب في المكي والمدني أن الفرق بينهما ما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعدها فهو مدني.

وقيل: المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة، وقيل: المكي ما فيه ذكر الأصول -أصول الإسلام أو الإيمان- والمدني ما فيه ذكر الفروع.

فعلى الأول يكون المعْتَبر الزمن، وعلى الثاني المعْتَبر المكان، وعلى الثالث المعْتَبر الموضوع.

ولكن الذي عليه المحققون: أن ما كان بعد الهجرة فهو مدني وما قبلها فهو مكي، وقد ذكروا في أصول التفسير لذلك ضوابط يُرجع إليها.

أما البسملة فقد تقدم الكلام عليها عدة مرات وبيّنا أن أحسن ما تقدر به أن يكون فعلاً مناسباً متأخراً.

أن يكون فعلاً لأنه الأصل في العوامل متأخراً لفائدتين هما: التبرك بتقديم اسم الله، والثاني إفادة الحصر. يعني: باسم الله لا باسم غيره، ومناسباً لأنه أخص من العام.

وفعلاً قلنا لأنه الأصل في العوامل، وهو أيضاً أدل على الحدوث.

بسم الله الرحمن الرحيم التقدير: بسم الله الرحمن الرحيم أقرأ، ويجوز أن تقدر أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، ويجوز أن تقدر قراءتي بسم الله الرحمن الرحيم، أو بسم الله الرحمن الرحيم قراءتي.

لكن ما ذكرنا أولاً هو الأرجح، وأشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى رجحانه في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**من لم يذبح فليذبح على اسم الله**) فذكرها فعلاً ولم يقل: فليكن ذبحه قال: (**فليذبح على اسم الله**).

قال الله تعالى: " ((**طس**))**[النمل:1] الله أعلم بمراده بذلك** ".

هذا ما سلكه المؤلف وجماعة من أهل العلم بأن هذه الحروف الهجائية الموجودة في أوائل بعض السور موقفنا منها أن نقول: الله أعلم بمراده بذلك.

وقد سبق في درس التفسير في الليل أن الراجح من ذلك أن هذه الحروف هجائية، وأنه بمقتضى كون القرآن بلسانٍ عربي يقتضي أنه لا معنى له، وذكرنا أن هذا قد روي عن مجاهد، وأنها حروف هجائية ابتدأ الله بها ليس لها معنى، وعلى هذا نجزم بأنه لا معنى لها؛ لأنه لا معنى لها ولكن لها مغزى وهو: أن هذا القرآن الذي أعجز

هؤلاء الفصحاء البلغاء إنما هو من هذه الحروف الهجائية التي يكون منها كلامهم يعني: ما أتى بحروف جديدة مثلاً يقولون: والله هذه حروف ما نعرفها! أتى بنفس الحروف التي هم يتكلمون بها.

ويؤيد ذلك أنه ما من حروف هجائية إلا ويأتي بعدها ذكر القرآن، اللهم إلا في سورتين أو شبهها، على أن هاتين السورتين مثل: ((**الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا**))[العنكبوت:1 - 2]، ((**الم * غُلِبَتِ الرُّومُ**))[الروم:1 - 2] فيها ما يدل على القرآن كالأخبار في قوله: ((**غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**))[الروم:2 - 3] وهذا من خصائص الوحي.

((**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ**))[العنكبوت:2] فيها أيضاً إخبار عن من مضى ((**وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ...))[العنكبوت:3] إلى آخره.

وأما ما زعمه المتأخرون الخالفون من أن هذه الحروف تدل على إعجاز من نوع العدد والحكام؛ حيث زعموا أن هذه الحروف الهجائية يوجد نظيرها في السورة المفتتحة بها، ويكون مجموع هذا منقسماً على تسعة عشر، ويزعمون أن هذا أكبر آية بأن القرآن كلام الله، ويحتجون على ذلك بأن أول آية نزلت على زعمهم هي بسم الله الرحمن الرحيم، وأنها مكونة من تسعة عشر حرفاً، وأن هذا هو معنى قوله تعالى: ((**لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ**))[المدثر:29 - 30] وأن هذا تسعة عشر هي هذه الحروف.

كل هذا والعياذ بالله كذب ولا ينضبط، وهو متناقض أيضاً وغير مطرد، لكن هم فرحوا بهذا الكمبيوتر الذي أخرج لهم عدد الحروف وأنها بمجموعة تنقسم.

ونحن نقول: لا يمتنع أن الله سبحانه وتعالى أراد هذا، ولكنا نقول: لا نجزم بأن الله أراد هذا. فهنا فرق بين الجزم بأن هذه آية في القرآن، وبين أن نقول: لا نقول هذا.

أولاً: لأنه ليس في ذلك إعجاز، والبشر قد يسمعوا خطبة أو كلاماً يتكون الحروف الموجودة فيه، وتنقسم على هذا العدد أو على أي عدد كان، وليس بمعجز.

ثم إن البسملة ليست أول ما نزل من القرآن، أول ما نزل ((**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**))[العلق:1] ثم إن البسملة أيضاً حروفها ليست كما قالوا أنها تسعة عشر؛ لأن القرآن إنما نزل مقروءاً وإلا مكتوباً؟

الطلاب: مقروءا

الشيخ: مقروءا وهي بحروفها باعتبار القراءة ليست كذلك.

والكتابة كما تعلمون هي اصطلاح، ربما لو فرض أن الكتابة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وعهد الخلفاء ليست على هذا الشكل. يمكن أو لا يمكن؟ يمكن.

الآن فيه بعض الكتابات في بعض اللغات يجعلون الحركة حرفاً، ويجعلون الحرف حرفين، أو يختصرون يجعلون الحرفين حرفاً واحداً.

فالحاصل أن القرآن ما نزل مكتوباً وإنما نزل مقروءاً ولا حجة في ذلك.

إذاً: نقول: الله أعلم بمراده في ذلك، هذا أحد الأقوال في المسألة.

والقول الثاني: أنها رموز لأشياء معيّنة مثل ما ذهب إليه العلماء المتأخرون، أو مثل ما يذكر بعضهم أنها إشارة إلى حروب وملاحم تكون في آخر الزمان.. وما أشبه ذلك.

والثالث: أن يقال: إنه ليس لها معنى، وإذا أورد علينا كيف نجزم بذلك؟

فالجواب: أن هذا القرآن نزل بلغة العرب، ولغة العرب لا تجعل لهذه الحروف معنى، لكنها إذا قلنا بأنه ليس لها معنى فإنما لها مغزى يظهر والله أعلم أن الله أراد بها ذلك.

قال: " ((**تِلْكَ**)) **أي: هذه الآيات** ((**آيَاتُ الْقُرْآنِ**)) **آيات منه** ((**وَكِتَابٍ مُبِينٍ**))[النمل:1] **مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة هو** ((**هُدًى**)) **أي: هاد من الضلالة** ".

((**تلك آيَاتُ الْقُرْآنِ**))[النمل:1] المشار إليه سابق أو لاحق؟

الطالب: لاحق.

الشيخ: المشار إليه لاحقٌ وليس بسابق.

وهذا مما تعود فيه الإشارة على متأخرٍ لفظاً ورتبة، وهو جائز إذا دل الدليل عليه.

وقوله: ((**آيَاتُ الْقُرْآنِ**)) يقول: " **آيات منه** " وإنما لجأ المؤلف إلى قوله: " **آيات منه** " لأننا لو أخذنا بظاهر الآية آيات القرآن لكان في ذلك حصرٌ للقرآن بهذه الآيات ((**آيَاتُ الْقُرْآنِ**))[النمل:1] يعني: هذا الذي يشير إليه. ومعلومٌ أن هذا ليس آيات القرآن كلها ولكنه بعضٌ منها.

ويجوز مثلاً أن نجعل الآية على ظاهرها، ولا حاجة إلى التأويل، ونقول: ((**تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ**))[النمل:1] يشار إلى بعض الجنس بإشارة الجنس كله، كما تقول مثلاً: هذا البشر وتشير إلى رجلٍ واحد، أو هذا الإنسان وتشير إلى رجلٍ واحد.

فالمعنى أن الإشارة إلى بعض الجنس بالجنس كله هذا سائغ ولا يحتاج إلى تأويل كما قال المؤلف.

وقوله: ((**وَكِتَابٍ مُبِينٍ**))[النمل:1] يقول: " **عطف بزيادة صفة هو** ((**هُدًى**)) ".

عطف ويش هو عليه؟ ((**وَكِتَابٍ**))[النمل:1]

الطالب: على آيات.

الشيخ: على آيات.طيب. يصح أو ما يصح هذا القول؟

الطالب: يصح آيات ...جار ومجرور

الشيخ: جار ومجرور إذاً على القرآن ((**تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ**))[النمل:1] وتلك آياتُ كتابٍ.

وإنما وصف هذا القرآن بالقرآن والكتاب؛ لأنه مقروءٌ ومكتوب، فهو مكتوبٌ في اللوح المحفوظ، وهو مقروء بالألسن، وهو مكتوبٌ في المصاحف أيضاً. فكتابته سابقة ولاحقة، وقراءته لاحقة وإلا سابقة؟

الطالب: لاحقة

الشيخ: لاحقة لأنها بعد أن تكلم الله به ونزل به جبريل ((**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**))[القيامة:17 - 18].

والقرآن مشتق أو مصدر؟ مصدر؛ لأنه مثل الغفران والشكران، فهو مصدر قرأ يقرأ بمعنى: تلا.

وقيل: إنه بمعنى جمع؛ لأن القاف والراء تدل على الجمع، ومنه القرية لأنها مجتمع الناس.

وفي الحقيقة أن القرآن جامعٌ للوصفين فهو متلوٌ وهو مجموع أيضاً.

وأما قوله: ((**وَكِتَابٍ**))[النمل:1] فهي فعال بمعنى مفعول أي: مكتوب، وفعال بمعنى مفعول تأتي كثيراً في اللغة العربية مثل بناء بمعنى مبني، وغراس بمعنى مغروس، وفراس بمعنى مفروس.. وأمثلتها كثيرة.

وسُمي كتاباً لما أشرنا إليه قبل.

وقوله: ((**مُبِينٍ**))[النمل:1] أي: " **مظهر للحق من الباطل** ".

كلمة مبين فعلها أبان، وأبان يأتي لازماً ويأتي متعدياً أي: يأتي بمعنى أظهر ويأتي بمعنى بان.

ولهذا تجد المفسّر تجده أحياناً يفسّر مبين بمعنى بيّن، وعلى هذا التفسير يكون من اللازم أو المتعدي؟

الطالب: من اللازم.

الشيخ: من اللازم، ويفسّرها أحياناً بمعنى مظهر فتكون من المتعدي، ((**وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**))[آل عمران:164] ما معنى مبين؟

الطالب: بيّن.

الشيخ: أي: بيّن.. لفي ضلالٍ بيّن، فهي من أبان اللازم، وأما مثل هذه الآية: أن القرآن مُبين فهو بمعنى مظهر، وهل يستلزم كونه مظهراً أن يكون هو بيّناً؟

الطالب: نعم.

الشيخ: نعم. يستلزم، أو نقول: إنه من باب استعمال المشترك في معنيين.

والصحيح جوازه، وقد مر علينا هذا: هل يجوز استعمال المشترك في معنيين؟ والمشترك أيضاً ...من قبل وهو ما اتحد لفظه وتعدد معناه، هذا المشترك، وسُمّي بذلك لأن المعاني .... مشتركة في لفظٍ واحد.

المشترك الصحيح أنه يجوز استعماله في معنيين بشرط، أو بشرطين ذكرناهما قبل ليلتين وهي: أن لا يقع بينهما تعارض، وأن يكون محتملاً لهما. نعم فإن كان لا يحتملها ما يمكن يُحمل عليه، أو وقع بينهما تعارض ما يمكن لا بد أن يكون أحدهم هو المقصود.

هنا مثلاً إذا قلنا: أن مُبين من أبان اللازم ومن أبان المتعدي. يجوز أو لا يجوز؟ يجوز، وإن كان هذا مشتركاً لكنه إذا استُعمل في معنيين فإنه مستعمل على وجه لا تعارض فيه، فالقرآن بيّن والقرآن أيضاً مبين مظهر.

وعلى هذا التقدير تكون دلالة مبين على أن القرآن بيّن دلالة مطابقة أو دلالة التزام؟

الطالب: دلالة مطابقة.

الشيخ: دلالة مطابقة، إذا جعلنا مبين مستعملة في المعنيين فالدلالة مطابقة، لكن لو قلنا إن مبين بمعنى مظهر فدلالته على كونه بيّناً من باب دلالة الالتزام.

((**وَكِتَابٍ مُبِينٍ**))[النمل:1] " **مظهر للحق من الباطل** " هل هو على عمومه وإلا خاص بما نزل به القرآن؟

يقول الله تعالى: ((**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**))[النحل:89] وهو عامٌ في كل شيء، لكن البيان قد يكون بياناً للشيء على وجه التخصيص، وقد يكون بياناً لأسبابه وطرقه.....

فالقرآن في الحقيقة تبياناً لكل شيء، حتى في غير الأمور الشرعية يبينها، لكن ما يبيّن تفصيلها؛ لأن هذه غير الأمور الشرعية خاضعة للزمن والمكان وأفهام الناس وقوتهم، لكنه يذكر الأسباب والطرق، وأن تستعملها في نفسك.

ولهذا إذا قال قائلٌ: كيف يصح هذا القول منكم ونحن لا نرى في القرآن عدد ركعات الصلاة، ولا نرى فيها أنها خمس صلوات، ولا نرى أنصبة الزكاة، ولا مقادير .... فيها. فما هو الجواب؟

الطالب: نقول في القرآن يقول الله سبحانه وتعالى كما قال ابن مسعود: ((**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**))[الحشر:7] فهذا تشمل ما بيّنه الرسول.

ثم أيضاً قوله تعالى: ((**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ**))[النحل:89]، ((**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ**))[آل عمران:7]، ((**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**))[النحل:44] يعني .....

الشيخ: ((**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**))[النحل:44].

إذاً: يكون القرآن دالاً على هذا ببيان سببه وطريقه. فعندنا الآن طريق العلم بهذا الشيء هو ما فسّره الرسول عليه الصلاة والسلام إنه هذا وبيّنه القرآن، ولا يلزم أن يكون هذا القرآن لا بد أن يكتب كل التفاصيل ((**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**))[النساء:80].

وابن مسعود الذي أشار إليه إبراهيم في قصة لعن النامصة والمتنمصة إذ جاءت إليه امرأة فقالت:" **إنا لا نجد هذا في كتاب الله** " فقال:" **بلى هو في كتاب الله** " ثم تلا عليه هذه الآية .

الحاصل أن القرآن مبينٌ لكل شيء، لكن البيان قد يكون تفصيلياً، وهذا في بعض الأمور موجود كما في المواريث مثلاً في المطلقات. هذا تجده ما يشذ عن هذا إلا مسائل قليلة جداً، ومع ذلك بيانها موجود عند التأمل.

تفصيل الفرائض تفصيل ما شذ عنه شيء، ما شذ إلا كان مسألة واحدة وهي الجدة، هذه ما هي مذكورة في القرآن لكنها جاءت بها السنة، وأما ما عدا ذلك حتى المسائل الخلافية كالمشرفة مثلاً وكالعمريتين نجد أنها موجودة في القرآن، وكالجد والإخوة نجد أنه موجود بيانها في القرآن، لكنه يحتاج إلى تأمل.

قال الله تعالى: ((**وَكِتَابٍ مُبِينٍ**))[النمل:1] " **مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة** " أين الصفة؟ مبين.

ثم قال: " **هو** ((**هُدًى**)) " قدّر المؤلف هو ليبين لنا إعراب هدىً، فعلى تقديره يكون هدى خبر لمبتدأ محذوف، التقدير " **هو** ((**هُدًى**)) **أي: هاد من الضلالة** ".

ومعلومٌ أن هدى مصدر وأن هادٍ اسم فعل، فيكون المؤلف هنا فسّر المصدر باسم الفاعل. وفي تفسيره نظر؛ لأن الأولى أن يُجعل المصدر على بابه، لسببين:

السبب الأول: أن تحويل اسم الفاعل إلى المصدر أبلغ، فإنك إذا قلت فلانٌ عدلٌ وفلانٌ عادل، أيهما أبلغ؟

عدلٌ أبلغ يعني: كأنه مصدر لعدل، لكن عادل متصف بالعدل الموجود في غيره، فلا شك أن المصدر أبلغ.

السبب الثاني في هذه الآية: أن جعله هدى معناه أن القرآن نفسه هدى يهتدي به الإنسان، فهو كالعلم الذي يسير الإنسان وراءه حتى يصل إلى غايته. مثلما سماه الله تعالى نوراً ((**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا**))[النساء:174].

فنحن نقول: إن هدى يجب أن تبقى على ما هي عليه أي: أنها مصدر وهو أبلغ من تحويلها إلى اسم الفاعل، والثاني أنها مصدر لأن القرآن نفسه هدى، ليس هادياً بل هو هدىً يهتدى به.

مثلما قال: ((**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا**))[النساء:174]

وقوله تعالى: ((**هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**))[النمل:2] بشرى أيضاً بمعنى بشارة، لكن لمن؟ " **للمؤمنين المصدقين به بالجنة** ".

قوله: بالجنة نذكر هذا بعد.

قوله: ((**لِلْمُؤْمِنِينَ**))[النمل:2] أي: المصدّقين به، ما يكفي هنا الإيمان مجرد التصديق، بل الإيمان الموجود في القرآن لا بد فيه من قبول وإذعان مع التصديق، أما مجرد التصديق ما يكفي، والدليل على أن مجرد التصديق ما يكفي أن أبا طالب كان مصدقاً لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، ويقول:"

لقد علموا أن ابننا لا مكذّب لدينا ولا يُعنى بقول الأباطل

ولقد علمت بأن دين محمدٍ من خير أديان البرية دينا.

لولا الملامة أو حذار مسبة لرأيتني سمحاً بذاك مبيناً

فإذاً هو ما قبل ولا أذعن، وليس بمؤمن، فالإيمان كل ما وجدت الإيمان في كتاب الله فالمراد به التصديق المستلزم للقبول والإذعان، فليس مجرد تصديق.

فإذاً للمؤمنين المصدّقين به القابلين له المذعنين لأحكامه، لا بد من هذا.

وقوله: ((**هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**))[النمل:2] يستفاد من ذلك: أنه كلما كمُل الإيمان في العبد كمُل اهتداؤه بالقرآن؛ لأن الشيء إذا عُلِّق بوصف زاد بزيادة ذلك الوصف ونقص بنقصه، الحكم إذا عُلِّق بوصف فإن هذا الوصف يزيد الحكم بزيادته وينقص بنقصانه. وهذا معلوم حتى في المحسوس. حتى في المحسوس تجد أن الشيء المعلّق بالشيء يزيد بزيادته وينقص بنقصانه.

فنقول: كلما ازداد الإنسان إيماناً ازداد اهتداءً بالقرآن، ويدلك على هذا قول الله تعالى: ((**وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**))[التوبة:124].

ويدل أيضاً على هذا قوله تعالى: ((**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ**))[المائدة:13].

وأيضاً ((**وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**))[النمل:2] البشارة هي الإخبار بما يسر، وقد تُطلق على الإخبار بما يسوء، لكن بقرينه.

وهنا يقول: " **بشرى بالجنة** ".

ولكن الصحيح أنها بشرى بما هو أعم بالجنة وبالعزة والكرامة وبالنصر، قال الله تعالى: ((**وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ**))[الصف:13] بعدما ذكر الجنة للمؤمنين ((**نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ**)) ، ثم قال: ((**وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**))[الصف:13].

يعني: بشّرهم بما لهم في الجنة وبشرهم بما لهم في الدنيا من النصر، وكل إنسان بطبيعته البشرية يحب أن ينتصر على عدوه اليس كذلك ؟ ويحب أن يكون له العز والكرامة، هذا لا يمكن أن يكون إلا بالإيمان، وكلما زدنا إيماناً

ازددنا انتصاراً على عدونا، وكلما تخاذلنا في الإيمان خُذلنا ((**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**))[الرعد:11].

وإذا أردتم دليلاً على هذا فانظروا إلى الذين يدندنون بالقومية العربية من متى يدندنون بها؟ أظنه من أول القرن يعني: من زمان، وتبلغ هذه الدعوة أوجها في .... ومع ذلك لا يزدادون إلا تأخراً وضعفاً؛ لأنهم ليسوا على إيمان، لكن لما ظهرت بادرة الدعوة إلى الإسلام والتضامن الإسلامي، ماذا حصل؟

حاولوا بكل ما يستطيعون أن يقضوا على هذا، ليس من الدول الكافرة بل حتى من الدول التي تزعم أنها مسلمة وهي عربية، وصاروا يقولون: إن هذه دعوة رجعية إلى آخره.

وأخيراً قُضي على من قام بها وبالدعوة إليها، فالحاصل: أنا الآن إذا أردنا أن نرجع إلى العزة والكرامة والنصر فلا يكون ذلك إلا بالإيمان.

وقد يقول قائل: كيف ننتصر بالإيمان على القنابل الذرية والهيدروجينية؟

الطالب: بالله...

الشيخ: نقول: إذا أخذنا بالقوة المعنوية فإن توفرت لنا القوة المادية وإلا جاءت القوة الإلهية، فنحن مثلاً من جملة الإيمان أن نستعد، لكن إذا عجزنا عن الاستعداد جاء دور النصر الإلهي، فيبطل ما عليه هؤلاء الأعداء من القوة، والله تبارك وتعالى على كل شيء قدير، التغيرات الجوية تؤثر في أسلحتهم هذه وإلا لا؟. الصواعق تدمرها، الخسف يذهب بها وبأهلها. وكل هذا بيد الله عز وجل، وقد حدّثني إنسان في العام الماضي ذهب إلى أفغانستان للقتال معهم وهو شاب متخرج من أمريكا، لكنه أصر -وأظن قد قصصت عليكم قصته- إلا أن يجاهد، وقال: ما يمكن أن أموت بدون جهاد، ولزّم على أمه وأبيه وجعلوا الحكم إلى الله سبحانه وتعالى ثم إليّ أحكم بينهم، هم يقولون: لا تروح وهو يقول: لا. أبغي أروح، يقولون: لا تذهب ما حجيت حجة الفريضة، وهو يقول: لا. أروح وألتزم لكم أني أرجع وأحج.

المهم بعدما أفطر رمضان العام الماضي راح، شاهد الإيمان يقول: مع قلّة العدّة التي عندهم حتى يقول: الأدوية ما عندهم أدوية إلا الأدوية قديمة فاسدة، تبيع عليهم هذه الشركات وتغشهم.

لكن يقول: شاهدت بعيني .... وفي المسجد للجمعة يجتمعون فيه، يقول: الروس يحرصون يوم الجمعة على أنهم يأتون إلى هذا المسجد ليدمّروه، يقول: هم يجعلون على المناطق ناس يحرسون المسجد وما حوله.

فجاءت يقول: القنابل وضربت على الأرض على المسجد يريدون المسجد، لكن يقول: كلها ما تضرب المسجد، وتضرب اللي حوله ولا تثور سبحان الله العظيم!

يقول: ما ثارت إلا واحدة فقط ثارت على أحد الجنود وقتلته، والباقي يقول: أبت. يعني: يخرجون ما كأن شيءٍ أبد، وهذه من آيات الله سبحانه وتعالى.

فالحاصل نقول: إن النصر يجب أن نعرف أنه لا يعتمد على القوة المادية فقط، هناك وراءها شيء.

ولهذا يقول الله عز وجل: ((**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ**))[الحج:40 - 41] أربعة آلاف، قد يقول قائل: ومالنا وللنصر مع هذه الصفات عند القنابل وغيرها، لكن ختم الآية بقوله: ((**وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**))[الحج:41] ما هي بالأمور الحسية، العاقبة لله عز وجل فهو سبحانه وتعالى يدير الأيام على من عصى وخالف.

الطالب: ...؟

الشيخ: نعم صحيح، فلربما يكون هذا.

على كل حال لا تستبعد، لكن نحن نستبعد النصر بسبب أعمالنا في الحقيقة، ما عندنا رصيد يخوّل لنا أن ننتصر.

إذاً: ((**وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**))[النمل:2] بالجنة كما قال المؤلف أو بما هو أعم؟

الطالب: بما هو أعم.

الشيخ: ما هو الدليل؟

الطالب: لقوله تعالى في سورة الصف.

الشيخ: في سورة الصف ((**تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ ...**))[الصف:11 - 12].

ثم قال: ((**وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ**)) ثم قال: ((**وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**))[الصف:13].

طيب. ثم قال الله تعالى: " ((**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ**))**[النمل:3] يأتون بها على وجهها** ".

أقام الشيء: أتى به مستقيماً، ولا تكون الصلاة مستقيمة إلا إذا أتى بها على وجهها.

وإقامة الصلاة كما تعرفون نوعان: نوعٌ لا بد منه، وهو الإتيان بالأركان والواجبات والشروط.

ونوعٌ يكون على وجه الكمال، وهو الإتيان بالمكملات من السنن وغيرها.

" ((**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ**))**[النمل:3] يأتون بها على وجهها** ((**وَيُؤْتُونَ**)) **يعطون** ((**الزَّكَاةَ**))**[النمل:3]** " إلى آخره.

طيب قوله: ((**يُقِيمُونَ الصَّلاةَ**))[النمل:3] هل المراد الفريضة وإلا النافلة؟

الطالب: الفريضة.

الطالب: عام.

الشيخ: نعم. عام؛ لأنه لا يجوز للإنسان أن يأتي بالسنة مثلاً على وجهٍ ينافي الكمال الواجب، لو قال واحد: أنا سأتطوع أتسنن تطوع، لكن لا أقرأ الفاتحة لأنها سنة، يجوز و إلا لا؟

لا يجوز، نقول: الآن يجب عليك أن تقرأ الفاتحة، لو قال: ما أنا برافع، أو ما أنا بساجد. ما يمكن هذا.

فإذاً: الآية الصلاة عامة إقامتها في الواجب وفي التطوع.

وقوله: ((**وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**)) ما بيّن المفعول الثاني ليؤتوا، لكنه معلوم. ما هو التقدير؟ يؤتون الزكاة مستحقها، وقد بيّن الله تبارك وتعالى مستحق الزكاة في سورة براءة ببيان واضح مفصّل.

وقوله: ((**وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**)) الزكاة لا حاجة إلى تعريفها عندكم لأنكم تعرفونها، وسميت زكاةً لأنها تزكي الإنسان ((**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**))[التوبة:103].

قوله: ((**وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**)) هذا ثناءٌ على المؤتين للزكاة والسورة كما رأينا مكيّة، فهل معنى ذلك أن الزكاة فُرضت في مكة أو في المدينة؟

المعروف عند أهل العلم أنها فُرضت في المدينة، ولكن الصحيح أنها فرضت بمكة، ولكن تقدير أنصبائها وبيان الأموال على وجه التفصيل كان ذلك في المدينة، هذا هو الصحيح وهو الذي به تجتمع الأدلة.

وقوله: ((**وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**))[النمل:3].

الطالب: .... الزكاة .... ما يكون من باب .....؟

الشيخ: لا. هذا من باب التطوع .....

الطالب: ليبين الزكاة؟

الشيخ: ليبين الزكاة وخلاها موكولة للإنسان يخرج ما شاء؛ لأجل النفوس تتعود ثم بعد ذلك يُفرض عليها الشيء الذي أراده الله سبحانه وتعالى.

الطالب: يعني كأنه اختاره.

الشيخ: نعم. يختار ما يخرج، هذا قد يكون من الأشياء التي تطورت، الصلاة فُرضت ركعتين ثم أقرت في صلاة السفر وزيدت في صلاة الحضر، الزكاة هكذا فُرضت أولاً على اختيار الإنسان ثم حُددت، الصيام فُرض على سبيل التخيير ثم عُيّن.

الحج هو الذي ما أعلم فيه إلا أنه فُرض مرة واحدة، ولكن السبب في ذلك أنه أتى في السنة التاسعة أو العاشرة بعد أن استقر الإيمان في القلوب، فلا حاجة إلى أن تدرج النفوس من مرحلة إلى مرحلة.

الطالب: قول ابن عباس....؟

الشيخ: ما هو صحيح، لو كان هذا قوله فحديث عائشة صريح بأن أول ما فرضت الصلاة ركعتين ..

الطالب: .... صحيحة.

الشيخ: لكن هذا أصح منه، وأنا ما علمت الذي تقول هذا عن ابن عباس، حتى لو قاله ابن عباس فحديث عائشة أصح.

الطالب: هناك من العلماء مثل ابن حجر جمع بين الحديثين بأن عائشة ذكرت....، وابن عباس ذكر ما استقر عند الناس ... . أربعة، ثم فُرضت ركعتين وزيدت في غيره.

الشيخ: يعني فُرضت مرتين يعني؟

الطالب: إي نعم.

الشيخ: مع أن حديث عائشة صريح صحيح ((**أول ما فُرضت ركعتين**))، فعلى هذا الجمع معناه أنها فُرضت أولا أربعاً ثم فُرضت ركعتين ثم قُسِّم إلى حضر وسفر.

الطالب: هل يجوز التدريج بالأحكام مثل الآن..

الشيخ: الظاهر أنه يجوز، وأن يأمره بالأهم فالأهم مثلما أمر الرسول عليه الصلاة والسلام معاذ بن جبل مع أن الأحكام مستقرة، قال: (**أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم إقام الصلاة، ثم إيتاء الزكاة**) مع أن كلها هذه كانت مفروضة، وحتى الصوم والحج أيضاً مفروض.

قال: " ((**وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**))**[النمل:3] يعلمونها بالاستدلال وأعيدهم لما فصل بينه وبين الخبر**" .وقوله: ((**وَهُمْ**)) مبتدأ ويوقنون خبره، وبالآخرة متعلق بيوقنون.

ولكن كلمة هم أعيدت مرة ثانية، هل هذا من باب التوكيد ((**وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**))[النمل:3] يعني: وهم هم الذين يوقنون دون غيرهم، أو أنه كما قال المؤلف: للفصل بينه وبين الخبر، والفاصل قوله: بالآخرة.

يحتمل هذا وهذا وقد يجوز أن يكون المراد الجميع، فبين الله سبحانه وتعالى أنهم هم أهل الإيقان حيث كرر الضمير مرتين، وكرر أيضاً مرتين ليطول الفصل بين الخبر وبين المبتدأ بالفصل.

ولكن الإيقان يقول المؤلف: " **يعلمونها بالاستدلال** " إنما قال: بالاستدلال؛ لأن اليقين أخص من العلم، إذ أن اليقين معناها العلم الذي لا يتطرق إليه الاحتمال، فهو أعلى درجات العلم.

وهذا إنما يكون بالاستدلال. يعني: بالأدلة المبيّنة المقنعة، فلهذا فسّر المؤلف اليقين بأنه العلم بالأشياء عن طريق الاستدلال.

وقوله: ((**بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**))[النمل:3] المراد بالآخرة أنه يُبعث الناس فقط؟ لا. كلما أخبر الله تعالى به مما يكون في هذا اليوم أو أخبر به رسوله، فإنه داخل بالآخرة.

بل إن شيخ الإسلام رحمه الله يقول: إنه يدخل في الإيمان باليوم الآخر كل ما أخبر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يكون بعد الموت.

فعلى هذا يكون الآخرة المراد بها ما بعد الدنيا، يشمل عذاب القبر ونعيم القبر، ويشمل كذلك الموازين في يوم القيامة، والحوض المورود للرسول عليه الصلاة والسلام.. وما ذُكر.

هل بقي شيءٌ من الإيمان؟ لأنه ذكر إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيقان بالآخرة.

الطالب: الإيمان بالرسل.

الشيخ: لا نحن ذكرنا أن الإيمان بالله يتضمن الإيمان بالرسل، ويتضمن الإيمان بالكتب، بل ويتضمن الإيمان باليوم الآخر أيضاً، والإيمان بالملائكة.

الطالب: وبالقدر.

الشيخ: الإيمان بالقدر من الإيمان بالله؛ لأن القدر قدر الله سبحانه وتعالى، لكن بقي عندنا الصيام والحج وهو من أركان الإسلام.

والجواب على ذلك: أن السورة مكيّة، والصيام والحج لم يفرض بمكة بالاتفاق، فالصيام فُرض في السنة الثانية، والحج فُرض في السنة التاسعة أو العاشرة على القول الراجح. وعلى هذا فلا يرد على هذا.. ما في الآية إشكال.

طيب ويستفاد منها: أن الإنسان إذا آمن بالشرائع المنزّلة فهو كامل الإيمان وإن لم يدرك الفرائض المتأخرة، فالذين ماتوا من الصحابة قبل فرض الصيام إسلامهم كامل، بل إن الرجل يمكن أن يؤمن ويموت قبل أن يصلي صلاة واحدة، ويكون بذلك كامل الإيمان يعني: إيمانه هو كامل وإن كان غيره الذي أدرك أكمل منه، لكنه هو بالنسبة إليه ما يقال إيمانه ناقص. أي: أنه ناقص نقصاً يُخل به.

((**وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**))[النمل:3].

" ((**إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ**))**[النمل:4] القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة** ((**فَهُمْ يَعْمَهُونَ**))**[النمل:4] يتحيرون فيها لقبحها عندنا** ".

((**إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ**))[النمل:4] أي: لا يصدقون بها كذا نقول

الطالب: لايصدقون بها

الشيخ: لأن من لم يصدّق لا يمكن أن يقبل ويذعن.طيب. إذا صدّقوا بها ولم يقبلوا ولم يذعنوا نفس الشيء.

إذاً: ((**لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ**))[النمل:4] يشمل نفي التصديق ونفي القبول ونفي الإذعان، وأظنكم تعرفون الفرق بين القبول والإذعان.

أقبل مثلاً أن هذا الشيء فرض وأعتقده فرضاً لكن ما أفعله، ما الذي تخلف؟ الإذعان. وأما عدم القبول يرفض هذا، هذا ما هو بواجب ولا نعترف بأنه فرض. وأما التكذيب فهو الإنكار المطلق.

الطالب: الفرق بين التصديق والقبول.

الشيخ: التصديق أنه يصدّق بأن هذا حق لكنه ما يقبله.. يقول: نعم هذا الرجل جاء بحق لكني أنا ما أقبله وأرفض، والقبول في الغالب يكون في المعتقدات والإذعان في الأعمال الظاهرة كأعمال الجوارح.

طيب. ((**زَيَّنَّا لَهُمْ**))[النمل:4] هذه الجملة زيّنا خبر إن، وتفيد أن العِلَّة في التزيين عدم الإيمان بالآخرة، وأن الله تعالى لم يزين لهم ...

أن الذي يزين له سوء عمله يكون ذلك دليلاً على نقص إيمانه بالآخرة؛ إذ لو كمُل إيمانه بالآخرة لكان يعرف الحسن من السيئ، فيفعل الحسن ويتجنب السيئ، ولكن لضعف إيمانه بالآخرة يحسب له هذا الفعل القبيح ويراه حسناً.

ولا حاجة إلى أن نعدد أنواعاً من ذلك؛ لأن الأنواع ممن زُيّن له سوء عمله كثيرة جداً، لا شك من العمل السيئ أنه إذا نزل في أرض أخذ أربعة أحجار ووضع ثلاثة للقدر وواحداً يعبده.

ولا شك أن من العمل السيئ المزيّن أن الإنسان يعبث له تمراً على صورة صنم فيعبده، فإذا جاء أكله، ولا شك أن من سوء العمل المزيّن أن الإنسان يأتي بابنته وهي ثمرة فؤاده ويحفر لها الحفرة ويغمسها وهي حية، هذا ما يكون والعياذ بالله ولا من السباع، ومع ذلك زُيّن لقومٍ من أهل الجاهلية هذا العمل، حتى إنه يقولون: إنه يقف على الحفرة ليلقيها وهي إذا هم أن يلقيها تشبث به وتقول: يا أبت! يا أبت!

فتستجير به وهو داؤها نسأل الله العافية.

وقوله: " ((**فَهُمْ يَعْمَهُونَ**))**[النمل:4] يتحيرون فيها** " وهذا والعياذ بالله من عدم الإيمان أن الإنسان لا يوافق للهداية، تجده حائراً؛ لأنه لم يؤمن وأبرز مثال لذلك ما يقع من أهل الكلام من الحيرة، لأنهم لم يؤمنوا بالله حق الإيمان به، أنكروا صفاته وأنكروا ما جاء به كتابه وسنة رسوله فصاروا متحيرين، ولهذا قال بعض الناس: أكثر الناس شكاً عند الموت أهل الكلام والعياذ بالله؛ لأنهم نسأل الله العافية ما آمنوا.

فكل إنسان يضعف إيمانه فإنه يترتب عليه هذان الأمران السيئان:

أولاً: تزيين العمل السيئ في عينه، حتى يمارسه ولا يرتدع منه.

والثاني: شكه وحيرته وتردده.

بهذا نعرف الآن أنه كلما قوي الإيمان بالآخرة عرف الإنسان القبيح ولم يتردد فيه، نقول: لا. لأن هذه نتيجة عملية كتابية، إذا كان هذا الوصف يقتضي هذا الوصف، فعدمه يقتضي عدمه. معادلة بيّنة جداً.

فالذين لا يؤمنون بالآخرة ابتلوا بهذين الأمرين، والذين يؤمنون بالآخرة ينتفي عنهم هذان الأمران. نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المؤمنين.

الطالب: ...؟

الشيخ: لا. ما عندهم إيمان في الحقيقة، لو كان عندهم إيمان في الحقيقة ما زُيّن لهم؛ لأن هذه الآية مقياس كل إنسان يزين له سوء عمله فاعلم أنه ناقص الإيمان أبد؛ لأنه لو كان عندهم إيمان حقيقي ما الذي يخرجهم عن

طريق الرسول عليه الصلاة والسلام...إذاً: كلما ضعف الإيمان بالآخرة ازداد التزيين القبيح في عين الإنسان، وكلما ازداد إيمانه بالآخرة كره القبائح، وهذا أمرٌ مسلّم الآن.

على هذا يمكن أن نستنتج من أن الرجل الذي يستحسن القبائح يمكن نستنتج أنه ضعيف الإيمان بالآخرة ياولد نعم؛ لأنه لو قوي إيمانه بالآخرة ما حسن في نفسه قبائح الأعمال، وهذه الآية تدل عليها.

وفي الآيات أيضاً دليل على أن عدم الإيمان بالآخرة سببٌ للحيرة؛ لقوله: ((**فَهُمْ يَعْمَهُونَ**))[النمل:4].

وعلى هذا فالإيمان بالآخرة سببٌ لليقين والنور، وهذا أمرٌ أيضاً مشاهد، والإنسان ما يصاب بعدم اليقين إلا بسبب أعماله ونقص إيمانه، وكلما قوي الإيمان فإنه يزداد معرفة الإنسان حتى في الأمور غير العلمية الشرعية، يعطيه الله تبارك وتعالى فراسة يتبين بها الأشياء.

والدرس الجديد الآن يقول الله سبحانه وتعالى: ((**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ**))[النمل:5] أشده في الدنيا القتل والأسر ".

((**أوْلَئِكَ**)) المشار إليه من؟ الذين لا يؤمنون بالآخرة، لما ذكر والعياذ بالله طريقهم وأنه زُيّن لهم سوء أعمالهم ذكر جزاءهم ومآلهم، فقال: ((**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ**))[النمل:5].

أيده المؤلف رحمه الله بما يكون في الدنيا من الأسر والقتل، ولكنه لا ينبغي أن يقيد به، بل يقال: إن هذا من سوء العذاب الذي يناله، وهم ينالون سوء العذاب في الدنيا وفي الآخرة.

ومن أجل ذلك لم يكن لهم نصيبٌ في الآخرة، بل قال: ((**وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ**))[النمل:5].

((**وَهُمْ**))، ((**هُمُ الأَخْسَرُونَ**))[النمل:5].

طيب. هم الأولى مبتدأ، والثانية توكيد، ويجوز أن تكون ضمير فصل، لكن لما سبق لها نظير وهي كلمة هم، فالأحسن تكون توكيد.

ونستفيد الحصر من تعريف المبتدأ والخبر ((**هُمُ الأَخْسَرُونَ**))[النمل:5] والأخسر اسم تفضيل، مأخوذٌ من الخسران وهو النقص، وحصر الأخسرية فيهم دليلٌ على أن هناك خسارة لغيرهم، لكن هم الأخسرون.

والخسارة التي تكون لغيرهم هو أن الفُسّاق من المؤمنين يعذّبون بقدر ذنوبهم، وهذا خسارة؛ لأنه لم يكمل لهم النعيم في الآخرة؛ حيث عُذّبوا على ما فعلوا من الذنوب، فهذا لا شك أنه يخسر وأنه خسارة. أليس كذلك ؟

ولكن الأكثر هؤلاء الذين يخلدون في النار ولهذا يقول المؤلف: " **لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم** " فهم الأخسرون.

فعليه يكون الناس في الآخرة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: رابحون، وخاسرون، وأخسرون.

فالرابح: الذي منّ الله عليه فخرج من الدنيا وهو لا يستحق العقاب في الآخرة سواءٌ كان ذلك بتوبة، أو بمصائب تكفّر، أو بأعمال صالحة جليلة جداً تضمحل معها الأعمال السيئة مثل أهل بدر قال الله لهم: اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم. لو عملوا مهما عملوا من الذنوب فإن الله سبحانه وتعالى يغفره لهم بسبب الحسنة العظيمة التي قاموا بها في غزوة بدر.

وقد يكون أيضاً هذا الإنسان الذي عمل سيئاً في الدنيا قد يعفو الله عنه؛ لأن الله تعالى يقول: ((**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**))[النساء:48] فتكون حاله في الآخرة تامة.

والثاني الخاسر غير الأخسر وهو الذي أصاب بعض الذنوب ولم يقدّر له الخلاص منها، فعوقب عليها، والأخسر هو الذي لا حظ له في الآخرة، ما له في الآخرة من خلاق وهم الكفار.

((**وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ**))[النمل:5] وفي الآية من الفوائد ما سنبحثه إن شاء الله في الدرس القادم لأني احب ان يكون مادام اننا فهمنا منكم والحمد لله فهم للفوائد أحب أن يكون استخراجها منكم نعم وفي الدرس القادم إن شاء الله نشوف.

الطالب: ....؟

الشيخ: لا. ما يستنبط ((**وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ**))[النمل:5] لأن العذاب في الآخرة قد يكون مع الخسران فقط.

ثم قال: " ((**وَإِنَّكَ**))**[النمل:6] خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم** ".

وهذا الخطاب مؤكدٌ بإن، ثم مؤكدٌ بتأكيد آخر وهو قوله: ((**لَتُلَقَّى**))[النمل:6] لأن اللام هذه للتوكيد.

وفي إعراب بعضكم أمس قال: إنها اللام المزحلقة. ايش معنى المزحلقة؟

الطالب:...؟

الشيخ: معنى مزحلق ايش ؟يعني: مؤخر، يقولون: إن الأصل أن تكون في أول الكلام، ولكن لما كان في أول الكلام مؤكد، صار الأنسب أن تؤكد؛ لئلا يجتمع مؤكدان في مكانٍ واحد، وإلا هي تسمى للتوكيد، لكن إذا سئلنا أين محلها؟ نقول: في أول الجملة ولكنها زُحلقت من أجل أنه في أول الجملة مؤكدٍ آخر.

((**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ**))[النمل:6] أي: " **يلقى عليك بشدة** ((**مِنْ لَدُنْ**)) **من عند** ((**حَكِيمٍ عَلِيمٍ**))**[النمل:6] في ذلك** " إلى آخره.

((**لَتُلَقَّى**))[النمل:6] معنى التلقية التلقين والإعطاء، لقيتك كذا بمعنى لقنته إياه إذا كان ذكراً، وأعطيته إياه إذا كان عيناً، وهنا ذكر القرآن ليس عيناً يُعطى ولكنه ذكرٌ يلقن، والنبي عليه الصلاة والسلام كان يلقن القرآن،

وكان إذا سمعه من جبريل في أول الأمر يتعجل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقراءته، فنهاه الله عن ذلك قال: ((**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**))[القيامة:16 - 17] ضمان من الله سبحانه وتعالى أن يجمعه ويقرأه.

((**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**))[القيامة:19] بيانه لفظاً ومعنىً وحكماً.

((**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ**))[النمل:6] وسبق معنى القرآن، وأنه مشتقٌ من قرأ بمعنى تلا، ومن قرأ بمعنى جمع.

وقول المؤلف: " **أي: يلقى عليك بشدة** ".

أخذ كلمة بشدة من اللفظ تُلقّى ولم يقل تلق أنت، فكأنه يلقاه كأنه يشعر بالشدة ولكنه ما يتبين لي كثيراً إنما لا شك أن الرسول عليه الصلاة والسلام يجد من تلقي الوحي يجد شدة معكم الجلالين الحاشي

الطالب: قوله بشدة لما فيه من تكاليف الشرع

الشيخ: دلالة اللفظ عليه فيها غموض " ((**مِنْ لَدُنْ**))**[النمل:6] من عند** " يعني أن لدن بمعنى عند.

ويقال فيها أيضاً لدى، ((**مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ**))[ق:29]، ((**وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**))[الكهف:65].

لدُنَّا هي لدن، ولدي هي لدى فيقال هذا وهذا، ولكن القرآن كما هو معلوم توقيفي، ما يمكن نبدل لفظاً بدل آخر ولو كان بمعناه.

وقوله: ((**مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**))[النمل:6] المراد به الله جل ذكره.

والحكيم مر علينا أنه مشتق من الحكم والإحكام الذي بمعنى الإتقان وهو الحكمة.

والحكم الثابت لله عز وجل أو المتصف به الله سبحانه وتعالى ينقسم إلى قسمين: حكم شرعي، وحكمٌ قدري.

فالحكم الشرعي كثير في القرآن، كما في قوله تعالى في سورة الممتحنة: ((**ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ**))[الممتحنة:10] لما ذكر أحكام النساء الكافرات والمهاجرات، قال: ((**ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ**))[الممتحنة:10].

والحكم القدري مثل قول أخي يوسف:((**فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي**))[يوسف:80] يعني: يقدّر ما هو ينتظر حكم شرعي، ينتظر حكماً قدرياً.

الحكم الشرعي هل تمكن مخالفته؟ نعم تمكن، من الناس من يقبله ومن الناس من لا يقبله.

والحكم القدري لا تمكن مخالفته، إذاً فهو واقعٌ لا محالة، إذا حكم الله تعالى بشيءٍ قدراً فهو واقع لا محالة.

الحكم الشرعي محبوب لله و إلا لا مبغوض إليه؟

الطلاب: محبوب ومبغوض

الشيخ: محبوب ومبغوض ، فإذا حكم بفعل الشيء فهو محبوب، وإن حكم بتركه فهو مكروه. فالله تعالى حكم بتحريم الزنا مثلاً وإلا لا ؟وهو مكروه له، حكم بتحريم الشرك وهو مكروه له.

الحكم الكوني كذلك فيه محبوب وفيه مكروه لله، ولا يمكن أن نعارض ذلك فنقول: كيف يقع الحكم الكوني وهو مكروهٌ له؟ إذاً معناه الله يُجبر؟ يعني: يفعل شيء وهو يكرهه، هذا ما يكون إلا في إنسان يُجبر أو إلا في فاعلٍ يُجبر، فهل الله تعالى يُجبر؟

الطالب: لا.

الشيخ: إذاً: كيف تقول إن في الحكم الكوني ما هو مكروهٌ لله؟

الطالب: هذا واقع قد يفعل إنسان ما يكرهه لحكمة ....، كما أن الإنسان يكره أن يكوي ابنه بالنار ولكنه يفعله لما فيه من مصالح الأخرى، فقد .....

الشيخ: يعني: معناه إذاً هو مكروهٌ من وجه ومحبوبٌ من وجه آخر.

فهو من حيث ذاته مكروهٌ لله سبحانه وتعالى كالمعاصي فالله يقدّرها.. الله تعالى يقدّر المعاصي مع أنه يكرهها، لكنه محبوبٌ إليه من وجهٍ آخر، ويكون هذا الوجه أقوى من الوجه الآخر، فيقع هذا الشيء.

إذاً: حكيم مشتقة من الحكم والإحكام، والحكم المتصف به الله سبحانه وتعالى ينقسم إلى قسمين: كوني وشرعي. ولكلٍ منهما حكم:

أولاً: الحكم الشرعي لا يلزم منه وقوع المحكوم به يا ولد؛ لأنه قد يقع وقد لا يقع.

والحكم الكوني يلزم منه وقوع المحكوم به في كل حال.

أما انقسامهما من حيث الكراهة والبغض لله فنقول: كلاهما محبوب ومكروهٌ لله سبحانه وتعالى.

الطالب: .... فهو محبوبٌ له.

الشيخ: مكروهٌ إليه.

الطالب: الحكم بتحريمه محبوبٌ لله.

الشيخ: لا. يعني قصدي الآن الحكم الشرعي تحريم الزنا.

الطالب: تحريم الزنا محبوب لله.

الشيخ: هذا الحكم، وهو تحريم الزنا محبوب إليه، لكن المحكوم به، هذا مكروهٌ إلى الله.

الطالب: كيف يحب الحكم الشرعي؟

الشيخ: الحكم الشرعي منه محبوب ومنه مكروه، بمعنى المحكوم به. يعني مثلاً: حكم الله سبحانه وتعالى بتحريم الزنا لأن الزنا مكروهٌ إليه، حكم بوجوب الصلاة لأن الصلاة محبوبة إليه.

وأما نفس الحكم الذي هو فعله، فهذا أمر معروف أنه ما حكم بهذا الشيء إلا وهو يحب أن يكون كذلك.

الطالب: يحب ترك الزنا.

الشيخ: يحب ترك الزنا ويحب فعل الصلاة.

طيب. بالنسبة للإحكام، الإحكام بمعنى الإتقان وهي الحكمة.

تنزيل الأشياء في منازلها ووضعها في مواضعها لا شك أن هذا إتقان، والله تبارك وتعالى متصفٌ بالحكمة البالغة ((**حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ**))[القمر:5] فهي وضع الأشياء في مواضعها.

وقد ذكرنا في التوحيد ونعيده الآن للتذكير: أن الحكمة تكون في صورة الشيء وفي غايته، في صورة الشيء ووقوعه على هذا النحو وتكون أيضاً في غاية هذا الشيء.

وتكون أيضاً الحكمة في الأمور الشرعية وفي الأمور القدرية؛ لأن الحكمين السابقين الكوني والفرعي كلاهما مشتملٌ على الحكمة، فعلى هذا تكون الحكمة في الأحكام الكونية وفي الأحكام الشرعية، وتكون صورية بمعنى أنه على هذه الصورة المعينة حكمة، وغائية بمعنى ما ينتج عليه أو منه من الغايات المحمودة.

فعندما تتأمل الشريعة تجد أن وضعها على ما هي عليه في غاية الحكم؛ لأنها كلها تنشد المصالح وتدرأ المفاسد. هذه القاعدة العامة في الشريعة.

إذاً: فهي على هذا الوجه أو بهذه الصورة موافقة للحكم، ثم إن الحكمة الغائية ما هي ثمرة هذه الشريعة والتمسك بها؟ هي: السعادة في الدنيا وفي الآخرة، وهذه لا شك أنها غاية محمودة، وأن تشريع الأمور من أجل هذه الغاية أنه حكمة واضح.

كذلك نأتي إلى الأمور القدرية نقول: الأمور القدرية أيضاً وضعها على ما هي عليه بهذه الصورة هو حكمة، ثم الغاية منها حكمةٌ أيضاً، ولكن هذه الحكمة في صورة الشيء وفي غاية الشيء شرعاً أو قدراً قد تكون معلومة للعباد وقد تكون مجهولة، ولكن ما هو فرضنا نحن فيما نجهله من حكم هذه الأمور؟ فرضنا الإيمان والتسليم، نحن نؤمن بأنه ما من شيء يشرعه الله وما من شيء يفعله الله إلا وله حكمة، يجب علينا أن نؤمن بهذا؛ لأن هذا مقتضى وصفه بالحكيم.

لكننا قد نفهم هذا الشيء وقد لا نفهمه ((**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ**))[البقرة:269] ما هو كل الناس ((**وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**))[البقرة:269].

لكن علينا أن نؤمن هذا الإيمان، ونحن إذا آمنا هذا الإيمان فسوف نستسلم وسوف نرضى بالشرع وبالقدر؛ لأنا نعلم أن هذا لحكمة.

عندما نتأمل الآن أحوال الناس المسلمين، وضعف دينهم وانصرافهم عن الدين، لا شك أن هذا يهمنا ويحزننا، ولكننا إذا نظرنا إليه من جهة أخرى وجدنا أنه مقدّر من جهة الله، وأنه لا بد أن يكون لهذا حكمة، لكنا قد لا نعلمها نحن.

وهذا يجب أن تجعله جارياً على جميع أحوالك الخاصة والعامة، أن تتيقن أن هذا لحكمة ولكن تيقننا للحكمة لا يمنعنا من فعل الأسباب الشرعية التي أمرنا بها.

مثال ذلك هذا المثال الذي ذكرناه مسألة ضعف المسلمين وانصرافهم، هذا يوجب لنا أن نتحرك أكثر للدعوة إلى الإسلام، وبيان محاسنه والتحذير من مخالفته، وسوء العاقبة للعصاة والفاسدين. هذا يوجب لنا أن نتحرك أكثر.

وهذا من الحكمة أنه يتحرك أهل الخير للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وبيان الحق وبيان العاقبة الحميدة لمن تمسك بدين الله؛ لأجل أن يكثر ثوابهم، ولأجل أن يدخل الناس في دين الله عن اقتناع؛ لأني أظن أنكم تتصورون كما أتصور: إن الناس مثلا لو وجدوا على حالة معيّنة، هل يجدون في هذه الحال المعيّنة أو هل يدركون هذه الحال المعينة على حقيقتها؟ لا. لأنها أمرٌ معتاد عندهم، وقد لا يفهمون ما ينتج عنها من خير أو من شر، لكن عندما يوغلون في الشر، وينتهون إلى غايته، ثم يبيّن لهم الحق ويرجعون إليه، يكون هذا أحسن حالاً من الحال الأولى التي وجدوا آباءهم على شيء فمشوا عليه؛ لأنهم الآن يأتون عن اقتناع وعن محبّة لهذا الأمر الجديد الذي بُيّن لهم.

ولذلك الآن الحمد لله فيه بادرة طيبة في جميع الأقطار الإسلامية بادرة رجوع إلى الإسلام عن اقتناع ولا شك فيه، وهذا من الحكمة في أن الله يقدر مثل هذه الأمور المكروهة في الدين لأجل أن تكون غاية لما هو أحمد.

((**مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**))[النمل:6] العليم معناه المتصف بالعلم، والعلم كما حدّه أهل الأصول هو: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً مطابقاً، ولا شك أن الله سبحانه وتعالى له من هذا الوصف أتمه وأعلاه، فهو سبحانه وتعالى عليمٌ علماً مطلقاً، لم يُسبق بجهلٍ ولم يُلحق بنسيان.

ولا يحد بحد، وعلم المخلوق مسبوقٌ بالجهل ملحقٌ بالنسيان، ومحدود أيضاً ((**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**))[الإسراء:85] بخلاف علم الله.

وهنا قُدِّم الحكيم على العليم، وأكثر ما يرد في القرآن تقديم العليم على الحكيم.

ما هو الحكمة من تقديم الحكيم هنا على العليم؟

الطالب: ....؟

الشيخ: ايش؟

الطالب: أقرب من العلم.

الشيخ:أقرب؟ كيف ذلك؟

الطالب: ...

الشيخ:بس الجملة الأولى مستقلة عن الأولى الواو للاستئناف طيب المفعول الآن تلقي القرآن، القرآن مشتمل على الشريعة، والشريعة فيها أوامر ونواهي، وإذا لم نعتقد أن هذه الأوامر والنواهي مبنية على الحكمة فإنه يضعف انقيادنا لها، فلهذا قدّم الحكمة، أما العلم فإنه مفهومٌ من قوله: ((**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ**))[النمل:6] لأنه بمجرد تلقي القرآن يكون العلم، لكن هل هذا الموجود في القرآن موافق للحكمة، هو نعم موافق في الواقع، ولذلك قُدّمت الحكمة لأجل أن يشعر الإنسان قبل كل شيء بأن ما تلقاه الرسول عليه الصلاة والسلام من القرآن فإنه حكمة، نظير ذلك في سورة الذاريات قال: ((**فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ**))[الذاريات:29 - 30] وما قال: العليم الحكيم؛ لأن ولادة العجوز أمرٌ خارج عن العادة وعن المألوف، كيف تلد العجوز ولماذا؟ فقُدّمت الحكمة لأجل أن يشعر الإنسان قبل كل شيء أن هذا الأمر النادر الخارج عن العادة صادرٌ عن حكمة وليس عن سفه ولا عن أمرٍ بالصدفة.

إذاً: هذا مثلها نقول: قُدِّم اسم الحكيم الذي يدل على وصف الله تعالى بالحكمة في هذا المقام؛ لأن ما تلقاه الرسول عليه الصلاة والسلام من القرآن مشتملٌ على وإلا لا؟ التشريع الذي يحتاج إلى بيان الحكمة فيه، حتى يقتنع به المرء. فلذلك قُدّمت الحكمة على العلم.

أما العلم فإنه مفهومٌ من كلمة تُلقّى؛ إذ أنه إذا لُقّي القرآن فقد علم، لذلك صارت في المرتبة الثانية.

السبب الثاني: ما هو الحكمة من جمع الحكمة والعلم؟ حكيم وعليم، ودائماً في القرآن تجد أن الحكيم مقرون بالعليم كثيراً، ويقرن بالعزيز عزيز حكيم أيضاً. فما هي الحكمة من ذلك؟

الطالب: ..... هذا من ناحية، فهو من الإحكام ومن الحكم به، فالحكم يحتاج إلى علم.

والحكمة أيضاً تحتاج إلى علم، فحكمٌ بلا علم يعتبر ناقص.

الشيخ: طيب. كذا توافقون عليه؟ صالح.

الطالب: ....

الشيخ: يعني: يمكن الجوابين بعد يتضح جواب ثالث؟

الطالب: تدل على أن هذا العلم تنزيله على الحكمة، أنه يعني أن هذا العلم مبني على الحكمة.

الشيخ: أو الحكمة مبنية على العلم.أين المبني على الأصل؟ أيهن السابق، في تصورك الآن ؟

الطالب: السابق حكيم.

الشيخ: لا. خل الترتيب هنا، السابق حسب ذهن الإنسان.

الطالب: الحكم ...

الشيخ: عجيب. الظاهر أن العلم يسبق الحكمة، كيف تدري أن هذا مناسب أو غير مناسب؟

الطالب: إذا علمت.

الشيخ: إذا علمت، علمت أنه مناسب ووضعته في محله.

الطالب: ... يستلزم العلم.

الشيخ: طيب. على كل حال كل هذه أجوبة لا بأس بها، إنما الجواب البيّن أن نقول: إن الحكمة قد تخفى على بعض الناس، فهل خفاؤها هنا يقتضي أنها ليست معلومة عند الله؟ خفاؤها علينا لا.

فكأنه جمع بينهما ليتبين أن هذه الحكمة معلومة عند الله وإن خفيت علينا، فهو سبحانه وتعالى حكيمٌ عليم، يضع الأشياء في مواضعها، وإن خفي علينا ذلك، ما نقول مثلاً: إذا شرع الله شيئاً أو قضى بشيءٍ أن هذا ليس عن علم، بل هو عن علمٍ، حتى لو فرض أننا نحن لم نعلم حكمته ووجهته.

فهذا وجه الجمع في القرآن الكريم في آيات كثيرة بين العلم والحكمة.

الخلاصة أن نقول: لما كانت الحكمة تخفى على العباد قرنها الله تعالى بالعلم ليطمئن المرء إلى أن هذه الحكمة معلومة عند الله عز وجل وإن كانت خافية علينا.

طيب يقول: ((**إِذْ قَالَ مُوسَى**))[النمل:7].

المفسّر قال: " **اذكر إذ قال** " وهذه طريقته وهي أيضاً معروفة عند النحويين بأن إذ ظرف، والظرف لا بد له من عامل وهو المتعلق، فيقدرون اذكر دائماً في مثل هذا التركيب.

اذكر ((**إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ**))[النمل:7] وموسى معروف أنه هو ابن عمران أخو مريم ((**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ**))[التحريم:12].كيف؟

الطالب: ....

الشيخ: ما هو الجواب البيّن لهذا. إذا قال قائل: أن موسى أخٌ لمريم؟

الطالب: يعني... كيف يكون؟

الشيخ: لأن هذا موسى ابن عمران وهي مريم ابنة عمران، وموسى أخو هارون ((**يَا أُخْتَ هَارُونَ**))[مريم:28].

الطالب: يسمونهم بأسماء أنبياء.

الشيخ: نعم يسمون بأسماء أنبيائهم، والتاريخ مثلما عرفتم وقلتم الآن، التاريخ بين موسى ومريم بعيد جداً، فموسى عليه الصلاة والسلام هو أفضل أنبياء بني إسرائيل، ويقع بين أولي العزم المرتبة الثالثة؛ لأن أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام أفضلهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم إبراهيم، ثم موسى، وعيسى ونوح ما يجد الإنسان بينهم مفاضلة؛ لأن لكل واحدٍ منهما مزيّة ليست للآخر. ولهذا ما نرجّح واحداً منهما على الآخر.

أما الأولون الثلاثة فالترجيح بينهم واضح.

الطالب: الترجيح بينهم ....؟

الشيخ: لا. بس بيان الفضل، لكن المفاضلة على سبيل المفاخرة لا يجوز ولهذا قصة اليهودي مع المسلم .

الطالب: ترتيبهم في القرآن ما يدل على التفضيل؟

الشيخ: إلا. التقديم.

الطالب: ((**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**))[الأحزاب:7] ....

الشيخ: وفي الآية الثانية ((**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى**))[الشورى:13].

والظاهر والله أعلم أن نوح قُدِّم هنا لأنه هو أول الرسالات رسالة، ما هو لأنه أفضل، وهو لا شك أنه أول رسول.

الطالب: هارون من هو؟

الشيخ: هارون هذا أخوه، لكنه لم يُذكر له نبوة في القرآن.

الطالب: .... هارون ....؟

الشيخ: نعم. كما جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام.

الطالب: مريم كان لها أخ اسمه هارون، لكن ما هي بأمه يا شيخ نذرت ما في بطنها لله سبحانه وتعالى؟

الشيخ: يجوز أن يكون أخاً من أبيه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بالأمس قلنا: إنه بناءً على تقدمكم ولله الحمد في معرفة استنباط الفوائد نجعل ذلك إليكم.

فأولاً: ((**أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ**)) مالذي يستفاد من هذه الآية ؟

الطالب: من أول كلها

الشيخ: كلها؟ لا لا ناقشتكم أمس ،وأخذنا الفوائد قلنا خاص بالمؤمنين...وأنه كلما زاد الإيمان

الطالب: الفوائد

الشيخ: طيب اذن نبدأ من أول، متأكد أننا ..نبدأ من... وإذا أردتم نبدأ من ... مافي مانع...الوقت يروح أجل عندي نأخذ فوائدها اذن نأخذ على عجل.

أولا يستفاد من قوله تعالى: ((**تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ**))[النمل:1] يلا أعطني الفائدة عبد الله يلا يا إبراهيم؟

الطالب: أن هذه الآيات هي القرآن الكريم، ((**تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ**))[النمل:1] ....أن القرآن آية وعلامة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم .

الشيخ: هذا واحد. أن القرآن آية؛ لما تضمنه من الأخبار الصادقة والأحكام العادلة ... إلى آخره.

الفائدة الثانية يا حمد!

الطالب: أن القرآن ...

الشيخ: لقوله ((**تِلْكَ آيَاتُ**))

الشيخ: طيب. الثالثة يا صالح: أن القرآن مكتوب سابقاً ولاحقاً.

الطالب: ذكر بعض الآيات .... فيه هدى .... بعض الآيات.

الشيخ: لا. .....

الطالب: مبين أن القرآن بيّنٌ لنفسه مبين لغيره.

الشيخ: عموما أو في بعض الأشياء؟

الطالب: في بعضها.

الشيخ: هاه؟

الطالب: مبين كلمة مبين في هذا في آية مبين أنه ...

الشيخ: ويش تقول يا أحمد؟ هو مبين في كل الأشياء أو في بعض الأشياء؟

الطالب: ....

الشيخ: هو مبين في كل شيء أو في بعض الأشياء؟

الطالب: عام ...

الشيخ: عام؟ طيب هل فيه آية صريحة في هذا الموضوع صالح؟

الطالب: آية صريحة في ذلك؟

الشيخ: نعم. بأن القرآن مبين لكل شيء.. محمد.

الطالب: ((**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**))[النحل:89].

الشيخ: ((**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**))[النحل:89].

طيب. يستفاد أيضاً من الآية: أن القرآن لا يخرج عن كونه قرآناً ولو كتب؛ لقوله: ((**وَكِتَابٍ مُبِينٍ**))[النمل:1] فهو كلام الله سواءٌ قرئ أو كتب، وذلك مفهومٌ من قوله: ((**آيَاتُ الْقُرْآنِ**))[النمل:1] ولا يكون آية إلا إذا كان من كلام الله.

((**هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**))[النمل:2] يستفاد منها يا علي؟

الطالب: أن القرآن هدى أي: هادياً يعني: يهدي .... المعنى أن القرآن هادياً للناس.

الشيخ: نعم.

الطالب: ((**وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**))[النمل:2] وكذلك أن في هذا الكتاب ما يبشّر يعني: ما ... المؤمن بخير ....

الشيخ: يمكن في نفسك لكن ما عرفت تعبّر عنه.ويش قال يوسف؟

الطالب: ... يتعلق ...

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بالأمس قلنا: إنه بناءً على تقدمكم ولله الحمد في معرفة استنباط الفوائد نجعل ذلك إليكم.

فأولاً: ((**أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ**)) ما الذي يستفاد من هذه الآية ؟

الطالب: من أول كلها

الشيخ: كلها؟ لا لا ناقشتكم أمس ،وأخذنا الفوائد قلنا خاص بالمؤمنين...وأنه كلما زاد الإيمان

الطالب: الفوائد

الشيخ: طيب اذن نبدأ من أول، متأكد أننا ..نبدأ من... وإذا أردتم نبدأ من ... مافي مانع...الوقت يروح أجل عندي نأخذ فوائدها اذن نأخذ على عجل.

أولا يستفاد من قوله تعالى: ((**تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ**))[النمل:1] يلا أعطني الفائدة عبد الله يلا يا إبراهيم؟

الطالب: أن هذه الآيات هي القرآن الكريم، ((**تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ**))[النمل:1] ....أن القرآن آية وعلامة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم .

الشيخ: هذا واحد. أن القرآن آية؛ لما تضمنه من الأخبار الصادقة والأحكام العادلة ... إلى آخره.

الفائدة الثانية يا حمد!

الطالب: أن القرآن .....

الشيخ: لقوله

((**تِلْكَ آيَاتُ**))

الشيخ: طيب. الثالثة يا صالح: أن القرآن مكتوب سابقاً ولاحقاً.

الطالب: ذكر بعض الآيات .... فيه هدى .... بعض الآيات.

الشيخ: لا. .....

الطالب: مبين أن القرآن بيّنٌ لنفسه مبين لغيره.

الشيخ: عموما أو في بعض الأشياء؟

الطالب: في بعضها.

الشيخ: هاه؟

الطالب: مبين كلمة مبين في هذا في آية مبين أنه ...

الشيخ: ويش تقول يا أحمد؟ هو مبين في كل الأشياء أو في بعض الأشياء؟

الطالب: ....

الشيخ: هو مبين في كل شيء أو في بعض الأشياء؟

الطالب: عام ...

الشيخ: عام؟ طيب هل فيه آية صريحة في هذا الموضوع صالح؟

الطالب: آية صريحة في ذلك؟

الشيخ: نعم. بأن القرآن مبين لكل شيء.. محمد.

الطالب: ((**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**))[النحل:89].

الشيخ: ((**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**))[النحل:89].

طيب. يستفاد أيضاً من الآية: أن القرآن لا يخرج عن كونه قرآناً ولو كتب؛ لقوله: ((**وَكِتَابٍ مُبِينٍ**))[النمل:1] فهو كلام الله سواءٌ قرئ أو كتب، وذلك مفهومٌ من قوله: ((**آيَاتُ الْقُرْآنِ**))[النمل:1] ولا يكون آية إلا إذا كان من كلام الله.

((**هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**))[النمل:2] يستفاد منها يا علي؟

الطالب: أن القرآن هدى أي: هادياً يعني: يهدي .... المعنى أن القرآن هادياً للناس.

الشيخ: نعم.

الطالب: ((**وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**))[النمل:2] وكذلك أن في هذا الكتاب ما يبشّر يعني: ما ... المؤمن بخير ....

الشيخ: يمكن في نفسك لكن ما عرفت تعبّر عنه.ويش قال يوسف؟

الطالب: ... يتعلق ...

الشيخ: ويش يستفاد من آية ((**هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**))[النمل:2]

الطالب: أن القرآن هدىً للمؤمنين.

الشيخ: يعني: ما يهتدي إليه إلا المؤمنين.طيب. كيف تجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ((**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**))[البقرة:185]؟

الطالب: المراد بالناس المؤمنين.

الشيخ: المراد به المؤمنون؟ هذا يمكن كما يقول.احتمال آخر؟

الطالب: أن الآية قيدت هذا.

الشيخ: الآية أخص؟

الطالب: أخص.

الشيخ: طيب. وأنت يا أحمد؟أحد عنده جواب غير هذا؟

الطالب: أن القرآن للناس عام ....

الشيخ: أن يقال هدى للناس المراد بالهداية هنا دلالة هداية الإرشاد، كل الناس يسترشدون به لو شاءوا. يعني: معناه أن ما فيه نقص في دلالته، لكن هداية التوفيق للمؤمنين.. خاصة بالمؤمنين. كمّل ....

الطالب: .....

الشيخ: من الآية ((**هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**))[النمل:2].

الطالب: ....

الشيخ: أنه بشرى للمؤمنين بأي شيء؟

الطالب: بالجنة .....

الشيخ: بالجنة وبس؟

الطالب: .... عند الله سبحانه وتعالى ....

الشيخ: مصطفى؟

الطالب: ...بشرى.

الشيخ: لكن بشرى للمؤمنين بأي شيء.. فيها أن القرآن بشارة للمؤمنين بأي شيء؟

الطالب: ((**هُدًى وَبُشْرَى**))[النمل:2] بشرى في الدنيا أي بالنصر .... الله عز وجل عليهم بالخير.

الشيخ: بشرى في الدنيا بالنصر، وفي الآخرة؟

الطالب: وفي الآخرة بالجنة ورضا الله عز وجل.

الشيخ: بما أعد لهم من الثواب.

طيب. ما هو الدليل يا عبد الله على أنه بشارة بالأمرين؟

الطالب: .....

الشيخ: نعم ما هو الدليل؛ لأن المفسّر خصّه ببشارة الآخرة.

الطالب: .....

الشيخ: ما لك رأي، تصفّح ما جرى يعني عدة مرات. آدم تأخذ سؤال؟ يلا

((**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**))[النمل:3] ما يستفاد منها؟

الطالب: ...

الشيخ: فضل إقامة الصلاة كذا، وأنها من أوصاف المؤمنين.. إقامة الصلاة من أوصاف المؤمنين. الوراء نعم ما عندك فائدة ضمام؟

الطالب: الإيمان .....

الشيخ: ذكرنا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيقان بالآخرة. نعم اللي بعده.نعم عصام.

الطالب: .....

الشيخ: لكنه ما يستفاد منه يستفاد من القاعدة المعروفة أن الحكم إذا عُلّق بوصف ازداد بزيادة الوصف ونقص بنقصه. طيب نبدأ ايش ؟عبد الله؟

الطالب: ....أن الأعمال .....

الشيخ: هيا يا حمد؟

الطالب: ....

الشيخ:ما يخالف... أن الزكاة فرضت بمكة، وعبد الله سمعتم كلامه؟ ارفع صوتك حتى يسمعون.

الطالب: أن ....

الشيخ: إبراهيم؟

الطالب: أن الأعمال من الإيمان.

الشيخ: أن الأعمال من الإيمان، طيب. حمد. صالح .أحمد؟

الطالب: .....

الشيخ: هذه ذكره عبد الله بمعناه.

الطالب: المقصود من الصلاة إقامتها أداءً لا مجرد العدد.

الشيخ: يعني: أن محل الثناء للمصلين في إقامتها والإتيان بها على الوجه الأكمل.

الطالب: أنه لا يحصل الاهدى التام والبشرى للمؤمنين إلا إذا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وآمنوا بالآخرة

الشيخ: وأيقنوا بها ؟

الطالب: وأيقنوا بها.

الشيخ: لأن الايقان أشد علي المؤمنين

الطالب:...

الشيخ:لا لا من نفس الآية

التي قبلها

الشيخ: التي قرأناها الآن ، علي

الطالب: أن الزكاة .... بأنها تعم ....

الشيخ: لا من. أن تكون الزكاة ...

الطالب: يعني: تكون ....

الشيخ: نعم.

الطالب: يكمل إيمانه ولو لم .....

الشيخ: ولو لم؟

الطالب: يعمل بها الأعمال.

الشيخ: .... كامل الإيمان وهو ناقصٌ بأعماله. طيب. عندكم شيء؟

الطالب: اليقين بالآخرة .... قلت: لا .....

الشيخ: ينادى لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

طيب. فيها أن تضييع الصلاة والبخل بالزكاة ينافي الإيمان؛ لأن الله جعل من أوصافهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فمن لم يقم الصلاة ولم يؤتي الزكاة فهو ناقص الإيمان، وقد يكون معدوم الإيمان بالكلية كما في ترك الصلاة.

الطالب: قرن الزكاة بالصلاة تدل على أهميتها.

الشيخ: نعم. قرن الزكاة بالصلاة يدل على أهميتها، نعم فيه أهمية الزكاة.

الطالب: .... إثبات اليوم الآخر.

الشيخ: نعم، السؤال عليك الآن؟

الطالب: ....

الشيخ: إثبات اليوم الآخر ((**وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**))[النمل:3].

طيب ((**إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ**))[النمل:4] ماذا يستفاد من الآية يا أحمد؟

الطالب: .... تزيين .....

الشيخ: هذا الذي مر يزين.

الطالب: تزيين سوء العمل....

الشيخ: صحيح يعني: أنه والعياذ بالله يعمى حتى يزين له سوء عمله، فلا يتبين له الحق.تزيين سوء الأعمال لمن لا يؤمن بالآخرة.وهذه تعتبر كرامة أو عقوبة؟

الطالب: عقوبة.

الشيخ: نعم. إذاً: عقوبة من لا يؤمن بالآخرة بهذه العقوبة العظيمة وهو تزيين سوء الأعمال. مصطفى؟

الطالب: ....

الشيخ: يعاقبهم بهذه العقوبة، انتهينا منها....سبقت

الطالب: ((**إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ**))[النمل:4] يكذبون .... هذه عقوبة .....

الشيخ: خلصنا منه. قالها الأخ عبيد

الطالب: .... في الآية الثانية ((**إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ**))[النمل:4] زيّن لهم الأعمال .... العمل السابق هذا ...

الشيخ: لا ... زيّنّا لهم أعمالهم السيئة، ليست الحسنة. نعم يا الأخ! وراءك... ما نسمعك، بين يا رجال .... اللي ما يحسن شيء.

الطالب: .....

الشيخ: ايش؟

الطالب: .....

الشيخ: أن الإيمان بالآخرة يستلزم ...

الطالب: .....

الشيخ: أنا فهمت من كلامك هو الذي يريد، يستلزم أن الإنسان يرى الحق حقاً ويرى الباطل باطلاً فلا يُزيّن له الباطل،أو ما فهمتني؟ ما دام أنه ما يؤمن زيّن له سوء الأعمال، الذي يؤمن ما يزيّن له إلا حسن الأعمال، فهو يصلح لهذا.يعني: أنه كلما آمن الإنسان بالآخرة اتضح له الحق. الذي بعده.

الطالب: ...

الشيخ: أنا الحقيقة ما أسمح لكم تقولون ما نعرف، هذا شيء بين يدينا.

الطالب: ...بقدر

الشيخ: بقدر ايش؟

الطالب: .....

الشيخ: أو بقدر شكّه تزداد أعماله السيئة، وهذا واضح بقدر شكه في الآخرة تزداد أعماله السيئة؛ لأنه ما عنده عمل.يلا يا أحمد!

الطالب: .....

الشيخ: لا ما وصلناه في نفس الآية لا ما وصلناه ((**فَهُمْ يَعْمَهُونَ**))[النمل:4] بس إلى هذا.عبد الله! إبراهيم!

الطالب: الجزاء من جنس العمل.

الشيخ: كيف الجزاء من جنس العمل؟

الطالب: من لا يؤمن بالآخرة سيزيّن الله .... الله سبحانه وتعالى زيّن لهم أعمالهم، كما أنهم يرون فيه الحق وهو الباطل، الله سبحانه وتعالى زيّن لهم الأعمال السيئة وجعلهم .....

الشيخ: واضحة هذه؟ إذاً: الجزاء من جنس العمل؛ لأنهم لما لم يوقنوا بالآخرة مع وضوحها اشتبه عليهم الحق مع وضوحه، زيّنت لهم سوء أعمالهم فاشتبه عليهم الحق مع وضوحه. ما رأيكم؟

الطالب: .....

الشيخ: لا، اللي قلته صحيح هذا.

الطالب: ....

الشيخ: إي نعم هو هذا، لكن بس كون الجزاء من جنس العمل. حمد!

الطالب: أن حياة غير المؤمنين في سراب الوهم.

الشيخ: من أين أخذته؟

الطالب: قوله: ((**فَهُمْ يَعْمَهُونَ**))[النمل:4].

الشيخ: صح هذا صحيح، يقول: إن غير المؤمنين حياتهم في شك وقلق؛ لأنهم مترددون حائرون.

الطالب: .....

الشيخ: ما فهمنا منك هذا، إن كنت تريده فلم نفهم هذا.

الطالب: أن الضلال سببه من العباد ..... لم يؤمنوا .....

الشيخ: يعني: إذاً ما ظلم الله الكافرين مثلاً.

الطالب: بحيث أنهم لم يؤمنوا أول مرة فأمدهم بالحياة ..... ((**يَعْمَهُونَ**))[النمل:4]

الشيخ: يترددون، هو الشك هذا الذي قاله حمد.

الطالب: ....

الشيخ: ما هو واضح نعم.

الطالب: أن الحيرة والشك ....

الشيخ: هذه ماهي واضحة نعم.

الطالب: وجوب الإيمان بالآخرة؛ لأنه لما كان هذا جزاء الذين لا يؤمنون بالآخرة يستلزم من ذلك الإيمان بها.

الشيخ: صح، وجوب الإيمان باليوم الآخر بدليل عقوبة من لم يؤمن بها، هذه العقوبة العظيمة يدل على وجوب الإيمان به.طيب. هيا يا محمد!

الطالب: أن هذا العقاب يحصل ولو كان هذا غير مؤمن، معدوم الإيمان، ...

الشيخ: لا. الإيمان هذه ذكرناها، هي يظل أن الكافر يتردد .... المؤمن في قرار نفسه، هذا ذُكر.

الطالب: أن تزيين العمل في عين الإنسان يعني لا يدل على أنه حق موافق للشرع؛ لأنه زين له بعض الأعمال وهي على خلاف الشرع، فالمدار ما وافق الشرع ...

الشيخ: أنه لا يلزم من رؤية الإنسان الشيء حسناً أن يكون حسناً كذلك.

الطالب: نعم. أن يكون موافقاً للشرع، يعني: أن يكون موافقاً للفعل إلا بعد عرضه على الشرع...

الشيخ: أنتم فاهمين هذا؟يقول: لا يلزم من تحسين الإنسان للعمل أن يكون صواباً، كذا؟

الطالب: نعم. هذا صح ....

الشيخ: نعم. أنا أخشى أنه يرد علينا هذا.

الطالب: كيف؟

الشيخ: أخشى أنه يقول القائل: هذا في غير المؤمنين؛ لأنهم هم الذين زين لهم سوء العمل، مثلما قال ابن مسعود: ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن. هذا فيها هذا الإيراد، إذاً: تُلغى لئلا... محمد!

أنتم ما ترون فيها دليل على مذهب أهل السنة والجماعة.

الطالب: نعم الرد على القدرية.

الشيخ: الرد على القدرية.

الطالب: القدرية والمرجئة.

الشيخ: ... القدرية ...((**زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ**))[النمل:4] لأن هذا سبب ضلالهم، تزيين العمل لهم هذا سبب الضلال.

وغلاة القدرية يقولون: إن أفعال العبد ما لله فيها تعلق إطلاقا، لا بتقدير ولا بخلق ولا بتزيين ولا بشيء.

يكون هذا فيه ردٌ على القدرية.أما المرجئة فلا أعرف وجهه.

الطالب: أعمالهم.

الشيخ: هاه؟

الطالب: .... ((**زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ**))[النمل:4] ....

الشيخ: على الجبرية هذا.

الطالب: على الجبرية نعم.

الشيخ: ليس المرجئة.

الطالب: لكن هم لا يؤمنون؟

الشيخ: نعم؟

الطالب: هم لا يؤمنون بالآخرة.

الشيخ: من؟

الطالب: القدرية.

الشيخ: لا لا. يؤمنون بالآخرة، لكن ما يؤمنون أن الله له تعلق بأفعال العبد، والآية يقول الله فيها: ((**زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ**))[النمل:4].

الطالب: نعم لكن هذا جواب الشرط بأنهم لا يؤمنون.

الشيخ: ما يخالف، هم لا يؤمنون لكن تزيّن لهم الأعمال السيئة فيعملوها، فلله تعالى التأثير في أفعالهم.

الطالب: ..... لكنه من الآية.

الشيخ: لا من الآية ما فيها شيء. ((**زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ**))[النمل:4].

الطالب: نعم. لكن هم لا يؤمنون.

الشيخ: بماذا؟

الطالب: نفس القدرية .....

الشيخ: لا. يؤمنون، لكن كون الله يقول: ((**زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ**))[النمل:4] فينقل تزيين العمل إليه، يدل على نفي القول، وإلا هم يؤمنون بالآخرة، ويرون أنهم مسلمون.

وفيها أيضاً أعمالهم ليست بالأعمال ..... رداً على الجبرية؛ لأن الجبرية ما ينسبون العمل للإنسان إلا على سبيل المجاز؛ إذ أنهم يرون أن الإنسان مُجبر على العمل.

الطالب:... ولكن .... لا يؤمنون.

الشيخ: لا. يؤمنون هم.. يؤمنون بالآخرة، لكنهم لا يؤمنون بأن الله تعالى له تعلق بفعل العبد.

الطالب:..... أنهم لا يؤمنون .....

الشيخ: لا لا. ما أنا أقول أن فعل المرجئة سيئ يزين لهم عملهم، لو كنت أقول يستفاد منها أن القدرية زيّن له سوء العمل صحيح تردون علي انهم يؤمنون بالآخرة يقولون: هم يؤمنون بالآخرة، لكن إضافة تزيين الأعمال إلى الله هذا الذي فيه الرد.

الطالب:.....

الشيخ: نعم؟

الطالب: فيه دليل هذه الآية ..... أن كل شيء .....

الشيخ: لا. هذا من تزيين الله ((**زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ**))[النمل:4] الله الذي زيّن.

الطالب: قوله: ((**وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**))[الأنعام:43].

الشيخ: هذه ما هي بذاك المعنى .....

الطالب: .... بأن الذين لا يؤمنون .....

الشيخ: نعم صحيح، أن هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة يرون أن أعمالهم حسنة، ولهذا يصرون عليها ويفتخرون بها، وقد قال أبو سفيان في أحد: اعل هبل.

الطالب: يا شيخ! كيف تكون مزيّنة لهم يعني: في غاية.... ولكنهم يفتخرون بها مع أنهم في حيرة وعمى.

الشيخ: نعم. هم في حيرة وعمى بالنسبة للإيمان بالآخرة وبالنسبة للقلق، لكن عندما أنهم يستمرون في هذه الأعمال يرونها على حق.

((**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ**))[النمل:5].

الطالب:.... العمل مع الحيرة يعني التي .....

الشيخ: هم يعملون مثلاً المعاصي ويتزين لهم، فيرون أنه لا بأس به، مثلما يرون مثلاً الذين يرابون يرون أن الربا أنه مصدر اقتصادي وأنه لا بأس به، الذين يعملون الشطرنج يقولون: هذا عملٌ طيب لأنه ينمّي الفكر والعقل، الذين يعملون الأشياء مثل السرقات وغيرها، المهم أنهم تزيّن لهم سوء عملهم.

الطالب: ..... الأعمال يراها حسنة وأطفاله يرون ذلك يحتار في...؟.

الشيخ: لا لا، ما هو بيحتار هنا في نتيجتها، يحتار في الأمر كله حتى في الإيمان بالآخرة يحتار، ويزعم أن نتيجته بالنسبة له حسنة، ولهذا زيّن له.. يزعم أن نتيجة هذا العمل السيئ أنها حسنة.

الطالب: كيف يتحيرون .....؟

الشيخ: لا لا، ما هم يتحيرون في ....، هم يتحيرون في أمرهم كله، حتى في أمر الآخرة ما عندهم يقين.

الطالب: نرى بعض أهل المعاصي تجد يعني يعترف أنه على خطأ يقول: أنا على الباطل والله يغفر لي، كيف يعني ...؟

الشيخ: هذا مزيّن له وهو الرجاء في غير محله.. كونه إن كان يرجو الله يغفر له في غير محله هذا من سوء العمل، العاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

الطالب: هل هذا في الكفار؟

الشيخ: إي نعم.

الطالب: لكن ما يرد عليه.

الشيخ: لا لا، لو ورد فهو هذا جوابه؛ لأن المعاصي في الحقيقة شاملة .... الكفار وغير الكفار، وكل من عصى ففيه نقصٌ في الإيمان بالآخرة، كل إنسان يعص الله فإيمانه بالآخرة فيه نقص.

طيب. عندك سؤال ((**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ**))[النمل:5].

الطالب: ...

الشيخ: لا. هذا المعنى الخاص ما يسقط عليه.

الطالب: .....

الشيخ: لا. الله ما تحدث عن المشركين، ما قال: إن المشركين، قال: ((**إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ**))[النمل:4].

الطالب: ....

الشيخ: لا، النص يخاطب من لا يؤمن من هؤلاء ومن هؤلاء.يلا يوسف

((**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ**))[النمل:5].

الطالب: عذاب الدنيا والآخرة.

الشيخ: إثبات العذاب؟

الطالب: نعم، في الدنيا والآخرة، الذين لا يؤمنون.

الشيخ: في الدنيا والآخرة من أين؟

الطالب: ((**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ**))[النمل:5].

الشيخ: سوء العذاب يعني في الدنيا سوء العذاب، وإلا في الآخرة؟

الطالب: لا. في الدنيا.

الشيخ: وايش الدليل أنه في الدنيا؟

الطالب: لأنه قال: ((**وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ**))[النمل:5].

الشيخ: .... سوء العذاب في الدنيا والآخرة، وفي الجملة الثانية تدل على أنه ما لهم حظ من الآخرة أبداً.

هذه .... المؤلف يجي على ما قلت، نحن أشرنا أنه العموم.وأفاد الجملة الثانية أنه ما لهم حظٌ أبداً في الآخرة.

طيب. محمد!

الطالب: من نفس الآية؟

الشيخ: نعم من نفس الآية.

الطالب: أن هؤلاء ...

الشيخ: أحمد!

الطالب: الإيمان ....

الشيخ: تفيد أن الناس في الآخرة ثلاثة أقسام:

الطالب:أخسرون، وخاسرون، ورابحون

الشيخ: أخسرون، وخاسرون، ورابحون نعم.

الطالب: ....

الشيخ: يراه، الأمور مادية الجنة نعيمٌ بدني وقلبي.

الطالب: ...

الشيخ: صحيح هذا التقسيم واضح، لكن من الآية ليس مأخوذ، وإلا ما فيه شك أن الخسارة معنوية ومادية.

مصطفى!

الطالب: ....

الشيخ: يستفاد من هذا تنوع العذاب طبعاً بحسب المعاصي؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

الطالب: ... عدم وجود .... عدم الإيمان بالآخرة قد يكون عندهم من النعم، يعني: قد لا .... يعني من الذين لا يؤمنون بالآخرة، ....

الشيخ: عبّر هذه. يعني تقول: هم في الآخرة هم الأخسرون يعني معناه أنه قد يكون في الدنيا يربحون، كذا قصدك؟

الطالب: لا. يربحون يعني

الشيخ: ماديا

الطالب:مادياً.

الشيخ: ما رأيكم في هذا؟

الطالب: الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن.

الشيخ: دع الحديث، سجن المؤمن وجنة الكافر، لكن .... أنه هل يؤخذ من هذا أن قوله: ((**وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ**))[النمل:5]؟

الطالب: ما يلزم.

الشيخ: أنه يلزم أن يكونوا في الدنيا رابحين؟

الطالب: لا. ما يلزم.

الشيخ: يعني: مسكوت عنه في الواقع، هو في الحقيقة في الحياة الدنيا مسكوتٌ عنه، لكن في الآخرة أخسرون.

الطالب: .....

الشيخ: لا. يقال مسكوت عنها وبس، قد يربحون وقد يخسرون.

الطالب: في الآخرة يخسرون،((**زينا لهم أعمالهم**))..... .

الشيخ: على العموم، المؤلف يضيف الدنيا، فعلى هذا معناه أنه ما لهم في الدنيا حظ أيضاً، إذا كان سوء العذاب يعني: بالقتل والأسر، معناه ما لهم حظ في الدنيا.

المهم أن الآية تفيد أنهم الأخسرون في الآخرة فقط ((**وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ**))[النمل:5].

وهل يلزم أن يكونوا هم الأخسرين في الدنيا؟ ما يلزم.

الطالب: ....

الشيخ: نعم، لكن ما يفهم من الآية أنهم رابحون في الدنيا، يفهم من الآية أنهم في الدنيا مسكوتٌ عنه، قد يربحون وقد يخسرون يعني مسكوتٌ عنه، لكن سوء العذاب قد يُقتل الإنسان إذا فسّرنا سوء العذاب كما عند المؤلف بالأسر والقتل قد يُقتل وهو غني، فيكون رابحاً مع أنه يؤسر ويُقتل، طيب ما فيه إثبات الآخرة؟

الطالب: .....

الشيخ: ((**وَهُمْ فِي الآخِرَةِ**))[النمل:5] ومن هذه أيضاً. نعم يا عبد الله!

الطالب: ....

الشيخ: من لم يؤمن بالآخرة فهو كافر؟

الطالب: .....

الشيخ: ما يخالف، هم يعني الذين لا يؤمنون بالآخرة هم الأخسرون.يعني: إذا أعدنا الآية على ما قبل.

الطالب: .... على ما قبل.

الشيخ: على ما قبل.

الطالب: .... هم الأخسرون.

الشيخ: نعم، لكن هم في الآخرة هذا خبر بأنهم خاسرون في الآخرة، لكن لماذا؟لأن الآية ((**إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ** ...))[النمل:4] ثم ذكر ((**وإنك لتلقى القرآن**)) في شيء بعد؟

الطالب: الخسران منحصر فيهم.....

الشيخ: أن الأخسر.

الطالب: منحصر فيها. يعني: عاد مسند إلى الضمير .....

الشيخ: صحيح، هو على كل حال فيه حصر، ولا شك أنه من الأخسرون وإلا غيرهم لو خسروا فليسوا بهذا الوصف.

الطالب: .....

الشيخ: لأنه لو خلّدوا لكانوا أخسرين. هذا صحيح يقول: يفهم منه الرد على الخوارج والمعتزلة؛ لأنهم لو خلدوا في النار كما يقول هؤلاء لكانوا داخلين في الأخسرين.

الطالب: ...

الشيخ: لأن أهل الكبائر يؤمنون بالآخرة، والأخسرون؟

الطالب: الذين لا يؤمنون بالآخرة

الشيخ: الذين لا يؤمنون بالآخرة، فإذا قلنا إن أهل الكبائر الذين يؤمنون بالآخرة يكونون أخسرين أيضاً؟ صار ما اختص الخسر أو الخسران أو الأخسرية ما اختصت بهؤلاء. ما هي واضحة هذه؟ أظنه واضح للجميع.

لو قلنا إن أهل الكبائر الذين يؤمنون بالآخرة أنهم مخلدون في النار.. لو قلنا أنهم مخلدون لاتصفوا بهذا الوصف، لكانوا من الأخسرين، وإلا لا؟مع أن الله إنما حصر الأخسر في الذين لا يؤمنون بالآخرة.

الطالب: ....

الشيخ: يعني أن له ربحاً ليس هو الرابح؛ لأنه قد يخسر، نحن قلنا أن الناس ثلاثة أقسام: خاسر، ورابحٌ: رابح ربحاً لا خسارة فيه، وأخسر.فصاحب المعاصي من المؤمنين هو في حكم الخاسرين، لكنه ليس الأخسر في شيء بعد؟.

الطالب:.... أحوال الفاسدين .....

الشيخ: سامعين كلامه ؟أن الله يبصّر المؤمنين بأوصاف غير المؤمنين .....

الطالب: بأحوال الكافرين في الآخرة.

الشيخ: بأحوال الكافرين في الآخرة، لماذا؟

الطالب: .....

الشيخ: للتحذير.

الطالب: .....

الشيخ: من قوله: هدى؟ لا. هذه غير هذه، يعني قصد مصطفى يقول: فيه دليل على بلاغة القرآن مثلاً أنه يبيّن أحوال الكافرين للتحذير منهم

.طيب. الأخ! ((**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**))[النمل:6].

الطالب: ....

الشيخ: تدل اللام على ماذا؟ توكيد أي شيء؟

الطالب: .....

الشيخ: على أن القرآن من عند الله.

الطالب: ....

الشيخ: لا قد يكون بغير النص.

الطالب: الفائدة .....

الشيخ: الثانية بعد هذا.

الطالب: العفو.

الشيخ: العفو، من أين نأخذه؟

الطالب: ....

الشيخ: لا. من غير؛ لأنهم خاسرين ربما ما يحصل عفو، وإذا عُفي عنه ما صار لهم خسارة إطلاقا.

الطالب: .....

الشيخ: منزل من؟

الطالب: من عند الله.

الشيخ: من الله.

الطالب: .... من عند الله.

الشيخ: نعم هذه، أنه نازل من عند الله، يمكن تكمله فيكون كلامه ...

الطالب: القرآن كلام الله.

الشيخ: نعم، فيه دليل على أن القرآن كلام الله؛ لأنه نزل من لدنه والكلام صفة المتكلم.طيب. ويش فيه أيضا عصام ؟

الطالب: .....

الشيخ: على من؟

الطالب: الكفار.

الشيخ: الكفار؟

الطالب: نعم.

الشيخ: الذين؟

الطالب: .....

الشيخ: احسنت يلا عبد الله!

الطالب: إثبات العلم لله

الشيخ: إثبات العلم لله والحكمة.

الطالب: إثبات نبوته.

الشيخ: هاه؟

الطالب: إثبات نبوته .....

الشيخ: طيب. إثبات نبوته ورسالته.

الطالب: أن العلم .....

الشيخ: من أين نأخذه؟

الطالب: .....

الشيخ: طيب. والله هذه كمل ...

الطالب: بلاغة القرآن.

الشيخ: من أين نأخذه؟

الطالب: حيث ذكر في هذه الآية ذكر العلم بعد الحكمة، وفي آيات أخرى قُدّم العلم على الحكمة، بما يناسب السياق.

الشيخ: يعني: قصدك مراعاة. مراعاة المقام في التعبير يعتبر من الفصاحة.يعني: غالب الآيات يقدّم العلم على الحكمة، وأحياناً يقدّم الحكمة على العلم؛ مراعاة للمقام، يعني: مراعاة المقام هذا من الفصاحة، وهو معروف عند أهل الفصاحة. هناك فائدة أيضاً.

الطالب: ....

الشيخ: هذه ما واضحة كما قلنا.

لتلقى.. يعني ليس واضح، لكن كلام الشارح أنه يتلقاه بشدة.

الطالب: .....

الشيخ: نعم ما يخالف .....يلقّى بمعنى يلقى إليك مثلما قال بعض المفسّرين.

الطالب: .....

الشيخ: ليس ظاهر لي.هو يقول: إن تُلقّى لما كانت مشددة صار فيها نوع من التكلّف يعني: تلقاه. يعني مثلما نلقن الصبي الصغير يجد مشقة في التلقين وفي المتابعة مثلاً.

على كل حال هذه نضيفها إلى فائدة.... عبد الله .....نعم. صالح!

الطالب: ....

الشيخ: هذه ذكرها سلطان، نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: كيف ذلك؟

الطالب: .....

الشيخ: ((**وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ**))[الحديد:25] والحديد.

((**إِنِّي آنَسْتُ نَارًا**))[النمل:7] إلى آخر القصة.

وهذا من جملة ما يلقاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القرآن وهي قصص الأنبياء. وفائدة ذكر هذه القصص ما ذكره الله تبارك وتعالى في سورة يوسف: ((**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ**))[يوسف:111] عبرة نعتبر بها في أحكامها وفي عواقبها.

ولهذا الصحيح أن ما ذُكر من هذه القصص من الأحكام فإنه يجوز لنا أن نتبعه وأن نقتدي به؛ لقول الله تعالى: ((**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ**))[الأنعام:90].

كذلك نعتبر لما جرى من العواقب للرسل وأتباعهم، وما جرى من العواقب لمخالفيهم، ومعلومٌ أن عاقبة الأولين عاقبة محمودة وعاقبة الآخرين عاقبةٌ سيئة.

فمن جملة القصص التي كثر ذكرها في القرآن قصة موسى، ولا غرو أن تكثر في السور المدنية؛ لأن المدينة كان بها طائفة من اليهود حتى يتبين أمرهم، ولهذا فصّلت أحوالهم كثيراً في سورة البقرة، وأما ذكر قصة موسى في السور المكيّة كهذه فإن فائدتها التوطئة والتمهيد للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يكون على بصيرة من أمره.

وهذا التوجيه وهو الاستعداد للمستقبل سلكه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذاً بتوجيه القرآن حينما قال لمعاذ بن جبل: (**إنك تأتي قوماً أهل كتاب**).

((**إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ**))[النمل:7] و أظننا تكلمنا على موسى عليه الصلاة والسلام وأنه موسى ابن عمران، وأنه أفضل أنبياء بني إسرائيل.

" ((**لِأَهْلِهِ**)) **زوجته عند مسيرة من مدين إلى مصر** ".

يقول: " **زوجته** " ألا يحتمل أن تكون زوجته وأمه وأباه وما أشبه ذلك؟

الطالب: بعيد.

الشيخ: لماذا؟

الطالب: لأنه خرج من مكة وحيداً

الشيخ: لأنه خرج من مكة وحيداً، خرج وحيداً ثم التقى بالمرأتين ثم اتصل بأبيهما، ثم زوجه على أن يأجره ثمان حجج وانتهت الحجج.

" ثم سار ((**لِأَهْلِهِ**)) **زوجته عند مسيرة من مدين إلى مصر** ".

وبهذه المناسبة بعض الناس يظنون أن صاحب مدين هو شعيب النبي، وليس كذلك فإنه بينه وبين موسى برهة من الزمن، وإنما صاحب مدين رجلٌ من أهل مدين هذا هو الصحيح بلا شك. قال: " ((**إِنِّي آنَسْتُ**)) **أبصرت من بعيد** ((**نَارًا**))**[النمل:7]** ".

الطالب: ... الرجل هو نبي؟

الشيخ: لا. ليس بنبي. إذ قال: ((**إِنِّي آنَسْتُ**))[النمل:7] جملة إني آنست هذه مقول القول، ولهذا كُسرت إن وقال: " **آنست: أبصرت من بعيد** ".

آنس بمعنى أبصر، وكونها من بعيد ما يدل عليه اللفظ في الحقيقة، اللهم إلا أن يقال: إن الإيناس إنه لا يدل على القرب بسبب أنه يدل على الخفاء، والخفاء في النار ما يكون إلا إذا كانت بعيدة.

وقوله: ((**سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ**))[النمل:7].السين للتنفيس، وقد ذكرنا فيما سبق: أنها إذا دخلت على الجملة وهي طبعاً لا تدخل إلا على المضارع تفيد أمرين هما: القرب والتحقق.

((**سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ**))[النمل:7] آتيكم أو أتيكم؟

الطالب: آتي.

الشيخ: ما الفرق بين آتيكم و أتيكم؟ آتيكم أي: أعطيكم، و أتيكم بمعنى أجيئكم. هكذا نقول وإلا خطأ؟ أو آتيكم بمعنى أجيئكم؟

الطالب: آتى بمعنى أعطى وأتى بمعنى .....

الشيخ: وآتيكم بمعنى أعطيكم. نصرفها الآن نحن في غير الآية. أتيت مضارعه لأتيت آتي، آتيت أوتي.

إذاً: فآتيكم بمعنى أجيئكم على كل حال. وأول ما يتبادر...

آتيكم بمعنى أجيئكم وهنا قال: ((**سَآتِيكُمْ**))[النمل:7] وفي آية أخرى: ((**لَعَلِّي آتِيكُمْ**))[طه:10] فهل بينهما فرق أو هما بمعنى واحد، وإن قلنا بالفرق فما الجمع؟

الطالب: لعلي ترجّي هنا، وهنا للتحقيق .....

الشيخ: إذاً: بينهم فرق، ما الجمع؟ القصة واحدة.

الطالب: نعم. لكن هناك يأمل مع ظن التحقيق.

الشيخ: نعم

الطالب: جملة ....

الشيخ: طيب. وليد!

الطالب: قوله: ((**سَآتِيكُمْ**))[النمل:7] عندما كان .... أما قوله: ((**لَعَلِّي آتِيكُمْ**))[طه:10] عندما قرب إليها.

الشيخ: لا. هو خاطب أهله.

الطالب: عندما اقترب من النار؟

الشيخ: لا.

الطالب: أن ....

الشيخ: ما يخالف المعنى يختلف الآن، إذا قلنا هذا للترجي وهذا للتحقيق.

الطالب: .... قال: ((**سَآتِيكُمْ**))[النمل:7] .... قال: ((**لَعَلِّي آتِيكُمْ**))[طه:10].

الشيخ: أو بالعكس.

الطالب: إن كان .....

الشيخ: كان بأول يترجى ثم قوي، هكذا قال بعضهم.

لكن يمكن أن تكون بمعنى واحد بدون اختلاف؛ لأن لعل تأتي للتوقع، ذكرنا فيما سبق في النحو أن لعل تكون للترجي والإشفاق والتعليل والتوقع، إذا صار لك توقع صار معناها التوكيد.

أما إذا قلنا: إن لعل للرجاء. فهو رجا أولاً ثم قوي وجزم به وقطع فيه.

وقوله: " ((**سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ**))**[النمل:7] عن حال الطريق وكان قد ضلها** ".

هذا واضح أن الخبر الذي يريد خبر من يدله على الطريق؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان قد ضلّ.

" ((**أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ**))**[النمل:7] بالإضافة للبيان وتركها** " ترك الإضافة يعني قراءتان.

أو آتيكم بشهاب قبس، أو بشهابٍ قبس. أما بشهاب قبس فهي للبيان كما قال المؤلف والإضافة إذا كانت للبيان فهي على تقدير من، مثل ما يقال: خاتم حديد أي: خاتمٌ من حديد.

فهنا شهاب قبس أي: شهابٌ من قبس؛ لأنها بيانية، وإذا جعلناها شهابٍ قبسٍ صارت قبس صفة لشهاب، صفة مبيّنة أيضاً، فيكون الإضافة والقطع بمعنى واحد.

وفي قوله: ((**سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ**))[النمل:7] هل أو هذه مانعة جمع أو مانعة خلو؟

الطالب: مانعة خلو.

الشيخ: ايش الفرق بينهم يا محمد؟

الطالب: مانعة الجمع معناها: أنه لا بد أن يحدث أحد هذين الأمرين.

الشيخ: أنه ما يكون إلا أحد الأمرين إما هذا أو هذا. ومانعة الخلو؟

الطالب: مانعة الخلو: أن لا يخلو الأمر لواحدٍ منهما وقد ...

الشيخ: أو منهما جميعاً، تكون معناه أنه ما يخلو الأمر من هذا، أو من واحد منهما، أو منهما جميعاً. وهي تشبه قول النحويين: أو تأتي للإباحة وللتخيير، وهناك قالوا الإباحة والتخيير إذا كانت في سياق الطلب تقول مثلاً: تزوج هنداً أو أختها. هذه أو للتخيير ما تأتي للإباحة.

جالس فلاناً أو فلاناً. هذه للإباحة.

كل خبزاً أو رزاً. للإباحة.

الذي للإباحة ما تمنع الجمع، والذي للتخيير تمنع الجمع، وإذا كانت أو في خبر فإنهم يسمونها مانعة خلو أو مانعة جمع.

إذاً هي مانعة خلو بمعنى أنه يمكن يأتيهم بالأمرين جميعاً، الدلالة والشهاب القبس.

وفهم من هذا الكلام ((**آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**))[النمل:7] أن الليلة كانت باردة، وما أحوج الضال للطريق في ليلة باردة ما أحوجه إلى نارٍ يصطلي بها وإلى أهل نارٍ يُخبرونه عن الطريق؛ لأن النار معلومة أنها ما تكون وحدها، لا بد أن عندها أحد يحرق.

قال: ((**أَوْ آتِيكُمْ**)) " **أي: شعلة نار في رأس فتيلة أو عود** ".

هذا الشهاب القبس، القبس الذي يُقتبس منه وهذه تكون كما قال المؤلف: " **شعلة نار في رأس فتيلة أو عود** ".

((**لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**))[النمل:7] لعل هنا ايش معناها؟

الطالب:...

الشيخ: لا. للتعليل. أي: لأجل أن تصطلوا بها.

" **والطاء بدل من تاء الافتعال** ".اصطلى أصله اصتلى بالتاء على وزن افتعل، لكن أبدلت التاء طاءً؛ لسببٍ صرفي.

" ((**لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**))**[النمل:7] والطاء بدل من تاء الافتعال من صلي بالنار بكسر اللام وفتحها – صلى– تستدفئون من البرد** ".

وما أهل النار التي يصطلي بها الإنسان فيها البرد، ولهذا يقول المثل: النار فاكهة الشتاء والمكذّب يصطلي. صحيح وهذا مشاهد.

ذهب موسى عليه الصلاة والسلام وبقي أهله في هذا المكان، وذهب هو وحده إلى النار لعلهم يأتيهم بالخبر أو بالشهاب.

((**فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ**))[النمل:8]

((**فَلَمَّا جَاءَهَا**)) أصلاً فيها حذف، والتقدير فذهب فلما جاءها، ويسمى هذا الإيجاز إيجاز الحذف؛ لأن الإيجاز عندهم في البلاغة إما إيجاز قصر وإما إيجاز حذف، فإذا كانت الجملة القصيرة تشتمل على معاني كثيرة بدون حذف يسمى إيجاز قصر، كقوله تعالى: ((**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**))[البقرة:179] هذه جملة مختصرة، لكنها تتضمن معاني كثيرة، يسمي علماء البيان هذا إيجاز قصر وهو أن تكون الجملة قصيرة لكنها متضمنة لمعاني كثيرة.

إيجاز الحذف معناه: قصر الجملة لكن الجملة نفسها ما تتضمن معاني كثيرة إلا بتقدير أشياء محفوظة، هذا من إيجاز الحذف.

وأمثلته في القرآن كثيرة مثل قوله تعالى: ((**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**))[البقرة:184] فيها إيجاز حذف، التقدير: فأفطر فعدة من أيام أخر.

قال: ((**فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ**)) أي: بأن ((**بُورِكَ**)) أي: بارك الله ((**مَنْ فِي النَّارِ**)) أي: موسى ((**وَمَنْ حَوْلَهَا**)) أي: الملائكة أو العكس ".

نودي المنادي هو الله عز وجل، الدليل: أنه في آية أخرى صرّح بذلك ((**وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ**))[مريم:52] فالمنادي هو الله سبحانه وتعالى.

وقوله: ((**أَنْ**)) أي: بأن. أفادنا المؤلف رحمه الله أن أنْ هنا مخففة من الثقيلة، حينما قدّر الباء؛ لأن تقدير الباء يدل على أن ما بعدها مؤول بمصدر.

وهناك قولٌ آخر: يجعلون أنْ هنا تفسيرية مثل: ((**فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ**))[المؤمنون:27].

ويقولون: إن نودي متضمنٌ لمعنى القول دون حروفه، وأن إذا سُبقت بما يتضمن معنى القول دون حروفه فهي تفسيرية، ولكن من حيث المعنى واحد، إنما الاختلاف في الإعراب ((**بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ**))[النمل:8] قال الشارح أو المفسّر: " **أي: بارك الله** ((**مَنْ فِي النَّارِ**)) ".

قدّر هذا ليبين أن فاعل البركة من ؟الله، وأن بارك يتعدى بنفسه: بارك الله فلاناً كما يقال: بارك الله لفلان. فيتعدى بنفسه ويتعدى بحرف الجر.

الطالب: ...على أن المناداة بغير اللغة العربية.

الشيخ: لا لا، الآن لما سيقت في اللغة العربية أخذت حكم اللغة العربية.

الطالب: المفروض أن الأكثرية على أن ....

الشيخ: أنا فهمت كلامك، هذا ما يصح؛ لأن التفسير في الحقيقة لكل الكلام.. ترجمة الكلام الذي وقع من الله سبحانه وتعالى لموسى في كل الجمل هذه وليس فقط في قوله: ((**بُورِكَ**)) في كل الجملة.

يقول المؤلف رحمه الله: " **بارك الله** ((**مَنْ فِي النَّارِ**)) ".

((**مَنْ**)) إعرابها بدون تقدير المفسّر اسم موصول في محل رفعٍ نائب فاعل.

وقوله: " ((**مَنْ فِي النَّارِ**)) **أي: موسى** ((**وَمَنْ حَوْلَهَا**)) **أي: الملائكة أو بالعكس** ".

((**مَنْ فِي النَّارِ**)) الملائكة، ((**وَمَنْ حَوْلَهَا**)) موسى.

واحتمال ثالث أن يكون ((**مَنْ فِي النَّارِ**)) موسى ((**وَمَنْ حَوْلَهَا**)) البلاد التي حول هذه النار؛ لأنها بلاد الشام مباركة، أو ((**وَمَنْ حَوْلَهَا**)) أهله.. كل ذلك فيه احتمال.

الطالب: ....

الشيخ: لا. حول النار.طيب قوله: ((**مَنْ فِي النَّارِ**)) فيه إشكال في الحقيقة؛ لأن في للظرفية والنار ظرف، فهل موسى في النار؟ المؤلف قدّر لهذا قال رحمه الله: " **وبارك يتعدى بنفسه وبالحرف ويقدر بعد في مكان** ".

يعني: من في مكان النار؛ لأنه لو كان في النار حقيقة لاحترق، ولكن يقدّر مكان، فإذا قيل: ما الفائدة من قوله: ((**مَنْ فِي النَّارِ**))[النمل:8] وحذف المكان؟

قلنا: الفائدة من ذلك والله أعلم شيئان: الشيء الأول: القرب التام منها.

والشيء الثاني: أن شعاع النار قد وصل هذا القريب منها يعني: النار كما هو واضح لها شعاع. الإنسان القريب منها يكون في نفس الشعاع، فكأنه لقرب ووصول شعاع النار إليه صار كأنه فيها نفسها، وإلا ما هو في نفس الشعلة، هذا ما يمكن، هذا والله أعلم الحكمة من كون الله سبحانه وتعالى قال: ((**مَنْ فِي النَّارِ**))[النمل:8].

الطالب: هل كانت نار؟

الشيخ: نعم.

الطالب: حقيقية؟

الشيخ: حقيقة هذا هو الأصل.

الطالب: النار ....؟

الشيخ: لا لكن مالنا أن نقول إلا ما قال الله، والله تبارك وتعالى على كل شيءٍ قدير، هذه النار ما وقودها؟ ما ندري! ما لنا أن نتكلم.

الطالب: يا شيخ! كثيراً من المفسرين يشيرون حول هذا الموضوع ويقولون: أراد أن يأكل منها شيء فاتجهت إليه ثم انقلبت إلى نوح وهكذا.

الشيخ: .... بارك الله فيكم يقول الله تعالى: ((**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ**))[إبراهيم:9] فكل علمٍ يأتينا عن هؤلاء الأمم من غير القرآن أو صحيح السنة فليس بشيء، غاية ما هنالك أن يكون من أقوال بني إسرائيل التي لا تُصدّق ولا تُكذّب.

ولهذا القصص ما يجوز أن نتعدى فيها القرآن إلا ما جاءت به السنن؛ لأن قوله: ((**لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ**))[إبراهيم:9] ايش معناه: قطع أي خبر يأتي من غير طريق الله؛ لأنه لو كان هناك أخبار صحيحة تأتي من غير الله لكان الله يعلمها وهؤلاء المخبرون أيضاً يعلمونها، والله تعالى حصر ((**لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ**))[إبراهيم:9] وهذا من أقوى طرق الحصر الذي هو النفي والإثبات ((**لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ**))[إبراهيم:9].

فهذه الآية تبين لنا أن كل ما يقال في هذه القصة وكذلك في قصة سليمان وداود وغيرهم: إما مسائل إن كان الشرع ينافيها أو مقام النبوة ينافيها فهي باطلة وكذب كما في قصة داود الذي مر علينا: ((**إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً**...))[ص:23] إلى آخره.

وإن كان أنه ما يكذّب موقفنا فيها أن نقول: لا نصدّق ولا نكذّب، أما أن نفسّر بها كلام الله. فهذا لا يجوز أن يفسّر بها كلام الله.

((**وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**))[النمل:8] معلومٌ للجميع أن سبحان اسم مصدر، وأن عامله محذوف دائماً، وأنه ملازمٌ للإضافة كل هذا شيء معلوم، وأن معنى سبحان الله أي: تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل نقص وعيب، لكن هل هي الجملة هنا خبرية بمعنى الطلب أو خبرية على ظاهرها.

يقول بعض المفسّرين: إنها تعجيب لموسى يعني بمعنى: اعجب وسبّح الله سبحانه وتعالى عما لا يليق به، وأن هذا الأمر الذي رأيت والكلام الذي سمعت ما هو إلا كلام رب العالمين: ((**وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**))[النمل:8].

فعلى هذا تكون الجملة الخبرية هنا من حيث المعنى يا آدم طلبية. أي: سبّح الله رب العالمين عمّا لا يليق به.

وإذا قلنا إنها على ظاهرها صار معناه ثناءٌ من الله عز وجل المكلّم المنادي ثناءٌ من الله على نفسه.

أيُّ المعنيين أشمل؟

الطالب: الخبر الأول.

الشيخ: الأول. الطلبية لأنها تتضمن إذا أُمر بها موسى تتضمن أن الله أهلٌ له فهذا هو الخبر، وتتضمن زيادة الثانية وهي تعجيب موسى عليه الصلاة والسلام واعتقاده بأن الله سبحانه وتعالى منزّه عن كل عيب.

وقوله: ((**وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**))[النمل:8] ايش معنى الرب؟

الطالب: المالك المتصرف.

الشيخ: المالك المتصرف، لكنها أيضاً متضمنة لمعنى أدق وهو التربية، فهو سبحانه وتعالى يربّي مع كونه مدبراً خالقاً متصرفاً.

والعالمين كل من سوى الله فهو من العالمين، وسمّوا عالمين قيل: لأنهم علمٌ على خالقهم علم ودليلٌ عليه. فإن كل ما في الكون شاهدٌ بوحدانية الله تبارك وتعالى وبما تقتضيه هذه الأكوان من معاني ربوبيته سبحانه وتعالى.

الطالب: .... معناها.

الشيخ: معناها أنه يربي العباد تربية حسيّة ومعنوية، فالتربية الحسيّة مثلاً لنضرب مثلاً بالإنسان كونه في الخلقة يتطور من شيء إلى شيء عقلاً وجسماً وفكراً. هذه تربية، هذا الطفل الصغير لو فرضنا أن هذا الطفل الصغير أن عقله كالكبير، يمكن أن يعيش؟ ما يمكن أن يعيش؛ لأنه ما يتحمل الأشياء التي تقابله.

فهذا الطفل لو فرضنا أنه في عقل الكبير، كان لو متى .... أمه و... ما يستقر أبداً، وكان يبدأ يدبّر ويبين سووا كذا .... كذا، ما هو بلائق.

كذلك بالعكس لو كان الكبير بعقل الصغير ما استطاع أن يعمل شيئاً.

وهكذا أيضاً الطعام يأتي إلى الإنسان شيئاً فشيئاً، هذه من التربية الحسية، والتربية المعنوية ظاهر أن الله سبحانه وتعالى يربي عباده بالعلم النافع شيئاً فشيئاً.

((**وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * يَا مُوسَى**))[النمل:8 - 9] من جملة ما نودي ومعناه تنزيه الله من السوء... ".((**يَا مُوسَى إِنَّهُ**)) أي الشأن ((**أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**))[النمل:9] " هذا تفسير الضمير.

ضمير الشأن وضمير يتصل ويفُسَّر بالجملة التي بعدهما، فعلى هذا يكون إنه هذا الشأن، و((**أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**))[النمل:9] هذه تفسيرٌ لهذا الضمير.

أما من حيث الإعراب فإننا نقول: إن حرف توكيد ينصب الاسم ويرفع الخبر.

والهاء ((**إِنَّهُ**)) اسمها، و((**أَنَا اللَّهُ**)) مبتدأ وخبر، والجملة في محل رفع خبر إن.

وقال بعض المفسرين: ((**إِنَّهُ أَنَا**)) فرأوا أن الهاء ضمير لا ضمير شأن، ضمير حقيقي للمتكلم.

ثم قال: ((**أَنَا**)) يعني: إن الذي يكلمك أنا.

ثم بيّن هذا الضمير بقوله: ((**اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**))[النمل:9] لكن ما سلكه المؤلف أقرب وإن كان الثاني محتملاً، .... ففيه فرق بين المعنيين.

الثاني يقول: إن أنَّ حرف توكيد ينصب الاسم ويرفع الخبر، والهاء اسمها وليس ضمير شأن، وأنا خبر يعني: أنا هي الخبر، والأول يرون ((**أَنَا اللَّهُ**)) هو الخبر.

يعني: أن الله قال لموسى: ((**إِنَّهُ أَنَا**)) يعني: إن الذي يكلّمك أنا.

وكلمة: ((**إِنَّهُ أَنَا**)) هل يتبين من هو؟ ما يتبين، ولهذا نهي أن يقول الإنسان إذا استأذن عند الباب وقيل له: من؟ فقال: أنا.

إذاً: أنا هنا مبهمة بُيّنت بقوله: ((**اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**))[النمل:9].

الطالب: يستقيم هذا.

الشيخ: يعني يستقيم لكن الأول أقوم ((**إِنَّهُ**)) أي: الشأن ((**أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**))[النمل:9] فهذا الذي قدّر المؤلف أحسن من الذي قدّره بعض المفسرين مثل الزمخشري.

الطالب: .... ((**اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**))[النمل:9] ....

الشيخ: يصير بيان للضمير ((**اللَّهُ**)) مبتدأ و((**الْعَزِيزُ**)) خبر، و((**الْحَكِيمُ**)) خبر ثاني وهي بيان لي أنا.

((**إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**))[النمل:9] قال: الله. ابتدأ بالألوهية، والله تبارك وتعالى هو الاسم العلم على الله الذي لا يُسمى به غيره، وجميع ما يأتي من أسماء الله دائماً تجدونها تبعاً لهذا الاسم، دائماً يقدّر أسماء الله بكلمة الله؛ لأنه العلم الذي لا يسمى به غيره، ثم تأتي الأسماء بعد ذلك تابعة له.

والعزيز ما معناه؟

الطالب: القوي الذي لا يُغلب.

الشيخ: القوي الذي لا يُغلب، بل هو الغالب.وقيل: إن العزّة تنقسم إلى ثلاثة أقسام ماهي:

الطالب: عزة القوة، وعزة الغلبة وعزة...

الشيخ: لا

الطالب:...

الشيخ: لا عزة الامتناع.وقالوا: إنها مشتقة من الأرض العزاز، الأرض العزاز يعني: الصلبة القوية، ونحن نسميها باللغة العاميّة عزا، نحذف الزاي الثانية.

فالعزيز معناه: هو القوي الغالب الذي لا يُغلب، إذا قلنا بهذه الثلاثة أتينا بالمعاني الثلاث هي: القهر، والقدر، والامتناع.

وقوله: ((**الْحَكِيمُ**)) تقدّم لنا الكلام عليه، وإنما ذكر الله له ذلك ليشعره بأن مآله للعز، وأن ما سيوحى إليه فهو حكمة؛ لأن الصادر من العزيز يكون عزيزاً، ومن الحكيم يكون حكمة.

((**وَأَلْقِ عَصَاكَ**))[النمل:10] عصاه ما هي العصا التي معه؟ عصا يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه، عصا عادية، فإضافتها إلى موسى عليه الصلاة والسلام إضافة ملك مملوكٌ إلى مالكه، وليس مخصوصٌ إلى من اختص به. أي أن هذه العصا ليس له اختصاص وأنه عصا من جوهر معيّن أو ما أشبه ذلك عصا عادي.

" ((**وَأَلْقِ عَصَاكَ**))[النمل:10] فألقاها " ((**فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ**)) هذا أيضاً من إيجاز الحذف كما مر، ودائماً القصص يكون فيها إيجاز حذف؛ لأن المحذوف دائماً يكون معلوماً من السياق، فيكون حذفه سهلاً وميسراً.

وقد قال ابن مالك رحمه الله في الألفية قاعدة من أفيد ما يكون، هو ذكرها في باب المبتدأ وهي صالحةٌ لكل شيء قال:

وحــذفُ مــا يُعلــم جــائزٌ كمــا	**تقــول زيــدٌ بعــد: مــن عنــدكما؟**

وحذف ما يُعلم جائز، هذه قاعدة.

قال: " **فألقاها** ((**فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ**)) **تتحرك** ".

ولكن تفسير الاهتزاز بمطلق التحرك فيه نظر؛ لأن الاهتزاز أبلغ من التحرك، كأن الاهتزاز فيه نوع من القوة والاضطراب.

" ((**كَأَنَّهَا جَانٌّ**)) **حيّة خفيفة** ".

وقيل حيّةٌ عظيمة، وقيل: الذكر من الحيّات الجان.

وأياً كان فإنها صارت هذه العصا التي كانت بيده عصا ألقاها فصارت حيّة تهتز وتتحرك وتضطرب مثل الجان.

يعني: الحيّة العظيمة.

الطالب: الجان ....

الشيخ: يطلق على هذا وهذا، من الأسماء المشتركة.

الطالب: ....

الشيخ: قوله تعالى في سورة طه: ((**فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى**))[طه:20].

الطالب: ما يكون ...

الشيخ: لالا، نفس الشيء القصة واحدة.

الطالب: يا شيخ! ذكرت الأقوال التي هي إيجاز؟

الشيخ: لا ما فيه إيجاز، الإيجاز في قوله: " فألقاها " تقدير فألقاها إيجاز.

الطالب: ((**وَأَلْقِ عَصَاكَ**)).

الشيخ: إلا " ((**وَأَلْقِ عَصَاكَ**)) فألقاها ".

الطالب: هذا تفسير لهذا؟

الشيخ: لا لا، هذه جملة محذوفة.

الطالب: ... الآية.

الشيخ: نعم. ألق عصاك تفسيرها: ضع عصاك.

الطالب: ((**وَأَلْقِ عَصَاكَ**)) ...

الشيخ: ما هي تفسير هذه، ((**وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ**)) لو أخذنا الآية بظاهرها لكانت تهتز وهي بيده قبل أن يلقيها، لكن الآية لا بد فيها من شيء محذوف، فألقاها فإذا هي تهتز.

الطالب: يعني ما يكون الإيجاز عن قوله: ((**فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ**)).

الشيخ: قبله. عنده يعني: قبله، مثلما قدّره المؤلف.

الطالب: ... الإيجاز يكون هناك كلام محذوف فيكون بينه إيجاز.

الشيخ: هذا " فألقاها " محذوف.

الطالب: هو الذي محذوف.

الشيخ: نعم. هو المحذوف، ولا بد من تقديره؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لما قال: ((**وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ**)) ... لو أخذنا بظاهر القرآن كان لما أُمر أن يُلقي عصاه اهتزت، فلا بد من تقدير شيء.

((**كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا**)) ولّى هذه جواب لما، ومدبراً حال.

((**وَلَّى مُدْبِرًا**)) يعني: هارباً ولهذا يقول سبحانه وتعالى: ((**وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ**)) " يرجع " لماذا ولّى؟

الطالب: خوفاً.

الشيخ: خوفاً من هذا؛ لأن هذا بطبيعة البشر أن إنسان ألقى عصاه وصارت حيّة تسعى لا بد أن يخاف، لا سيما وأنه عليه الصلاة والسلام ما علم أنه سيرسل وأنه رسول إنما كلّمه الله سبحانه وتعالى وإلى الآن ما صار شيء.

فالحاصل أن هذه طبيعة البشر، لا بد أن يولي وليس في هذا نقص للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الأمور البشرية تعتري الرسل وغيرهم، ولهذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام ينسى في أعظم العبادات في الصلاة، ويقول: (**إنما أنا بشرٌ مثلكم أنسى كما تنسون**) وليس في هذا أي قدحٍ للرسل.

((**وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ**)) " **فقال الله تعالى له:** ((**يَا مُوسَى لا تَخَفْ**)) **منها** ".

فقال الله تعالى: ((**يَا مُوسَى**)) هذه فيها أيضاً إيجاز بالحذف، ونحن نقول باختصار: جميع القصص ولا سيما القصص الطويلة غالباً يكون فيها إيجاز حذف، وأحياناً تكون جملة وأحياناً تكون جمل، وسيأتينا إن شاء الله في القصص التي في السورة التي تلي هذه شيء كثير من هذا.

الطالب: ...؟

الشيخ: هذا معنى الجان.قال: ((**يَا مُوسَى لا تَخَفْ**)) وناداه باسمه ليطمئنه؛ لأن الإنسان الذي يناديك وهو يعرفك تطمئن إليه أكثر، لم يقل: يا هذا لا تخف، أو يا مولي لا تخف. بل قال: ((**يَا مُوسَى**))؛ لأنه معلوم أن الذي يعرفك تطمئن إليه أكثروإلا لا؟.

الآن لو مثلاً رأيت عدو ظننته عدواً ثم هربت منه فقال: يا فلان! يا فلان! تطمئن أو لا؟ تطمئن أكثر؛ لأنك تقول: هذا أعرفه لا ينالني بشيءٍ.

" ((**يَا مُوسَى لا تَخَفْ**)) **منها** " والتقييد بمنها الذي أوجب للمؤلف أن يأتي به هو ظاهر السياق؛ لأن الظاهر أن موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما هرب منها فقال: ((**لا تَخَفْ**))

" ((**إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ**)) **عندي** ((**الْمُرْسَلُونَ**))**[النمل:10] من حية وغيرها** ".

الذي بحضرة الله عز وجل ما يمكن يخاف من شيء؛ لأنه في كنف الله تعالى وفي جواره، فلا يمكن أن يخاف وهو عند الله.

وقوله: ((**إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**))[النمل:10] هذا أيضاً فيه بشارة لموسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه عند الله وأنه من المرسلين، ومعلومٌ أنه إذا بُشّر بمثل هذه البشارة سوف يزول عنه الخوف نهائياً، وسوف يحل مكان الخوف أمنٌ ومكان الذعر سرور ((**لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**))[النمل:10].

الطالب: هذه العصا هي التي ضرب بها البحر؟

الشيخ: نعم.

الطالب: ما تغيرت؟

الشيخ: ما تغيرت، وهي التي ألقاها أيضاً للسحرة وأكلت سحرهم.

" ((**لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**))[النمل:10] **من حية وغيرها** ".

" ((**إِلَّا**)) **لكن** ((**مَنْ ظَلَمَ**)) **نفسه** ((**ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا**)) **أتاه** ((**بَعْدَ سُوءٍ**)) **أي: تاب** ((**فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**))[النمل:11] **أقبل التوبة وأغفر له** ".

سبحان الله العظيم! قد يقول قائل: ما لهذه الجملة وللكلام الذي قيل: ((**إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ**))[النمل:11].

لكن موسى عليه الصلاة والسلام لما قال الله له: ((**إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**))[النمل:10] لعله تذكّر أنه قد وقع منه خطيئة، ايش الخطيئة؟

الطالب: القتل.

الشيخ: أنه قتل نفس، وكأنه عندما يتذكر هذا يستبعد في نفسه أن يكون من الرسل، فقال الله سبحانه وتعالى: ((**إِلَّا مَنْ ظَلَمَ**))[النمل:11] ليذكّره بما من به عليه من التوبة.

((**إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ**))[النمل:11].

بدّل المؤلف فسّرها بقوله:" **أتى حسناً**" لأن ظاهره في الحقيقة ما يستقيم به المعنى بدّل حسناً بسوء، أين المأخوذ؟ .... لكن أنا أقول يعني: بدّل حسناً بسوء؛ لأن بدّل تدل على أن هناك بدلٌ ومبدلٌ منه، فإذا قلت: بدّل حسناً بماذا؟

الطالب: بسوء.

الشيخ: بسوء. يصير الحُسن مدفوع، والسوء مأخوذ.بدّلت ثوبي بثوبه، أين المأخوذ؟

الطالب: الأخير.

الشيخ: الأخير،كذا وإلا لا؟ فهنا بدّل حسناً لو أخذنا بظاهرها معناه: أنه ترك حسناً وأخذ سوءاً.

ولهذا فسّر المؤلف قوله: بدّل بأتى، والدليل على ذلك: أنه لو كان المراد بالتبديل ظاهراً معناه. ما صحّ أن يُعبَّر بقوله: بعد سوء، لو كان كذلك لقال: بدّل حسناً بسوء، ما قال بعد، فلما قال: بعد سوءٍ عُلم أن بدّل هنا بمعنى استبدل، واستبدل بمعنى أخذ.

((**أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**))[البقرة:61] وأخذ مثلما قال بمعنى أتى.

والمعنى من الآية الكريمة: أن من أتى حسناً بعد سوءٍ فإن هذا الحسن يمحو السوء، ولهذا قال: ((**فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**))[النمل:11] يعني: أغفر له.

كلمة ((**فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**))[النمل:11] إذا قال قائلٌ: ما مطابقتها للشر؛ لأن من ظلم... ما إعراب من ظلم؟

الطالب: ... من شرط جازم؟

الشيخ: نعم اسم شرط جازم، وليست اسماً موصولاً مستثنى؛ لأن الاستثناء هنا منقطع.

((**مَنْ ظَلَمَ**))[النمل:11] ظلم فعل ...

((**إِلَّا مَنْ ظَلَمَ**))[النمل:11] ليذكّره بما من به عليه من التوبة.

((**إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ**))[النمل:11].

بدّل المؤلف فسّرها بقوله:" **أتى حسناً**" لأن ظاهره في الحقيقة ما يستقيم به المعنى بدّل حسناً بسوء، أين المأخوذ؟ .... لكن أنا أقول يعني: بدّل حسناً بسوء؛ لأن بدّل تدل على أن هناك بدلٌ ومبدلٌ منه، فإذا قلت: بدّل حسناً بماذا؟

الطالب: بسوء.

الشيخ: بسوء. يصير الحُسن مدفوع، والسوء مأخوذ . بدّلت ثوبي بثوبك، أين المأخوذ؟

الطالب: الأخير.

الشيخ: الأخير،كذا وإلا لا؟ فهنا بدّل حسناً لو أخذنا بظاهرها معناه: أنه ترك حسناً وأخذ سوءاً.

ولهذا فسّر المؤلف قوله: بدّل بأتى، والدليل على ذلك: أنه لو كان المراد بالتبديل ظاهراً معناه. ما صحّ أن يُعبَّر بقوله: بعد سوء، لو كان كذلك لقال: بدّل حسناً بسوء، ما قال بعد، فلما قال: بعد سوءٍ عُلم أن بدّل هنا بمعنى استبدل، واستبدل بمعنى أخذ.

((**أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**))[البقرة:61] وأخذ مثلما قال بمعنى ....

والمعنى من الآية الكريمة: أن من أتى حسناً بعد سوءٍ ...

الطالب: ... من شرط جازم؟

الشيخ: نعم اسم شرط جازم، وليست اسماً موصولاً مستثنى؛ لأن الاستثناء هنا منقطع.

((**مَنْ ظَلَمَ**))[النمل:11] ظلم فعل الشرط، وجملة: ((**فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**))[النمل:11] جواب الشرط.

أقول: لو قال قائل: ما وجه ارتباط الجواب بالشرط؟

الطالب: أن الظلم وتبديل الظلم بالحسنى يناسب .... العقل من ... قد يستحق الغفران والرحمة.

الشيخ: نعم. الجواب على هذا أن نقول: لما ذكر الله سبحانه وتعالى هذين الاثنين: فإني غفور رحيم؛ فإنه يريد مقتضاهما. فمقتضى المغفرة: أن يغفر لهذا الذي ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء.

ومقتضى الرحمة أيضاً: أن يرحمه. ونظير هذا قوله تعالى في المحاربين: ((**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**))[المائدة:34] يعني معناه: يسقط عنه الحد؛ لأن هذا مقتضى المغفرة والرحمة، فهنا مقتضى المغفرة والرحمة: أن من بدل حسناً بعد سوء فإن الله تبارك وتعالى يغفر له ويرحمه.

طيب. يشمل الرسل وغير الرسل؟ نعم. يشمل الرسل وغير الرسل. يشمل الرسل وغيرهم.

ومن ثمَّ حسن أن يقول المؤلف ونقول معه أيضاً: أن (إلا) هنا الاستثناء منقطع؛ لأنه يشمل الرسل وغير الرسل.

أما فوائد هذه الآيات فهي عليكم إن شاء الله في الدرس القادم، ولا تقولوا أننا ما أخذنا الفوائد من قبل، كل الذي فات أخذنا فوائده، هذا إن شاء الله غداً....لا لا...

الطالب: ((**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (12) فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (13) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14) وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ**))

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تبارك وتعالى: ((**إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**))[النمل:7].

يستفاد من هذه الآية: حُسْن خلق موسى عليه الصلاة والسلام، وذلك لمكالمته لأهله ومراجعته إياهم فيما يهم الجميع، يعني: أنه لم يذهب هو بدون أن يقول لهم هذا القول مما يدل على أنه يتراجع معهم فيما يهمهم.

وفي هذا دليل: على أن الزوجة من الأهل، وهذا هو القول الصحيح، فعلى هذا آلُ النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيه أزواجه، لأنها من الأهل.

وقد اختلف العلماء فيما إذا أوصى الإنسان لأهله أو أوقف لأهله، هل يدخل الزوجات في ذلك أم لا؟

والذين يقولون بعدم الدخول يردّون ذلك إلى العُرف، ويقولون: إن العُرف عند الناس أن الزوجات ليسوا من الأهل، وإنما الأهل القرابة. وإذا كان هكذا فإنه يُقال: الزوجات من الأهل، فإذا أوقف الإنسان على أهل فلان أو أوصى لهم دخل فيهم الزوجات بمقتضى اللغة.

ثم إن وُجد عُرفٌ مختلف ينافي ذلك رجعنا فيه إلى العُرف؛ لأن الصحيح أن الأقوال تُردُّ معانيها إلى أعراف الناس وعاداتهم، فإذا لم يوجد عرف رجعنا إلى الشرع أو اللغة حسب ما يكون ذلك.

وفي هذا دليل:... على أن الأحوال البشرية تطرأ حتى على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإن موسى في تلك الليلة كان قد ضل الطريق ولم يهتد إليها، وقد أصابه البرد هو وأهله، والأنبياء والرسل لا يختلفون عن غيرهم

إلا بالرسالة ((**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**))[الكهف:110] فالأول مماثلة في البشرية، والثاني الاختصاص يوحى إليه بالوحي.

وفيها أيضاً دليل: على أن الإنسان لا يُلام على اتخاذ الوقاية الدافعة أو الرافعة، لقوله: ((**لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**))[النمل:7] هذه الوقاية دافعة وإلا رافعة؟ دافعة رافعة.رافعة للبرد السابق ودافعة للبرد اللاحق.

فاتخاذ الوقاية الدافعة أو الرافعة لا يُلام عليه الإنسان، بل إنه ربما يُؤمر به أمر إيجاب أو أمر استحباب حسب ما تقتضيه الحال التي يريد أن يرفعها أو يدفعها.

وفي الآية دليل: على قبول خبر الثقة. من أين يؤخذ؟

((**سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ**))[النمل:7] فالعمل بخبر الثقة هذا سائغ، وأما من ليس بثقة فقد قال الله تعالى: ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ**))[الحجرات:6].

والناس في هذا المقام ثلاثة أقسام: قسم يوثق به، وقسم لا يوثق به، وقسم محتمل.

الذي لا يُوثق به لا يُقبل، والموثوق به يُقبل، والمجهول أو المحتمل يُتبين أمره، يُتوقف حتى يتبين.

((**سَآتِيكُمْ**)) هذا يخاطب أهله، ففيه دليل على مخاطبة الواحد بلفظ الجمع، لكن هذه فائدة لغوية.

الطالب: ....؟

الشيخ: الكلام على من يوثق به.

الطالب: العامة أو الخاصة؟

الشيخ: عامة وخاصة، يعني: قد يكون هذا الإنسان معلوم الحال عندي أثق به، وهو عند الناس مجهول يتوقفون في أمره، الكلام على الثقة الذي تثق به.طيب. لو أن رجلاً قال: إنه رأى الهلال وهو نظره ضعيف وأخبر أنه رأى الهلال، والناس الذين معه ما رأوه؟

الطالب: ما يُقبل قوله.

الشيخ: ما يُقبل قوله، ولو هو ثقة؟

الطالب: ولو هو ثقة.

الشيخ: يعني لو هو عدل.

الطالب: ما يُقبل.

الشيخ: نعم ما يُقبل، ولهذا وقعت عند بعض القضاة فيما سبق، تراءى الناس الهلال فقال شيخ منهم: إني رأيت الهلال، فالناس الذين معه أقوى منه بصراً فقالوا: ما رأيناه. والشيخ هذا في حد دينه وفي أمانته موثوقٌ به، وأصر على أنه رأى الهلال.

فقال القاضي: ادن مني، فدنا منه فمسح حاجبه، فقال له: انظر، قال: الآن ما رأيته. إي نعم. فإذا هي شعرة بيضاء، وهذا من ذكاء القاضي، لأنه قال: كيف الناس الذين ما رأوه وهو رآه، هذا ما يمكن، وهو ثقة، وليس رجل مشكوك بخبره، لكن قد .....

وفيه: ((**فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**))[النمل:8].

يُستفاد من هذه الآية: أولاً: إثبات كلام الله سبحانه وتعالى، لقوله: ((**نُودِيَ**))[النمل:8]. فإذا قال قائل: الفعل هنا مبني للمجهول، لم يُبَيَّن من المنادي، فلا دليل فيه على كلام الله، فما الجواب؟

الطالب: ....

الشيخ: أولاً: ..... والثاني أيضاً قوله في سياق الكلام: ((**يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**))[النمل:9].

وفيه: دليل على أن كلام الله سبحانه وتعالى بصوت، لقوله: ((**نُودِيَ**))[النمل:8] والنداء لا يكون إلا بصوت، ففيه رد على طائفتين مر علينا قولهما بالأمس وهم من؟ الأشاعرة والكلابية الذين يقولون: إن كلام الله تعالى معنىً قائم بنفسه، وهذا القول باطل بأوجه كثيرة.

وفيه: دليل على أنه ينبغي للإنسان المستوحش أن تقول له أو تفعل معه ما يؤنسه ليطمئن، ويكون قابلاً لما يُلقى إليه، لأن المستوحش ما يقبل ما ... بمعنى أنه ما يتمكن من قبوله، يؤخذ من قوله غيره قبله ؟ ((**نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ**))[النمل:8] فإن اسناد البركة لمن في النار، ومن حولها يزداد به طمأنينة بلا شك، ولهذا أول ما خاطبه الله في هذه الآية ((**نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا**))[النمل:8].

وفيه: دليل على تنزيه الله سبحانه وتعالى عمّا لا يليق به، لقوله: ((**وَسُبْحَانَ اللَّهِ**))[النمل:8].

وفيه: دليل على عموم ربوبية الله سبحانه وتعالى، لقوله: ((**رَبِّ الْعَالَمِينَ**))[النمل:8].

وهل معه ربٌ آخر؟ لو كان معه ما صار رباً للعالمين.. لو كان معه ربٌ آخر لم يكن الله تعالى رباً للعالمين بل رباً لبعض العالمين، والله سبحانه وتعالى ربُّ العالمين وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أنه لا يمكن أن يكون مع الله

إلهاً آخر عقلاً فقال: ((**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**))[الأنبياء:22] ولم تفسد، فدل على امتناع الآلهة.. بامتناع فسادهما دل على امتناع تعدد الآلهة.

وقال تعالى: ((**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**))[المؤمنون:91] وهذا أمر لم يحدث

فإثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى في ربوبيته معلومة، حتى المشركون في عهد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يقرون بوحدانية الربوبية.

وفيه: دليل على ثناء الله تبارك وتعالى على نفسه، وأن ذلك من كماله، فإنه أثنى على نفسه بقوله: ((**وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**))[النمل:8] أثنى على نفسه بنفيٍ وإثبات..يا ولد النفي سبحان الله، والإثبات رب العالمين.

ومن هنا نعرف أنه لا يتم كمال الأوصاف إلا بهذين الأمرين وهما النفي والإثبات؛ لأن إثبات الكمالات فقط لا يدل على نفي النقائص، ونفي النقائص فقط لا يدل على إثبات الكمالات، وباجتماعهما يحصل الكمال المطلق، ولهذا قالوا: لا بد من تخلية وتحلية.

وفي الآية: دليل على أن جميع الخلق مربوبون لله سبحانه وتعالى يتصرف فيهم بمقتضى ربوبيته، لقوله: ((**رَبِّ الْعَالَمِينَ**))[النمل:8] ولهذا حكم الربوبية ما أحد يستطيع أن يخالفه.

الطالب:...؟

الشيخ: ما يخالف الآن...

الطالب:...؟

الشيخ: ارض الشام مباركة لقوله ((**ومن حولها**))

ثم قال الله تبارك وتعالى: ((**يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**))[النمل:9].

أولاً: في الآية دليل على أن تعيين الشخص بالنداء له فائدة، وذكرناها بالأمس وهي: التطمين والإيناس؛ لأنك إذا قلت: يا فلان! طمأنته بلا شك؛ لأنه يقول: هذا يعرفني ما ينال من ....، ولهذا قال: ((**يَا مُوسَى**))[النمل:9].

وفيه: دليل على إثبات العزة والحكمة لله عز وجل، لقوله: ((**أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**))[النمل:9].

وفيه أيضاً: دليل على أنه ينبغي لمن أراد تعيين نفسه أن يبيّن اسمه؛ لقوله: ((**أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**))[النمل:9] ما قال مثلاً: أنا مكلمك، أو أنا أنا ما أشبه ذلك، بل بيّن سبحانه وتعالى من الذي يكلمه.هل فيها حصر الألوهية في الله؟

الطالب: نعم.

الشيخ: كيف ذلك؟

الطالب: .....

الشيخ: يعني معناه وصفه ..... يقتضي أن يكون هو المألوه وحده؟

الطالب: ....

الشيخ: ومن تعريف المبتدأ والخبر ...طيب.

وفيه أيضاً: إثبات الحكم المطلق لله سبحانه وتعالى ومأخوذة من ((**الْحَكِيمُ**))[النمل:9] لأنا ذكرنا أن الحكيم ذو الحُكم والحكمة اثبات الحكم المطلق لله ....

((**وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَنْ ظَلَمَ**))[النمل:10 - 11].

أولاً: في هذه الآية العظيمة الدالة على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى وهي من قوله: ((**فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ**))[النمل:10] لأنه أُمر بإلقائها فألقاها، بمجرد وصولها إلى الأرض صارت حيّة، ولهذا في سورة طه ((**فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ**))[طه:20] إذا فجائية، تدل على مفاجأة الأمر ووقوفه على وجه الفورية.

ففيها دليل واضح على أي شيء ؟كمال قدرة الله سبحانه وتعالى، وأنه إذا قال للشيء كن فإنه يكون.

وفيه أيضاً: دليل على حكمة الله تعالى في آيات الرسل، وأنها تناسب العصر، وتؤخذ من ((**تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ**))[النمل:10] لأن هذا أشبه ما يكون بما تطور تطوراً بالغاً عندهم في ذلك الوقت وهو السحر، فإن أحداً لو أنه أتى بعصا أمامك ووضعها في الأرض، ثم رأيتها حيّة ماذا تقول؟ تقول: هذا سحر. فلذلك أوتي موسى عليه الصلاة والسلام من الآيات ما يقضي على فعلهم.

وفيه: دليل على أن من البلاغة الإيجاز بالحذف، ولا يؤثر هذا قصوراً ولا تقصيراً.

الطالب: ....

الشيخ: من أين ينوّه على الأول؟

الطالب: .....

الشيخ: ((**فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ**)) هنا بلا شك فيه محذوف.((**وَأَلْقِ عَصَاكَ**)) فألقاها ((**فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ**))[النمل:10].

لأنه لو أُخذ الكلام على ظاهره، لو كان: وألق عصاك، لما أُمر بهذا اهتزت وهي في يده وليس الأمر كذلك.

وفيه أيضاً: دليل على أن هذه العصا لم تكن مجرد حيواناً يتحرك، ولكنها أبلغ من ذلك ((**كَأَنَّهَا جَانٌّ**))[النمل:10] ومعلومٌ أن الجان بنفسه مروّع، فالحيّة بنفسها مروّعة، فإذا كانت من عظيم الحيّات صارت أشد وأبلغ.

وفيه: دليل على جواز أن يعتري الأنبياء الخوف، لقوله: ((**وَلَّى مُدْبِرًا**))[النمل:10] وأن ذلك لا يُعد نقصاً فيهم؛ لأنه من مقتضى الطبيعة البشرية، وهذا الذي يكون من مقتضى الطبيعة البشرية ما أحد يلام عليه، فالأنبياء يجوعون، ويعطشون، ويبردون، ويمرضون، ويموتون أيضاً ((**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**))[الكهف:110].

وفيه: دليل على رحمة الله تبارك وتعالى بنبيه موسى لقوله: ((**يَا مُوسَى لا تَخَفْ**))[النمل:10] فإن هذا من رحمة الله به؛ لأنه إذا قال له وقد علم أنه رب العالمين، إذا قال له: لا تخف، لا يمكن أن يخاف.

وفيه: دليل على جواز توجيه الأحكام الشرعية إلى الأمور الفطرية، يعني مثلاً: لا تخف إذا قال قائل: أنت إذا قلت للإنسان لا تخف، الخوف طبيعي كيف يدفعه عنه؟

الطالب: ....

الشيخ: أنا قصدي: هل يتوجه الحكم إلى مثل هذه الأمور الطبيعية؟ نقول: نعم يمكن؛ لأن الإنسان وإن كان الخوف أمر طبيعي .... كأن يأتي إنسان فيخفف عليه، لكنه يمكنه معالجته بالمدافعة.

ولهذا جاء رجل للرسول عليه الصلاة والسلام قال: (**أوصني قال: لا تغضب**) والغضب من طبيعة الإنسان، لكن معنى: (**لا تغضب**) يعني: حاول أن تقلل من غضبك، وأن تكون دائماً هادئاً، ثم إن غضبت فلا تنزّل مقتضى هذا الغضب.

فإذاً الأمور الطبيعية البشرية التي هي من مقتضى الطبيعة البشرية يجوز أن يوجّه الحكم إليها أمراً أو نهياً، ويكون ذلك من باب المدافعة، أو من باب تقليل الآثار.. من باب مدافعتها قبل وجودها، أو من باب تقليل آثارها.

فلا يقول: أن الإنسان أُمر بما لا يستطيع. أُمر بعدم الغضب وهو لا بد أن يغضب، أُمر بعدم الخوف وهو لا بد أن يخاف مما هو مخيف.

الطالب:...؟

الشيخ: هو لما توجه تلقاء مدين.. النبوة...

وفيه أيضاً: دليل على أن من كان مع الله سبحانه وتعالى فإنه لا ينبغي أن يخاف ((**إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ**)) أي: عندي ((**الْمُرْسَلُونَ**))[النمل:10].

ولذلك كلما ذكر الإنسان ربه زال عنه الخوف ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**))[الأنفال:45] ففي ذكر الله سبحانه وتعالى زوال الخوف والقوة والرهبة في تنفيذ ما أمر الله تعالى به، ولهذا أمر الله به في الجهاد.

وفيه: دليل على أن من ظلم ثم أتى بعملٍ صالح فإن الله تعالى يمحو العمل السيئ بالعمل الصالح؛ لقوله: ((**إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**))[النمل:11].

وقد مر علينا بالأمس مناسبة هذه الجملة ((**إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ**))[النمل:11] مناسبة ذكرها في هذا المقام. ماهو ؟

الطالب:...

الشيخ: وفيه أيضاً: إثبات المغفرة والرحمة لله لقوله: ((**فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**))[النمل:11].

وفيه أيضاً: أخذ الأحكام من مقتضى أسماء الله تعالى وصفاته؛ لأن قوله: ((**فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**))[النمل:11] أي: أغفر له. وهذا حكم.

وأخذ الأحكام من مقتضى الأسماء والصفات هذا من أحسن ما يكون من ....، ذُكر أن رجلاً قرأ عند أعرابي: ((**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله غفورٌ رحيم**)).

فقال الأعرابي –وهو ما يقرأ القرآن–: أعد الآية، فأعادها مرة ثانية وقال((**فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله غفورٌ رحيم**)).قال له: أعد الآية، فأعادها في الثالثة على الصواب، قال: ((**نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**))[المائدة:38].

قال: الآن؛ فإنه عزّ وحكم فقطع، ولو غفر ورحم ما قطع ....صحيح.

ويدل على هذا الفهم قوله تعالى في المحاربين: ((**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**))[المائدة:34].

إذاً: معناه: إذا علمنا أن الله غفور رحيم يُغفر لهم ويُتركون، ولهذا إذا تاب قاطع الطريق قبل القدرة سقط عنه الحد، وهل عاد يُلحق به غيره من الحدود أو لا؟ فيه خلاف.

إذاً: يستفاد من هذا: أخذ الأحكام من مقتضى أسماء الله تعالى وصفاته؛ لقوله: ((**فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**))[النمل:11].نبدأ الآن بالدرس

الطالب: .....

الشيخ: لا. هو لا شك أن الأنبياء ما يُحكمون مما لا يخل .....، الذي ما يخل بالرسالة والشرف والمروءة ما يُحكمون منه، لكنهم يُحكمون من الإصرار عليه، لا بد أن يوفقوا للتوبة، وهذا هو الفرق بينهم وبين غيرهم، .... أنا ذكرنا ....، من إنه يُفرّق بينهم وبين غيرهم من وجهين في مسألة الذنوب والمعاصي:

أولاً: أنه لا يمكن أن يصدر منهم ما يخل بالرسالة مثل: الكذب، والخيانة.

ولا بالشرف والمروءة كالزنا وما أشبه ذلك.

ثانياً: أنه إذا وقع منهم ما يمكن وقوعه من المعاصي فإنهم لا يُقرون عليه، لا بد أن يحصل لهم ما يوجب تركهم لهذا الشيء؛ لأنهم رسل قدوة، ولو أُقِرّوا على المعاصي لكانت المعاصي من شرائعهم.

وأما القول بالعصمة مطلقاً فلا وجه له، ما في عصمة مطلقاً، بل الصواب أنه يحصل منهم ما يحصل ولكنهم لا يُقرّون عليه.

الطالب: ...؟

الشيخ: نعم. قتل النفس من الكبائر.

الطالب: ....؟

الشيخ: اعترف بأنه ظالم ((**قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي**))[القصص:16]، اعترف بأنه ظالم واعتذر عن ذلك أيضاً في مسألة الشفاعة؛ لأنه يعتقد بأنه ظلم.

.... والله غفورٌ رحيم، هذا مما يدل على أن الأمر وقع من الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكنه غُفر له ما أُقر عليه.

الطالب: ....؟

الشيخ: إي نعم. يؤخذ منها: ((**إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**))[النمل:10] الإشارة إلى أن موسى عليه الصلاة والسلام بشارته بالرسالة.

الطالب: ....؟

الشيخ: وأصبح النداء ما يلزم منه القرب أو البُعد، النداء بالصوت من بعد، قد يكون من بُعد وقد يرفع صوته لموسى ولو كان من ..... فهذا قد يكون أن الله ناداه من بعيد، ثم قرّبه نجيا مثلما قال: ((**وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا**))[مريم:52].

الطالب: ....؟

الشيخ: لأن الحكمة بأن ظهور هذه النار الله أعلم، لكن لعله من الحكمة أن المكان هذا بالذات في الوادي المقدّس، أن الوادي هذا مبارك ومقدّس، فصار ابتداء الوحي من ذاك المكان، وأنه كان عليه الصلاة والسلام بعيداً.

الطالب: .....؟

الشيخ: ما هي الحكمة أنه من إبعاده عن أهله؟

الطالب: .....

الشيخ: ما يخالف، يمكن الإنسان أن يتحمل، ولهذا لما اختار موسى قومه سبعين رجلاً، وكلّم الله تعالى موسى وهم يسمعون، وقالوا ((**لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة**)) فالآن ما يتبين لي إلا أنه والله أعلم أن هذا المكان الخاص هو المقدّس المبارك، وربما بالتأمل .....

الطالب: ....؟

الشيخ: من قوله: ((**مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا**))[النمل:8].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم... " ((**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ**))**[النمل:12] طوق القميص** ".

هذا تفسير للجيب أنه طوق القميص.

وقوله: ((**وَأَدْخِلْ يَدَكَ**))[النمل:12] اليد كلها تُطلق على الكف فقط، ولا تشمل الذراع إلا مقيّدة، والدليل على هذا أن الله تعالى لما قال في التيمم ((**فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ**))[المائدة:6] صار خاصاً بالكفين، ولما أراد الله تبارك وتعالى الذراع قال في الوضوء: ((**وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ**))[المائدة:6].

إذاً: الذي أفهم حسب مقتضى اللغة العربية أن الذي أُمر أن يدخله موسى ليس الذي هو الذراع، بل الكف يغيبها في جيبه هكذا.

((**فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ**))[النمل:12] تخرج مجزومة، مع أنها فعل مضارع ولا دخل عليها حرف جازم، لكنها مجزومة بجواب الطلب، جواب الطلب الذي هو أدخل.

ومعروفٌ أنه إذا سقطت الفاء وقُصد الجزاء جُزم هذه القاعدة، فاء السببية إذا جاءت بعد الطلب نصب الفعل بها أو بأن مضمرة، فإذا سقطت الفاء بعد الطلب وقُصد الجزاء جُزم الفعل، هذه قاعدة معروفة في النحو.

((**تَخْرُجْ**)) يعني: اليد " **خلاف لونها من الأدمة** " ((**بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ**)).

من أين أخذ المؤلَّف أن لونها الأدمة؟ من قوله: ((**تَخْرُجْ بَيْضَاءَ**)) لأنها لو كانت بيضاء من قبل ما خرجت بيضاء، فلا بد أنها تغيّرت من اللون الأول إلى اللون الثاني.

وقوله: ((**بَيْضَاءَ**)) حال من فاعل تخرج، يعني: حال كونها بيضاء.

((**مِنْ غَيْرِ سُوءٍ**)) هذا تقييدٌ لقوله: ((**بَيْضَاءَ**)) لأن البيضاء قد يكون بياضها سوءاً مثل البرص، فإنه سوء؛ لأنه عيبٌ يسوء صاحبه، لكنه قال: ((**مِنْ غَيْرِ سُوءٍ**)) إذاً: بياض ليس كبياض البرص، ولهذا يقول المؤلَّف: " ((**بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ**)) **برص لها شعاع يغشى البصر آية** ".

أما قوله: " **لها شعاع** " فهذا يحتاج إلى دليل، فالله تبارك وتعالى ما ذكر إلا أنها بيضاء، وكفى بذلك آية أن تدخل اليد على لونٍ، ثم تخرج بلون آخر، وأما زيادة الشعاع فإن الله تعالى لم يذكره، وليس لنا أن نتجاوز في هذه الأمور ما دل عليه القرآن؛ لأننا ذكرنا فيما سبق أن المسائل الخبرية لا مجال للرأي فيه، يُقتصر فيها على ما جاء به الخبر.فنقول: هي بيضاء وكفى بها آية.

قال المؤلَّف: ((**فِي تِسْعِ آيَاتٍ**)) في للظرفية، فتكون الآية هذه وكذلك آية العصا من جملة التسع، وليست زائدة على التسع.

" ((**فِي تِسْعِ آيَاتٍ**)) **مرسلا بها** ((**إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ**)) ".

عرف موسى آيتين من هذه التسع وهي: العصا واليد، لكن بقي سبع آيات، فما هي الآيات؟

الطالب:...؟

الشيخ: خارج عن الدرس باقي عشرة الان ...نقول في تسع آيات ايتان المعروفتان بقية التسع ((**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ**))[الأعراف:133] هذه خمس مع اثنتين سبع، ((**وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ**))[الأعراف:130] فكان الجميع تسع آيات، هذه الآيات التسع.

((**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ**))[الأعراف:133] ما هو الطوفان؟ فيضان الماء.

الجراد معروف، القُمَّل: الدودة التي تكون في الحبوب

الطالب: ...

الشيخ : لا لا الدودة التي تكون في الحبوب.الضفادع معروفة، والدم معروف طيب نشوف ....

الدم بعض العلماء يقول: إن الدم هذا الماء إذا شربوه فإذا هو دم، وإذا سلّمه القبطي إلى الإسرائيلي عاد ماءً. ولكن الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله ذهب غير هذا المذهب قال: الطوفان: الفيضان، وهذا يفسد الزروع قبل خروجه، والجراد يأكل الزروع بعد خروجه.

لأن الزروع منها .... هذا يفسده الماء، وشيء خارج يأكله الجراد. وشيء مدّخر يفسده القُمَّل، الماء يفسده الضفادع.

إذاً الآن: المأكول والمشروب ....، هذا المأكول والمشروب إذا أكله الإنسان أو شرب يتحول إلى دم، أُرسل عليهم الدم أيضاً وهو النجس .....الرعاف.

فعلى هذا يكون هؤلاء غذاؤهم فسد، وما حصل بالغذاء نجس أيضاً، وهذا .... هو معنى الدم؛ لأن كونه مع الماء يصير دم يحصل إفساد الماء بالضفادع، الضفادع إذا صار الماء ممكن .....رائحة خبيثة ومنظر خبيث

الحاصل: أن الصواب ما ذهب إليه الشيخ رحمه الله في التفسير. هذه تسع آيات: السنين ونقص من الثمرات. السنين ما معناه؟ الجدب والقحط وهو عدم نزول المطر. ونقصٍ من الثمرات معناه ...

((**فِرْعَوْن**)) هو علم جنس لكل من ملك مصر كافر مثل: كسرى علم جنس لكل من ملك الفرس كافراً، وكذلك قيصر لكل من ملك الروم كافراً.

وقوله: القوم الأصحاب، وسُمِّي الأصحاب قوماً لأن بهم قوام الإنسان، فالإنسان يعتز ويقوم بقومه.

وقوله: ((**إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**))[النمل:12] هذا تعليل للرسالة إليهم.

يعني: إنما أرسلناك في تسع آيات إلى هؤلاء لأنهم كانوا قوماً فاسقين يعني: خارجين عن الطاعة، وقد مر علينا في درس التوحيد أن الفسق ينقسم إلى قسمين: فسقٌ أكبر وهو الخروج عن مطلق الطاعة، وفسقٌ أصغر وهو الخروج عن الطاعة المطلقة.كذا .. ويبيّن لنا أحمد الفرق بين التعبيرين؟

الطالب: ....

الشيخ: عن الطاعة المطلقة ايش الفرق بين الطاعة المطلقة، ومطلق الطاعة؟

الطالب: الطاعة المطلقة الخروج.....

الشيخ: يعني: شاملة لكل أفراد الطاعة.

الطالب: ....

الشيخ: يعني أنه يطيعه في كل أمر.

الطالب: المقصود أن يطيعه في كل أمر.

الشيخ: إي وهو الواقع إذا قال: هذا الرجل مثلاً قد أطاع الله أي: طاعة مطلقة فمعناه: في كل ما أُمر به.

الطالب: إذا فسق ....

الشيخ: إذا فسق يصير خرج عن الطاعة المطلقة؛ لأن الفرق بين مطلق الشيء والشيء المطلق:مطلق الشيء معناه وجود أي جزء منه، والشيء المطلق الكامل.

ولهذا الفاسق عند أهل السنة والجماعة هل معه الإيمان المطلق أو مطلق الإيمان؟ معه مطلق الإيمان.

مطلق الطاعة يقول: هذا الرجل فاسقٌ أي: خارجٌ عن مطلق الطاعة. يعني معناه: ما يصدق في حقه ولا أقل طاعة، ما أطاع أبداً، هذا كافر.

وإذا قيل: هذا الفاسق خارجٌ عن الطاعة المطلقة، معناه أنه معه طاعة، لكن الطاعة الكاملة ليست معه.

ولذلك عندهم أيضاً حتى في الفقه يقولون: هذا ماءٌ مطلق، وهذا مطلق ماء.

قالوا: ما تغيّر بالأشياء الطاهرة ليس بطهور؛ لأنه ليس بماء مطلق، وإنما هو مطلق ماء.

فالفرق بين التعبيرين معروف عند الفقهاء وعند الأصوليين، وعند أهل الكلام، أن الفرق بين مطلق الشيء والشيء المطلق.

الشيء المطلق معناه الكمال، ومطلق الشيء معناه الأصل.

طيب. هنا ((**إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**))[النمل:12] أيّ الفسقين؟ الفسق الأكبر؛ لأنهم خارجون عن مطلق الطاعة ما عندهم طاعة.الفوائد إن شاء الله ...وإلا في فوائد كثيرة

قال الله تعالى: ((**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً**))[النمل:13].

((**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ**)) الضمير يعود إلى فرعون وقومه.

وقوله: ((**آيَاتُنَا**)) أي: العلامات الدالة على صدق موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برسالته، وعلى أحقية ما دعا إليه؛ لأن الآيات التي بعث الله بها موسى تدل على أمرين: على صدق موسى وهذا تأييدٌ له، وعلى صحّة ما جاء به.

فالآيات هذه تشمل الأمرين، وقوله: ((**مُبْصِرَةً**)) فسّرها المؤلِّف: " **أي: مضيئة واضحة** ".

وهنا كلمة مبصرة اسم فاعل، والفعل هنا أبصر، فهل الآيات هي التي بها البصر أو مبصرة جاعلة غيرها يُبصِر بها؟ ايها ابلغ ؟الثاني أبلغ أنها جاعلة غيرها يُبصر بها. يعني: أنها تُبصر غيرها.

فالآيات هذه بنفسها ظاهرة وواضحة، والذي يراها يُبصر بها، ولهذا نقول: ((**مُبْصِرَةً**)) هي تعني أنها باصرة بنفسها وموجبة للإبصار في غيرها.

لما جاءتهم هذه الآيات المبصرة كان الجواب: ((**قَالُوا هَذَا**)) أي: ما جاءنا، ولم يقولوا: هذه أي الآيات؛ لأجل أن يشمل كل شيء، هذا الذي جاءنا من الآيات،وغيره من الآيات" ((**سِحْرٌ مُبِينٌ**))**[النمل:13] بين ظاهر** ".

مُبين هنا على تفسير المؤلِّف وهو واقع من أبان اللازم أو المتعدي ؟ اللازم

((**قَالُوا هَذَا سِحْرٌ**))[النمل:13] السحر معناه في اللغة العربية: كل شيء صار خفي السبب.. ما خفي سببه ولطف يسمى سحراً.

ولهذا ذكر ابن كثير أقسام السحر في تفسيره، وذكر من جملة السحر الساعات.. الساعات التي تطورت إلى ما ترون الآن؛ لأنها خفية السبب، عندك الآن الساعات تمشي بنفسها العقرب هذه، أو أبلغ من هذا جاءت الأخيرة هذه الإلكترونية، ما الذي يجعل هذا المسمار إذا غمزته تحول التاريخ إلى توقيتٍ آخر، أو أظهر لك تاريخ الشهر أو اليوم، لو جاءت في غير هذا الوقت كان الناس يتعجبون بها.

الطالب: يعني: يكون سحرا مستحب.

الشيخ: هذا يسمى سحر لغة، لكن شرعاً لا ليس بسحر؛ لأن السحر شرعاً هو عبارة عن عقد وعزائم ورقى تؤثر في بدن المسحور أو عقله، ربما تمرضه وربما تهلكه، وربما تخبّله، فهذا هو السحر.

هنا الآن قولهم هذا -قول فرعون وقومه-: ((**قَالُوا هَذَا سِحْرٌ**))[النمل:13] ماذا يقصدون بهذا؟ السحر الحقيقي الشرعي أم السحر اللغوي؟ الحقيقي الشرعي؛ لأنهم قالوا له: ((**مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ**))[الأعراف:132] والعياذ بالله.

فهم قالوا هذا ((**قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**))[النمل:13] وهذا الجواب ليس صادراً من فرعون فقط، بل جميع المكذّبين للرسل قالوا هذا، قال الله تعالى في سورة الذاريات: ((**كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**))[الذاريات:52] كل الرسل السابقين يقول أقوامهم هكذا ((**أَتَوَاصَوْا بِهِ**))[الذاريات:53]؟ لا ما تواصوا به، لكن الجامع المشترك الطغيان ((**بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**))[الذاريات:53].

الطالب: ....

الشيخ: لا. هذه ... يعني: ربما بعضهم يقول ساحر أو مجنون

الطالب: .....؟

الشيخ: يريد الكفار نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: لا مجرد الضرر ما يدخل الكفر في الحقيقة، ولهذا لو أضريت الإنسان بدواء تكون ..... ما صار كفر، لكن الظاهر أنه يقترن به من الأقوال الشيطانية، واعتقاد أن هذا مؤثر بدون الله تعالى هذا هو الظاهر.

الطالب: لكن ....؟

الشيخ: إذا قال هكذا نقول: ظاهر القرآن الكفر وما ندري ايش العلة، إذا قال هكذا وأبطل هذه العِلَّة فنقول: القرآن يدل على الكفر ....

الطالب:..... في قوله تعالى؟.

الشيخ: ((**إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ**))[البقرة:102] ما يخالف، تكفر بتعلم السحر.

الطالب: المراد به .....؟

الشيخ: لا. ما هو معناه فلا تكفر بشيءٍ ثم تتعلم السحر، ولهذا قال: ((**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ**))[البقرة:102] يعني: بهذا التعلم.

الطالب: ....؟

الشيخ: نعم. لكن تعلم السحر.

الطالب: لأنه ما يتعلم إلا إذا كفر؟

الشيخ: لا. معناه أن تعلم السحر نفسه كفر.

الطالب: المعنى.....؟

الشيخ: لأن هذا خلاف ظاهر اللفظ .....، معناه أنه يكون يكفر بشيء لم يذكر في القرآن، والآية ظاهرها أن الكفر يكون بالتعلم نفسه.

الطالب: صلاة الأوابين، اليوم .....؟

الشيخ: هو الذي نتكلم فيه الآن، قلنا نريد نبحث عن حديث عائشة رضي الله عنها " **كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي أربعاً ويزيد ما شاء الله، وما رأيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبحة الظهر** "

((**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (13) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14) وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19)**))

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فوائد الدرس الماضي:

أولاً: في قوله تعالى: ((**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ**))[النمل:12].

فيه: آية من آيات الله سبحانه وتعالى، وذلك أن يده دخلت على طبيعتها، ثم خرجت بيضاء من غير سوء بلحظة؛ لأن قوله: أدخل. تخرج، فهذه تخرج جواب لأدخل.فالمعنى أن في مجرد الإدخال تخرج هكذا، وهذا من آيات الله سبحانه وتعالى.

الطالب: ....؟

الشيخ: لا. تخرج إذا أخرجها هو، ما هو المعنى أنه بمجرد ما دخلت تخرج اليد بنفسها، لكن تخرج إذا أخرجها.

الطالب: ....؟

الشيخ: لا تخرج منه، إذا أخرجها وإذا هي بيضاء.وفيه أيضاً: دليل على حكمة الله تبارك وتعالى في آيات الأنبياء؛ حيث تكون مناسبةً للعصر الذي بُعثوا فيه، ويؤخذ هذا من أين الأخ ؟

الطالب: .....

الشيخ: وهذه الآية تشبه السحر، ياولد لكنها حقيقة والسحر خيال، السحر ما يمكن أن يقلب اليد إلى بيضاء أو المتحرك إلى ساكن، أو الساكن إلى متحرك ما يمكن يقلبه حقيقة، لكن هذه الآية حقيقة.

وفيه أيضاً: دليل على مبدأ الاحتراز في الكلام، أنه ينبغي الاحتراز في الكلام عندما يوهم الشيء بأمرٍ يُحترز منه؛ لقوله: صالح

الطالب: ....؟

الشيخ: لا

الطالب: ((**مِنْ غَيْرِ سُوءٍ**))[النمل:12]

الشيخ: ((**مِنْ غَيْرِ سُوءٍ**))[النمل:12]فإن البيضاء قد تكون من سوء، ولكنه احترز بقوله: ((**مِنْ غَيْرِ سُوءٍ**))[النمل:12] هذه ثلاث فوائد.

وفي الآية: دليل على أن موسى عليه الصلاة والسلام أعطاه الله تعالى تسع آيات، منها آيتان سابقتان، والباقي لاحقة، فما هذه التسع؟

الطالب: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم. وهذه ....

الشيخ: نعم.

الطالب: السنين ونقصٍ من الثمرات.

الشيخ: السنين و نقصٍ من الثمرات.

ومن فوائد الآيات: أن الله سبحانه وتعالى لم يرسل نبياً إلا بآية؛ لتقوم الحجة،من أين تؤخذ؟

الطالب: ....

الشيخ: من اين ؟اعطنا الكلمة أو الجملة التي في الآية تدل عليه

الطالب ((**فِي تِسْعِ آيَاتٍ**))[النمل:12].

الشيخ: تؤخذ من قوله: ((**تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ**))[النمل:12].ما هي الحكمة بأن الله لم يرسل رسولاً إلا بآية؟

الطالب: ....

الشيخ: لأنها ما تقوم الحجة إلا بهذا، فلو جاء رجل وقال: أنا رسول من عند الله بدون آيات، وإذا لم يُصدق فلا حجة على الخلق به.

الطالب: يقول: يحتمل في قوله: ((**فِي تِسْعِ آيَاتٍ**))[النمل:12] بمعنى .... تسع آيات ....

الشيخ: ما هو بصحيح هذا، الصواب أن في للظرفية على ظاهرها.وأما ما ذكره وغيره ما هي من الآيات العظيمة، الآيات العظيمة هي هذه.

وفيه: دليل على طغيان فرعون وقومه من أين تؤخذ يا عبد العزيز ؟

الطالب: ....

الشيخ: لا

الطالب: ((**إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**))[النمل:12]

الشيخ:تؤخذ من قوله تعالى: ((**إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**))[النمل:12]...

وفيه: دليلٌ على أنه من الفصاحة والبلاغة قرن الحكم بتعليله.

الطالب: ... أنهم لم يستجيبوا.

الشيخ: لم يستجيبوا ما بعد جاءهم.

الطالب: .... سيتبين بالآيات التي بعدها.

الشيخ: لا.

الطالب: كل آية خاصة؟

الشيخ: نعم.

الطالب: تعليل الإرسال بأنهم فاسقين.

الشيخ: نعم تعليل الإرسال ((**إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ**)) لماذا؟ ((**إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**))[النمل:12].

وقد ذكرنا أن من فوائد قرن الحكم بالتعليل، قرن الحكم بالتعليل فيه فوائد ؟

الطالب: ....

الشيخ: يمكن تامة

الطالب: ثلاث بيان حكمة الله...

الشيخ: إذا ذُكرت العِلَّة فلها ثلاث فوائد –الذي نحن نعرف منها، يمكن يكون أكثر–:

أولاً: بيان حكمة الله سبحانه وتعالى في تشريعه وقضائه.

الثاني: التعميم بعموم العِلَّة.

والثالث: أن المخاطب يطمئن إذا علم حكمة الحكم، يزداد طمأنينة.واضح

الطالب: الفائدة

الشيخ: من البلاغة قرن الحكم بتعليله وفيه: دليل على أن الفسق يُطلق على الكفرمن اين ؟

الطالب: ((**إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**))[النمل:12]

الشيخ: يؤخذ من قوله: ((**إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**))[النمل:12] وقد ذكرنا أن الفسق نوعان: فسقٌ مطلق، ومطلق فسق.

فالفسق المطلق هو الكفر، ومطلق الفسق هو العصيان من المؤمنين يعني معهم مطلق فسق؛ إذ أن أصل الفسق هو الخروج عن الطاعة، فإن كان خروجاً كاملاً شاملاً فهو فسقٌ مطلق وإن كان بعض خروج فهو مطلق فسق.

ثم قال: ((**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**))[النمل:13].

يستفاد من هذه الآية: أن الحجة قامت على فرعون وقومه؛ حيث جاءتهم الآية مبصرة.

وفي هذه الآية من الفوائد أيضاً: أن آيات الله سبحانه وتعالى فيها الإبصار، فهل هي مبصرة بنفسها – يعني: باصرة– أو مبصرة لغيرها؟ كلاهما، هي مبصرة بمعنى أنها هي باصرة، وكذلك تُبصر غيرها وتدل عليه.

في هذا: دليل على أن آيات الله سبحانه وتعالى بيّنة واضحة توضح الحق، ولولا ذلك ما كانت آيات.

وفيها: دليلٌ على عظم طغيان فرعون وقومه؛ لقولهم: ((**هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**))[النمل:13].

وفيه أيضاً: مبالغة صاحب الباطل بدعواه حيث قالوا: ((**سِحْرٌ مُبِينٌ**))[النمل:13] يعني: بيّن ظاهر ما فيه إشكال.

وهكذا المدّعي يأتي بالكلمات التي تشبه التشبّه على الخلق حتى يصل إلى ما يريد من الباطل.

وهنا لماذا قال: ((**هَذَا سِحْرٌ**)) ولم يقل: هذه. مع أنه قال: ((**آيَاتُنَا مُبْصِرَةً**))؟ محمد

الطالب: لأجل أن يشمل كل ما جاء

الشيخ: لأجل أن يشمل كل ما جاء حتى يشمل موسى نفسه يكون ساحراً .... عندك سؤال

الطالب: قوله .... أنه أرسل.... آيات، ألا نقول أن القرائن تزيد من قوة الشيء، فهذه ...

الشيخ: تقصد الدلائل.

الطالب: نعم الدلائل، ألا تزيد من قوة الشيء؟

الشيخ: لا. هو هذه قلنا في الحقيقة أن الأشياء ما تثبت إلا بدلائلها، وأنه لا بد من بيّنات مع الأمر.

الطالب: قوله: ((**فِي تِسْعِ آيَاتٍ**)) .....

الشيخ: نعم. قلنا قبل قليل: أن الآيات هذه منها شيءٌ حاضر وهما الثنتان، وشيءٌ لاحق.

الطالب: يعني: أخبر الله سبحانه وتعالى ....؟

الشيخ: وهو ما جاءت يعني: ستجيء.

ثم قال: ((**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ**))[النمل:14].جحدوا الضمير يعود على ((**فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ**))[النمل:13] والجحد الإنكار، وجحد يتعدى بنفسه، ولكنه قد يُضمَّن معنى التكذيب فيتعدى بالباء، وجحدوا مكذّبين بها.

وهنا الجحد ضُمِّن معنى التكذيب، ولهذا تعدي بالباء؛ ذلك لأن الجحد قد يكون تكذيباً وقد يكون مراعاة لمصلحة من المصالح، والجحد أسبابه متعددة؛ لأنه قد يقول لك القائل: ماذا فعلت؟ فتجحد، لمصلحة تريدها لا تكذيباً.

لكنه هنا تكذيب.. جحدهم هذا تكذيب، وايش الدليل ؟ لا . الدليل أنه عُدي بالباء، والذي يُعدى بالباء هو التكذيب.

((**وَجَحَدُوا بِهَا**))[النمل:14] أي: كذّبوا بها جحداً، هم كذّبوا ومع ذلك ما أظهروه.

ولهذا يقول المؤلِّف: " **أي: لم يقروا** " أي: لم يقروا بها، ولم يقروا بها معناه هو التكذيب، والمؤلِّف أتى بـ" **لم يقروا** " لأمرين: الأمر الأول لأجل أن يسلم التعليق بالباء؛ لأن أقر تتعدى بالباء.

والثاني: لأجل على رأيه أن لا يتضمن ذلك إخفاءها لمن طلبها.لأنه كأن المؤلِّف جعل الجحد في نفي الإقرار، ولكننا لا نوافقه على هذا التفسير

أولاً: أنه فسَّر المثبت بالمنفي.. وإلا لا ؟جحد مُثبت، لم يقر منفي.

الثاني: أنه بتفسيره هذا يفوّت معنى دلّت عليه الآية وهو كتمانهم لهذه الآيات لو سُئلوا عنها؛ لأن كون الإنسان ما يُقر ما هو مثلما إذا جحد وكتم عن غيره، فإبقاء الآية على ما هي عليه ويقال: إنه عُدّي الجحد بالباء لتضمينه معنى التكذيب، ويكون دالاً على أمرين: على إخفائها عند طلبها، وعلى التكذيب بها عند عرضها.

..ولا حاجة أن نقول: إن الآية أبلغ مما ذكر المؤلِّف، لكنا نقول: إن تفسير المؤلِّف لها فيه نظر من وجهين:

الوجه الأول: تفسير الإثبات بالنفي، وهذا قصور.

والثاني: أنه فوّت معنى وهو الجحود عند السؤال، فهو تكذيبٌ عند العرض وجحودٌ عند الطلب.

الطالب: قوله تعالى: ((**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ**))[النمل:14] .....

الشيخ: نعم. معلوم أن يكذّبون ويخفون ولكنهم متيقنين.

الطالب: لم يقروا يعني: لم يعترفوا.

الشيخ: نعم. هم ما اعترفوا ظاهراً، إنما تفسيره بهذا خطأ.

قال: " **وقد استيقنتها أنفسهم أي: تيقنوا** ".

خلوا بالكم يا جماعة المؤلِّف قال: " **وقد استيقنتها** " فما الذي أوجب له أن يقدّر قد؟

نقول: لأن الجملة حالية، والجملة الحالية إذا كانت فعلاً ماضياً يقدّر فيها قد للتحقيق.

والثاني قال: استيقنتها أنفسهم قال: " **أي: تيقنوا أنها من عند الله** " ففسّر استيقن بتيقن؛ إشارة إلى أن السين والتاء زائدتان، ولكن الأولى أن تبقى السين والتاء على بابها، ولا يُحكم بزيادتها لأن الاستيقان أبلغ من التيقن، ومن المعروف عندهم أنهم يقولون: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، فالاستيقان أبلغ.

فهم قد استيقنوها استيقاناً كاملاً ليس عندهم فيها شك، ومع ذلك جحدوا بها.

يكون هذا الجحد مع الاستيقان أبلغ، ولهذا قال: ((**ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ...)) [النمل:14] إلى آخره.

وقوله تعالى: ((**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ**))[النمل:14] ولم يقل: واستيقنوها، فإضافة الاستيقان إلى النفس أبلغ أي: أنه يقينٌ بلغ نفوسهم حتى تمكن منها، ومع ذلك والعياذ بالله جحدوا بها وأنكروها.

وقوله: ((**ظُلْمًا وَعُلُوًّا**))[النمل:14] يقول المؤلِّف: " **تكبرا عن الإيمان بما جاء به موسى** " ففسّر الكلمتين بكلمة واحدة وهي: التكبر، ولكنه أيضاً لو نظرنا إلى الآية الكريمة وجدنا أنها أبلغ مما فسّرها به.

قوله: ((**ظُلْمًا**)) الظلم في الأصل النقص، ومنه قوله تعالى: ((**كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا**))[الكهف:33] أي: لم تنقص.

فالأصل فيه أنه بمعنى النقص، وكل من نقص حق غيره فهو ظالمٌ، إذا نقص الإنسان حق نفسه فهو ظالمٌ لها، إذا نقص حق غيره فهو ظالمٌ له.

هنا هؤلاء نقصوا حق موسى عليه الصلاة والسلام فهم ظالمون، ونقصوا حق أنفسهم حيث لم يقودوها إلى ما فيه صلاحها فهم أيضاً ظالمون.

ثم هذا الظلم والنقص ما الحامل عليه؟قال: ((**وَعُلُوًّا**)) وهذا معنى غير الظلم، يعني: ترفّعاً عما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام، يرون أن موسى من موسى الذي يأتي إلى فرعون الذي يقول لقومه: أنا ربكم الأعلى، ثم يقول: أنا رسولٌ إليك، لا بد أن تتبعني!

بطبيعة البشر الفاسق أن يترفع يقول: أبداً.فلهذا جحدوا ظلماً: لموسى وأنفسهم، علواً: ترفّعاً عن موسى وعما جاء به أيضاً، فهم والعياذ بالله اتصلوا بالوصفين.

وقوله: ((**ظُلْمًا وَعُلُوًّا**))[النمل:14] يقول المؤلِّف: " **راجع إلى الجحد** ".

صحيح لا للاستيقان؛ لأن الاستيقان هو ظلم إذا استيقنوا أن موسى صادق؟ ما هو بظلم هذا حق، هذا عدلٌ وتواضع.. استيقانهم عدلٌ وتواضع، لكن ما استيقنوا هم يعني: ما انقادوا لهذا الاستيقان.

إذاً: فهو راجعٌ إلى الجحد يعني: جحدوا بها ظلماً وعلواً.

لكن فائدة الاتيان بالجملة الحالية بين المتعلَّق والمتعلِّقين: التشنيع عليهم.. المبادرة بالتشنيع عليهم؛ لأن كونهم يجحدون مع الاستيقان أشد وأعظم، الجاحد مع الشك قد يُعذر، لكن مع الاستيقان لا وجه له.

ففائدة الاعتراف بالجملة الحالية ((**وَاسْتَيْقَنَتْهَا**)) بين المتعلِّق ومتعلَّقه ايش فائدتها؟ المبادرة بالتشنيع عليهم، وبيان أنهم بلغوا في هذا الوصف غايته الذي هو الظلم والعلو.

فما إعراب ((**ظُلْمًا وَعُلُوًّا**)) هل هي مفعول لأجله يعني: من أجل الظلم والعلو، أو هي مصدرٌ بمعنى الحال أي: ظالمين عالين؟

الأخير أولى؛ لأن الظلم والعلو إذا جعلناه مفعولٌ من أجله فهو صادقٌ على الجحد؛ إذ أنهم ظلموا وعلوا ثم جحدوا.

فعلى هذا نقول: إن ظلماً وعلواً. مصدرٌ بمعنى اسم الفاعل أي: جحدوا بها حال كونهم ظالمين عالين.

قال الله تبارك وتعالى: " ((**فَانظُرْ**)) **يا محمد** ..." إلى آخره.

فانظر نظر اعتبار أو نظر إبصار؟ نظر اعتبار؛ لأن نظر الإبصار هنا متعذِّر لايش؟

الطالب:...

الشيخ: لسبق زمنه لكنه نظر اعتبار.والخطاب على كلام المؤلِّف يعود إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **فانظر يا محمد** ".

وقد مرّ علينا عدة مرات: أن الخطاب بالمفرد في القرآن لا يختص بالرسول عليه الصلاة والسلام إلا ما دل عليه الدليل، ما دل عليه الدليل يكون على ما دل عليه، وإلا فهو عامٌ، ويصير التقدير: فانظر أيها المخاطَب. ما يا محمد؛ لأن القرآن بين أيدي كل أحد، كل واحد بين يديه القرآن.

أما ما دل عليه الدليل على أنه خاصٌ بالرسول عليه الصلاة والسلام فهو خاصٌ به مثل قوله تعالى: ((**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**))[المائدة:67]، ومثل قوله تعالى: ((**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**))[الشرح:1].

ويدلنا على أن الخطاب المفرد عام أولاً: ما ذكرناه من التعليل: أن القرآن بين أيدي الناس جميعاً.

ثانياً: قال الله تعالى: ((**يا أيها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ**))[الطلاق:1] خاطب بالإفراد والجمع ((**يا أيها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ**))[الطلاق:1] فدل هذا على أن الخطاب الموجه للرسول عليه الصلاة والسلام موجهٌ للأمة ما لم يدل الدليل على اختصاصه به مثل ما مثّلنا بمثالين، وكذلك منه: ((**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ**))[التحريم:1] فإن هذا خاصٌ بالرسول عليه الصلاة والسلام، هو الذي حرّم لكن مع ذلك الحكم عام.

إذاً: ((**فَانظُرْ**)) نقول: أيها المخاطَب.

((**فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**))[النمل:14] في هذه الآية الجملة هذه أولاً: كان ترفع الاسم وتنصب الخبر.. معروف عندكم؟ ، ((**وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا**))[النساء:96].

ثانياً: أنه إذا كان الفاعل مؤنثاً كان الفعل مؤنثاً.فهنا ما نرى خبراً لكان ((**كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**))[النمل:14].

الطالب: .....

الشيخ: زين والثاني؟

الطالب: الثاني: أن عاقبة مؤنث مجازي .....

الشيخ: زين الجواب الثاني صحيح، يعني: عاقبة مؤنث مجازي لا حقيقي، والفرق بين المؤنث المجازي والحقيقي: ما كان له فرج فهو مؤنث حقيقي، وما لم يكن له فرج وإنما تأنيثه لفظي فهو مؤنثٌ مجازي.

أما الأول وهو قوله: إنها ناقصة أو إنها تامة فليس بتام.

الطالب: كان تام، والخبر مقدم وهو كيف.

الشيخ: نعم هذا الصحيح: الخبر مقدم وهو كيف، مقدّم وجوباً أم جوازاً؟

الطالب: وجوباً.

الشيخ: لماذا؟ لأنه اسم استفهام والاستفهام له الصدارة، ما يمكن أن يأتي استفهام في وسط الكلام، لا بد أن يكون متقدماً.إذاً: ((**عَاقِبَةُ**)) ايش معنى العاقبة؟

العاقبة في الأصل التأخر، ومنه العقب في القدم، عقب القدم ماهو؟ العرقوب المؤخَّر، فالعاقبة معناه: الأمر المتأخر يعني: انظر ماذا كان من أمرهم في النهاية.

وقوله: ((**الْمُفْسِدِينَ**))[النمل:14] الذين صار شأنهم الإفساد.

والمراد بالإفساد هنا: ليس إفساد العمران، فقد يكون العمران في زمن فرعون قد بلغ غايته، لكن المراد بالإفساد الافساد المعنوي: إفساد الأخلاق والعقائد.

وربما يتبعه إفساد العمران كما قال الله تعالى: ((**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**))[الروم:41]، ((**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ**))[النحل:112] وبهذا التقدير وهو أن الأصل في الإفساد الموجود في القرآن هو إفساد الأخلاق والعقائد، ويتبعه فساد الأعمال.

بهذا نعرف أن ما يطنطن به الناس الآن في الرفاهية، والطمأنينة، والأمن ... وما أشبه ذلك، وإذا أتوا إلى ذكر الدين يقول: العقيدة السمحة، ولا يذكر العمل، ثم كلمة السمحة أيضاً تدل على ضعفٍ في هذه العقيدة سمحة. صحيح أنها هي الحنفية السمحة لا شك، لكنها لها أعمال ولها حزم، ولهذا التركيز على الترفيه البدني والنعيم البدني مع ذكر العقيدة وحدها في نظري أنه خطير؛ لأنه يبدأ كل واحد ينشد هذين الأمرين: يقول: أنا عندي عقيدة سليمة، عقيدة سمحة، ليّنة، هيّنة. ويقول: أنا أنشد أيضاً رفاهية البدن والأمن وما أشبه ذلك، لكن استقامة الدين والسعي في إقامته بين الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله. هذا أمرٌ لا يكاد يُذكر.

وفي الحقيقة: أن الرفاهية إذا كانت بالبدن وحده فهي فساد، ما يدوم هذا أبداً، لا يمكن أن يدوم؛ على أن الرفاهية المطلقة للبدن لا بد أن تكون مشوبة بقلقٍ في القلب؛ لأن الله تعالى إنما ضمن الحياة الطيبة لمن؟ ((**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ**))[النحل:97] انظر عقيدة وعمل، وبدأ بالعمل أيضاً.

((**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**))[النحل:97] حياة طيبة في الدنيا وأجرٌ حسنٌ في الآخرة.

هذا الذي يجب أن يُركّز عليه، أما الرفاهية المطلقة فإنها ضرر عظيم على الإنسان، توجب الغفلة عن الله سبحانه وتعالى، وانشغال الإنسان بطلب الرفاهية الجسدية الزائلة.

يقول بعض السلف: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف.. قالوا: أعطونا الذي أنتم فيه من النعيم والسرور وانشراح الصدر وما أشبه ذلك.إذاً: المفسد ...

...وحشر لسليمان ؟ نقرأ ونأخذ فوائدها .

قال الله تبارك وتعالى: ((**حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**))[النمل:18].

قوله: ((**حَتَّى إِذَا أَتَوْا**)) هذه غاية لما سبق وهو قوله: ((**وَحُشِرَ * حَتَّى إِذَا**))[النمل:17 - 18] وعلى هذا فيكون في الكلام حذفاً تقديره: وساروا حتى إذا أتوا. فبعد أن جمع الجنود ووزعوا فرُد أولهم إلى آخرهم ونظّموا ساروا.

((**حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ**))[النمل:18] أتوا أي: سليمان وجنوده أي: مرّوا.

قوله: ((**عَلَى وَادِ النَّمْلِ**))[النمل:18] ظاهر الكلام أن هذا الوادي معروفٌ بهذا اللقب، أنه يسمى: واد النمل.

ويحتمل لكنه خلاف الظاهر أن يكون هذا الوادي وادياً فيه نملٌ. يعني: حتى إذا أتوا على وادٍ فيه نمل، وليس معروفاً بهذا اللقب بأنه واد النمل، ولكن الأولى الأخذ بظاهر اللفظ وهو أن يكون هذا الوادي معروفاً بكثرة نمله، وأنه يلقّب بهذا اللقب لكثرته، والنمل معروف وهو من الحيوانات التي نُهي عن قتلها كما في السنن: (**أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن قتل أربعٍ من الدواب**) وذكر منها: (**النملة**).

وفي الصحيح أيضاً في أحد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنه قرصته نملة فأمر بقرية النمل كلها فأُحرقت، فعاتبه الله على ذلك وقال: هلّا نملةً واحدة؟

هذا النمل من جملة المخلوقات التي تعرف ربها وتعرف ما ينفعها وما يضرّها، على حسب ما رُكِّب من هداية، وقد قال موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفرعون لما قال: ((**فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**))[طه:49 - 50] أعطى كل شيءٍ خلقه أي: الخلق اللائق به، كل شيء من الحيوان وغيره له خلقٌ يليق به أعطاه الله، ثم هداه هدى هذا الخلق أيضاً لما تقوم به مصالحه.

فهذه النمل من جملة المخلوقات التي أعطاها الله تبارك وتعالى خلقها وهداها، ((**أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ**))[النمل:18] " **وهو بالطائف أو بالشام** " خلاف، ولا دليل لا على الطائف ولا على الشام، والأقرب أنه في الشام ومع ذلك لا نجزم به؛ لأن مقر سليمان عليه الصلاة والسلام كان في الشام، ومع هذا ما نجزم به.

وتعيين المكان هل هو من الأمور التي لا بد منها في القصة؟

لا؛ لأن المقصود الاعتبار بما جرى في أي مكان كان من الأرض.

وقال: " **نمله صغارٌ أو كبار** " أيضاً ما لنا ولهذا، بعضهم يقول: نمله كبار، النملة بكبر الذئب يعني: صارت النمل حمير! هذا ما هو صحيح، بل النمل هو المعروف في لغة العرب، وكل من فسّر شيئاً من القرآن بخلاف ما تقتضيه اللغة العربية فإنه لا بد له من دليل، وإلا فيرد عليه؛ لأن معنا أصلٌ أصيل في تفسير القرآن وهو قوله تعالى: ((**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**))[الشعراء:195] فمن زعم أن شيئاً من القرآن على خلاف هذا اللسان العربي المبين فعليه الدليل.

على هذا نقول: النمل هو النمل المعروف، وأما القول بأنه كبار وأنه كبر الذئاب، فهذا لا دليل عليه.

الطالب: .....؟

الشيخ: لا لا، النمل المعروف هذا.

قال: ((**قَالَتْ نَمْلَةٌ**)) هذا جواب ((**إِذاَ**)) ((**حَتَّى إِذَا أَتَوْا**)) " ((**قَالَتْ نَمْلَةٌ**)) **ملكة النمل وقد رأت جند سليمان** ((**يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ** ...))**[النمل:18] إلى آخره** ".

قال: ((**قَالَتْ نَمْلَةٌ**)) يقول: " **ملكة النمل وقد رأت جند سليمان** ".

أما قوله: وقد رأت جند سليمان فهذا واضح، الله أعلم أنها رأته أو أحسّته، قد يكون إحساساً بدون نظر، وقد يكون نظراً، إنما على كل حال هي أدركت قربه ووصول سليمان بجنوده إليهم.

وقوله تعالى: ((**قَالَتْ نَمْلَةٌ**))[النمل:18] نملة منكّر، وظاهر كلام المفسّر أنها معرّفة؛ لأنه قال: " **ملكة النمل** " وهذا يقتضي أن يكون التعبير: قالت النملة. يعني: النملة المعهودة وهي الملكة، ولما لم يكن التعبير بقوله: قالت النملة. دل على أن القائل لا يتعين أن يكون ملكة النمل وإنما هي نملة من النمل، وهذا ليس بغريب، فإنه كما لو أقبل جندٌ على طائفة من الناس ورآه واحدٌ منهم يصيح بهم وإلا لا؟ ولا يلزم أن يكون هذا الصائح هو الأمير أو الملك.

ولهذا الصحيح إبقاء القرآن على ظاهره، وأنها نملة من هذا النمل ولا يلزم أن تكون الملكة؛ لأن مثل هذه الأحوال أي واحد يشعر من الطائفة الموجودة يشعر بالخوف يصيح بهم وينذر.. أنا النذير العريان.

((**قَالَتْ نَمْلَةٌ**)) إذاً: الصواب أن نقول: قالت نملة من النمل ولا نعيّنها بأنها الملكة.

طيب. " **وقد رأت جند سليمان** " هل يتعيّن أيضاً أن يكون لفظ رؤية أو يجوز أن يكون إحساس...؟

الطالب: .... إن رأت....

الشيخ: نعم. لكن الرؤية هل يتعين الإدراك بالرؤية؟ أو يجوز أيضاً بالإحساس والسمع؟ يمكن هذا، وحينئذ نسأل: هل للنمل أعين؟

الطالب: نعم. لها إشعار، لها قرون.

الشيخ: هذه أيضاً تحتاج إلى دراسة علم الأحياء، إنما هي قد رأيت كلام يقول: إن النمل أنه بإذن الله إذا نشأ فإنه يفرز أشياء تمشي النملات الأخرى على رائحتها، وهذا شيءٌ أنا شاهدته بعيني، كان في بساط مثل هذا البساط بس كبير، المهم أنه من هذا النوع، وكان النمل هذا يمشي ويأتي على زاوية ثم يرجع. يعني: يمشي مستطيل ويأتي على الزاوية ويرجع. كل النمل على هذا.

يعني: ما يروح ..... يختصر، فأنا تعجبت كيف يعرف ...، لو كان على تراب فالذي على التراب يبيّن أثر النمل ويمشي بعضه مع بعض، لكن هذا ليس على التراب.

ولكن بعد أن قرأت هذا عنه عرفت أنه إذا مشى يكون له رائحة، وتمشي بقية النمل عليه، وهذا من آيات الله سبحانه وتعالى، هذا معنى قوله: ((**أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**))[طه:50].

على كل حال: الذي يلزمنا من هذه الآية الكريمة أن النملة أدركت ذلك برؤية أو بغيرها.

يقول: ((**قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**))[النمل:18].

انظر هذه الجملة تضمنت نداء وأمراً وإرشاداً وتحذيراً وتعزيراً، وغير ذلك مما يمكن أن ندركه إن شاء الله بعد الكلام بالتفصيل.

((**يَا أَيُّهَا النَّمْلُ**))[النمل:18] هذا نداء، وقد مر علينا مرات أن تصدير الجملة بالنداء الغرض منه التنبيه. يعني: إذا قلت: افعل أو يا فلان افعل الأخيرة أعظم وأبلغ، فهذا لتنبيهه.

ثم قولها: ((**يَا أَيُّهَا النَّمْلُ**))[النمل:18] نداء بعيد، مصدّر بتنبيه ((**يَا أَيُّهَا النَّمْلُ**)) لأنه لو قالت: يا نملُ. فقد يخفى لأنكم ترون الإنسان أول ما يكلمك قد يخفى أول الجملة، إذا جاء بشيءٍ ينبّه قبل الدخول في الموضوع المقصود، صار ما يفوت الإنسان من المقصود شيء.. لا يفوت السامع من المقصود شيءٌ هي قالت: يا أيها النمل ولم تقل: يا نمل.

ثم إن نداء البعيد أيضاً يدل على أنها صوتت لصوتٍ سمعه الكل ((**يَا أَيُّهَا النَّمْلُ**)).

وفي قولها: ((**ادْخُلُوا**)) هذا أمر والمراد به الإرشاد، وفي تعيين المساكن وهي الملاجئ، هذه مثل صفارات الإنذار عند الناس إذا صفّرت صفارة الإنذار أين يذهبون للسطوح؟ لا. للملاجئ، وهي أيضاً أرشدتهم إلى ملاجئهم ((**ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ**)).

ثم فيه أيضاً إشارة إلى أن هذه المساكن كما أنها أكنان يكتن بها الإنسان، فهي أيضاً حصون يحترز بها الإنسان ((**أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا**))[المرسلات:25 - 26].

وفي قولها: ((**مَسَاكِنَكُمْ**)) الإضافة هنا على تقدير اللام أو على تقدير من؟

الطالب: اللام مساكن لكم.

الشيخ: نعم. على تقدير لام لا من ولا في؛ لأن الإضافة تكون على تقدير من إذا كان المضاف من جنس المضاف إليه كخاتم حديد، وباب خشب. وتكون على تقدير في إذا كان المضاف إليه ظرفاً للمضاف، كما في قوله تعالى: ((**بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**))[سبأ:33] أي: مكرٌ في الليل.

وتكون على تقدير اللام وهي الغالب والأكثر، وهنا على تقدير اللام، واللام المقدّرة بالإضافة هنا هي للاختصاص أو للملك؟

الطالب: للملك، .....

الشيخ: بالنسبة لنا للاختصاص، لكن بالنسبة لهن النمل فيما بينهن الظاهر أنه للملك، أن كل واحدة منهن تعرف بيتها وأنه ما أحد يدخل عليها.

الطالب: ما تملكه.

الشيخ: تملكه، إن كان يعرفن عقد بيع يمكن يدخل أيضاً سدله.

((**لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ**)) هذا التحذير، الشاهد هو التحذير.

" ((**لا يَحْطِمَنَّكُمْ**)) **يكسرنكم** " والجملة هذه كالتعليل لأمر في قولها: ((**ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ**)) يعني كأن قائلاً يقول: لماذا؟ لا يحطمنكم سليمان، فالجملة تعليل وهي تحذير.. تعليلٌ وتحذير، هذا من بلاغتها أيضاً ما قالت: ادخلوا مساكنكم وبس، عيّنت المحذَّر منه وهو: لا يحطمنكم سليمان.

ثم أتت بهذه الجملة الشديدة الوقف ما قالت: لا يطأنكم، قالت: لا يحطمنكم. أيها أشد وقعاً؟

الطالب: الأخيرة.

الشيخ: الأخيرة أشد؛ لأن الوطء قد يلزم منه الكسر والإتلاف وقد لا يلزم، ثم هو الوطء هادئ بالنسبة لكلمة التحطيم.

وهل المقام يقتضي هذا أن يأتي بالعبارة الغليظة؟ نعم؛ لأن المقام مقام تحذير وبسرعة إذا لم يفعلن هذا بسرعة فإنهم يحطّمون، قال: لا يَحْطِمَنَّكُم وهنا قالت: ((**لا يَحْطِمَنَّكُمْ**)) وقالت: ((**ادْخُلُوا**)).

والتعبير بادخلوا ولا يحطمنكم بالميم هذا لا يكون إلا للعاقل؛ لأن غير العاقل يؤنّث: ادخلن مساكنكم، ولا يحطمنكن. ولكنها هي قالت: ((**ادْخُلُوا**))، و((**لا يَحْطِمَنَّكُمْ**)) تنزيلاً لهن منزلة العاقل.

أو يقال هُن بالنسبة لبعضهن عقلاء مثل ما قلن إن المساكن بالنسبة لبعضهن ملك وبالنسبة لنا اختصاص.

((**لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ**)) وهذا التعبير يدل على أن عظمة سليمان متقررة عندهن وهو كذلك، وقوله: ((**سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ**)) ما قالت: وجنده؛ لأن الذي فهمنا من القرآن أن معه ثلاثة أصناف من الجنود هم: الإنس، والجن، والطير. كما سبق.

وقوله: ((**وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**)) هذا اعتذار لسليمان وجنوده أنهم لم يتقصدوا أن يحطموكم، ولكن بغير شعورٍ منهم؛ لأنكم كما تعرفون الجنود والجيش العظيم الواسع وهذه نمل صغار، يمكن يحطمه وهو ما شعر، ثم إن الغالب أن مثل هذا الجند الكثير ما يستطيع أن ينكف بعضه عن بعض فيما إذا وجدوا جحر نملٍ مثلاً.

فهذا معنى قولها: ((**وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**))[النمل:18].

يعني لو قال قائل: كيف وهم لا يشعرون؟ هل هم يمشون بغير هدىً؟ نقول: لا. يمشون بهدى، لكن من المعروف أننا إذا قارنا بين هذا الجند العظيم الواسع وبين صغر هذه النمل فإن الغالب أنهم لا يشعرون بها.

فهذه الجمل البليغة العظيمة من هذا المخلوق الذي ليس في أعين الناس شيئاً وهو من أصغر المخلوقات، ماذا يدلنا عليه هذا؟ يدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وأن ما هو أعظم من هذه المخلوقات النمل هو أعظم منها أيضاً في مثل هذه الأمور؛ لأن من أعطى الصغيرة هذا الإعطاء وهداه هذه الهداية فالكبير أحوج إلى الهداية من ذلك، وعنده من العلم ما عنده، يقول: ((**فتبسم ضاحكا من قولها**)).

" **نُزِّل النمل منزلة العقلاء في الخطاب بخطابهم** ".أين الخطاب بخطابهم؟

الطالب: قولها في ((**قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ**)).

الشيخ: ((**ادْخُلُوا**))، و((**مَسَاكِنَكُمْ**))، و((**لا يَحْطِمَنَّكُمْ**)) لأن الميم هذه لجماعة العقلاء، والواو أيضاً لجماعة العقلاء، فلذلك خوطبوا بخطاب العقلاء مثلما قلنا: إما لأن بعضهم مع بعضٍ عاقل أو أنه لما كان هذا الخطاب يُفهم ويُعمل به صارت كأنها تخاطب العقلاء.

الطالب: هي عبّرت ((**لا يَحْطِمَنَّكُمْ**)) يعني: كسر، والنمل حيوانات طرية أو حشرات طرية.

الشيخ: لا لا، ليس المراد بالكسر يكسر عضو فقط، المراد بالكسر الإهلاك على سبيل التحطيم. يعني مثلاً النملة إذا وطئتها تقطعت وتمزقت هذا تكسّر، ليس معناه أنه تنكسر رجله وتبقى معلّقة مثلاً بها لا.

الطالب: ((**لا يَحْطِمَنَّكُمْ**)) لا يهلكنكم؟

الشيخ: لا لا، الحطام أبلغ أشد في الحذر ((**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ**))[الهمزة:5] هذا التحطيم أبلغ.

قال: " ((**فَتَبَسَّمَ**)) **سليمان ابتداءً** ((**ضَاحِكًا**)) **انتهاءً** ((**مِنْ قَوْلِهَا**)) ".

يقولون: إن الضحك ثلاثة أنواع: ابتدائي، ووسط، وانتهائي.

الابتداء: التبسّم.

والوسط: الضحك.

والمنتهى: القهقهة.

والقهقهة ما تليق بالإنسان العاقل الرزين، والتبسّم هو أكثر ضحك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والضحك يكون من الأنبياء أحياناً، فهنا تبسّم ضاحكاً.

المؤلف رحمه الله يرى: أن سليمان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان له مرحلتان في هذا الضحك: الأولى التبسّم، والثانية الضحك. فابتدأ بالتبسّم وانتهى بالضحك، ويحتمل أن يكون تبسّم ضاحكاً أنه ضحك متبسماً. يعني معناه أنه ما ظهر له صوت ولكنه تبسّم تبسماً، والله أعلم.

وعلى هذا التقدير يكون ضاحكاً هذه حال مؤكدة أو مبيّنة للنوع يعني: أن ضحكه كان تبسّماً.على كل حال هذه المسألة لا يضر لو كان ضحك.. ابتدأ بالتبسّم وأنهى بالضحك.

الطالب: الفرق بينها؟

الشيخ: هذا الفرق التبسّم أنه ينفتح الفم بدون صوت، الضحك يكون صوت لكن بدون قهقهة.

الطالب: الفرق بين القهقهة والضحك.

الشيخ: القهقهة هذه تكرر الصوت، كركر كما يقول العامة.

الطالب: والضحك .....

الشيخ: يقول: ((**ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا**)) من بيانية والبيانية للتعليل يعني: بسبب قولها تبسّم، هذا التبسّم ايش مصدره؟ تبسّم من قولها .. من تحذيرها .. من اعتذارها .. من إرشادها .. من فصاحتها.. من أين؟

الطالب: من جميع هذه.

الشيخ: من كل ما يتضمنه هذا القول؛ لأنه في الحقيقة محل عجب، أنها تتكلم بهذا الكلام البليغ وبهذه السرعة ما راحت تجيب العناصر وتزيّن، هذا بلا شك محل ضحك، ثم أيضاً محل ضحك ما هو من القول فقط من مغزى هذا القول، ولهذا جعله من نعمة الله وقال: ((**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ**))[النمل:19] مغزى هذا القول هو كون سليمان عليه الصلاة والسلام تعترف حتى الحشرات بعظمته وعظمة جنوده، هذا لا شك أنه من نعمة

الله عليه، فهذا التبسّم من القول من مضمونه ودلالته، وكذلك من مغزاه وما يتضمنه من نعمة الله تبارك وتعالى على سليمان.

((**فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا**))[النمل:19]تبسّم ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا " **وقد سمعه من ثلاثة أميال حملته إليه الريح فحبس جنده حين أشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم وكان جنده ركبانا ومشاة في هذا السير** ".

يقول: " **وقد سمعه من ثلاثة أميال** " من أين جاء بهذا؟

الطالب: أخبار إسرائيلية.

الشيخ: أخبار إسرائيلية، بل إن القرآن ((**حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ**))[النمل:18] على ماذا يدل؟ على أنهم وصلوا إليه، غاية ما هنالك أنهم على طول لما حُذّر النمل بهذا التحذير دخلنا في المسألة. يعني: ما بينهم وبين أن يطئوا هذا النمل إلا دخول النمل مساكنهم، وهذا لا يقتضي أن يكون بينه وبينهم ثلاثة أميال، ولا دليل على ذلك وإنما يقال: إنه سمعه من قرب، وهل سمعه غيره من جنوده؟

الطالب: لا يعرف ....

الشيخ: الظاهر أنه ما عرفوا ولا سمعوه؛ لأن قوله: ((**عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ**))[النمل:16] يدل على أن هذا التعليم نطق الحيوانات خاصٌ بسليمان عليه الصلاة والسلام، وليس كما يزعم بعض العامة، بعض العامة يقولون: أن أول كل شيء يتكلم، يقولون الناس: أن كل شيء يتكلم، ويجيبون قصص على هذا، هذا ليس صحيح، ما هنا كلام معلوم إلا في الأمم فيما بينها، وأما إن الإنس مثلاً يعلمون كلام الجن، أو مثلاً يعلمون كلام الحشرات، فهذا لا إلا بدليل. إذا وجد دليل عن المعصوم فهذا صحيح مثلما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام عن الذئب الذي تكلم، وأخبر أيضاً عن البقرة التي ركبها صاحبها، وقالت له: إنا لم نُخلق لهذا.

المهم ما دل عليه الدليل وجب علينا أن نقبله، وإلا فالأصل أن الشيء يتكلم بلغته، وأن كل جنسٍ لا يفهم لغة الآخر.

الطالب: يقول تعالى: ((**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ**))[ص:17 - 19] طيب. إذا كان الطير الأوّاب له خاضعة.

الشيخ: كلٌ له لمن؟

الطالب: أي: لداود.

الشيخ: أو لله.

الطالب: ما هو الأقرب لداود؟

الشيخ: لا. ما هو على كل حال، المسألة تحتاج إلى قراءته، حتى قراءته ما هي مضبوطة على ما قرأت أنت.

الطالب: ((**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ**))[ص:17 - 19].

الشيخ: ما أدري ما ضبطت الآية....

يقول: ((**فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي**)) ألهمني ((**أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ**)).

((**وَقَالَ رَبِّ**)) هذه مناداة، حذفت منه ياء النداء وأصله: يا رب. وحُذفت الياء المضاف إليها للتخفيف وإلا أصلها ربي بالياء.ودائماً يأتي الدعاء بحذف ياء النداء، لماذا؟

الطالب: للتخفيف.

الشيخ: لماذا يأتي الدعاء دائماً بحذف حرف النداء؟

الطالب: ياء النداء؛ للتبرك.

الشيخ: ابتداء بذكر اسم الله وعناية بالمقصود وهو الله سبحانه وتعالى، ربّ يبتدئ به قبل كل شيء، وكأن الإنسان لشدة شوقه لربه في دعائه ما يبدر منه إلا اسم الله سبحانه وتعالى.

قال: ((**رَبِّ أَوْزِعْنِي**)) أوزعني من حيث الإعراب يقال: فعل أمر، لكن النحويون رحمهم الله تأدباً مع الله ما يقولون: فعل أمر؛ لأنك ما تأمر الله، يسمونه فعل دعاء، عندما نعرب هذه ((**رَبِّ أَوْزِعْنِي**)) نقول: أوزع فعل دعائي، ما نقول: فعل أمر يقصد به الدعاء، هو حقيقة فعل أمر والمقصود به الدعاء، لكن تأدباً مع الله نقول: فعل دعاء.

" ((**أَوْزِعْنِي**)) **ألهمني** ((**أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ**)) **بها** ((**عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ**)) ".

((**وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ**)) الحامل لسليمان عليه الصلاة والسلام أن يقول هذا، الاعتراف بنعمة الله سبحانه وتعالى وخوف الغرور بالنفس؛ لأنه إذا كانت النملة تقول هكذا وهذا خوفاً منه وجنوده وتعتذر لهم ويفهم كلامها، هذا قد يؤدي بالإنسان إلى الغرور، وأن هذا الشيء لذاته أو من ذاته مثلما قال قارون: ((**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي**))[القصص:78] فلهذا سأل الله في هذا المقام الذي ربما يحصل به الغرور للمرء، والإنسان بشر سأل الله أن يلهمه شكر نعمته التي أنعم عليه وعلى والديه، وأن يعمل صالحاً يرضاه.

وهكذا ينبغي للإنسان إذا حصل له نعمة أن يسأل الله تبارك وتعالى أن يلهمه شكرها، حتى لا يلحقه الغرور بهذه النعمة التي أنعم الله بها عليه سواءٌ كانت النعمة مالية أو جسدية، معنوية أم حسيّة.((**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ**)) أنْ هذه مصدرية، ايش محلها من الإعراب؟

الطالب: ....

الشيخ: مفعول ثاني لأوزعني؛ لأن المفعول الأول الياء والمفعول الثاني: أن أشكر. يعني: ألهمني شكر نعمتك التي أنعمت بها عليّ وعلى والديّ.

قوله: ((**أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ**)) ايش معنى النعمة؟ الإحسان الذي ينعم به المحسَن إليه، والنعمة كما تعرفون تنقسم إلى قسمين: إما حصول مطلوب، وإما نجاة من مرهوب.

والله تبارك وتعالى دائماً نعمه على عبده، والعبد دائرٌ بين هذين الصنفين من النعمة، دائماً يحصل له مطلوبه وينجو من مرهوبه.وقول المفسّر: " **أنعمت بها عليّ** " لماذا قدّر بها؟

الطالب: .....

الشيخ: لا. لأنه من المعروف أن الجملة التي تكون صلة للموصول لا بد فيها من رابط يعود على الموصول.. لا بد فيها من عائد يعود على الموصول.

هنا ((**الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ**)) تحتاج الجملة أنعمت أن يكون فيه ضمير يعود على التي، قدّرها المؤلف بقوله: " **بها** " وهل منكم أحد يناقشه في هذا التقدير؟ يعني: تقدير الضمير لأجل أن يكون عائداً على موصول هذا واضح مسلّم، هذه القاعدة النحوية ((**يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ**))[المؤمنون:33] أي: منه. هذا واضح.وهذا كثير في الكلام العربي في القرآن والسنة وكلام الناس، أنه لا بد من عائد يعود على الموصول ليربط الجملة الصلة بموصولها. ولكن هل لكم مناقشة مع المؤلف في تقدير العائد على هذا الوجه؟

الطالب: .....

الشيخ: بأن الضمير المنفصل إياه وإياي وإياك، هذا ضمير منفصل، فالضمير هنا متصل بلا شك.

الطالب: لكن .... الباء بها.

الشيخ: ولو هو متصل ولو مع وجود الباء، وكان يقول أنعمتها عليّ، هذا صحيح، التقدير أنت قدّرت صحيح لكن العِلَّة ليست هي العِلَّة.

يقولون: إن العائد ما يُحذف إذا كان مجروراً إلا إذا جُرّ الموصول بحرف مشابه للمحذوف لفظاً ومعنىً وتقديراً.عرفتم؟ هذا مر علينا كنا نقرأ في النحو في القطر، وأنه إذا كان مجروراً يشترط أن يكون مجروراً بالحرف الذي جر الموصول، وأنه يكون موافقاً له في اللفظ ومتعلقه، واحداً موافقاً في اللفظ والتقدير والمعنى.

المؤلف الآن قدّر بها مع أنها ليست موجودة في القرآن: نعمتك التي أنعمت بها، وعلى هذا فالتقدير السليم أن يقول: أنعمتها عليَّ وعلى والديَّ؛ لأنه ما يمكن أن يحذف العائد المجرور إلا إذا كان الموصول مجروراً بحرف الجر الذي جُر به ذلك العائد.

وقوله: ((**عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ**)).أما ((**عَلَيَّ**)) فظاهر أن نعمة الله عليك تحتاج إلى شُكرٍ منك، لكن نعمة الله على والديك ما وجه كونها تحتاج إلى شكرٍ منك؟

لأن نعمة الله على الوالدين نعمة على الولد، لا سيما في مثل هذه التي حصلت وهو أنه ورث من داود النبوة وخلفه فيها، فهذه النعمة نعمة الله على والديه هي في الحقيقة نعمة عليه، ولهذا قال: ((**عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ**)).

وقوله: ((**وَالِدَيَّ**)) هذه جمع و إلا مثنى؟

الطالب: مثنى.

الشيخ: مثنى، مضاف ولذلك حُذفت النون منه، وأصله: والِدين لي، لكن حُذفت النون من أجل الإضافة.

طيب ((**وَالِدَيَّ**)) من المراد بالوالد؟

الطالب: الوالد ...

الشيخ: هل هو الوالد الذي أنت ولده لصلبه، أو حتى الجد ومن علا.

نقول: الحقيقة أن كلمة والد أحياناً يدخل فيها الجد وإن علا، وأحياناً تتعين بالوالد الأب. والذي يعيّن ذلك هو القرائن اللفظية أو القرائن الحالية.

فمثلاً: (**لا يجوز لواهب أن يرجع فيما وهبه إلا الوالد فيما يعطي ولده**) من المراد بالوالد؟ الأب المباشر.. الوالد الأدنى، فالجد لا يُلحق به.طيب الوالد في تحريم النكاح؟ يشمل الأدنى والأعلى.

الوالد في الميراث؟

الطالب: على الصحيح يشمل

الشيخ: يشمل الأدنى والأعلى إن فُقد الأب، المراد الذكور والإناث.

يعني: لا تعزونا على القول الصحيح أنا نريد الجد الوالد الذي هو الذكر، حتى الأنثى مثلاً الأم الوالدة في الميراث يشمل الأعلى إن فقد الأدنى.وإلا لا؟

فصارت الحقيقة أن كلمة والد تارة يراد بها الأدنى، وتارة يراد بها الأدنى والأعلى مجتمعين أو منفردين، وتارة يراد بها الأدنى والأعلى لا مجتمعين. والذي يعيّن ذلك هو القرائن اللفظية أو الحالية.

الطالب: ....؟

الشيخ: لا. كلمة والد.

الطالب: ((**وَالِدَيَّ**)) ووالدي.

الشيخ: نعم. ما بينهم فرق، إذا قلنا والدَيَّ يعني: الوالد والوالدة، إذا قيل: والدِيَّ وما هو يعبّر بوالدَيَّ.

الطالب: والدي.

الشيخ: ما فيه .... يعني لو عبّر الإنسان نقول: هذا التعبير غير سليم، لكن والدينا إذا صرنا جماعة واضح؛ لأن إذا قلت: والدينا ونحنا اثنين كم يصيرون الوالدين؟ أربعة، إذا صرنا ثلاثة يكون ستة.. وهكذا.

ولذلك بعض الإخوان الذين يقرءون في رمضان: اللهم اغفر لنا ولوالدَينا. هذا ما هو صحيح، إلا على سبيل التجوّز؛ لأن والدينا ما نحن عيال رجلٍ واحد، نعم لو كنا عيال رجلٍ واحد ستة نقول: والدينا؛ لأننا نحن أبونا واحد وأمنا واحدة، لكن لو صار المسجد ألف نفر، هو والد كل واحد منا والد للثاني؟ نحن لسنا إخوة.

ولهذا ما تأتي والدَينا إلا على سبيل التجوّز أي: والديّ كل واحدٍ منا. ولهذا التعبير السليم في مثل هذا أن تقول: اغفر لنا ولوالدِينا.

الطالب: .... خطأ.

الشيخ: لا. هذا هو الصواب.

الطالب: .....؟

الطالب: لكن كل الذين يحجون إلا نادراً.

الشيخ: لا بأس، المهم على كل حال ما نقدر نقول: كلهم .... وإلا كلهم كذا، لكن نحن الآن نحللها من جهة اللغة العربية.الصواب في هذا إذا كنا جماعة والدِينا؛ لأن والدَينا ما تكون إلا على سبيل التجوّز...

الطالب: أباه وأمه؟

الشيخ: نعم أباه وأمه.

قال: ((**وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا**)).((**وَأَنْ أَعْمَلَ**)) معطوفة على قوله: ((**أَنْ أَشْكُرَ**)) يعني: وألهمني أن أعمل صالحاً ترضاه.

وهنا قوله: ((**وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا**)) أي: أعمل عملاً صالحاً، والعمل الصالح ما يكون إلا إذا تضمن شرطين أساسين هما؟ أنا أحياناً أسأل ما فيه مانع أن أسأل. نعم؟

الطالب: الإخلاص والمتابعة.

الشيخ: الإخلاص والمتابعة؛ لقوله تعالى: ((**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**))[البينة:5] كل العالم.

الطالب: .....؟

الشيخ: ما يخالف ((**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**))[البينة:5] الإخلاص واضح في الأنبياء وغيرهم، والمتابعة في غير الأنبياء واضح عندكم أيضاً، وفي الأنبياء غير واضح عندكم ولكنه واضح لأن النبي يتبع شريعة توحى إليه،أليس كذلك؟ فهو قد لا يتبع هذه الشريعة لكن كما مر علينا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الإقرار على المعاصي مطلقاً، فإذاً المتابعة موجودة في الأنبياء أيضاً؛ لأن المتابعة من الشرع الذي أوحي إليهم.

طيب هذا العمل الصالح: ما جمع بين أمرين الإخلاص والمتابعة، ففي فقد الإخلاص يكون الشرك، وفي فقد المتابعة يكون الابتداع.

فالعمل الذي فيه شرك مردود قال الله تعالى في الحديث القدسي: (**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**).

حتى الرياء، الرياء نوع من الشرك، إذا عمل الإنسان العبادة وهو مراءٍ فيها فهو مع الإثم مردودٌ عليه عمله.

كذلك أيضاً في الابتداع قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**)، وهذا أعم من اللفظ الثاني: (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**).

إلا إذا قلنا: من أحدث في ذاته وصفاته، فإذا قلنا: من أحدث في أمرنا ما ليس منه سواءً في نفس العمل أو في وصف العمل صار موافقاً للفظ الآخر. على كل حال العمل إذا لم يكن خالصاً فليس مقبولاً، وإذا لم يكن صواباً يعني: على السنة فليس مقبولاً وليس بصالح أيضاً بل هو فاسد.طيب قوله: ((**وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ**))[النمل:19] الرضا بمعنى القبول، وكلمة ترضاه بعد قوله: صالحاً. هل لها معنى؟ لأن كل صالحٍ فهو مرضي، فهل تكون الجملة حينئذ صفة كاشفة مبيّنة، أو صفة مقيّدة يعني: مبيّنة أو مقيّدة؟

الطالب: لا. مبيّن.

الشيخ: الظاهر أنه مبيّن. يعني: أن العمل الصالح مرضي، قد يقول قائل: إن العمل قد يكون صالحاً بظاهره ولكنه غير مرضيٍ في مآله أو فيما صحبه.قد يعمل الإنسان مخلصاً لله متّبعاً لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن يحصل منه إعجابٌ في عمله، هذا الإعجاب يمنع من رضا الله له به ((**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ**))[الحجرات:17].

قد يكون عملاً صالحاً في أوله وفي نهايته لا يرضاه الله ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى**))[البقرة:264] فالرجل يتصدق بالصدقة مخلصاً لله تعالى متّبعاً لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها، لكنه يتبعها بمنٍ وأذى، وحينئذ تبطل الصدقة. على هذا التقدير يكون قوله: ((**تَرْضَاهُ**)) صفةً مقيّدةً.

أيُّ الأمرين يحسن بنا أن نسلكه في هذا وغيره، فيما إذا جاءت صفة هل الأولى أن نجعل الصفة مبيّنة يعني مفسّرة فقط أو أن نجعلها مقيّدة؟

الطالب: الأولى أن تكون مفسّرة.

الشيخ: الأولى أن تكون مقيّدة؛ لأن بالتقييد زيادة معنى، والتفسير ما يعدو شيئاً خارجاً عما سبق، فكل صفة تأتي في كلام في هذا وغيره فالأصل أن تكون مقيّدة، ولا يمكن أن نلجأ إلى كونها مفسّرة لمجرد بيان الأمر إلا عند الضرورة، إذا تعذّر أن تكون مقيّدة ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**))[البقرة:21].

((**الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**))[البقرة:21] هذه مبيّنة ومفسّرة وليست مقيّدة؛ لأننا لو جعلناها مقيّدة ((**رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ**)) صار معناه ...

بسم الله الرحمن الرحيم

الطالب: ((**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19)**))

الشيخ: قال الله تعالى: ((**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**))[النمل:17] وقبل أن نتكلم

الطالب: ...

الشيخ: ...تأكيد ((**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ**)) نأخذ الفوائد...:

يستفاد من هذه الآية ((**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**))[النمل:14] يستفاد منها فوائد:

أولاً: أنه على قوة الآيات التي جاء بها موسى لم يستفد منها هؤلاء، يؤخذ من قوله: ((**وَجَحَدُوا بِهَا**)) والآيات إذا قويت ما يبقى مجال للجهل، ولكن والعياذ بالله أعمى الله بصائرهم فجحدوا بها.

ويستفاد من ذلك: أن جحد هؤلاء المكذبين كان عن عنادٍ لا عن شبهة؛ لقوله: ((**وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ**)).

وهل هذا وقع لكفار قريش مع النبي عليه الصلاة والسلام؟

الطالب: وقع منهم ....

الشيخ: نعم وقع لقوله تعالى: ((**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**))[الأنعام:33]ولا شك أن هذا واقعٌ من الرؤساء والزعماء، لكن عامة الناس قد لا يكون لديهم هذا الأمر وإنما هم إمّعة مقلدون، أما الزعماء والكبراء فلا شك في هذا.

وفي هذا دليل على سوء أحوال آل فرعون لقوله: ((**ظُلْمًا وَعُلُوًّا**)) ظلماً لأنفسهم ولموسى، وعلواً: ترفّعاً عن الحق.

وفي هذا دليل على أن الاتصاف بهذين الوصفين يجعل الإنسان من الأمة الفرعونية، وهما: الظلم والعلو.

وما من صفة يخرج بها العبد عن سواء السبيل إلا وله فيها إمامٌ من أهل الكفر، ولهذا أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن ناساً يركبوا سنن من كان قبلهم.

فالجحد بالحق إن كان فيه إمام مثل فرعون وقومه، الحسد إن كان فيه إمام مثل اليهود، الرياء للإنسان فيه إمام كالمنافقين.. وهكذا، بل إنه منهم المنافقين.فما من خصلة يخرج بها العبد عن سواء السبيل إلا وله فيها إمامٌ من أهل الكفر.

وفي هذا دليلٌ على ذم الترفّع عن الحق؛ لقوله: ((**وَعُلُوًّا**)) ولا فرق بين أن يكون ذلك عن حسن نيّة أو لا، فالطريقة هذه مذمومة ولو عن حُسن نية، وقولنا: ولو عن حسن نية ليدخل في ذلك بعض المقلّدين الذين إذا عُرض عليهم الدليل من الكتاب والسنة قالوا: نحن نتبع فلان لأنه أعلم منكم، هذا عن حُسن نيّة فيما يبدو.

وجه حسن النيّة؛ لأنهم يرون أن هذا الإمام الذي اتّبعوه أعلم منك ويقولون: نحن جهّال ولا نعرف، وليس لنا إلا أن نقلّد والرجل هذا أعلم منك.

الطالب: ...لا عن تعصب ...فهذا لما عرض عليه امر الرسول يقبل

الشيخ: ويستفاد من هذه الآية: أنه إذا كان هذا الوصف مذموماً وفرعونياً فإن عكسه محمود، ما هو العكس؟

الطالب: التواضع.

الشيخ: التواضع للحق وقبوله، هذا لا شك أنه ممدوح؛ لأن الله تعالى إذا أثنى بالسوء على وصف فإن ضدّه يثنى عليه بالحسن.

وفي الآية أيضاً دليل على أنه ينبغي للإنسان أو يجب أن يتفكّر ويتأمل في عواقب من سبق؛ لقوله: ((**فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**))[النمل:14] وهل الإنسان ينظر في عواقب المفسدين أو في عواقب المفسدين والمصلحين؟

الطالب: الاثنين.

الشيخ: طيب. اذن ما الحكمة من التخصيص هنا ((**فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**))[النمل:14]؟

لأن المقام مقام تحذير، وإذا كان المقام مقام ترغيب فإننا نقول للإنسان: انظر كيف كان عاقبة المصلحين ((**فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ**))[هود:116].

فالمسألة تختلف في مقام الترهيب نحيل الإنسان على عواقب المفسدين، وفي مقام الترغيب نحيله على عواقب المصلحين؛ لأجل أن يحذر من أولئك ويرغب بهؤلاء.

وفيها دليل على فضيلة التأمل والتفكُّر في أخبار من مضى، وأن دراسة علم التاريخ من الأشياء التي جاء بها الشرع، فإننا لا يمكن أن ننظر كيف كان عاقبتهم إلا بدراسة أفكارهم وأفكار رؤيتهم. فعلم التاريخ إذاً من الأمور المقصودة، لكن هل هو من الأمور المقصودة ذاتياً أو عرضياً؟

الطالب: عرضياً.

الشيخ: عرضياً إلا سيرة النبي عليه الصلاة والسلام وخلفائه الراشدين فإنها من الدين؛ لأنها كلها أحكام، بخلاف النظر في التاريخ لأجل الاعتبار فقط، فلكل مقام مقال؛ لأن النظر في التاريخ لالاعتبار فقط قد يعتبر الإنسان بغيره فيستغني عنه، لكن النظر في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام فإنها أحكام فقه، هذا مقصودٌ لذاته ما يستغني الإنسان بغيرها عنها ((**فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**))[النمل:14].

الطالب: .....؟

الشيخ: إذا كان الإنسان يتفكّر في عمرانهم وقوتهم، ومع ذلك أهلكهم الله فهذا لا بأس به، وأما إذا كان يريد أن يتفكر بقوتهم من أجل .... عليهم، فهذا ما يجوز، ولهذا ما أمرنا الله سبحانه وتعالى أن ننظر إلى قوتهم إلا بعد أن أمرنا أن ننظر إلى عاقبتهم.

وعلى هذا فالذين يذهبون إلى ديار ثمود للتفرج والتنزّه هؤلاء عصاة، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: (**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين**).فلا يجوز أن الإنسان يذهب في رحلة مثلاً إلى ذلك المكان إلا إذا كان يدخل وهو باكٍ (**فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم**).

الحمد لله الإنسان في غنى عن هذا ما هو بلازم يذهب، لكن مع الأسف الآن أنها صارت آثار يقتدي منها بيان قوة هؤلاء وإبداعهم وإحكامهم لأمورهم، ولا يلتفتون إلى ما أنزل الله بهم من العقوبة والعياذ بالله.

الطالب: الرسول عليه الصلاة والسلام أمر بالهجران ... فكيف الناس ....

الشيخ: هذه هي.

قال تعالى: ((**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ**))[النمل:15].

يستفاد من هذه الآية: بيان ما منَّ الله سبحانه وتعالى به على داود وسليمان لقوله: ((**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا**))[النمل:15].

وفيها دليل أيضاً على ثناء الله تعالى على نفسه؛ لأن كونه يتمدّح سبحانه وتعالى بإيتاء داود وسليمان علماً هذا من الثناء، وهل هذا محمودٌ بالنسبة للخلق أن يتمدّح الإنسان بفضله وإلا لا؟

ليس هذا من المحمود إلا إذا كان في ذلك مصلحةٌ للغير ما هو لك أنت، أما الله تعالى فيتمدّح بنفسه للثناء على نفسه، لكن أنت ما تفعل هذا، أما إذا كان فيه مصلحة للغير كإنسان مثلاً يذكر عن نفسه شيئاً لأجل أن يقتدى به في الخير فهذا لا بأس به، أو لأجل أن ينتفع الناس بما عنده، فهذا أيضاً لا بأس به.

حتى ابن مسعود رضي الله عنه قال: " **لو أعلم أن أحداً تدعوه الإبل أعلم مني بكتاب الله لأتيته** ".

والعلماء ما زالوا يمدحون كتبهم، ابن مالك يقول:

تُقــرب الأقصــى بلفــظ مــوجز	**وتبســط البــذل بوعــد منجــز**
وتقتضــي رضــا بغيــر ســخط	**فائقــةً ألفيــةَ ابــن معــط**

الطالب: يوم قال فائقة .....؟

الشيخ: المهم على كل حال أن مثل هذا ليس بمصلحة الإنسان، هذا لمصلحة غيره؛ لأجل أن ينتفعوا من هذا المؤلف مثلاً.

الطالب: .....؟

الشيخ: على كل حال نحن نتكلم على الذي ما فيه ..... مع أن هذا في الحقيقة الإنسان قد يجتهد مهما كانت قد يجتهد، لكن .... يعني إذا أصلح ما بينه وبين ربه ما يهمه الناس.

المهم في هذه الآية دليل على تمدّح الله سبحانه وتعالى بما تفضّل به على عباده؛ بقوله: ((**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا**))[النمل:15].

الثالث: ذكرنا فضيلة داود وسليمان ؟

الطالب: لا

الشيخ: فضيلة داود وسليمان،... فضيلة داود وسليمان وأنهما أهلٌ لهذه النعمة؛ لأن الله تبارك وتعالى يقول: ((**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**))[الأنعام:124] فما من فضلٍ يعطيه الله العبد إلا وهو في مكانه؛ لأن الله حكيم.

الطالب: .....

الشيخ: نعم. وفيه دليل على فضيلة العلم؛ لقوله: ((**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا**))[النمل:15].

وهذا لا شك في فضل العلم، قال الله تعالى: ((**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**))[الزمر:9]

لكن يبقى النظر ما هو العلم الممدوح؟ هذا هو الذي الآن الناس فيه في جدل، ما هو العلم الممدوح؟

المراد بذلك علم الشريعة، هذا هو العلم الممدوح، أما ما سوى علم الشريعة فإنه لا يُمدح إلا حيث يوصل إلى محمود، الذي غيره من الشريعة ما يُمدح إلا حيث يوصل إلى أمرٍ محمود.

عكس ما كان عليه الناس اليوم، كثير من الناس الجُهّال يمدحون العلم بغير الشريعة، بعض الناس والعياذ بالله يرى أن علم الشريعة تأخّر، وأن علم الطبيعة تقدّم، ولهذا يمتدح هؤلاء العلماء والصنائع، وطبقات الأرض.. وغير ذلك، وتجده مثلاً يتمدح: هذا أصل العلم، أو هذا هو العلم .. وما أشبه ذلك. أو إذا رأى من الصنائع الغريبة قال: نعم العلم.. العلم، يعني: ما في شك أن الآن هذا يفضّل هذا العصر على عصر الصحابة، هذا ليس هو المقصود.

كل ما أثنى الله على العلم فليس هذا هو المقصود، بل المقصود به علم الشريعة؛ لأن علم الشريعة هو الذي ينفع الخلق، حتى علم الشريعة هو الذي يدلهم على هذه العلوم الذي يتمدّحون به، لأن الله يأمر بأن نسعى في الأرض ((**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ**))[الملك:15]، ((**أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**))[الأعراف:185] وما أشبه ذلك.

فالحاصل: أن العلم الذي منّ الله به على داود وسليمان وأثنى عليهما به هو علم الشريعة، وهكذا جميع ما في النصوص من مدح العلم فهو علم الشريعة؛ لأنه هو الذي يُحمد لذاته، وما عداه فمتى يُحمد؟

الطالب: ...

الشيخ: إذا كان موصلاً إلى أمر محمود، وإلا فإنه إن أوصل إلى أمرٍ مذموم كان مذموماً، وإن أوصل إلى أمرٍ لا يُحمد ولا يُذم فهو لا يُحمد ولا يُذم...

الطالب: يأتون بشبهة .... مثلاً، الشبهة هذه تنطلى على بعض.... يقول: يزيد في العمر أن الذي... لو ربما يعني ما وافق لا علم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا علم الصحابة، ومع هذا .... وصلنا إلى أعماق البحار.... عنهم كثير هؤلاء ...

الشيخ: هذا من الجهل، ولهذا علمهم هذا الآن ما هو محمود إلا إذا أوصل إلى أمرٍ محمود، وإلا ما هو محمود، فالذين وصلوا إلى أعماق البحار وإلى آفاق الفضاء، هؤلاء هم الذين صنعوا ما يدمر الخلق من القنابل والأسلحة. هل هذا محمود؟

الطالب: لا.

الشيخ: ثم نقول: هذه العلوم هل تنافي العلم الشرعي؟ نحن نتمنى أن المسلمين أيضاً يصلون إلى هذه الأمور لينفعون أنفسهم وينفعوا الخلق.

الطالب: يا شيخ!....من مدح للعلم ... العلم الشرعي؟

الشيخ: هذا العلم الشرعي.

الطالب: قولك .... مع قولك: .....

الشيخ: ما فيها شيء، ما بينهم تعارض.

الطالب:..... مجرد رحمة.

الشيخ: لكن هذه الرحمة في محلها.

وفيه دليلٌ على فضيلة داود وسليمان أيضاً من جهة اعترافهما بنعمة الله وشكرهما لها؛ لقوله ...

الطالب: ....

الشيخ: لا. ذكرناها من وجه، وهذا من وجهٍ آخر وهو قيامهما بشكر نعمة الله ((**وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا**))[النمل:15] لم يقولا: إننا أوتينا هذا على علمٍ منا، أو لأننا أذكياء.. أو ما أشبه ذلك.

قالا: ((**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ**))[النمل:15].

وفي هذا دليل أيضاً على أن الشكر يكون بالقول كما هو أيضاً بالفعل، ويكون أيضاً بالعقيدة -بالاعتقاد- فالشكر له ثلاث محلات: القلب، واللسان، والجوارح.

قال الشاعر:

أفـــادتكم النعمـــاء منـــي ثلاثـــة		**يدي ولساني والضمير المحجب**

الدليل على هذا أن الشكر يكون في ثلاث مواضع هنا في اللسان، يقال للنبي عليه الصلاة والسلام وقد قيل له: كيف تفعل هذا؟ وكان يقوم حتى تتورم قدماه، وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر، فقال: (**أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً**) فجعل الفعل شكراً لله سبحانه وتعالى، وقال تعالى: ((**اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا**))[سبأ:13].

وأما الاعتراف بالنعم بالقلب فهو من الشكر؛ ايش الدليل ؟لقوله تعالى: ((**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ** ...))[النحل:53].

هذا الخبر يريد الله منا أن نعتقده، ولهذا ذم الله تبارك وتعالى الذين نسبوا نعمته إلى أنفسهم وإلا لا ؟ ايش قال عن قارون ؟، وقال عن قارون:((**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي**))[القصص:78].

فقال الله تعالى: ((**أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا**))[القصص:78].

وهذه المسألة كل المواضع الثلاثة للشكر قل من يقوم بها، فبعض الناس مثلاً يعتمد على السبب في جلب النعمة إليه وينسب المسبب فهمتم؟

يعني عندما يعطيه الإنسان شيء حاجة من الحاجات تجد أنه يقوم في قلبه من شكر هذا المعطي أكثر مما يقوم بشكر الله، تجده يثني أيضاً على هذا أكثر مما يثني على الله، تجده يقوم بخدمة هذا أكثر مما يقوم بخدمة الله.

مع أن هذا الذي وصلت النعمة على يده ما هو إلا طريق ليوصلها إليك فقط، وإلا فالذي جعل في قلبه أن يوصل هذه النعمة إليك من هو الله سبحانه وتعالى، وهو الذي يسّر هذا.

فالحاصل: أن الناس الآن أكثرهم أو غالبهم يحلون في مقام الشكر إما بالقلب أو باللسان أو بالجوارح.

وفي هذا دليل على أن الإنسان يُشرع له إذا منّ الله عليه بنعمة أن يحمده عليها، وقد وردت النصوص بمثل ذلك.

فعندما تنتهي من الأكل والشرب تقول: الحمد لله، عندما تستيقظ تحمد الله، عندما تلبس ثوباً تحمد الله.. وهكذا.وهذا من الأمور المشروعة حمد الله سبحانه وتعالى على النعم.

وفي الآية دليل على تواضع داود وسليمان ومعرفتهما للحقيقة لقوله: ((**فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ**))[النمل:15] ما ذكر التفضيل المطلق على جميع المؤمنين ((**عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ**))[النمل:15].هل يستفاد من ذلك وصف الأنبياء بالإيمان؟

الطالب: ....

الشيخ: لا يعني: هل يشعر قوله: ((**عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ**))[النمل:15] أنهما من المؤمنين؟

الطالب: نعم.

الشيخ: الظاهر أنه يُشعر بهذا، يعني: أننا شاركناهم في وصف الإيمان وفضّلنا الله على كثيرٍ منهم.

وفي الآية دليل أيضاً على أن الإنسان إذا رأى أنه أفضل من غيره بنعمة الله عليه فإن هذا لا ينافي التواضع، يعني: عندما تشعر أن الله أنعم عليك بالمال، فضّلك على هذا، هل معنى ذلك أنك ترفّعت وتكبّرت؟ لا، بل إنك لا يمكن أن تدرك نعمة الله عليك حتى تعرف ضدها في غيره، ما يمكن تعرف هذا إلا إذا عرفت ضده.

إذا رأيت مثلاً إنسان مبتلى في بدنه والله تعالى قد عافاك. عرفت فضل نعمة الله، فقل: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه به وفضّلني عليه.

عندما ترى جاهلاً وأنت منّ الله عليك بالعلم، كذلك أيضاً ترى فضل نعمة الله عليك بهذا، ولا يُعد هذا من باب الترفُّع والاستهانة بالغير، ولهذا قال: ((**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ**))[النمل:15] وهذه قد يتراءى للإنسان أنه إذا رأى فضله على غيره بما أنعم الله عليه قد يتراءى له أن ذلك أمر مذموم، وأنه يتضمن الترفُّع والاستهانة بالغير وليس الأمر كذلك.

الطالب: .....

الشيخ: نعم. وفيها أيضاً هذه الفائدة وأن التحدث بها من الشكر.

يستفاد منها هذه الفائدة التي ذكرها يوسف: مشروعية التحدث بنعمة الله، لكن لا على سبيل الافتخار والعلو على الغير، ولهذا جاء في الحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال: (**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**).

فالإنسان إذا تحدث بنعمة الله غير مفتخرٍ بها فإنه لا بأس بذلك، بل قد يكون هذا مشروعاً لأنه ثناءٌ على الله سبحانه وتعالى بما أنعم به عليه.

الطالب: .....

الشيخ: كيف ذلك

الطالب: .....

الشيخ: فيه إشكال؛ لأننا الآن ما عندنا علم أن الأنبياء علموا بأن محمداً سيُبعث، في القرآن ((**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ**))[آل عمران:81] كلمة رسول نكرة أو معرفة؟

الطالب: نكرة.

الشيخ: نكرة، ما تدل على أن الله عيّن محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهؤلاء، وإن كان ابن عباس رضي الله عنه قال: " **إن الله أخذ على النبيين الميثاق لئن بُعث محمد** ". فهذا تفسيرٌ منه، أما الآية لا ما تدل على هذا.

الطالب: ....

الشيخ: نعم ما يخالف ..... يدل عليه. يقين أن داود اطّلع على التوراة لأنه بعد موسى، هذه ....

الطالب: ....

الشيخ: إثبات علم الله لأنه أعطى علماً وفاقد الشيء لا يُعطيه.

الطالب: ...

الشيخ: هذه شهادة من عبد العزيز لأنها قويةٌ جداً. إذاً .... إثبات علم الله، وجهه: أن الله سبحانه وتعالى أعطى هؤلاء علماً ولا يعطي العلم إلا من كان عالماً؛ لأنه يعلمهم بما يعلم هو.

الطالب: ..... ؟

الشيخ: لا. لا هذه ولا هذه حسب نية الإنسان، حتى الأولى شعوره بعلوه بما فضّله الله به على غيره قد يكون علوّاً، وهذه مثلها أيضاً قد يكون ازدراءً، وقد يكون الإنسان ينظر إلى نعمة الله تعالى على غيره على وجه الحكمة، يقول: إن الله حكيم، ولو لا أن هذا أهل ما أعطاه ثم يسعى في تكميل الفضائل.....، المهم هذه المسألة ترجع عليه .... في هذا وهذا.

الطالب: يا شيخ! ...؟

الشيخ: ما أدري والله، ما أعرف.

الطالب: لكن يقال أن .... لا يعارض .... لأني أعلم أني ... داود وسليمان، ومع ذلك.....

الشيخ: بأي شيء تزن؟

الطالب: أزنه بهذا .... منطق الطير.

الشيخ: على كل حال هذه الفائدة حاصلة، صحيح أنه ما يلزم من فضل الإنسان في صفة أن يفضل غيره فضلاً مطلقا، لكن الأصل أن هذه، هل يمكن تؤخذ من هذه الآية، أن من فضل غيره بصفة لا يلزم أن يكون أفضل منه فضلاً مطلقاً.

الطالب: اللي بعده.

الشيخ: اللي بعده ما وصلناها.

الطالب: بيان حكمة داود وسليمان اللي ..... بعلتين.

الشيخ: هنا إذا لم يذكر ذلك على أي شيء يحمد الله، هما يريدان أن يحمداه على هذا الأمر.

اللي بعده ((**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ**))[النمل:16].

في هذا دليل على أن سليمان متأخر عن داود؛ لقوله: ((**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ**))[النمل:16] والإرث كما قلنا: أن يخلف الإنسان غيره في شيءٍ ما علماً كان أو مالاً.

وفيه دليل على مشروعية تحدث الإنسان بنعمة الله؛ لقوله: ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ**))[النمل:16].

وفيه أيضاً على أن هذا التحدث لا بأس أن يكون علنا قصدي شاملاً؛ لأن قوله: ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**)) نداءٌ للبعيد، فكأنه أي: سليمان أعلن ذلك في جميع الناس.

وفي هذا دليلٌ على أن الطير تنطق لقوله: ((**مَنطِقَ الطَّيْرِ**))[النمل:16].

وفيه أن نطقها مفهومٌ ومعلوم، ولكن فيما بينها معلوم ولغيرها مجهول إلا لمن علّمه الله، فلهذا قال الله تعالى: ((**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**))[الإسراء:44].

وفي هذه الآية دليل على أن الله سبحانه وتعالى أعطى سليمان من كل شيءٍ يتم به الملك؛ لقوله: ((**وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**))[النمل:16] وهو نظير قوله تعالى عن ملكة سبأ: ((**وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**))[النمل:23] أي: مما يتم به الملك. هذا إذا قيّدنا أن كل شيءٍ يتم به الملك، فمن لبيان الجنس، وإذا قلنا: إن ((**مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**)) عامٌ لكل شيء فإن مِنْ تكون للتبعيض؛ لأنهم ما أعطوا كل شيء، بل بعض كل شيء.

وفيه دليل على أن ما يعطيه الله تعالى العبد من العلوم والفهم فهو من فضله؛ لقوله: ((**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ**))[النمل:16] وقد قال الله تعالى: ((**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**))[يونس:58].

هل يستفاد من ذلك: أن من علم لغة غيره فله ميزةٌ على غيره؟

الطالب: نعم...

الشيخ: ميزة على غيره؛ لأنه تمدّح بقوله: ((**عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ**))[النمل:16].

إذاً تعلُّم اللغة غير العربية هي في الحقيقة من نعمة الله على العبد، لكن يستعملها في أي شيء؟

إن استعملها مكان اللغة العربية فإنه مخطئ، وكان عمر يضرب على ذلك، وإن استعملها لمصلحة دينية فهذا له أجر في ذلك، فإذا استعملها في الدعوة إلى الله وتفهيم الخلق الذين لا يفهمون اللغة العربية بهذه الوسيلة فهي وسيلة.

المهم أنه لا شك أن الإنسان يتعلم لغة غيره فله ميزة على غيره في هذا، لكن كونه محمود أو غير محمود يرجع إلى ما يتوصل به

إلى هذه اللغة.

الطالب: ....؟

الشيخ: كيف؟ هذه صحيح لكن كونه يتمدّح بأنه عُلِّم هذا المنطق، هل هو لأجل كونه آية أو لأنه أمر يخفى على غيره؟ الصحيح أنه آية ويخفى على غيره.

على كل حال المسألة هذه ليست ... في مسألة .... هذه الآية، أن الإنسان يُمدح إذا علم لغة غيره، لكن لا شك أنه علم، وأنه إذا توصل به إلى أمرٍ مقصود فهو محمود، وإن توصّل به إلى أمرٍ مذموم فهو مذموم.

فمثلاً إذا كان الإنسان متعلم لغة غير العربية يريد أن يحلها محل العربية، ويبدأ يخاطب غيره بهذه اللغة فلا شك أنه مذموم، وينهى عنه لأنه يخالف الشرع من جهة، ويخالف العقل من جهة أخرى.

الأمم الآن تسعى بكل وسيلة للحفاظ على لغاتهم، بل إنها تسعى لإحياء لغاتها البائدة مثلما يصنع اليهود الآن، يحاولون بشتى الوسائل أن قومهم يرجعون إلى اللغة العبرية، فكيف أننا نضيع اللغة العربية التي هي لغة العالم شرعاً وإلا قدرا؟

الطلاب: شرعا

الشيخ: ولهذا يجب على جميع العالم أن يتعلم اللغة العربية؛ لأن القرآن باللغة العربية، ولا يمكن فهمه إلا باللغة العربية. ولكن نحن الآن مع الأسف أننا نرى أن غير اللغة العربية هي العالمية، مثلما أننا نرى الآن الشهور غير العربية هي العالمية؛ لأننا في الحقيقة ما عرفنا قدر أنفسنا، وإلا فالمسلمون هم العالم في دينهم وفي كتابهم وفي تاريخهم.

يقول الله سبحانه وتعالى: ((**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ**)) لمن؟

الطالب: للناس.

الشيخ: وإلا للعرب؟ للعرب يضيعونها بعد .... لا مواقيت للناس.

((**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ**)) متى؟ ((**يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**))[التوبة:36] وقد فسّرها الرسول عليه الصلاة والسلام بهذه الأشهر العربية، ولكن لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي.

الطالب: .....؟

الشيخ: نعم يبيّن .... فالحاصل أني أقول: أنه مع الأسف الشديد أن بعض الناس الآن يتعلم لغة هؤلاء ويجعلها هي لغة التخاطب فيما بينهم، وهذا لا شك أنه نقص في الشرع والعقل.

الطالب: معجبون بلا عقل، المعجبون بغيرهم بلا عقل.

الشيخ: صحيح.

الطالب: ....

الشيخ:.. لو حصل هذا كان طيب. يعني لو أن الناس نُقلوا من اللغة العاميّة إلى اللغة العربية هذا طيب، من أحسن ما يكون؛ لأنه دليل على فهم القرآن والسنة.

لكن إذا لم يكن فهذا تغيير لهجة فقط، ولو تأمّلت ما عليه الناس الآن من اللغة العربية يعني: العاميّة، لوجدت أن كل كلماتهم لها أصول في اللغة العربية، لكن اختلاف لهجات. فبودنا الحقيقة أن نرجع إلى اللغة العربية الفصحى، ولكن هذا يتطلب عمل، نريد أن نتخلى عن لغتنا هذه العاميّة .....

لكن يعجبني بواحد من غير العربيين سيرلانكي في أحد المؤسسات عندنا، جاء مرة كلمنا ويتكلم باللغة الفصحى ولا يلحن هذا العجيب.. العجيب أنه ما يلحن، هو سيرلانكي أصله، لكن متعلم اللغة العربية هذا اللغة الفصحى؛ لأن القوانين باللغة الفصحى، لكن يكلمني تماماً باللغة الفصحى ولا لحن. هذا طيب ليته يجي عندنا حتى ...نبدأ الدرس الجديد.

قال الله تعالى: ((**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ**))[النمل:17].

سليمان عليه الصلاة والسلام آتاه الله تبارك وتعالى ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، حتى الرسول عليه الصلاة والسلام لما همّ أن يقبض على الشيطان قال: ذكرت قول أخي سليمان: ((**وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي**))[ص:35]. من جملة ملكه هذا التنظيم العظيم.حُشر: جُمع، ومن الجامع؟

الطالب: الله.

الشيخ: لا. الجامع غير الله، الله على كل شيءٍ قدير، لكن الجامع النقباء والعرفاء الذين جعلهم يجمعون هؤلاء الجنود، فهو قد نظّم ملكه غاية التنظيم، وجعل لكل أناسٍ قادة وعرفاء، فهو يجمعونه.

((**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ**))[النمل:17] الجن والإنس والطير، وغيرهم؟ الجن واضح، والإنس مكلفون، والطير غير مكلفين لكنها تطير. بقينا بالحيوانات الأخرى الماشية والزاحفة هل تدخل في هذا من باب أولى ونقول: إنه إذا حُشرت الطيور التي لا يمكن أن يسيطر عليها فغيرها من باب أولى؟

أو نقول: إن سليمان عليه الصلاة والسلام ما كان يستعمل إلا الطيور فقط؛ لأنه يستخدمها لمصالحه.

الطالب: ((**عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**))[النمل:16] .....

الشيخ: لا. من كل شيء ما هو دليل على عموم هذا. يعني: إن جعلنا مِنْ للتبعيض وليست للعموم، وإن جعلنا من كل شيءٍ يثبت به الملك ويقوى به، ما هو لازم مثل هذا الشيء. فهي محل إشكال عندنا، فالآن نقول: سكت عن بقية الحيوانات، فهل هي داخلة في جنوده أو لا؟

الطالب: ظاهر.... الآية.

الشيخ: قد تقول: إنها داخلة من باب الأولى، وقد تقول: ليست بداخلة. ما وجه قولنا: من باب الأولى أن نقول: إذا كان الطير وهو لا يمكن السيطرة عليه بطيرانه يُحشر ويُجمع، فغيره من باب أولى. وإلا لا؟

وقد تقول: إنه ليس بلازم؛ لأنه يمكن أن سليمان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يستخدم من الحيوانات سوى الطير، وإذا لم يستخدم سواها فلا حاجة له بأن يجمع الباقي.

((**وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**))[النمل:17] فهذ ايضا ..فهم يوزعون يقول المؤلف: يُجمعون ثم يساقون، وهذا أيضاً من التنظيم. ((**فَهُمْ يُوزَعُونَ**)) يعني: يساقون. يعني: منظّمين في جمعهم وسيرهم، يُجمعون أولاً وبعد أن يُجمعوا يوزعون، فيساقون على وجهٍ منظّم.

وهذا لا شك أنه من التنظيم الذي يحفظ على الناس الوقت والعمل؛ لأن أكثر ما يضيّع الإنسان يضيّع وقته وعمله هو عدم التنظيم.

ولهذا أقول: إنه ينبغي لنا أن يكون عندنا تنظيم لأعمالنا اليومية.. التنظيم لأعمالنا اليومية بقدر المستطاع، ولكن ليس معنى ذلك أن نصر على هذه الأعمال وإن وجد ما هو أفضل لا، إنما فقط أكون إنسان مرتّب منظّم، ما يخلي وقته فوضى حيناً يقرأ في كتاب و.... ويقرأ للحق .... يقرأ الثاني .... لا، أو يعمل هذا العمل يبدأ به ثم يتركه.

لكن ينبغي أن يكون عنده تنظيم، ومن المستحسن أن كلما كان الشيء أهم يبدأ به أولاً، كان بعض الناس يقولون: إنه من جملة تنظيمهم يجعل قراءة الجرائد والصحف إذا تغدى مثلاً، ما يجعل قراءة الكتب الهامة التي تحتاج إلى تعب بعد الغداء؛ لأن قراءة الصحف قراءة سطحية مثل التحدث العادي، ما يجد تعب ولا شيء.

لكن الكتب والتعمُّق يحتاج إلى عمل، وهذا لا يناسب مع وجود الشبع ...

لأن معنى ((**لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ**))[الحديد:29] معناه: لأن يعلم أهل الكتاب، فزيدت اللام توكيداً، فالمؤلف يرى أن هذه الآية مثل الآية التي ذكرها، ذكرها شاهداً لها وهي زيادة اللام، زيادة لا. ويرى آخرون من المفسرين خلاف ما رآه المؤلف، ويقولون: ((**فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ**)) انتهت الجملة، وأن قوله: ((**أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ**))[النمل:25] بمعنى: هلا يسجدوا، وأنها للتحضيض، نعم. ولكن هذا التقدير فيه إشكال أيضاً وهي حذف النون من الأفعال الخمسة بدون ناصب ولا جازم؛ لأن (**ألا**) لا تنصب ولا تجزم، وإذا قلنا: إن يسجدوا أن (**ألا**) للتحضيض وهي لا تنصب ولا تجزم ونظرنا إلى (**يسجدوا**) وجدنا أن فيها حذف النون نصباً أو جزماً، وهنا ليس فيه ناصب ولا جازم، فهو محل إشكال، ولكن الجواب عن هذا قد يكون سهلاً؛ لأن حذف نون الأفعال الخمسة لغير ناصب ولا جازم جائز ووارد في اللغة العربية، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**والله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا**).

(**لا تدخلوا**) لا: نافية ما تنصب ولا تجزم ومع ذلك حذفت النون، ولم يقل: لا تدخلون الجنة، نعم. فالجواب على هذا أن يقال: إن نون الأفعال الخمسة قد تُحذف بدون ناصب ولا جازم لا سيما في مثل هذا التعبير: (**ألا يسجدوا**) الدال على التحضيض، فإنه حذف النون هنا يسهله وجود هذا الحرف السابق للفعل.

وعلى كل حال! إذا كانت على تقدير المؤلف؛ فإن هذه الجملة بالنسبة لما قبلها كالمؤكدة، لما قال: ((**وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ**))[النمل:24] هذا يقتضي أن لا يهتدوا إلى الحق وإلى أن يسجدوا لله سبحانه وتعالى.

وأما على القول الثاني: ((**أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ**))[النمل:25] أن (**ألا**) للتحضيض، بمعنى: هلا، فإنه يدل على أن الهدهد انتقدهم بهذا الفعل، وبين أن الأولى بل الأوجب أن يكون السجود لله سبحانه وتعالى، وتكون الجملة منفصلة عما قبلها.

وقوله: ((**الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ**))[النمل:25] مصدر بمعنى المخبوء من المطر والنبات ((**فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**))[النمل:25] ويعلم ما يخفون في قلوبهم وما يعلنون بألسنتهم.

((**الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ**))[النمل:25] الخبء بمعنى المخبوء كما قال المؤلف، فهو مصدر بمعنى اسم المفعول، والمصدر بمعنى اسم المفعول وارد في اللغة العربية كثيراً، ومنه قوله تعالى: ((**وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ**))[الطلاق:6] أي: محمول، لأن الحمل فعل المرأة، وأما المحمول فهو الجنين، وكذلك قوله: ((**وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ**

يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ))[الطلاق:4]، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**) أي: مردود.

ومنه أيضاً قول الله تعالى: ((**هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ**))[لقمان:11].

((**هَذَا خَلْقُ اللَّهِ**))[لقمان:11] أي: مخلوقه وليس فعله، نعم. فالخبء هنا بالمعنى المفعول، قال: من المطر هذا باعتبار المخبوء في السماء، والنبات؟

الطالب: .....

الشيخ: هذا المخبوء في الأرض، فالله تبارك وتعالى هو الذي يخرج ما في هذا وما في هذا، في السماوات والأرض ويعلم ما يخفون في قلوبهم وما يعلنون بألسنتهم، لم يشر للمؤلف إلى القراءة الثانية وهي سبعية في قوله: يخفون ويعلنون، فإن الذي في المصحف قراءة عاصم ما هي؟

الطالب: ...

الشيخ: ((**وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ**))[النمل:25] يخاطب بذلك سليمان.

وقوله: (**ما تخفون في قلوبكم وما تعلنونه بألسنتكم**) فيه نظر تقييده بالألسنة، لو قال: بألسنتكم وجوارحكم؛ لأن ما يُفعل بالجوارح معلن، كما أن ما ينطق به في اللسان مُعلن أيضاً.

((**وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ**))[النمل:25] وهذان الوصفان إخراج الخبء والعلم بما يخفي العبد وما يعلنه لا يكون لأحد من المخلوقين لا للشمس ولا لغير الشمس، وإنما ذلك خاص بالله تبارك وتعالى، ولهذا جعله الهدهد جعله من الأسباب التي تستلزم أن تكون العبادة لله وحده؛ لأنه العالم بها، ولا يمكن يؤتى بوصف يستلزم العبادة إلا إذا كان خاصاً بالله، لأنه يؤتى بهذا الوصف استدلالاً على بطلان عبادة ما سواه، ولو كان من ما يمكن أن يكون لله لم يكن ذلك دليلاً على اتصاف الله تعالى بالعبودية، إذ قد يقول العابد للشيء: وهذا وصف أيضاً موجود في معبودي فأنا أعبده.

فالمهم أنه لا يمكن أن تُقام الحجة إلا بدليل خاص في المحتج له، يعني بمعنى: أنه ما يمكن أن تقوم الحجة بأن العبادة لله وحده إلا بوصف إيش؟

الطالب: خاص.

الشيخ: خاص بالله، لأنك لو احتججت بوصف يكون لله ولغيره لكان العابد لغير الله يقول: وهذا وصف أيضاً

ممكن لمعبودي، ممكن في معبودي فلا يدل على أنه مما يختص به الله سبحانه وتعالى.

قال: ((**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**))[النمل:26] استئناف جملة ثناءً مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس، وبينهما بون عظيم.

يقول هذا الهدهد: ((**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**))[النمل:26] وهذه كلمة التوحيد، والمؤلف يقول: إنها جملة استئنافية للثناء على الله تبارك وتعالى بما لا يكون لغيرهم، فالأول يخرج الخبء في السماوات ويعلم؛ هذا يتعلق بتوحيد الربوبية، والثاني: ((**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**))[النمل:26] بتوحيد الألوهية، أي: لا معبود سواه، لكن لا معبود بحق، إذ هناك معبودات سوى الله سبحانه وتعالى بغير حق، فإذاً: أثنى على الله سبحانه وتعالى بصفة الربوبية وبصفة الألوهية، وربما نقول أيضاً: وبصفة الأسماء والصفات. نعم. لأن توحيد الربوبية مستلزم للأسماء والصفات، إذ أن التصرف في الخلق والتدبير -نعم- والعلم كل هذا من الصفات.

قال: ((**رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**))[النمل:26] رب بمعنى: صاحب، العرش العظيم؛ أي: صاحبه، كما تقول: رب الدابة أي: صاحب الدابة.

وقوله: ((**الْعَرْشِ**))[النمل:26] هذه (**أل**) للعهد الذهني، أي: العرش المعهود في أذهان الخلق العظيم، بخلاف عرش بلقيس، ولهذا قال: ((**وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**))[النمل:23] وهنا قال: ((**الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**))[النمل:26] بأل، والتعبير ظاهر جداً في الفرق بينهما، لأن عرش نكرة، والعرش معرفة، فدل ذلك على أن هذا العرش عرش عظيم معلوم مفهوم في الأذهان، بخلاف الأول.

ويقول المؤلف: [**إنه قاله في مقابلة عرش بلقيس**] نعم. هذا صحيح. يعني واضح أنه قال لأجل أن يبين أن صاحب العرش العظيم هو المستحق لأن يكون مالكاً، وأما هذه الملكة فإنها لها عرشاً وليس لها العرش، فقال: ((**قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ**))[النمل:27] يقوله سليمان، والسين -كما مر علينا- تدل على؟

الطالب: ....

الشيخ: لا.

الطالب: ....

الشيخ: تدل على التحقيق مع التراخي، لكنها لا تدخل على التحقيق. ((**سَنَنظُرُ**))[النمل:27] أي معناه: أن نظرنا هذا محقق، لكنه سيكون له مقدمات، فهي تدل على التأكيد.

((**قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ**))[النمل:27] ولم يقبل كلامه من أول الأمر، لماذا؟ خشي أن يكون أتى بذلك..

الطالب: دفاعاً.

الشيخ: دفاعاً عن نفسه، ونظير هذا ما سلكه عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أبي موسى الأشعري حين استأذن ثلاثاً وانصرف، ثم حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بذلك، فطلب منهم أن يشهدوا له.

فهنا يعني التُهم أو عدم الثقة بالقول لها أسباب، من جملتها: أن يكون المخبر على هذا الوصف يتضمن إخباره دفاعاً عن نفسه، فهنا مهما كان من الثقة تجد أنك تتردد في قبول هذا الخبر،

نعم. صالح. سؤالك.

الطالب: سؤالي يا شيخ هو قوله: ((**وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ**))[النمل:24] مع قوله: ((**أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ**))[النمل:25] ما يقتضي أن ... كونهم لا يسجدون لله؟ ...

الشيخ: لا، لأن معنى قوله: ((**أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ**))[النمل:25] يجب أن يفرد الله تعالى بالسجود ..... فيكون .مناط الذم كونهم يخصصون الشمس بالسجود، وكذلك أيضاً لو أشركوا بها مع الله، ... لهذا ولهذا، لأنه ما يمكن يزول الذنب إلا إذا خُصص السجود لله وحده.

الطالب: يا شيخ.

الشيخ: نعم.

الطالب: قراءة: ألا يسجدوا لله ....

الشيخ: قراءة قد تكون ألا أيضاً افتتاحية، لأن (**يا**) حرف نداء، والمنادى محذوف. يعني: ألا يا قوم اسجدوا لله، أو تكون ياء للتنبيه، فنظيرها قوله تعالى: ((**يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ**))[يس:26]، ((**يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ**))[النساء:73] فإن ياء هذه إما أن تكون للتنبيه؛ لأنها لا تدخل على الأفعال ولا على الحروف، وإما أن تكون للنداء والمنادى محذوف.

الطالب: سبعية

الشيخ: ما أدري عنه وإلا من الشواذ قال: ((**وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**))[النمل:23] * ((**وَجَدْتُهَا**))[النمل:24] نعم بعد..

((**قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ**))[النمل:27] فيما أخبرتنا به، ((**أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**))[النمل:27] أي: من هذا

النوع، فهو أبلغ من أن كذبت فيه.

((**أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِين**))[النمل:27] صريح الأول أنه فعل، وهنا قال: ((**أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**))[النمل:27] أي: من هذا النوع، فهو أبلغ من أن كذبت؛ لأنه يدل على الوصف الدائم: من الكاذبين، فهو أبلغ من قوله: أم كذبت، لأن (**أم كذبت**) فعل، والفعل قد يكون مرة، لكن ((**أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**))[النمل:27] هذا وصف يدل على استمرار الكذب فيه، هذا ما قرره المؤلف، وعندي أن فيه لباقة في تعبير سليمان للهدهد؛ لأن مصارحته ومقابلته بقوله: أم كذبت؛ أشد وقعاً من قوله: أم كنت من الكاذبين. أشد، يعني معناه: أم كنت من الكاذبين أهون مما لو قال: أم كذبت. فهي في الحقيقة من جهة أشد في النظر إلى أن قوله: ((**أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**))[النمل:27] وصف لازم، ومن جهة المخاطبة أهون من قوله: أم كذبت. فهذا وجه الاختلاف بين قوله: أصدقت، أم كنت من الكاذبين. يقول: "ثم **دلهم على الماء فاستُخرج وارتووا وتوضأوا وصلوا، ثم كتب سليمان كتاباً صورته: من عبد الله سليما بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ، بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين. ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه، ثم قال للهدهد:** ((**اذْهَب بِكِتَابِي هَذَا**)) "[النمل:28] كل هذه من السواليف التي لا دليل عليها في القرآن، كونه دلهم على الماء فاستخرجوه وارتووا وتوضأوا وصلوا أيضاً ما في .....

الطالب: ...

الشيخ: هاه؟

الطالب: عود على ...

الشيخ: وين؟

الطالب: لأن قرر في أول الأمر أنهم طلبوا.....

الشيخ: إيه. تفقده لذلك، لا، بل لأنه يعلم محل الماء، ولكننا نقول: هذا لا دليل عليه، ولا يجوز لنا أن نعتقده ولا أن نكذبه، هذا إذا صح عن بني إسرائيل.. أيضاً لأن فيه آفة، ... طريق بيننا وبين بني إسرائيل، من رواه عن بني إسرائيل؟ فإذا صح عن بني إسرائيل وأنه من ما حدثوا به هذه الأمة نقول فيه: إنه لا يُصدق ولا يُكذب؛ لأن ما فيه شيء.. ليس فيه شيء يعارض كتابنا، ولا في كتابنا ما يؤيده، وإلا لو كان في كتابنا ما يؤيده قبلناه، ولو كان في كتابنا ما يعارضه رددناه.

الطالب: يا شيخ.

الشيخ: نعم.

الطالب: قوله: ((**أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**))[النمل:27] هل يحق لسليمان أن يوصفه بوصف مطلق؟

الشيخ: نعم.

الطالب: هل يحق لسليمان أن يصفه .... بمجرد الفعل هذا وصف مطلق؟

الشيخ: لا لا، هو.... الكاذبين الذين من دأبهم الكذب.

الطالب: نعم.

الشيخ: ما وصفه، فكون هذا من الكاذبين إما أنه من دأبه الكذب، أو في جملتهم وقد يكذب مرة واحدة، وهو أيضاً ما وصفه، هو ما وصفه، لأن قوله: ((**أَصَدَقْتَ**))[النمل:27] مقابل لقوله: ((**أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**))[النمل:27] فلا يُعلم هل يكون متصفاً بقوله: أصدقت، أو بقوله: أم كنت من الكاذبين، ما وصفه، متردد ينظر.

الطالب: لا، لو ثبت.

الشيخ: نعم.

الطالب: لو ثبت، هل يحق أن يوصف؟

الشيخ: لا لا، ما يحق أن يوصف بأنه من الكاذبين المتصفين بها دائماً.

الطالب: إي نعم.

الشيخ: ولكنه كما قلنا هذا من باب التلطف في الخطاب.

الطالب: إذاً يكون هذا أرجح.

الشيخ: هو أرجح، وكل واحد له وجه، يعني أصلاً ما بينهم تعارض حتى نقول بالترجيح، ما بينهم تعارض، فكونه من الكاذبين هذا أشد إذا كان وصفه الكذب، وكونه لما يخاطبه قال: أم كذبت، نعم. يكون أهون، مثل قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام للضيوف: ((**سَلامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ**))[الذاريات:25] ما قال: أنكركم، لا أعرفكم، بل قال: ((**سَلامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ**))[الذاريات:25] فهذا من باب التلطف في التعبير.

قال: ثم قال للهدهد: ((**اذْهَب بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِه إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**))[النمل:28] إذا

قال قائل: قوله: ((**اذْهَب بِكِتَابِي هَذَا**))[النمل:28] يقتضي أنه صدقه، فهل هذا صحيح؟ أو هذا اختبار له؟ لأن قوله: ((**اذْهَب بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِه إِلَيْهِمْ**))[النمل:28] ويش يدل عليه؟ على أنه صدقه في ذلك ولهذا كتب لهم، أو يقال: هذا من جملة الاختبار؟ يعني أنه إذا كان كاذباً فسيقول: ما في أحد، ما وجدت أحداً مثلاً، فيكون هذا من جملة وسيلة الاختبار العائدة على قوله: ((**سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ**))[النمل:27]، نعم.

وقد يقال: إن قوله: ((**سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ**))[النمل:27] أن في الآية تقديراً، فنظر وتحقق صدقه فأعطاه الكتاب، نعم. هو الآن.. نحن الله أعلم بما جرى، فإما أن يكون هذا الكتاب من جملة اختباره، مثلما لو أخبرك إنسان بخبر تقول مثلاً: روح جب لي منه ذكراً، لو قال مثلاً: تباع السلعة الفلانية الآن في السوق، قلت: يا الله! خذ روح جب لي مثلاً منها شيئاً، ويش .....

الطالب: أتحقق.

الشيخ: أختبر هل هو صحيح وإلا لا، وإن كان ظاهر فعلي لما أعطيته الفلوس ليشتري ظاهر فعلي أنني؟

الطالب: صدقته.

الشيخ: صدقته، لكن قد يكون هذا من وسائل الاختبار.

فالحاصل: إذا كان سليمان عليه الصلاة والسلام تحقق هذا الأمر ثم أرسل بالكتاب فالأمر ظاهر، ولكن ليس في القرآن ما يدل على ذلك، فنقول: إن إعطاءه الكتاب من جملة الوسائل التي تبين صدقه.

وقوله: ((**اذْهَب بِكِتَابِي هَذَا**))[النمل:28] أشار إليه للتعيين؛ لأن سليمان يكتب لهم ولغيرهم، ولكنه عين الكتاب الذي كتبه لهم. ((**فَأَلْقِه إِلَيْهِمْ**))[النمل:28] أي: بلقيس وقومها.

((**ثُمَّ تَوَلَّ**))[النمل:28] انصرف عنهم وقف قريباً؛ ((**فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**))[النمل:28] يردون من الجواب، فأخذه وأتاها وحولها جندها وألقاه في حجرها، فلما رأته ارتعدت وخضعت خوفاً، ثم وقفت على ما فيه، ثم قالت لأشراف قومها: يا أيها الملأ. ذهب به الهدهد فألقاه إليهم، أي: طرحه بين أيديهم، وتولى عنهم كما أرشده سليمان، ولكن هذا التولي ليس بعيداً بدليل قوله: ((**فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**))[النمل:28] فإن قوله: ((**فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**))[النمل:28] يدل على أن هذا التولي يكون قريباً منها. وفيه من الفوائد ما يأتي إن شاء الله. ثم: ((**فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**))[النمل:28] أخذت الكتاب وقرأته.

ثم قالت لأشراف قومها: ((**يَا أَيُّهَا المَلَأُ**))[النمل:29] والملأ كما بين المؤلف: هم الأشراف، وهنا نادتهم: يا

أيها الملأ، إشارة إلى علو مرتبتهم في دولتها، لأن (**يا أيها**) ما تكون إلا للبعيد، ما قالت: يا ملأ، بل قالت: ((**يَـا أَيُّهَـا المَـلَأُ إِنِّـي**))[النمل:29] بتحقيق الهمزتين الملأ إني، وتسهيل الثانية بقلبها واواً، ((**المَـلَأُ إِنِّـي**))[النمل:29] ، ((**المَلَأُ إِنِّي**))[النمل:29]. نعم. وقلبها واواً مكسورة، لأنه إذا جاءت الهمزة بعد الضم جاز أن تقلب واواً، قاعدة في اللغة العربية. ومنه قول كثير من المؤذنين: الله وكبر، لأنه يجوز: الله أكبر، ويجوز: الله وكبر، فالهمزة إذا وقعت بعد ضم يجوز أن تسهل إلى واو، وعلى حسب الحال: إن كان يقتضي الكسرة كُسرت، أو يقتضي الضم ضُمت، أو الفتح.

قال: "**بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واواً مكسورة،** ((**إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ**))**[النمل:29] مختوم**" يعني: فسر الكريم بالمختوم، يعني: لأن ختمه دليل على أهميته، فالكتب والرسائل المختومة يعتنى بها، وحتى الآن إذا كان الشيء مهماً تجده يُختم بالشمع وما أشبه ذلك لئلا يزور، ولكن تفسير الكريم بالمختوم ما هو صحيح؛ لأن الختم دليل على كرمه، وليس هو معنى كرمه، فالكريم معناه: المتضمن للمعاني العظيمة المؤثرة.

وفي قولها: ((**إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ**))[النمل:29] ما قالت: ألقى الهدهد؛ لأن الظاهر أنه مر هكذا ثم حذفه عليها، ثم حذفه، وليس معناه: أنه جاء ووقف بين يديها وأعطاها الكتاب، وهذا ربما يكون أبلغ في الهيبة أنه يعطيها وهو ماض، بخلاف ما لو وقع بين يديها فإنه لا يكون هيبة، على أنه لو وقع بين يديها فمقتضى كونه هدهداً أن تمسكه، ولكنه ألقاه إلقاءً.

((**إِنَّهُ**))[النمل:30] أي: الكتاب. ((**إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ**))[النمل:30] ولم تنسبه إلى أبيه؛ لأنه كان معروفاً ومعلوماً عندهم أنه عليه الصلاة والسلام رسول أعطاه الله تعالى من الملك ما لم يعطه غيره.

((**إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ**))[النمل:30] أي: مضمونه.

((**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**))[النمل:30] * ((**أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**))[النمل:31] ولا فيه: السلام على من اتبع الهدى ولا أما بعد كما قال المؤلف.

الطالب: ...؟

الشيخ: نعم؟

الطالب: ....؟

الشيخ: يمكن أنه من أخبار بني إسرائيل أو على العادة في الكتب، إنما سليمان أتى بأدنى ما يمكن فهمه والمقصود

منه. ((**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**))[النمل:30] * ((**أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**))[النمل:31] لكن قوله: ((**إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**))[النمل:30] هل إن سليمان قال: من سليمان إلى بلقيس وإلا لا؟

الطالب: ....

الشيخ: لا، ما قال، ما قال ذلك، ولكنه لعلها فهمته إما بتوقيع أو بكتابة على الظرف إن كان هناك ظرف، وإلا صلب الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم: أن لا تعلوا علي وأتوني مسلمين. هذا .... وهذا هو الظاهر؛ لأنه لا يمكن أن يبدأ سليمان عليه الصلاة والسلام بقوله: من سليمان بسم الله الرحمن الرحيم، بل سيبدأ بإيش؟

الطالب: ببسم الله.

الشيخ: بالبسملة قبل، سيبدأ بالبسملة قبل، فلما لم يذكر الله إلا البسملة دل هذا على أنه لم يأت بقوله: ((**إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ**))[النمل:30] ما أتى بها، ولكنه لا بد أن يكون في الكتاب ما يشير إلى ذلك، وإلا لما فهمته.

وقوله: ((**أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**))[النمل:31] المقصود: الخضوع لي، يعني: معناه ذلوا لي؛ لأنهم هم ما كانوا يعلون عليه حتى يقول: ألا تعلوا علي، وإنما أراد أن يأتوا إليه أذلة مسلمين، لله وإلا له؟

الطالب: .....

الشيخ: نعم. المراد: مسلمين لله، وإلا مسلمين له أي مستسلمين؟

الطالب: مسلمين له، فيه احتمال.

الشيخ: فيه احتمال أنهم مسلمون لله، أو مستسلمين لي، نعم. ولكن هل يلزم من إتيانهم مستسلمين له أن يكونوا مسلمين لله؟

الطالب: ما يلزم.

الشيخ: ما يلزم، لكن يلزم من كونهم مسلمين لله أن يستسلموا له، وأن يأتوا مطيعين غير مخالفين، ثم قالت: ((**قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي**))[النمل:32] إلى آخره.

... الله تبارك وتعالى: ((**فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**))[النمل:22]

يستفاد من هذه الآية الكريمة:

أولاً: سرعة رجوع الهدهد إلى سليمان، من ما يدل على أن جنود سليمان يهتمون بشئونهم ولا يتأخرون عن أعمالهم، لقوله: ((**فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ**))[النمل:22].

ويستفاد منها أيضاً: أن سليمان وإن كان قد أعطي ملكاً عظيماً لم يعطه أحد؛ فإنه لا يحيط بكل شيء، فهو على سعة ملكه وقوته لا يحيط بكل شيء فغيره من باب أولى، فيستفاد منه -الفائدة الثالثة- وهي ضعف إدراك المرء -الإنسان- مهما بلغ من الملك ومن القوة، ويدل لهذا قول الله تبارك وتعالى: ((**وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**))[النساء:28] فإن هذا يبين الإنسان ضعف الإنسان. ضعيف وايش هو به؟ في كل شيء، في القوى العقلية والقوى الجسمية وكل ما يمكن أن يوصف بالقوة والضعف فإن حال الإنسان فيه الضعف.

ومن فوائد الآية: أنه يجوز أن يخاطب الرئيس بمثل هذا الخطاب، فيقال مثلاً: علمت ما لم تعلم، أو فعلت ما لم تفعل، ومثله قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه: ((**إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ**))[مريم:43].

ومن فوائدها أيضاً: أنه ينبغي للمتكلم أن يؤكد الخبر للمخاطب عند الحاجة إليه، لقوله: ((**بِنَبَإٍ يَقِينٍ**))[النمل:22].

فإذا قال قائل: ما فائدة تأكيده له وهو مصدر الخبر، لأن التأكيد إنما يفيد إذا جاء من طرف آخر يكون شاهداً للمخبر، فأما نفس المخبر فكيف يقال: إن في تأكيده للخبر فائدة؟

فالجواب: أن المقصود من ذلك: زيادة طمأنينة المخبَر؛ لأنه أيضاً يدل على أن له فائدة: أنك إذا أخبرك المخبِر بخبر قد تقول له: هل أنت متأكد؟ فيقول: نعم أو لا، فإذاً: تأكيد المخبِر لخبره لا يقال إنه لا فائدة منه لأنه هو مصدر الخبر، بل نقول: فيه فائدة وهي رفع توهم المخبِر في خبره، فيرفع هذا التوهم ويطمئن المخاطب، ولهذا ... ((**وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**))[النمل:22].

وفيه أيضاً من فوائد الآية: أن استعمال ضمير الجمع للمخاطب المعظَّم ليس بلازم وليس من شأن أيضاً خطاب الأنبياء والسلف، أنه مثلاً عندما يكون الإنسان معظَّم يقول: أتيتكم، جئتكم، نعم. وما أشبه ذلك كما هو المعتاد الآن عندنا، عندنا إذا كان المخاطب معظَّماً يقال: كما تريدون مثلاً سعادتكم أو سيادتكم أو سماحتكم أو فضيلتكم أو ما أشبه ذلك، نعم. لا، هذا ليس معتاداً فيما سبق، وإنما يخاطب الإنسان بما تقتضيه الحال، حتى إن النبي عليه الصلاة والسلام يرد السلام على المسلِّم بقوله: عليك السلام. إذا سلم عليه أحد يقول: عليك السلام، وإذا كانوا جماعة يقال: عليكم السلام.

الفائدة هذه الأخيرة: أنه من عادة السلف أنهم يخاطبون أو يتكلمون مع المخاطب بما تقتضيه الحال.

((**إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**))[النمل:23] امرأة تملكهم، الضمير جميع، والعائد عليه الضمير جمع وإلا مفرد؟

الطالب: ...

الشيخ: وين؟

الطالب: ...

الشيخ: لا، ((**امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ**))[النمل:23] هم ضمير جميع، والعائد عليه ضمير مفرد وإلا جمع؟

الطالب: جمع.

الشيخ: وين؟

الطالب: ...

الشيخ: إيه. جمع، لكن مرجع الضمير هو مفرد وإلا جمع؟

الطالب: .....

الشيخ: نعم.

الطالب: ...

الشيخ: وين؟

الطالب: ...

الشيخ: إيه، لكن لما كان المراد به القبيلة صح أن يعود الضمير إليه جمعاً، وهذا سبق لنا فيه الشرح، وقلنا فيها: سبإٍ وسبأ باعتبار القبيلة والجد.

قال: فيستفاد من هذه الآية: ((**وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ**))[النمل:23] أن المرأة لا تصلح للملك؛ لأنه ما قال: ملكة، بل قال: تملكهم، نعم. والشارح المفسر تقدم أنه يقول: أي هي ملكة لهم، وأن الغرض من تفسير تملكهم بملكة خوفاً من أن يقال: إنها تملكهم ملك استرقاق لا ملك تصرف، طيب. والمرأة هل يصح أن تكون ملكة؟

الطالب: لا

الشيخ: لا. في شرعنا لا يجوز أن تُولَّى المرأة على الرجال، فلا يمكن أن تكون ملكة، ولا يمكن أن تكون أميراً، ولا

يمكن أن تكون وزيرة، ولا يمكن أن تكون قاضية. نعم. كل هذا لا يجوز؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: {لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة}.

الطالب: يا شيخ.

الشيخ: نعم.

الطالب: تسميتها سيدة أو أميرة ....

الشيخ: هذا اسم فقط، اسم ما هو.. أميرة اسم، يعني: أنها من الأمراء، من عائلة الأمراء فقط.

الطالب: وسيدة؟

الشيخ: وسيدة مثل الآن السيدة .... كل حي يسمونه سيد.

الطالب: .....

الشيخ: كل ..... يسمونها سيدة، وهذه قد نبهنا عليها في ما سبق وقلنا: إن هذه متلقاة من الغرب الذين يقدسون المرأة، وأن هذا ما ينبغي، ولهذا حتى بعض الكتَّاب تجدهم يقولون: السيدة عائشة، السيدة خديجة، هذا ما ينبغي، بل يقال: المرأة. نعم. والأنثى، وأما السيدة فلا يصح هذا الإطلاق، لاسيما وأنه متلقى من غير المسلمين.

وفي هذا دليل على سعة ملك هذه المرأة، بل عظمة ملك هذه المرأة، لقوله: ((**وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**))[النمل:23] والمراد: (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) من مقومات الملك كما قال المؤلف المفسر.

وفيها أيضاً دليل على أنها ذات أبهة، لقوله: ((**وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**))[النمل:23]، وأما وصف العرش بما ذكره المفسر فلا دليل عليه.

((**وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ**))[النمل:24].

يستفاد من هذه الآية: أن هؤلاء القوم مشركون بالله، لقوله: ((**وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ**))[النمل:24]. وفيه دليل على أن الشمس معبودة من قديم الزمان، لأن هؤلاء في زمن سليمان، وما زال إلى الآن يوجد من يعبد الشمس، ومن يعبد النار، ومن يعبد القمر، بل ومن يعبد البقر.

وفيه دليل على أن الخلق مفطورون على إنكار الشرك؛ لأن الهدهد أنكر عليهم شركهم، مع أن الهدهد ليس من

العقلاء، لكن جميع الحيوانات بل والمخلوقات غير الحيوانات مفطورة على توحيد الله عز وجل، ((**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**))[الإسراء:44].

فيستفاد من هذه فائدة: أن المشركين شر البرية كما قال الله عز وجل، يعني: إذا كانت البهائم والجمادات تسبح الله وتعرف حقه وبنو آدم هؤلاء يشركون به؛ صاروا شر الخليقة: ((**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ**))[البينة:6].

وفيه دليل على أن الإنسان يُذم على فعله أو يُمدح على فعله؛ لأن الهدهد ساق ذلك على سبيل الذم، والغرض من ذكر هذه الفائدة، الغرض منها: الوصول إلى أن فعل الإنسان باختياره، إذ لو كان مجبراً عليه لم يصح أن يكون محلاً للذم أو للمدح؛ لأن الذي يُجبر على العمل ما يُمدح عليه وإن كان خيراً، ولا يُذم عليه إن كان سوءاً، ولكنه هو فعله، فهو إذاً.. وفيه دليل على إبطال قول من؟

الطالب: الجبرية.

الشيخ: الجبرية الذين يقولون: إن الإنسان مجبر على عمله؛ لأنه إذا كان مجبراً لم يكن أهلاً للثناء بالخير أو بالشر.

وفي هذا دليل على أن الأعمال السيئة من تزيين الشيطان، لقوله: ((**وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ**))[النمل:24]، فكيف يُجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ((**زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ**))[النمل:4] فأضاف الله التزيين إليه وهنا أضافه إلى الشيطان، وفي آية ثالثة: ((**زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ**))[التوبة:37] مبني للمجهول لكن هذه ما تعارض الآيات الأخرى، نعم.

الطالب: التزيين المباشر من الشيطان، لكنه بتقدير الله.

الشيخ: يضاف إلى الله تقديراً وإلى الشيطان مباشرة. طيب.

إذا قال قائل: إن الأعمال السيئة تُزين للناس في رمضان وقد ثبت في الحديث أن الشياطين تُصفد فيه وتُغل، ومع ذلك نرى أن كثيراً من الخلق يزين لهم سوء الأعمال في رمضان، فكيف الجمع بين الواقع..؟

الطالب: ....

الشيخ: إيه.

الطالب: ....

الشيخ: يكون هذا من تزيين النفس، لأنها تزين أيضاً سوء الأعمال..

((إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ))[النمل:26].

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. باقي علينا استنباط الفوائد، نعم.

أولاً من قوله تعالى: ((وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ))[النمل:17] يستفاد من هذه الآية الكريمة: أن سليمان عليه الصلاة والسلام قد نظم جنوده ورتبهم بحيث يُجمعون عند الجمع ويفرقون عند التفريق، لقوله: ((وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ))[النمل:17].

وفي الآية دليل على أن الجنود الذين يرتبهم سليمان ثلاثة أصناف، وهم: الجن، والإنس، والطير.

أما الإنسان فاستصحابه لهم ظاهر؛ لأنه منهم. وأما الجن؛ فلاستخدامهم فيما لا يقدر عليه الإنس. وأما الطيور؛ فقال بعض العلماء: إنه تصحبه لتظله، تكون فوق رأسه ظلة من الشمس، وهذا قد يكون مقصوداً، وقد يكون أيضاً من مقصود استصحاب الطير: أنها تأتيه بالأخبار البعيدة كما في قصة الهدهد.

وفيها أيضاً في قوله: ((فَهُمْ يُوزَعُونَ))[النمل:17] دليل على كمال التنظيم أيضاً؛ لأن الوزع إيش معناه؟ الجمع .... ((وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ))[فصلت:19] يُجمعون إليها ويساقون إليها، وهذا دليل أيضاً على كمال تنظيمها.

وفيه دليل على استعمال الساقة، الساقة في الجند والجيش أن يكون لهم سائق كما أن لهم قائداً دليلاً فلهم أيضاً سائق، نعم. وقد كان من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم أنه يكون في الساقة في أخريات القوم، مع أنه صلى الله عليه وسلم رئيسهم وزعيمهم، لكنه يتأخر لأجل أن ينقذ من قصر، نعم. ويعين من يحتاج، وللفائدة العظيمة التي تحصل بهذا.

((حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ))[النمل:18].

فيه دليل على أن من البلاغة: الإيجاز بالحذف، لأن قوله: ((حَتَّى إِذَا أَتَوْا))[النمل:18] هذا شيء محذوف، ويش التقدير؟

الطالب: .....

الشيخ: فساروا حتى إذا أتوا على واد النمل، لأن حتى للغاية، فلا بد أن يكون هناك شيء مغير قبله.

وفيه دليل على إضافة الشيء إلى ساكنه، إضافة المكان إلى ساكنه، لقوله: ((**وَادِ النَّمْلِ**))[النمل:18] كما يقال الآن في الأحياء في أحياء البلد: هذا حي بني فلان، نعم. كما هو معروف من قديم الزمان أن الأحياء تضاف إلى ساكنيها. هل نقول: في هذا دليل على أن النمل إذا سكن أرضاً ملكها، بحيث ما يجوز إحياءها ولا الاستنفاع بها وإلا لا؟

الطالب: يعني .... الظاهر فيه دليل.

الشيخ: فيه دليل.

الطالب: الظاهر.

الشيخ: إيه.

الطالب: الظاهر ....

الشيخ: هذا أقل ما نعلم، طيب. الآن اثنان اختلفوا، أحدهما يقول: لا، والثاني يقول: نعم. فما هو الذي ترجحون؟

الطالب: ....

الشيخ: لا؟

الطالب: ...

الشيخ: طيب. واد النمل، بيت فلان هل لك حق في أن تأتي إلى بيت فلان تسكنه؟ ... واد النمل.

الطالب: ...

الشيخ: إيه، نعم. نقول: صحيح، لو نظرنا إلى مطلق اللفظ لكان وادي النمل لهم، للنمل، ولكن الله تعالى يقول: ((**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا**))[البقرة:29] إذا كان النمل لو هو يؤكل أكلناه؟ فكيف لا نأكل مساكنها؟ فبنو آدم هم أحق بالأرض من غيرهم، فهم إذا مثلاً احتاج الإنسان إلى عمارة هذه الأرض لو فيها نمل ما في بأس أنه يعمرها، ولو لزم من ذلك أن يموت النمل، نعم. لأن هذا الموت غير مقصود، وما كان غير مقصود وإنما جاء ضرورة لتناول المباح؛ فإنه لا يضر. وهذه القاعدة معروفة في الشرع: أن الشيء الذي يأتي ضرورة لفعل مباح وهو غير مقصود فإنه لا بأس به، فانظر مثلاً إلى قتل النساء والذرية في الحرب، يجوز وإلا لا؟

الطالب: ما يجوز.

الشيخ: ما يجوز، لكن إذا لم نتوصل إلى قتل المقاتلين إلا بالرمي بالمنجنيق والمدافع العامة يجوز وإلا لا؟

الطالب: يجوز.

الشيخ: ولو لزم من ذلك قتل النساء والذرية، ولو لزم، لأن هذا غير مقصود.كذلك أيضاً قطع النخيل نخيل العدو، يجوز وإلا ما يجوز؟

الطالب: لا، ما يجوز.

الشيخ: ولكن إذا لم نتوصل إليه إلا بقطع نخيلهم جاز كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام في بني النضير والحاصل أن نقول: إن قتل النمل إذا لزم منه إحياء أرض فإنه ليس به بأس، لأنه لم يكن مقصوداً، وإنما جاء ضرورة لتناول أمر مباح لنا. نعم.

الطالب: ....؟

الشيخ: إي نعم. جاز قتله، كل مؤذي، حتى بني آدم لو آذاك وصال عليك ولم يندفع إلا بالقتل تقتله وهو أعظم الحيوانات حرمة.

وفي هذه الآية دليل على أن للحشرات نطقاً، لقوله: ((**قَالَتْ نَمْلَةٌ**))[النمل:18].

وفيه دليل على أن قولها أيضاً مسموع، يسمعه بنو جنسها، لأنه لو لم يكونوا يسمعونه لم يكن به فائدة، فهم يسمعون قولها، وقد يُسمعه الله تبارك وتعالى من يشاء. طيب.

وفيه دليل استدل العامة بذلك على أن كل شيء ينطق من قبل. هذا ليس بصحيح، ولكن الله تعالى قد يُسمع الخلق نطق بعض الحيوانات إما آية، أو كرامة، أو ما أشبه ذلك. نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: إيه إيه، كل شيء يتكلم، ..... تتكلم، نعم. والظاهر أنه ..... ممكن ... مخزن التمر، نعم.

الطالب: .....

الشيخ: أنا ..... أنكم ما تناقشون.. ما تسألون .... الفوائد أحسن، وإلا عند الشيء بعدما .... لأن هذا أولاً يمنع من .... الذهن، ويشوش أيضاً على السامعين. طيب.

وفيه رد لكلام المؤلف في قوله: إن النملة ملكة النمل، لقوله: ((**نَمْلَةٌ**))[النمل:18] منكَّر، نعم. وليس بغريب أن تكون نملة من النملات هي التي تفعل هذا.

وفيه دليل.. في الآية هذه دليل على فصاحة هذه النملة ونصحها وذكائها، نعم. لأن الكلام التي قالت يتضمن هذا كله، فهي من بلاغتها استعملت في كل مكان ما يناسبه: ((**يَا أَيُّهَا النَّمْلُ**))[النمل:18] أتت بياء المناداة البعيد؛ لأن النمل ليس قريباً منها كله، بعضه بعيد وبعضه قريب.

ومن كمال أيضاً نصحها: إرشادها إلى المخابئ والملاجئ في قولها: ((**ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ**))[النمل:18].

ومن كمال ذكائها: أنها استعملت العبارات المثيرة المزعجة في قوله: ((**لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ**))[النمل:18] نعم.

وفيها أيضاً من عدلها أنها قالت لهم: ((**وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**))[النمل:18] فتضمن هذا الكلام أنواعاً كثيرة من البلاغة والفصاحة والنصح والتحذير والتعذير وغير ذلك من ما مر في الشرح.طيب. الآن انتهت الفوائد التي عندي، عندكم فوائد أنتم؟ نعم.

الطالب: . عظمة ملك سليمان.

الشيخ: هه؟

الطالب: عظمة ملك سليمان

الشيخ: إي نعم. في هذا أيضاً: عظمة ملك سليمان وجنوده، وأنها النملة عرفت ذلك وحذرت منه. نعم.

الطالب: هل فيها ... وقع .....

الشيخ: إيه. ..... والنملة الحقيقة بيوتها تكون عميقة في الأرض، ثم هي أيضاً من عادتها النملة أنها ما تبني البيوت إلا في مكان مرتفع، وغالباً أن الجند يعني ... رفيعة أنهم ما دام يجدون السهل ما يروحون .....

الطالب: صلبة تحفر ...

الشيخ: نعم؟

الطالب: ..... يعني ..... من .....

الشيخ: لا، ما تحفر البلاط

الطالب: .....

الشيخ: إيه، ..... أما .....

قال: ((**فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**))[النمل:19].

في هذا جواز التبسم عند وجود سببه، وجواز الضحك أيضاً، لقوله: ((**فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا**))[النمل:19] وهذا من فعل نبينا، وفعل الأنبياء حجة، فعل الأنبياء حجة، حتى وإن كان غير نبينا صلى الله عليه وسلم إلا ما ورد شرعنا من ..... فهذا لا ..... الدليل على أن فعل الأنبياء حجة قوله تعالى: ((**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ**))[الأنعام:90]. وقوله: ((**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ**))[يوسف:111].

طيب.

وفيه دليل على ما كان عليه سليمان عليه الصلاة والسلام من التواضع لله سبحانه وتعالى، حيث لم يأخذه الغرور بهذا الملك العظيم حتى قال: ((**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ**))[النمل:19].

وفيه دليل على الاعتراف بالنعمة بنعمة الله، وأنه ليس من الافتخار، لأن سليمان ذكر نعمة الله عليه، لكنه لا يقصد بذلك الافتخار والعلو على غيره، وقد قال الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم: ((**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**))[الضحى:11] لكن لا على سبيل الافتخار والعلو، لأنه حينئذٍ تنقلب إلى نقمة.

وفيه دليل على أن نعمة الله على الوالدين نعمة على الولد، لقوله: ((**أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ**))[النمل:19] ولا سيما نعمة الإسلام، فإنها من أكبر النعم على الولد، لو مات طفل وأبواه كافران لكان هذا الطفل في الدنيا في حكم الكافرين، وفي الآخرة الله أعلم بحاله، ولو مات طفل بين أبوين مسلمين لكان هذا الطفل؟

الطالب: في الجنة.

الشيخ: مسلماً في الدنيا والآخرة، وعلى هذا! فنعمة الله على الوالدين ولا سيما في الدين نعمة على الولد، وهذا هو وجه قوله: ((**أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ**))[النمل:19].

وفي هذا دليل على إضافة.. على أن من العقل والعدل والشرع إضافة المنة إلى المان بها، لقوله: ((**أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ**))[النمل:19] وهذا اعتراف وأبلغ من أن يقول الإنسان: أوزعني أن أشكر النعمة وبس، لأن قوله: ((**نِعْمَتَكَ**))[النمل:19] واضح جداً في خضوع هذا الإنسان لهذه النعمة العظيمة التي أنعم الله بها عليه، فهذه فيها دليل أنه من العقل والعدل والشرع إضافة المنة.. نعم.

الطالب: إلى المان بها.

الشيخ: إلى المان بها حتى لو هو آدمي حتى ولو كان آدمي. ومن الأسرار المعروفة عندهم: إنما يعرف الفضل من الناس ذووه. ويش معنى ذووه؟ أصحاب الفضل، ما يعرف الفضل إلا أصحاب الفضل، أما من ليس بأهل فضل فإنهم ينكرون الفضل، بل إنك لو تفضلت عليهم لرأوا أن هذا حق لا يشكرون عليه ولا .... نعم. وأعظم شيء في هذا من يمن على الله سبحانه وتعالى بما أنعم الله به عليه، كما في قصة الأعراب: ((**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ**))[الحجرات:17] نعم.

الطالب: .....

الشيخ: اصبر، ما بعد انتهينا. طيب.

وفيه دليل على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كغيرهم مفتقرون إلى توفيق الله، وأنهم بدون توفيق الله سبحانه وتعالى ما .... خيراً يرضي الله، لقوله: ((**وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ**))[النمل:19].

وفيه دليل على أن العمل غير الصالح ليس فيه فائدة، بل وبين أمرين، العمل غير الصالح هو دائر بين أمرين: إما الإثم، وإما السلامة فقط، فإن صدر عن علم فهو إثم، وإن صدر عن جهل فالإنسان سالم ولكن لا فائدة له فيه، كما لو صلى الإنسان مثلاً صلاة باطلة في حدث، صلاة بحدث؛ فإنه إن تعمد ذلك كان آثماً، وإن كان جاهلاً لم تفده، لم تفده في إبراء الذمة، ويطالب بإعادتها. أما الأجر فقد يُؤجر عليها من أجل النية والعمل الذي حصل المشقة، ولكن الكلام على فائدة ما يستفيد منها في إبراء ذمته، ولا تسقط عنه.

وفيه دليل على أن الغاية التي ..... إليها الأنبياء ومن تبعهم هو رضا الله، لقوله: ((**وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ**))[النمل:19] لأن المقصود من عمل الإنسان الوصول إلى رضا الله سبحانه وتعالى، بل إن رضا الله غاية فوق كل شيء، قال الله تعالى في صفات المؤمنين: ((**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**))[التوبة:71] * ((**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**))[التوبة:72] يعني: أكبر من كل شيء، نعم. أكبر من كل شيء، وإذا حل عليهم ..... الله فهذا غاية ما يريد. نعم. طيب.

وفي الآية دليل أيضاً على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يتوسلون إلى الله، يعني: يسألون الله تعالى بالوسيلة، لقوله: ((**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**))[النمل:19]، قال الله تعالى: ((**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ**))[الإسراء:57] يعني: أولئك الذي يدعوهم هؤلاء المشركون، أولئك ((**يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ**))[الإسراء:57] فكل الناس كل الخلق يسألون الله تعالى ويتوسلون إليه بما هو جائز.

وفيه دليل على جواز التوسل بصفات الله..

الطالب: .....

الشيخ: نفس الآية؟

الطالب: إي نعم، برحمته.

الشيخ: برحمته، برحمته.

وفيه دليل أيضاً بل فيه اشكال ((**فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**))[النمل:19] إذا قال قائل: مقام النبوة أعلى من مقام الصلاح، ((**فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**))[النساء:69] نعم. فكيف دعا الله أن يدخله في عباده الصالحين مع أنه نبي، أعلى مرتبة من مرتبة الصلاح؟

الطالب: .....

الشيخ: نعم.

الطالب: ..... دخل فيه ..... الأنبياء والشهداء.

الشيخ: إيه.

الطالب: إذا كان .....

الشيخ: وعند التفصيل تأتي المراتب

الطالب: نعم.

الشيخ: هذا هو الأقرب، الأقرب أن المراد بالصلاح هنا: الصلاح المطلق، والصلاح المطلق هذا أعلى مرتبة، وقد قال يوسف عليه الصلاة والسلام: ((**تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**))[يوسف:101]، نعم. وقال الله تعالى عن إبراهيم: ((**وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**))[العنكبوت:27]، فالمراد هنا الصلاح المطلق لا الصلاح الذي يُذكر مع المراتب، فإن مقام الصلاح مع المراتب دون مقام النبوة، ((**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**))[النمل:19].

وفي هذا دليل أيضاً على أن العبادة مرتبة شريفة عظيمة يسألها حتى الأنبياء، لقوله: ((**فِي عِبَادِكَ**))[النمل:19] ولهذا يذكر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بوصف العبودية في أعلى مقاماته عند إنزال القرآن وعند الدفاع عنه، وما أشبه ذلك. وقد قال الشاعر يخاطب:

" لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائها "

نعم. هذا أعوذ بالله! عاصي، لنفرض أنه مثلاً بكر، يقول: لا تقول لي يا بكر، قل: يا عبد ليلى، نعم. يا عبد ليلى، فإنه أشرف أسمائي، فالعبودية لله سبحانه وتعالى لا شك أنها أشرف أوصاف الإنسان أن يكون عبداً لله، والإنسان لا بد أن يكون عبداً، ولا بد أن يتخذ إلهاً، حتى الشيوعيين والملحدين لا بد أن يكونوا عبيداً ولهم آلهة، وإلا لا؟

الطالب: .....

الشيخ: صحيح، هل توافقوني على ذا؟

الطالب: .....

الشيخ: إي نعم، لا بد. لو لم يكن لهم آلهة إلا أهواؤهم، ((**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ**))[الجاثية:23]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {**تعس عبد الدينار، تعس عبد**

الدرهم} وهؤلاء بلا شك يعبدون الدينار والدرهم، بل إنهم لا يسعون إلا لذلك، هؤلاء الملحدون ما يسعون إلا لذلك.

إذاً: لا بد لكل إنسان أن يكون عبداً، فإن كان عبداً لله فقد تحرر من العبودية حقيقة، لأن عبد الله حر، ما يرى شيئاً في الدنيا أو في المخلوقات أنه عبد له، لكن يرى خالقه وسيده وإلهه وأنه عبد لهذا الخالق. نعم. ((**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**))[النمل:19] انتهى ما عندي. في شيء عندكم؟ أو كفاية؟

الطالب: .....

الشيخ: نعم.

الطالب: .....

الشيخ: يمكن يُؤخذ منه، ولا شك أن شكر النعم من النعم، وقد قال الشاعر:

" إذا كان شكري نعمة الله نعمة عليَّ له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام واتصل العمر "

وهذا صحيح، إذا وفقك الله للشكر فهو نعمة، يجب عليك أنك تشكر الله على هذه النعمة، فإذا شكرته صارت نعمة ثانية تستوجب الشكر، لأن الله يقول: ((**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**))[سبأ:13]، وإذا رأيت من كفرت وانت شكرت نعمة هذه نعم.

الطالب: .....

الشيخ: في؟

الطالب: .....

الشيخ: طيب، أحسنت. صحيح. فيه رد على القدرية؛ لأن القدرية يرون أن الإنسان مستقل بعمله، ما يحتاج إلى معونة من الله ولا شيء، نعم. ولا شك أن هذا قول باطل، لكن نعم، هذه الآية ترد عليهم.

وفيه أيضاً رد على الجبرية؛ لأنه أضاف العمل إليه، فقال: ((**وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ**))[النمل:19]، وقوله: ((**وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا**)) معناه: يمكن أعمل غير صالح، فهو مختار. ففيه رد على الطائفتين جميعاً: القدرية والجبرية. ويش الفرق بينهم يا عادل؟

الطالب: القدرية ..... الإنسان يعني ..... والجبرية أن الإنسان مجبور على الأعمال.

الشيخ: ما له اختيار ولا شيء.

الطالب: .....

الشيخ: نعم، طيب.

الطالب: .....

الشيخ: كيف ذلك؟

الطالب: .....

الشيخ: قلنا هذه قلنا: الاستدلال به على هذا، الاستدلال ما هو قوي، لأن لله على الكافر نعمة، وإلا لا؟ الله له نعمة على الكافر، لكن النعمة المطلقة ما تكون إلا بالإسلام، من هذه الناحية نقول..

الطالب: .....

الشيخ: على كل حال! هي قريبة، قريبة من أنها مسلمة، ولكن لو حصل أصح من هذا يكون طيب.

ثم قال الله تعالى: ((**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ**))[النمل:20]. نعم.

الطالب: .....

الشيخ: لا، ما يمكن نقول، ..... نقول اللي ..... لأن الرسول يقول عليه الصلاة والسلام: و(كان النبي يبعث إلى قومه خاصة). إي نعم.

الطالب: يا شيخ.

الشيخ: نعم.

الطالب: .....

الشيخ: أن الإنسان ما يصل إلى غايته إلا برحمة الله؟

الطالب: ..... الغاية .....

الشيخ: إيه.

الطالب: .....

الشيخ: لا، هنا قال: ((**فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**))[النمل:19] يعني: ما يصل إلى مقصوده إلا إذا رحمه الله، كل شيء ..... يعني: إذا لم يرحمك الله ..... نعم.

الطالب: ....

الشيخ: " **إذا كان شكري نعمة الله نعمة عليَّ له في مثلها يجب الشكر**

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام واتصل العمر "

الطالب: البيت الثاني.

الشيخ: نعم.

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام واتصل العمر

نعم.

الطالب: ....

الشيخ: هه؟

الطالب: ...

الشيخ: نعم.

الطالب: ...

الشيخ: ...

الطالب: نعم.

الشيخ: إي نعم.

الطالب: يا شيخ ...

الشيخ: صحيح، هو عند الله مولود على الفطرة، لكن الظاهر غير مسالة الباطن. الظاهر غير الباطن، ولذلك ..... الكفار ما يدفنون في مقابر المسلمين.

الطالب: .....

الشيخ: إيه. ظاهراً، فالكفر في احكام الدنيا

قال: ((**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ**))[النمل:20] ((**الطَّيْرَ**)) أل هذه للعهد، أو لعموم الجنس؟ أقول: إنها للعهد، لأنها تعود على الطير المذكور، ((**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ**))[النمل:17] وعلى هذا فيكون تفقده للطير في نفس هذه المسيرة.

((**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ**))[النمل:20] يقول: " **تفقد الطير ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت الأرض ويدل عليه بنقره فيها لتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة فلم يره** ". هذا من كيس المؤلف.

يقول: تفقد الطير لأجل يدور الهدهد، الهدهد .....؟ يرى الماء تحت الأرض، وإذا رأى الأنهار تجري تحت الأرض نقر بمنقاره، يعني قال: ..... هنا، ثم يأمر الشياطين فتحفر.

الطالب: .....

الشيخ: إي نعم ..... هذا من يقول هذا؟ بل إن تفقده للطير لأنه -كما سلف- كان عليه الصلاة والسلام منظماً لجنوده، فتفقد أين ذهب، ولهذا ما قال: تفقد الهدهد أو الهداهد، بل قال: تفقد الطير كله، نعم. لأنكم تعرفون أن الطيور تسبح بالهواء فقد يشذ منها شيء، فهو عليه الصلاة والسلام تفقدها لأجل تكميل التنظيم.

ثم إن قولهم أو دعواهم أن الهدهد يرى الذي تحت الأرض هذا ما هو بصحيح، ..... أنه خلى الهداهد تجي ..... تراها وإلا ما تراها؟ ما تراها بالتأكيد، وهذا شيء.. إذا لم تر الحد القريب كيف ترى المياه البعيدة؟ المهم أن الهدهد مثل غيره ينحجب نور عينيه بالكثافة ولا يرى شيئاً.

ثم إن سليمان عليه الصلاة والسلام ليس بحاجة إلى هذا، ليس بحاجة، بل إن سليمان من هذه الناحية كغيره من البشر، إن وجد الماء انتفع به، وإن لم يجد فإن الله تعالى ييسر له الماء بأي وسيلة.

قال: ((**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ**))[النمل:20] ما: اسم استفهام. وهل الغرض منه الاستخبار أو الاستنكار؟

الطالب: الاستخبار.

الشيخ: هه؟ قيل: المراد قيل: الغرض الاستخبار أنه يسأل سؤال حقيقي، يقول: أين الهدهد؟ وقيل: إنها استنكار، والظاهر أنه لا ..... لأن الأصل في الاستفهام الأصل فيه الاستخبار.

قال بعضهم: وفي الآية قلب، وأما التقدير: ما للهدهد لا أراه، ولكن هذا ليس بصحيح، بل الآية على ترتيبها، فهو يسأل: ليش أنا ما أشوف الهدهد؟ نعم. هل هناك مانع منع من .... أو أنه كان غير موجود؟ ولذلك أضرب عن الأول وقال: ((**أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ**))[النمل:20] وأم هذه منقطعة، نعم. أم منقطعة، وأم المنقطعة -كما مر علينا عدة مرات- تكون بمعنى: بل، والهمزة يعني: بل أكان من الغائبين. نعم. وحينئذٍ أضرب عن الكلام الأول، وعرف أنه لا علة في بصره، وإنما العلة غيبة هذا الهدهد.

ثم قال عليه الصلاة والسلام: ((**أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ**))[النمل:20] فلم أره لغيبته.

فلما تحققها قال: ((**لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا**))[النمل:21] تعذيباً شديداً.

(**لَأُعَذِّبَنَّهُ**) الجملة هذه مؤكدة بثلاثة مؤكدات وهي: اللام أن يبدأ بالقسم، والقسم قبلها مقدر. هذا اثنين. والثالث: النون، لأعذبنه، ويقول: (**عَذَابًا**) قال المؤلف: تعذيباً، إشارة إلى أن عذاباً اسم مصدر، لأن عذَّب مصدرها تعذيباً، واسم المصدر منها: عذاباً، نظيرها: كلَّم مصدرها تكليماً، واسم المصدر منها: كلاماً. سلَّم تسليماً، واسم المصدر: سلاماً.

لأعذبنه تعذيباً شديداً. ما هو الشديد على رأي المؤلف؟ " **بنتف ريشه وذنبه ورميه في الشمس فلا يمتنع من الهوام** ". هذا شيء عجيب هذا، تقدير هذا التعذيب بهذا الشيء على أي دليل؟ ولهذا .... إن هذا التعذيب الشديد الذي قال المؤلف، هذا النتف، ويخلى بالشمس مسكين ما عنده بيت ولا شيء.

وبعضهم يقول: ((**لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا**))[النمل:21] أحبسه مع شيء ليس من جنسه، نعم. أحط الهدهد مع العصافير، يقولون: من أشد العذاب على الحيوان أن يحشر في غير جنسه. لو يُحط الآدمي مع الجن يتأذى، أو الجن مع الآدمي يتأذى، نعم. ولكن هذا أيضاً ما هو صحيح؛ لأننا نشاهد أن أشياء تجعل مع أجناسها ولا تتعذب، واحد عنده مواشي بقر وغنم وإبل والغنم ضأن ومعز ..... بحوش واحد ولا تتعذب، إي نعم.

فالصواب: أن هذا التعذيب الذي قاله سليمان غير معلوم لنا، إنما هو عذاب شديد، والله تبارك وتعالى لم يبينه، ولكن يكفي أن نعرف أنه شديد. هذا واحد.

((**أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ**))[النمل:21] لأذبحن هذه للتنويع، يعني: إما هذا أو هذا. وقوله: ((**أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ**))[النمل:21] يقول: بقطع حلقومه، هذا صحيح، يعني: ..... للذبح إما بقطع الحلقوم والمري يعني من عند الرقبة. نعم. ((**أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ**))[النمل:21].

الثالث: ((**أَوْ لَيَأْتِيَنِي**))[النمل:21] بنون مشددة مكسورة، أو مفتوحة يليها نون مكسورة. (**ليأتينِّي**) هذه واحدة. (**أو ليأتينِي**) نعم. شوف بنون مشددة مكسورة: يأتينِّي. أو مفتوحة ويش المفتوحة؟

الطالب: أن يأتي.

الشيخ: بنون، لا. نون مشددة مكسورة، أو مفتوحة يليها نون مكسورة: يأتينَّي. هذه القراءة الثانية. (يأتينِّي، يأتينَّي). ويش الفرق بينهما؟

الطالب: .....

الشيخ: إيه. فيها نون وقاية، إما تُحذف أو ..... وإلا نون التوكيد موجودة، نون التوكيد هي مشددة لكنها إن حُذفت للوقاية كُسِرت نون التوكيد: يأتينِّي، وإن لم تُحذف: يأتينَّي، فإنها تبقى مفتوحة. طيب. هذا أمر ثالث، فتوعده سليمان بواحد من أمرين إلا إذا أتى بشيء، ((**بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**))[النمل:21] ببرهان بين ظاهر على عذره. نعم. سلطان، كلمة سلطان ترد كثيراً في القرآن، ومعناها العام: هي السلطة التي يتمكن بها الإنسان من الوصول إلى غرضه، هذا معناها العام. السلطة التي يتمكن بها الإنسان من الوصول إلى غرضه، هذا السلطان، فتارة يكون المراد به الدليل، نعم. ((**أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ**))[الصافات:156]، وتارة يُراد به القدرة: ((**لا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ**))[الرحمن:33]، وتارة يُراد به البينة مثل هذا، نعم.

قوله: ((**أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**))[النمل:21] يعني: ببينة على عذره. والمعنى العام للسلطان ويش قلنا؟ السلطة التي يتمكن بها الإنسان أو صاحبها من الوصول إلى غرضه، سواءً كان ذلك دفاعاً عن نفسه، أو إثباتاً لأمر.

وقوله: ((**مُبِينٍ**))[النمل:21] فسرها المؤلف ببيِّن، ولا تصلح بمعنى مظهر، يعني ما تصلح متعدية؛ لأن المؤلف الآن فسرها بأنها لازمة، تصلح أيضاً متعدية، يعني: بسلطان مظهر لعذره، وهذا إذا فسرناها بهذا.. ونحن إذا فسرناها بهذا نكون أخذنا بالتفسير الذي فسر به المؤلف وزيادة.

((**فَمَكَثَ**))[النمل:22] بضم الكاف وفتحها: مكَث ومكُث، والفاعل من؟ الهدهد، نعم. ويحتمل أن يكون الفاعل سليمان، يعني: بقي غير بعيد، أي: يسيراً من الزمان وحضر لسليمان.

قوله: (**وحضر لسليمان**) ويش الدليل عليه؟

الطالب: .....

الشيخ: لأنه كان من الغائب في الأول: ((**أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ**))[النمل:20] والغائب ما يُخاطب إلا إذا حضر، ولكن قول المؤلف: " **متواضعاً برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه** " هذا من الأمور التي ما ندري عنها.

الطالب: الظاهر كان معه.

الشيخ: هه.

الطالب: الظاهر المؤلف كان معه.

الشيخ: إيه، كأنه معه. يعني: الهدهد جاء ووقف ورفع رأسه ونزَّل ذنبه وجناحيه.

الطالب: لا، هذا استنباط .....

الشيخ: بس ما يمكن أن نقول هذا أبداً، ما يمكن أن نصف كيف جاء، إنما يكفينا أن نقول ما قال الله تعالى في القرآن، ونحن ذكرنا قبل قاعدة: كل ما سبق فإنه لا طريق لنا إلا العلم به إلا من طريق الوحي: ((**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ**))[إبراهيم:9] ما من طريق إلا الوحي: إما في القرآن أو في السنة الصحيحة.

((**فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ**))[النمل:22]. (**أحَطتُ**) يعني: يتكلم عن نفسه. ((**أحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ**))[النمل:22] يخاطب من؟

الطالب: سليمان.

الشيخ: سليمان، وفي الحقيقة أن هذا الهدهد قوي، قوي له ... قوية جداً كما يقولون. كيف يخاطب سليمان وله هذا الملك العظيم ويقول: أحطت بما لم تحط به، ما قال بعد: بما لم تحيطوا به، ما جاء بصيغة التعظيم، نعم. ونحن الآن بشر ونخاطب بعض الأحيان المدير وإلا من فوقه ونقول مثلاً: أنتم، سيادتكم، وإلا سعادتكم، وإلا حضرتكم، نعم. ..... من أكبر من اللازم، نعم.

الطالب: .....

الشيخ: نعم من ..... البشر، وكل هذه في الحقيقة كل هذه من الأمور الشكلية التي لا تنبئ عن شيء ولا تنبغي أيضاً، الصحابة يخاطبون الرسول عليه الصلاة والسلام بهذا الخطاب -نعم- وهو أشرف عندهم من كل بشر، نعم. وكذلك الخلفاء الراشدون ما كانوا يُخاطبون بمثل هذا.

ومن عجب الأمة! أن بعض هؤلاء الذين يخاطبون بمثل هذه الألقاب تجد قلوبهم تغلي على هؤلاء المخاطَبين، تغلي عليهم، نعم. فيكون هذا الخطاب كأنه تهكم بهم، ولو أن الناس تخاطبوا فيما بينهم خطاب عادي، هذا الهدهد ويش مقامه مع سليمان؟ جند من جنده الأضعفين ومع ذلك يقول بهذه الصراحة: ((**أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ**))[النمل:22] وهذا أول ما كلمه بعد، على طول، لكن في الحقيقة إنه فيه نوع من الأدب، ما قال مثلاً: أنت جاهل ولا تعرف، وأنا عرفت ودورت ولقيت شيء ما تدري عنه، بل قال: ((**أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ**))[النمل:22] يعني: لأجل أن يعرف سليمان قدره، وأنه ليس محيطاً بكل شيء، نعم. فهذا الهدهد صار أشد حاجة منه، نعم. والإنسان البشر فقير في كل شيء، حتى ما أحد علمنا كيف نقبر موتانا إلا؟

الطالب: الغراب.

الشيخ: إلا الغراب، إلا الغراب، مما يدل على أننا لسنا بشيء ..... طيب. ((**أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ**))[النمل:22] يشبهها قول إبراهيم لأبيه: ((**يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ**))[مريم:43] ما قال: يا أبتِ إنك جاهل، وهذا من اللطافة في الأسلوب، نعم. هنا قال: ((**أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ**))[النمل:22] والكلمة شديدة، أي: اطلعت على ما لم تطلع عليه.

((**وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**))[النمل:22] * ((**إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ**))[النمل:23] إلى أن قال: ((**قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**))[النمل:27] سليمان ... هو أكد الخبر، جئتك من سبأ بنبأ يقين، ومع ذلك قال له: ((**سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**))[النمل:27]. هذه بعد .صدمة على الهدهد؛ لأن الهدهد كان متيقناً ومع ذلك قيل له: ((**سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**))[النمل:27]، ليش قال سليمان هذا مع أنه يقول له بنبأ يقين؟ لأن حقيقة الأمر أن كلام الهدهد في مقام الدفاع عن نفسه،

مدافع، لأنه متوعَّد بالعذاب الشديد أو بالذبح، نعم. أو بخبر بسلطان مبين، فهو لما كان في مقام الدفاع احتاج أن يتثبت هذا ببينة، وقد وقع مثل ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، استأذن عليه أبو موسى ثلاث مرات ثم انصرف، فلما آكده في ذلك قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ائت ببينة على ما تقول. مع أن أبا موسى صحابي ثقة، ما يمكن يتقوَّل على الرسول عليه الصلاة والسلام، لكن المقام يقتضي.. ويش يقتضي؟ زيادة التثبت؛ لأن الإنسان قد يفهم من النص ما ليس مراداً، فلذلك طلب عمر من أبي موسى أن يأتي بشاهد.

هنا هذا الهدهد.. سليمان عليه الصلاة والسلام مع أنه تيقن له الخبر؛ يقول له: ((**سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**))[النمل:27] ثم أعطاه آية وقرينة: ((**اذْهَب بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِه إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ**))[النمل:28]. والقصة في الحقيقة عظيمة جداً فيها فوائد كثيرة، طيب.

((**أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ**))[النمل:22] يقول: ((مِنْ سَبَإٍ))[النمل:22] " **بالصرف وتركه** " بالصرف من سبإٍ، وتركه: من سبأ. كذا؟

الطالب: لا. عكس.

الشيخ: عكس.

الطالب: من سبأ .....

الشيخ: إيه. هه؟

الطالب: هذا من ..... من سبأ.

الشيخ: إيه، هذا عدم الصرف.

الطالب: .....

الشيخ: إيه، صح. ومن سبإٍ هذا الصرف، طيب. من سبأ؛ جُرَّ بالفتحة لأنه اسم لا ينصرف. ومن سبإٍ جُرَّ بالكسرة؛ لأنه اسم ينصرف. على أي اعتبار جعلناه إما مصروفاً أو عدمه؟ قال: " **قبيلة باليمن سميت باسم جد لهم باعتباره صُرف** " يعني: أننا إذا لاحظنا اسم الجد الذي هو سبأ..

.... بحسبهم، فالكرم بالمال معناه: بذله بسخاء، والكرم أيضاً بالمال يطلق على الجيد منه كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**واتق كرائم أموالهم**).

وكذلك أيضاً ما يتضمن الشيء المهم يوصف بالكرم لما في هذا الوصف في كتاب سليمان عليه الصلاة والسلام.

وفيه دليل على أن الأولى أن يبدأ الكاتب باسمه فيقول: من فلان، قبل أن يبدأ باسم المرسل إليه أو المكتوب إليه.

وهل هذا من باب التعبد أو من باب العادة؟

الطالب: من باب العادة.

الشيخ: الظاهر أنه من باب العادة، ولكن مع ذلك العادة التي كان عليها السلف أولى من العادة التي اعتادها الناس اليوم، اعتاد الناس اليوم أنهم يبدءون بالمكتوب إليه.. إلى فلان ابن فلان، ولكن العادة الأولى أولى؛ لأن الإنسان إذا قرأ الكتاب يقرأه من أوله، فإذا قرأ: من فلان عرف الآن ما هذا وما قيمة الكتاب، قبل أن يقرأه كله.

ثم إن الترتيب الطبيعي يقتضي هذا؛ لأن الكتاب واردٌ من إلى، فيقتضي أن يبدأ بالوارد منه قبل الوارد إليه.

فإذاً نقول: الأولى أن يبدأ الإنسان باسمه إذا أرسل كتاباً إلى أحد؛ لأن هذه هي السنة المتّبعة.

هل يؤخذ من هذا الكتاب أنه لا يحتاج إلى ذكر المكتوب إليه؛ لأنه قال: ((**إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ**))[النمل:30] ولا قال: إلى ملكة سبأ؟

الطالب: قد يكون ذكر.

الشيخ: لكن اللي أمامنا الآن.

الطالب: .....

الشيخ: يحتمل هذاأو نقول: إنه إذا دل الدليل على المكتوب إليه فلا حاجة إلى ذكره، مثلاً إذا أرسلت هذا الكتاب إلى شخص ولا سيما في مثل قصة سليمان، أنه جاء به هذا الطائر إلى صاحبه، فهنا احتمال أن يصل الكتاب إلى غير المكتوب إليه.

والمقصود ببيان المكتوب إليهايش المقصود به؟ أن يتعين ويصل إليه، وهنا إذا جاء الكتاب على هذا الوجه فإنه يحصل به أكبر تعيين، فنقول: إنه لا حاجة إلى ذكره إذا كان الأمر يحصل بدونه، ولكن مع هذا ذكره أولى، لا سيما إذا كان يترتب عليه شيءٌ في المستقبل. فإنه إذا فرضنا أن صاحبه الذي أُرسل إليه عُلم وأخذه، لكن في المستقبل ما ندري لمن وجّه له هذا الخطاب، فذكره بلا شك أولى.

وأيضاً في هذا دليل على استحباب البداءة ببسم الله الرحمن الرحيم في أول الرسائل؛ لقوله: ((**وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**))[النمل:30].

وفيه دليلٌ على استعمال الإيجاز إذا لم يكن فيه تقصير؛ لأن هذا الكتاب الذي كتبه سليمان في غاية ما يكون من الإيجاز.. جملتان فقط ((**أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**))[النمل:31] ولكن بشرط: أن لا يكون الإيجاز مخلاً بالمقصود، فإن كان مخلاً بالمقصود صار تقصيراً.

وفيه دليلٌ على أن سليمان عليه الصلاة والسلام دعاهم إلى الله سبحانه وتعالى ولا يريد التملك والسيطرة، وإنما يريد بذلك الدخول في الإسلام؛ لأن الهدهد لما أخبره أنها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، فهذا كفر فلا بد أن يخرجوا منه إلى الإسلام لقوله: ((**وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**))[النمل:31].

وفيه أيضاً دليل على قوة سليمان عليه الصلاة والسلام؛ لأنه لم يقل: وأسلموا، بل قال: ((**وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**))[النمل:31] فطلب منهم أن يأتوا إليه وهم على إسلام.

وهل المراد أن يأتوا جميعاً؟ لا، المراد أعيانهم وأشرافهم؛ لأن الأعيان والأشراف يقومون مقام العامة.

وفيه دليلٌ على استحباب المشاورة في الأمور العامة لقولها: ((**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي**))[النمل:32] فهي مع أنها ملكة ولها تمام السلطة، مع ذلك لم تستغن عن المشاورة ((**قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي**))[النمل:32].

وفيه دليل على حزم هذه المرأة وأنها تريد أن تكون سياستها مبنية على المسئولية على الجميع؛ لقولها: ((**مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ**))[النمل:32] وحينئذ لو حصل خلاف المقصود لم يكن عليها لوم، ما دامت تُشهد هؤلاء وتبين لهم.

وفيه أيضاً دليل على أنه يجوز للمستشير أن يخالف المستشار إذا لم ير أنه مصيب في مشورته؛ لأنهم لما ذكروا ما يدل على أنهم يريدون قتاله وهي لا تراه خالفته، فإنها قالت: ((**إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا** ...))[النمل:34] إلى آخره.

وفيه دليل على مكانة هذه المرأة من قومها؛ لأنها بعد أن استشارتهم وأبدوا رأيهم تأدبوا معها وقالوا: ((**وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ**))[النمل:33] فهل يؤخذ من ذلك أيضاً أنه إذا قدّم المستشار مشورته لإنسان كبير أكبر منه قدراً أو فهما أو علماً أن له أن يقول مثل هذا؟ نعم. يقول مثل هذا تأدباً، وصاحبه بالخيار إن شاء أخذ بمشورته وإن شاء لم يأخذ.

وفيه دليلٌ على حزم هذه المرأة أيضاً من جهة أنها نظرت في العواقب ((**إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا**))[النمل:34] وهكذا ينبغي للعاقل أن لا يحكم على الأمور ببوادرها وظواهرها، وإنما يحكم على الأمور بعواقبها.

فإن الشيء قد تكون بوادره وظواهره مفيدة في نظر الإنسان، ولكنه عند التأمل يكون الأمر بالعكس، لكن هل الأولى المبادرة أو التأني؟

في الأصل التأني أولى؛ لأن الإنسان إذا تأنى ما يندم ما فعل شيء، لكن إذا تسرّع فهو الذي يكون عرضة للندم، وكم من كلمة قال الإنسان ليتني لم أقلها، وكم من فعل قال: ليتني لم أفعله.

ولكن مع هذا ينبغي استعمال الحزم في الأمور، لا يتأنى تأنياً يضيع المقصود، ولا يتسرع تسرعاً يحصل به الندم، وأظن أني أنشدتكم بيتين في هذا المعنى، تحفظونهما؟

الطالب: في الحزم؟

الشيخ: لا. في أنه قد يكون التسرع أولى وقد يكون التأني أولى.

الطالب: ..... الشيخ:

قد يُدرك المتأني بعض حاجته	**وقد يكون مع المستعجل الزلل**
وربما فات قوماً جل أمرهم	**مع التأني وكان الرأي لو عجلوا**

وهذا صحيحٌ وواقع، المهم أننا نقول: إذا دار الأمر بين الإسراع والتأني ولم يترجح الإسراع عليه فالأولى التأني؛ لأن الإنسان يكون الأمر بيده ما دام لم يحدث شيئاً، لكن إذا أحدث شيئاً فاته الأمر ولم يتمكن من التخلص منه.

الطالب: يؤخذ من الآية؟

الشيخ: نعم.

الطالب: كيف؟

الشيخ: يؤخذ من الآية لأنها ((**قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً**))[النمل:34] فهي نظرت في العواقب، والنظر في العواقب يستدعي إما التسرع وإما التأني، قد يكون مثلاً يرى الإنسان الرائي أنه إذا لم يُسرع فات المقصود، فيسرع أو إذا أسرع حصل الخلل فيتأنى، فهو مأخوذٌ من قولها: ((**إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً**))[النمل:34].

وفيه أيضاً: ((**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**))[النمل:35].

يستفاد من هذه الآية:

أولاً: ذكاء هذه المرأة وحنكتها.

ثانياً: يستفاد من ذلك: جواز الاختبار والامتحان، وأن ذلك لا يُعد خديعة، إذا أراد الإنسان أن يمتحن غيره بشيء من الأشياء ما يُعد هذا خديعة؛ لأنه يريد أن يستظهر به حاله، وهذا لا مانع منه.

وفي الآية أيضاً الفائدة الثالثة وهي: العمل بالقرائن؛ لأنها أرادت أن ترسل هذه الهدية لتختبر مراد سليمان، هل يريد المال فقط، هل تكفيه هذه الهدية، أو يريد أنهم يسلمون فلا تنفع فيه هذه الهدية ولا يكف عن طلبه الأول وهو ((**أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**))[النمل:31].

ففيها إذاً ثلاث فوائد، وهل ورد مثل ذلك؟ نعم. في قصة سليمان في المرأتين اللتين احتكمتا إليه في ابن إحداهما، خرجت امرأتان إلى خارج البلد ومع كل واحدة لهما ابن، فأكل الذئب ابن الكبرى فاحتكمتا إلى داود عليه الصلاة والسلام فقضى بالابن الموجود للكبرى؛ بناءً على أن الصغرى يمكنها أن تلد فيما بعد، ولكنه لما تحاكمتا إلى سليمان عليه الصلاة والسلام قال: ليس هذا الحكم، الحكم أنا نأتي بالسكين ونشق الولد نصفين ويكون للكبيرة نصف وللصغيرة نصف، الكبيرة وافقت على أن يشق نصفين؛ لايش ؟لأنها تقول: مثلما تلف ابني يتلف ابنها، وأما الصغيرة فقالت: لا يا نبي الله الولد لها.

فعلم بذلك أن الولد للصغرى فحكم به لها، فهذا من باب الاستظهار للحق بالقرائن، ولا مانع من ذلك وقد كان القضاة يفعلونه.

فهذه المسألة إرسال الهدية إلى سليمان عليه الصلاة والسلام من هذا النوع؛ ليستظهر به حاله فيُعمل بالقرينة.

الطالب: ... يؤخذ من فعلها.

الشيخ: نعم؛ لأن هذا ما فيه مانع.

الطالب: وإن كانت كافرة؟

الشيخ: ولو كانت كافرة؛ لأن الشيء إذا حكاه الله سبحانه وتعالى فقد قال: ((**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ**))[يوسف:111] فإذا حكى الله تعالى عن الكافرين شيئاً ولم يرد إبطاله، فإنه على الأصل.

الفائدة الرابعة من الآية: أن الهدية كانت كبيرة، من أين تؤخذ؟

((**فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**))[النمل:35] ولا يُرسل جماعة بهدية إلا وهي كبيرة، وأيضاً ربما نقول مع كبرها ثمينة؛ لأجل أن يدافع هؤلاء المرسلون عنها لو حاول أحدٌ أن يعتدي عليها.

فيستفاد إذاً عظم هذه الهدية كمية وكيفية، ولذلك احتاجت إلى أن ترسل بها جماعة.

وفي قوله: ((**فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ**))[النمل:36 - 37].

يستفاد من قوله: ((**فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ**))[النمل:36] أن من المستحسن أن يتقدم الرئيس رئيس الوفد أو القوم بالكلام أو بالفعل إذا كان مكلفاً بالفعل، المهم أن يكون المتقدم الرئيس؛ لأن تقدم الجميع دفعة واحدة غير لائق لضياع المسئولية، فلا بد أن يتقدم واحدٌ، وكلما حُصر الأمر كان أقرب إلى الفهم وإلى حصول المقصود.

وفيه أيضاً: دليلٌ على توجيه الخطاب للجماعة وإن كان المتقدم رئيسهم؛ لقوله: ((**أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ**))[النمل:36].

وفيه دليل على جواز الغلظة في القول إذا كانت المصلحة فيه؛ لأن هذا الأسلوب من سليمان عليه الصلاة والسلام أسلوب قوي؛ إذ قلنا أن الاستفهام في قوله: ((**أَتُمِدُّونَنِ**))[النمل:36] للتوبيخ والتعجيب، يعني أنه يوبخهم على فعلهم ويتعجب من فعلهم، كيف يمدونه بمال وهو ملك ومعروف ومشهور؟

وفيه دليل على جواز التحدث بنعمة الله.. الفائدة الرابعة: أنه يجوز للإنسان أن يتحدث بنعمة الله لقوله تعالى: ((**فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ**))[النمل:36].

ولكن هل يتحدث بهذه النعمة على سبيل الافتخار أو على سبيل الافتقار والاستصغار؟ نرى أنه على حسب الحال.

فمع العدو يجوز أن يتحدث بها افتخاراً، ولذلك تجوز الخيلاء في الحرب مع أن الخيلاء محرّمة وهي من الكبائر، لكن في الحرب لإغاظة العدو لا بأس بها، فسليمان عليه الصلاة والسلام تحدث هنا بنعمة الله افتخاراً فيما يظهر لي.. افتخاراً على هؤلاء القوم، وهذا لا بأس به إذا كان أمام العدو، فأما إذا كان لإظهار النعمة فإنه لا يجوز إلا على سبيل الاستصغار والافتقار إلى الله سبحانه وتعالى، لا على سبيل الافتخار و العلو على الخلق.

الفائدة الخامسة: أنه يجوز للإنسان أن يصف غيره بما يبدو من حاله؛ لقوله: ((**بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ**))[النمل:36] إذ أن الفرح كما تعرفون أمرٌ باطني، تظهر علاماته على ظاهر البدن، ولكنه في الأصل أمرٌ باطني؛ لأن الذي يفرح ما يُسمع لفرحه صوت ولا يُرى له حركة، ولكن تظهر علاماته.

فلا بأس أن الإنسان يحكم على غيره بالقرائن لما يظهر من حاله، وقد مر عليكم كثيراً مثل هذا الأمر، فقد قال الرجل الذي جامع زوجته في نهار رمضان: (**والله ما لابتيها أهل بيتٍ أفقر مني**) ومع هذا فإن هذا الرجل لم يطف بأبيات أهل المدينة ويفتشها حتى يعرف أن ما فيه أحد أفقر منه.

الفائدة السادسة: وفيه دليلٌ على إظهار القوة للإعداء لقوله: ((**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا**))[النمل:37] وهذا داخلٌ في قوله تعالى: ((**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**))[الأنفال:60] فإن من

قوة نكرة تشمل كل ما يُمكن من القوى، سواءٌ كانت القوة قولية، أو مادية، أو معنوية ... المهم أن جميع القوى في معاملة الأعداء ينبغي للمرء أن يستعملها، حتى إنه جاء في الحديث (**الحرب خدعة**).

لكن الخيانة هل تجوز أو ما تجوز؟

الطالب: .....

الشيخ: خيانة العدو، لا يجوز للإنسان أن يخون عدوه، ولهذا قال الله تعالى: ((**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ**))[الأنفال:58] يعني: ولا تخنهم، وكذلك إذا خانوا يكونوا نقضوا العهد، وقد مر علينا أن هذه المسألة لها ثلاث حالات المعاهدين لهم ثلاث حالات:

إما أن يستقيموا لنا ((**فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ**))[التوبة:7].

وإما أن ينكثوا العهد، وحينئذ لا عهد ((**وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ**))[التوبة:12].

وإما ألا ينقضوا العهد وظاهرهم الاستقامة، لكن نخاف منهم الخيانة فهنا ننبذ العهد إليهم، ونخبرهم بأننا قد أبطلنا العهد، حتى لو قالوا: سنبقى على العهد نقول: لا، نحن الآن كلٌ منا حر.

هنا في الكلام ((**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا**))[النمل:37] هذا التهديد والوعيد لا شك أنه مظهر قوة، فيكون داخلاً في قول الله تعالى: ((**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**))[الأنفال:60].

الطالب: كيف نجمع بين جواز خدع العدو وبين عدم جواز الخيانة؟

الشيخ: نعم. الخيانة معناها: أنك تخدعه في مقام الأمانة، والخديعة تخدعه في غير مقام الأمانة، الحرب قائمة وتضع كمين لهم مثلاً وما أشبه ذلك، تظهر مثلاً أن عندك كثرة عدد تجعل الناس مثلاً يترددون كما فعل القعقاع بن عمرو في حروبه مع الفرس ... وغير ذلك. فأنت الآن ما خنتهم؛ لأن ما بينك وبينهم عهد.

الطالب: بعض الصحابة ..... يخبره بأنه فلان يؤمّنه، ثم يقتله.

الشيخ: ما يعتبر خيانة لأن ذاك محارب، ما بينه وبينه عهد، ولهذا قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قصة كعب بن الأشرف: (**من لكعب بن الأشرف فقد آذى الله ورسوله**).

الطالب: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسّر القوة قال: (**ألا أن القوة الرمي .. ألا أن القوة الرمي**).

الشيخ: نعم. الرسول عليه الصلاة والسلام وكذلك أيضاً ما يرد عن الصحابة في تفسير بعض الآيات يذكرون الشيء أحياناً على سبيل التمثيل، والقوة في ذلك الوقت هي الرمي ولا تزال أيضاً، فإن الرمي الآن من أشد ما يكون من القوة يعني: هو أعلى أنواع القوة.

وسواءً كان ظن الناس في القوس فيما سبق، أو في البندقية أو في الصواريخ ... المهم أن الرمي في كل وقت تجد أنه هو ذروة القوة.

الطالب: إذاً: ما يكون أن هذا للحصر؟

الشيخ: ما يكون للحصر لكن الرسول أراد أن يبيّن غاية القوة، فالقوة هذه هي الغاية في كل وقت.

وفيه أيضاً دليل في قوله عليه الصلاة والسلام: ((**فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا**))[النمل:37] على كثرة جنود سليمان؛ لأن هذه الملكة التي لها العقل العظيم، وعندها القوم المطيعون، الذليلون لأوامرها يقول: ((**فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا**))[النمل:37] ولم يبيّن هذه الجنود، لكنه مر في أول القصة أن جنوده ثلاثة أصناف: الجن، والإنس، والطير. هذه كلها ممكن أن يسلطها عليهم، إذا سلّط الجن ما لهم قبل بها، ولئن سلّط الطيور فنقبوا عيونهم أيضاً لا قبل لهم بها.

فالحاصل: أن الجنود التي لسليمان لا يمكن لهؤلاء أن يقابلوها، لا كمية ولا كيفية.

الطالب: .... إرسال الرسالة ينبغي .... المرسل، طيب كيف كان ..... كان العمال يرسلون إلى أمير المؤمنين من عامل .....

الشيخ: نعم. بس من باب التعجب والمبالغة، وإلا لا شك أن الأول أولى، لكن مثلما قلت الآن: أنهم كانوا يقولون: إلى فلان من فلان، ثم صاروا يقولون: إلى فلان ويأتون بالاسم في الآخر. يمكن هذا من باب التعجب والإكرام مع الغير.

الطالب: .....؟

الشيخ: ما أعرف هل هي ..... أو أنها ....، ولكن هذه من الأمور العادية وليست عبادة.

الطالب: قبل ..... أو بعده، الظاهر ..... سليمان قبل ...؟

الشيخ: لا. هي أخبرت قالت: ((**إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ**))[النمل:30] فهل كان سليمان كتب: بسم الله الرحمن الرحيم، من سليمان ألا تعلوا عليَّ وائتوني مسلمين؟ لأن هذا خبرٌ منها، ليس .... عليهم الخط الآن، يعني: ليست تقرأ الكتاب حتى نقول: من سليمان بسم الله الرحمن الرحيم، ولهذا قالت: ((**إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ**))[النمل:30 - 31].حتى إننا أيضاً في أثناء التفسير قلنا أحسن من انها فهمت: ((**إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ**))[النمل:30] بغيرها وإن لم .....

الطالب.....؟

الشيخ: صحيح، الكافر ليس له حقٌ في أرض الله ولا في مال الله، حتى المال ما له حق فيه.

وجه ذلك: أنه لو لم يكن هكذا لكان تهديده بهذا الأمر محرماً؛ إذ لا يجوز له أن يفعل هذا، لو كان لهم حق ما أجاز له أن يفعل ويخرجهم من أرضهم.

الطالب: ..... من قال: الصغار..... عن داود ..... أنه فرق بين الذلة والصغار.

الشيخ: لا ما يصير، نحن قلنا: الذلة في النفس، والصغار في البدن.

الطالب: ((فلنأتينهم)) فيها رد على الجبرية ؟

الشيخ: يمكن يستدل بها، على أن الإنسان يفعل باختياره؛ لقوله: ((**فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ**))[النمل:37].

ثم قال الله تعالى: ((**قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا**))[النمل:38] " **في الهمزتين ما تقدم** " الملأ أيكم، ما الذي تقدم؟ تحقيقهما.. تحقيق الهمزتين ((**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ**))[النمل:38].

وتسهيل الثانية بقلبها واواً ((**يا أيها الملأ ويّكم**)).

" ((**يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**))**[النمل:38] منقادين طائعين، فلي أخذه قبل ذلك لا بعده** ". قال: ((**قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**))[النمل:38] من أين عرف أنهم سيأتون مسلمين إليه؟

عرف ذلك من أنهم إذا سمعوا بما قال الرسول الذي قال له: ارجع إليهم، فإنه لا بد أن يستسلموا وينقادوا، فهو أيضاً حكم بالقرائن، ويجوز أن الله سبحانه وتعالى أوحى إليه بذلك لأنه نبي، فالمسألة دائرة بين أن يكون حكم بكونهم يأتون مسلمين بناءً على القرينة، ويحتمل أن يكون ذلك وحي من الله سبحانه وتعالى.

ولكن قوله: ((**قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**))[النمل:38] نبّه المفسّر على أنه إذا كان العرش أُخذ قبل أن يأتوا مسلمين إليه، فهو جائز، وإذا كان بعد ذلك فليس بجائز.

وفي هذا نظر؛ لأنها هي بمجرد ما تفارقه مسلمة تكون قد أحرزت مالها، وقد حمته وإلا لا؟، فمالها محترم قبل أن تصل إلى سليمان بمجرد إسلامها، وهي إذا غادرت ستأتي بلا شك مستسلمة، فإنه قال لهم بالأول: ((**أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**))[النمل:31] وليس غرضه -والله أعلم- أنه إذا كان قبل إسلامهم جاز له أخذه، وإذا كان بعده لم يجز.

ثم إن الظاهر أيضاً أن سليمان لا يريد تملك هذا العرش، وإنما يريد إظهار قوته أمامها، وأنه استطاع أن يأتي بعرشها قبل أن يصلوا إليه، ولا يريد أن يتملكه حتى يرد ما قاله المؤلِّف.

لما قال: ((**أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**))[النمل:38].

" ((**قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ**))**[النمل:39] هو القوي الشديد** ".

العفريت القوي الشديد، ولا زال هذا المعنى إلى الآن موجوداً، إذا قلنا: فلان عفريت يعني: قوي شديد أو نقول بعد أبلغ من هذا.

((**قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**))[النمل:39].

آتي هي اسم فاعل أو فعل؟

الطالب: فعل.

الشيخ: ما تقولون أنتم؟

الطالب: نعم فعل.

الشيخ: ما يخالف ما اسم الفاعل من أتى؟

الطالب: آت.

الشيخ: كل آتٍ قريب، وهنا؟

الطالب: .... الهمزة أصلها أأت.

الشيخ: يعني: ما يصلح أن أقول: أنا آتٍ إليك به قبل أن تقوم من مقامك؟

الطالب: يصلح.

الشيخ: يصح، لكن الظاهر أنها فعل لأن هذا العمل من الأفعال.

الطالب: .... الباء ...

الشيخ: لا. حتى هذه أنا آتٍ به.

((**أَنَا آتِيكَ بِهِ**))[النمل:39] ولكن الأقرب أنه فعل يقربه، أن الأصل في العمل الأفعال، والكاف معمول لأنه مفعولٌ به، فهذا هو الأصل...هذا حاشية الصاوي ؟ وايش هو ؟...

قال: " ((**أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ**)) **الذي تجلس فيه للقضاء وهو من الغداة إلى نصف النهار** ".

هذا لا دليل عليه، هذا من الأمور التي لا دليل عليها، ولكن قوله: ((**قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ**)) المراد أنا آتيك به بسرعة، وهذا أسلوبٌ معروف، أنا أجيبه قبل أن تقوم، لا زال إلى الآن موجوداً هذا الأسلوب.

فالمعنى: أنا آتيك به بسرعة.

" ((**وَإِنِّي عَلَيْهِ**)) **أي: على هذا العرش** ((**لَقَوِيٌّ**)) **أي: على حمله** ((**أَمِينٌ**))**[النمل:39] أي: على ما فيه من الجواهر وغيرها** ".

لما قال: آتيك به، هذا إخبار، ولكن يحتاج إلى تأكيد لهذا الأمر أن يحضره قبل أن يقوم من مقامه، فقال: ((**وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ**)) ولست بضعيف، بل سوف أحضره بهذه السرعة.

وأيضاً ((**أَمِينٌ**))[النمل:39] أي: لا أخون فيه بشيء لا على نفس العرش ولا على نفس ما فيه من الجواهر وغيرها.

وهذان الوصفان يحتاج إليهما كل عامل كما قال الله تبارك وتعالى عن بنت صاحب مدين: ((**إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ**))[القصص:26] وهذان الوصفان مطلوبان في كل عمل؛ لأنه إذا فاتت القوة لم يحسن العمل من أجل العجز، وإذا وجدت القوة ولكن فاتت الأمانة فإنه أيضاً يتخلف العمل بسبب الخيانة.

" **قال سليمان أريد أسرع من ذلك** " من الذي قالها؟ لا دليل عليه

ولكن " ((**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ**)) **أي: المنزل وهو آصف بن برخيا كان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعا به أجيب** "....

الطالب: مقصور

الشيخ: دعا ...اسم الله الأعظم المعروف أنه إذا دعي به اجاب لكن يحتمل أنه إذا دعا به هذا الرجل الذي عنده علم من الكتاب، يعني: أن هذا الرجل قد جرّب وقد عرف أنه إذا دعا الله تعالى بهذا الاسم أجابه.

فيكون هنا أنسب أن يقال: إذا دعا به أجاب؛ لأن هذا الرجل عنده علم من الكتاب يعلم أو قد جرّب إذا دعا بهذا الاسم أجاب.

وهذا أيضاً ليس بلازم أن يكون هذا الإنسان الذي عنده علم من الكتاب يريد أن يدعو الله تبارك وتعالى باسمه الأعظم، وإنما نقول: هذا الرجل أعطاه الله تعالى علماً من الكتاب المنزّل، ولا شك أن الإنسان العالم يعرف الأدوات والصيغ التي تكون أقرب إلى الإجابة، سواءً باسم الله الأعظم أم بغيره.

يقول: " ((**أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**)) **إذا نظرت به إلى شيء** "الله أكبر أيهما أسرع؟ الثاني، هذا كلمح البصر.

((**أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ**)) أي: يرجع ((**إِلَيْكَ طَرْفُكَ**)) أي: نظرك.

فأنت مثلاً إذا نظرت هكذا أمامك، إن قلت هكذا بسرعة فائقة، وكأنه سبحان الله العظيم يأتي من اليمن إلى الشام بهذه السرعة العظيمة؛ لأنه يأتي بأمر الله سبحانه وتعالى، والله تعالى ((**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**))[يس:82]، ((**وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ**))[القمر:50].

فالله تبارك وتعالى إذا أجاب الداعي ما احتاج إلى مدة ولا إلى مهلة، ولكن مع ذلك يقدّر الله تبارك وتعالى الأمور بأسبابها، قد يدعو الإنسان لمريض أن يشفيه الله سبحانه وتعالى، لكن هل يُشفى كلمحٍ بالبصر؟ لا. له أسباب تقدّر، لكن الأسباب تنعقد فوراً إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يجيب، مع أن الله قادر على أن يبرئ هذا المريض بلحظة، مثلما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يؤتى أحياناً بالمريض فيدعو له فيشفى بلحظة، جيء إليه بعلي بن أبي طالب في خيبر وهو يشتكي عينه، فبصق فيها ودعا فبرئت كأن لم يكن بها وجع في الحال.

فالله تبارك وتعالى على كل شيءٍ قدير، ولكن تأخر الشيء لا يدل على أن الله سبحانه وتعالى ليس بقادر على إبرائه حالاً، ولكنه يدل على أن الله حكيم يقدّر الأمور بأسبابها، حتى خلق السماوات والأرض في ستة أيام ذكرناها فيما سبق أنه لفائدتين:

أولاً: ما اشتهر عند أهل العلم من أن الله تعالى جعلها في ستة أيام ليعلم العباد التأني في الأمور، وأن المهم إحكام الأمر لا التعجيل فيه.

وشيءٌ آخر: أن خلق هذه الأشياء يحتاج إلى أسباب ومكونات تتفاعل وتنتهي إلى الكمال، فلهذا صارت في ستة أيام.

هنا قال: " ((**قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**)) **فقال له: انظر إلى السماء! فنظر إليها، ثم رد بطرفه فوجده موضوعاً بين يديه ففي نظره إلى السماء دعا آصف بالاسم الأعظم أن يأتي الله به فحصل بأن جرى تحت الأرض حتى نبع تحت كرسي سليمان** "الله اكبر!! غرائب القصص !.

أولاً: هل أن هذا هو الذي عنده علم من الكتاب قال لسليمان: انظر إلى السماء؟ ما في دليل ولا حاجة يدل ... ((**قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**))[النمل:40] في أي نظرٍ أدرت طرفك إليه.

ثانياً: لو نقول أنه جاء من الأرض ونبع من تحت الكرسي! يجوز أنه جاء من الأرض، يجوز جاء من فوق الأرض، أو جاء من محل عالٍ جداً ونزل ... كل هذا لا ينبغي الجزم به، بل يقال: إن الله على كل شيءٍ قدير، المهم أن العرش حضر بلحظة قبل ما يرتد إليه طرفه.

وفي قوله: " ((**فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عنده**)) **أي: ساكناً** " هذه أشكلت على النحويين لأنهم يقولون من قواعدهم: إذا كان الظرف أو الجار والمجرور متعلقه عاماً فإنه يجب حذفه.

مثلاً تقول: زيدٌ في البيت، ما يجوز تقول: زيدٌ كائنٌ في البيت، بل يجب حذف كائن لأنه عام، أما إذا كان خاص مثل: زيدٌ محبوسٌ في البيت فيجب ذكره؛ لأن محبوس لو حذفت ما دل عليها دليل، بخلاف زيدٌ في البيت فإنه بمجرد أنه يتبين للمخاطب أن المعنى كائنٌ فيه أو موجود فيه.

فهم يقولون: إذا كان الجار والمجرور متعلق أو الظرف متعلقه عاماً وجب حذفه.

وهنا مستقر عام أو خاص؟

الطالب: خاص

الشيخ : خلينا نشوف كلمة مستقر عام إذا قلت: زيدٌ في البيت أو مستقرٌ في البيت يعني: كائنٌ فيها، وابن مالك يقول:

وأخبروا بظرف او بحرف جرّْ	**ناوين معنى كائنٍ أو استقرّ**

لكن قالوا: إن الاستقرار هنا ليس الاستقرار العام حتى يجب حذفه، بل هو استقرارٌ خاص غير مطلق الوجود، فلما كان استقراراً خاصاً غير مطلق الوجود صار كالمعنى الخاص، ولذلك ذُكر ((**فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا**)) لاحظوا لو قال: فلما رآه عنده ما تدل على المعنى في كلمة مستقر، صحيح لما رآه عنده كائناً عنده لكن ما تدل على أن هذه الكينونة كانت باستقرارٍ وثبات.

وأيضاً ربما يفهم من قوله: ((**مُسْتَقِرًّا**)) ما أشار إليه العفريت في الأول وهو القوّة والأمانة؛ لأنه بالقوة والأمانة يأتي العرش على ما هو عليه ما يتكسّر، الإنسان الضعيف مثلاً ربما عند حمله وهو ضعيف يسقط من يده أو ما أشبه ذلك فيتكسّر، أو إذا لم يكن أميناً ما يهمّه أن .... جبل أو شجر أو ما أشبه ذلك، أو هو نفسه يتسلط عليه. فالحاصل: أن هذا الاستقرار له معنى خاص غير الاستقرار العام فلذلك ذُكر.

" ((**فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا**)) **أي: الإتيان لي به** ((**مِنْ فَضْلِ رَبِّي**)) " إلى آخره. نعم

الطالب :...

((**وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (43) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44)**))

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

...قال الله تبارك وتعالى: ((**قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**))[النمل:38].

في هذا دليل على جواز الخطاب إلى المبهم إذا كان يتعين بعد ذلك لقوله: ((**أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا**))[النمل:38] ما قال: ائتني يا فلان؟ وهذا النوع من الخطاب يترتب عليه فوائد كثيرة حكمية وخبرية:

فمنها مثلاً: أنه يجوز أن يقول: زوجتك إحدى ابنتي هاتين، ثم يختار إحداهما مثلما فعل صاحب مدين مع موسى.

ومنها: أنه يجوز أن يقول: بعتك إحدى هاتين السلعتين بكذا، فيختار إحداهما.

ومنها: بعتك هذا بعشرة نقداً أو بعشرين نسيئة، فيختار أحد الثمنين.

وليست هذه المسألة الأخيرة من باب بيعتين في بيعة خلافاً لمن زعم ذلك، فإن هذه بيعة واحدة؛ لأنهما لم يتفرقا إلا على إحدى البيعتين.

وأيضاً بيعتان في بيعة سبق لنا أنه جاء فيها نصٌ صحيح صريح في سنن أبي داود، ايش يقتضي ؟ أن بيعتين في بيعة هي مسألة العينة؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**من باع بيعتين في بيعة فله أوكسهما أو الربا**) وهذا صريح في أن ذلك مسألة العينة. ياولد

لو قال: ما مسألة العينة؟ أن أبيع الشيء عليك بثمن مؤجل ثم أشتريه منه بأقل منه نقداً، هذه مسألة العينة.

الطالب: نفس البائع يشتريه؟

الشيخ: نعم. نفس البائع يشتريه بأقل. فصار الآن أنه يجوز الخطاب حكماً وخبراً المبهم، لكن بشرط أن يتعين قبل تمام الحكم.

هنا: ((**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي**))[النمل:38] في هذا دليلٌ على أنه يجوز للإنسان أمام عدوه أن يظهر العظمة؛ لأن سليمان أراد بإحضار هذا العرش إظهار عظمته وقدرته، وأنه استطاع أن يأتي بعرشها المحصّن بلا شك؛ لأنه كما جرت العادة قصور الملوك لا بد أن تكون محصّنة وعليها حرس لا سيما مثل العرش.

وأما زعم المؤلِّف أنه إنما أتى به ليتملكه فهذا لا دليل في الأصل على ذلك.

الطالب: ما يرد عن هذا اشتراط تعيين بالنسبة .....

الشيخ: أصلاً ما يصح العقد إلا بالتعيين، .... فقال: قبلت منك نكاح فلانة حصل التعيين، ما يصلح نقول: قبلت إحداهما.

كما أن البيع أيضاً بعتك بعشرة نقداً أو عشرين نسيئة تقول: بعشرين نسيئة، قبلت بعشرة نقداً. لا بد من هذا؛ لأن إذا جاء القبول يعيّن، المهم الكلام على الإيجاب.

وفيها دليل ((**أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**))[النمل:38] على أن سليمان عليه الصلاة والسلام إما أنه تفرّس أو أوحي إليه بأن هؤلاء القوم سوف يأتونه. يعني: لما رد الرسول بالهدية وقال: ((**فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ**))[النمل:37] ما جاءه الجواب، فطلب أن يُحضر عشرها، مما يدل على أنه علم بأنها ستأتي وقومها، ولكن من أين علم ذلك؟

إما من وحي، وإما من فراسة؛ لأن مثل هذه العبارات التي تُرسل ((**فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ**))[النمل:37] بهذه القوة يقتضي أن العدو يسمع ويخضع.

إن كان بفراسة فهو دليلٌ على جواز الحكم بالفراسة، وقد ذكرنا عدة مرات أنه يجوز الحكم على الشيء بمقتضى غلبة الظن، بل يجوز أن يحلف عليه بمقتضى غلبة الظن. والفراسة تؤدي إلى غلبة الظن، ولكن ليس مجرد الوهم يجوز أن تحكم بالظن، بل لا بد للفراسة من قرائن تدل عليه. إما قرائن سابقة، وإما قرائن مقارنة.

وأما أن تحكم بشيء ما فيه قرينة فهذا حكم بالظن.

((**قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**))[النمل:39].

أولاً: في هذه الآية دليل على تسخير الجن لسليمان؛ لقوله: ((**قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ**))[النمل:39] هو أول من تكلم.

ثانياً: دليلٌ على قوة الجن؛ لأنه سوف يأتي بهذا العرش العظيم، يحمله من سبأ –من اليمن– إلى الشام.

ثالثاً: دليل على سرعتهم وهو من أوصاف القوة؛ لقوله: ((**قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ**))[النمل:39] وهذه سرعة فائقة.. سرعة عظيمة، ومعلومٌ أنهم عندهم سرعة عظيمة بدليل أنهم يسترقون السمع من السماء، ولا يصل إلى السماء إلا من عنده سرعة هائلة عظيمة.

وفيه دليل على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما اتصف به من صفات الكمال ترغيباً أو ترهيباً، من أين يؤخذ؟ ((**وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**))[النمل:39] هذا ترغيباً، ((**فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا**))[النمل:37] فيجوز هذا وهذا، لكن شرط أن يكون متصفاً به حقيقة، أما دعوى فلا، فهذا مثلما قال في الحديث: (**المتشبِّع بما لم يُعْطَ كلابس ثَوْبَي زور**).

فالإنسان الذي يمدح نفسه بما ليس فيها هذا لا شك أنه مزوِّر بالخبر، ومزوّر بالصفة إذا أخبر عن نفسه بما ليس فيها، فالخبر كذب وثبوت الوصف هذا للنفس مثلاً كذب، فلذلك قال: (**كلابس ثَوْبَي زور**).

الطالب: ....؟

الشيخ: نعم مثله، .... العلماء أيضاً يتكلمون في مثل هذا، مثل قول ابن مسعود: " **لو أعلم أحداً تبلغه المَطِي أعلم مني بكتاب الله لرحلت إليه** "أو كما قال.

وفيه دليل على أن مدار العمل على هذين الوصفين وهما: القوة والأمانة؛ لقوله: ((**لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**))[النمل:39] لأن من ليس بقويٍ لا يتقن العمل لماذا؟ لضعفه، ومن ليس بأمين لا يتقن العمل أيضاً لايش ؟لخيانته.

فقد يكون الإنسان قوياً ويستطيع أن يعمل هذا العمل بكل سهولة، لكنه ليس بأمين فلا يثق الإنسان به، ثم إن العمل لو أنه أتقنه يبقى الإنسان شاباً يقول: يمكن أقدر على أحسن من هذا، لكن ما فعل لأنه خائن.

وكذلك أيضاً: لو كان الإنسان أميناً لكنه عاجز فإنه لن يتقن العمل لعجزه، أيهما أشد لوماً؟

الطالب: الخائن أشد؛ لأن .....

الشيخ: الخائن أشد، وهذا أيضاً عنده نوع خيانة لأن كونه يدخل في العمل وهو ليس بقوي عليه، هذه لا شك أنه خطأ وخيانة، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام لأبي ذر: (**إنك رجل ضعيف، فلا تأمّرن على اثنين ولا تولين مال يتيم**).

فالإنسان الضعيف ما يجوز أنه يتدخل في شيء أنه ما يستطيع إتقانه، لا سيما إذا كان يوجد في الناس من يحسنه، فهذه تعتبر خيانة لنفسه ولغيره، خيانة لنفسه لأنه في الحقيقة جثمها صعباً، يريد أن يظهر ضعفه أمام الناس.

وخيانة لغيره حيث تقبّل أعمالهم وهو لا يحسنها ((**إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ**))[القصص:26].

إذا قال قائل: إذا اجتمع عندنا أربعة أشخاص: أحدهم قوي أمين، والثاني قوي غير أمين، والثالث أمين غير قوي، والرابع ضعيف خائن.

القوي الأمين مقدّم ما فيه إشكال، والخائن الضعيف مؤخر بلا شك. هذان طرفان معلومان.

بقينا: قويٌ خائن، وضعيف أمين.

الطالب: الضعيف الأمين أولى أن يقدّم.

الطالب: يقدّم القوي؛ لأن هذا قصد الخيانة.

الطالب: الضعيف الأمين يقدّم؛ لأنه سيؤدي عملاً ..... على حسب المهنة، إذا كانت من شأنها تتطلب القوة فإنه يقدّم القوي، وإذا كانت .... تحتاج إلى ..... فيقدم الخائن.

الشيخ: هذا هو الصحيح: يعني يجب أن ينظر أيهما أولى مراعاة:

إذا كان في عملٍ القوة فيه أظهر، فهنا يقدم القوي لأن القوي وإن كان عنده خيانة ربما تحمله قوته على إتقان العمل لأجل أن يشتهر بهذه القوة، مثلاً ما وجد إلا هو.

أما إذا كان المسألة ما تحتاج إلى عمل وقوة لكنها تتطلب الأمانة، فهنا يقدّم الأمين.

طيب. هذا واضح إذا كان في عملين أحدهما يظهر فيه قصد الأمانة، والثاني يظهر فيه قصد القوة.

كالأمير مثلاً. الأمير يظهر فيه قصد القوة يعني: قوة الأمير وإن كان غير أمين أنفع للمجتمع من أمير ضعيف أمين، والقاضي بالعكس.. القاضي الأمانة في حقه أظهر؛ لأنه إذا كان أميناً وإن كان ضعيفاً الذي ينفذ ليس هو، مثلما عندنا في عصرنا الآن التنفيذ لمن؟ لجهة الأمارة. القاضي يحكم، فإذا كان أميناً فهنا قصد الأمانة في القضاء أظهر من قصد القوة. وعلى هذا فقس.

ولكن إذا كان العمل يتعارض فيه القوة والأمانة، فهذا محل نظر، ولا يمكن أن نحكم بحكمٍ عام، بل إننا ننظر في القضية المعينة فننظر. يعني: إذا تشاحا اثنان في عمل يتطلب القوة والأمانة معاً، ولا يظهر فيه فضل أحدهما على الآخر، حينئذ ما أستطيع أن أحكم هنا حكماً عاماً، بل إنما يُنظر في كل مسألة بخصوصها، ويُنظر للقرائن ويُنظر أيضاً للأشخاص ومن تظهر فيه القوة أكثر من ظهور الأمانة في الثاني، أو الأمانة في هذا أكثر من ظهور القوة في الثاني.

على كل حال هذه المسألة ما نحكم فيها بحكمٍ عام، لن نحكم فيها بالقضية المعينة ونقول: يقدّم هذا على هذا، عندما تحصل القضية المعيّنة.

فالحاصل إذاً: أقسام الناس باعتبار القيام بالعمل أربعة ماهي ؟

الطالب: قوي أمين، وقوي خائن، وضعيف أمين، وضعيف خائن.

الشيخ: ...قوي أمين، وقوي خائن، وضعيف أمين، وضعيف خائن. هذه أربعة أقسام

ومعلوم أن الأول يقدّم على كل حال، والثاني يؤخر على كل حال يؤخر على كل حال ، والثالث والرابع بينهما تزاحم، فيُنظر إلى ما كان يستدعي القوة أكثر فيقدّم فيه القوي، وما كان يستدعي الأمانة أكثر يقدّم فيه الأمين، وما احتمل الأمرين يُنظر فيه إلى القضية المعينة حتى نستطيع أن نقدم هذا على هذا.

قلنا وفيد دليل أنه يجوز أن يصف الإنسان نفسه بما يتصف به...، لكن بشرط أن يكون ذلك حقيقة.

الطالب: .....

وقوله: نحن نقول: مباح، وتعرف أن المباح تعتريه الأحكام الخمسة، قد يكون واجباً أحياناً، وقد يكون محرماً، إنما هو على سبيل الإباحة ولا يمكن أن نقول إنه مطلوب في كل حال؛ لأنه قد يكون لغرض سيئ، ولا أنه منهي بكل حال لأنه قد يكون لغرض حسن. فهو على سبيل الجواز... انتهت الاية هذه

الطالب: .... أيضاً يجد مثلاً .... نفسه إلا إذا اقتضت الحال.

الشيخ: ... مباح، هذا الأصل.

الطالب: ....

الشيخ: نعم. لكن إذا اقتضى الحال البيان يكون مطلوب، إما وجوباً أو استحباباً.

الطالب: ما يكون من باب التزكية ....

الشيخ: لا لا الناس يختلفون أنا ما قصدي أنها التزكية، إذا كان قصدي التزكية من باب المنهي عنه، قد يقولون لك: تحدث بنعمة الله فيكون مطلوباً، وقد يكون لأجل أن يمنع من ليس بأهلٍ لمباشرة هذا العمل، فيكون هنا قد وجد ليبين نفسه.

يمكن نأخذ من قوله: ((**قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ**))[النمل:39] نأخذ منها فائدة وهو أن سليمان عليه الصلاة والسلام قد رتّب شئون حياتهم، وأن له مجلس خاص معروف معيّن؛ لأن قوله: ((**قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ**))[النمل:39] لا شك أنه مقدّر بمدة معلومة، وإلا لم يكن لذلك فائدة؛ لأن قيامه من مقامه إذا لم يكن معلوماً فهل يُدرى مثلاً ....، قد يبقى يوماً كاملاً في مكانه، وقد لا يبقى إلا دقيقة واحدة.

فلولا أنه عليه الصلاة والسلام قد رتّب أوقاته حتى أصبحت معلومة للناس، ما قال مثل هذا الكلام ، وأما تقدير ما قاله المفسِّر " **من الغداة إلى نصف نهار** " فهذا ما ندري الله أعلم.

على كل حال يؤخذ منه: أن سليمان عليه الصلاة والسلام كان قد رتّب أوقاته حتى صارت معلومة، وهذا لا سيما بالنسبة للإنسان المراد الذي يريده الناس أمرٌ من أهم الأمور أنه يرتّب أموره، حتى أن الإنسان الذي يريده في حاجة يعلم أنه في هذه الساعة يجلس، وفي ساعة أخرى لا يجلس لا يستفيد.

مثلاً: يبق لنفسه جلسة مثلاً في بيته أو في مكان مناسب على سبيل العموم إما بين عشاءين أو بعد العصر أو الضحى ... المهم شيء يعرفه الناس، يرتب لنفسه مثلاً عمل معيّن يعرفه الناس، حتى من أراده في هذا العمل يأتي إليه. سليمان قد رتّب عمله في وقته، والثاني: أنه ينبغي للإنسان خصوصاً المراد من أميرٍ وقاضٍ وعالمٍ ووجيه وغيره، ليجعل وقت معيّن تكون أوقات محددة.

حتى إن الناس يشعرون بأن هذا الرجل رجل منظّم، ويشعرون بأن الإنسان الفوضوي إن شاء جلس وإن شاء قام لأنه ليس بمنظّم، فلا يعتبرونه شيئاً.

((**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**))[النمل:40].

في هذا دليل على أن جنود الله سبحانه وتعالى وهم الملائكة أقوى من الجن؛ لأن ذاك قال: ((**قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ**))[النمل:39]، وهذا قال: ((**قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**))[النمل:40] أيهما أسرع؟ الأخير بلا شك ولا سواء.

الطالب: .....

الشيخ: لأن الذي عنده علم من الكتاب عالم ولا يصلح له إلا بالدعاء.

الطالب: لا يقال أنه أيضاً ..... لأنه من العلم الذي عنده.

الشيخ: ما ظاهر ..كونه يقول: ((**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ**))[النمل:40] مفصولة عن قوله: ((**قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ**))[النمل:39] والأصل أن الكلام مع الإنس، فالظاهر أنه رجل ليس من الجن.

الطالب: يقال أن جبريل هو الذي قال هذا؟

الشيخ: لا. ما هو صحيح؛ لأن كل إنسان أو كل قائم ليس من البشر لا بد أن ينوه عنه؛ لأن الأصل أن البشر هم الذين يتخاطبون وهم الذين يتفاهمون، فإذا كان من غيرهم نوه عنه .

الطالب: مثلما نوّه عليه الجن.

الشيخ: مثلما نوّه عليه الجن

وفي هذا دليل على كمال قدرة الله عز وجل؛ لأن كون هذا العرش العظيم يأتي من اليمن إلى الشام بلحظة لا شك أنه من كمال قدرة الله التي لا يتصور الإنسان كيف تكون.

الان هل يمكن أن نتصور كيف جاء هذا من اليمن إلى الشام قبل أن يرتد إلى الإنسان طرفه؟

.لو يطير طيرانا... ما يتصور أنه يأتي بهذه السرعة، ولا نتصور أن الأرض كشطت كشط حتى التقى هذا بهذا أيضاً.

فقدرة الله سبحانه وتعالى ما يمكن للإنسان أن يتصورها، تأتي فوق التصور، وهكذا جميع صفات الله ((**فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ**))[النازعات:13 - 14].

فجميع الخلائق كلهم على ظهر الأرض، من يتصور هذا؟ تستطيع تصور هذا؟ ما تستطيع تصوره.

يعني: لو كان من الأرض فتتشقق تتفتح بس ما .... تتفتح .....

المهم أن هذه نموذج من صفات الله سبحانه وتعالى في عجز العقل مهما بلغ عن إدراك كنه قدرة الله، وكذلك بقية صفاته، فأنت الإنسان علمك محدود وطاقتك محدودة، ولا يمكن أن تتجاوز أكثر مما تشاهد أي: ما أطلعك الله عليه.

وفي هذا دليل على فضل الله سبحانه وتعالى على سليمان حيث سخّر له أهل العلم والجن، الجن بالأول وصاحب العلم بالثاني.

وهل قوله: ((**قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**))[النمل:40] مبالغة وإلا حقيقة؟ حقيقة، وإلا لقلنا إنه يجوز المبالغة في الأمور، ولكن على كل حال المبالغة في الأمور قد وردت في غير هذا النص، أن الإنسان يبالغ وإن كان ليس مقصوداً على سبيل الحقيقة، وقد جاء ذلك في القرآن وفي السنة أيضاً مبالغ في الأمور.

" **وفي هذا** ((**فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا**)) **أي: ساكناً** ((**عِنْدَهُ قَالَ هَذَا**)) **أي: الإتيان لي به** ((**مِنْ فَضْلِ رَبِّي**))[**النمل:40**]. ((**فَلَمَّا رَآهُ**))[النمل:40] أي: سليمان، رأى العرش ((**مُسْتَقِرًّا**))[النمل:40].

والاستقرار هنا أمرٌ زائد على مجرد الكينونة، ولو كان المراد بالاستقرار هنا مجرد الكينونة لكان ذكره غير بليغ، ولهذا فسّر المؤلِّف الاستقرار هنا بالسكون يعني: كأن له أزماناً وهو في هذا المكان، بينما أي شيءٍ تأتي به حتى المكان تريد ترتيبه مثلاً، تعدله وتزينه لا سيما مثل العرش الذي له قوائم في العادة، وهذا ثابت كأن له سنين، وهذا من كمال القدرة أيضاً.

((**قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ**))[النمل:40] مِنْ هذه لبيان الجنس أو للتبعيض؟

الطالب:...

الشيخ: يجوز هذا وهذا؛ لأنه إذا قصدنا بالفضل الجنس فهل لبيان الجنس، وإذا قصدنا بالفضل هذا الشيء المعيّن فهو للتبعيض.. على كل حال هو صالح لهذا وهذا.

وقوله: ((**فَضْلِ رَبِّي**))[النمل:40] الفضل هو العطاء الزائد، وفضل الله تبارك وتعالى على العبد لا يُعد ولا يحصى ((**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا**))[إبراهيم:34] ومن فضله على عبده أن يُحسن إليه، ثم يعد إحسانه إحساناً ثم يعد احسان العبد احسانا فاهمين ذا ؟ ((**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ**))[الرحمن:60].

تقول: ما جزاء المحسنين الذين أحسنوا عملهم إلا أن يحسن إليهم، وإحسانهم عملهم إحسانٌ من الله، ولكن هذا من تمام الفضل من الله على عباده أن يعد إحسان عمله وهو منهم إحساناً منه، كأن ما هم مستقلون به ((**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ**))[الرحمن:60] اللهم لك الحمد.

وقوله: ((**رَبِّي**))[النمل:40] الربوبية هنا خاصة، ولهذا أضافها إلى نفسه فقال: ((**رَبِّي**))[النمل:40].

وقد مر علينا أن الربوبية عامة وخاصة، وأن العبودية كذلك عامة وخاصة، وأن الخاصة فيها ما هو أخص.

وقوله: " ((**لِيَبْلُوَنِي**)) **ليختبرني** " واللام هنا للتعليل ((**قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ**))[الأعراف:121 – 122] فإن الربوبية لموسى وهارون غير ربوبية عباد الله الصالحين الآخرين.

" ((**لِيَبْلُوَنِي**)) **ليختبرني** " واللام للتعليل.

" ((**أَأَشْكُرُ**)) **بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة الأخرى وتركه** ".

هذه لا يحتاج أن نقرأها إلا إذا كان مشكلا عليكم بتحقيق الهمزتين ((**أَأَشْكُرُ**)) إبدال الثانية ألفاً آشكر هذه إبدالها ألف، تسهيلها ااشكر همزة مسهلة بين الألف وبين الهمزة.

إدخال ألف بين المسهلة الأخرى وتركه يعني: معناه إذا قرأت بالتسهيل فلها صورتان: إدخال ألف آاشكر الذي بعد الألف همزة مسهلة، أو بدون ألف يعني: أن التسهيل المد قبل التسهيل وعدم المد واضح طيب.

" ((**أَمْ أَكْفُرُ**)) **للنعمة** " فبماذا يكون الشكر؟ يكون الشكر: بالثناء على الله تبارك وتعالى على هذه النعمة في ذاتها.

وكذلك الاعتراف بالقلب بأنها محض فضلٍ من الله، وأنه ليس لك بها منة على ربك.

والثالث: القيام بما تقتضيه هذه النعمة من واجب، وهذا الشكر الخاص وليس الشكر العام؛ لأن الشكر يكون عاماً بحيث يوصف الإنسان بأنه من الشاكرين على الإطلاق، ويكون خاصاً بحيث يوصف بأنه من الشاكرين على هذه النعمة فقط.

مثال ذلك: رجلٌ آتاه الله مالاً، فالشكر خاص على هذا المال أن يتحدث بهذا المال على أنه من فضل الله ونعمته، وأن يعترف بقلبه أنه فضلٌ من الله، ما يقول: ((**أوتيته على علمٍ عندي**)).

والثالث: أن يقوم بواجب هذا المال من دفع زكاته، وما يترتب عليه من نفقات بسبب هذا المال، لكن قد يكون الإنسان مثلاً من جهة أخرى يعص الله، يفرّط في الصلاة، مفرّط في الصيام.. هذا نقول له: هل نصفه بأنه شاكرٌ على الإطلاق؟

الطالب: لا.

الشيخ: لكنه قائمٌ بشكر النعمة المعيّنة.

إذاً: الشكر نوعان: شكرٌ مطلق، وشكرٌ خاص.

فالشكر الخاص: أن يكون بشكر النعمة المعيّنة بما تقتضيه.

والشكر العام: أن يكون قائماً بطاعة المنعم مطلقاً في جميع الأحوال. وأنت لو تأملت هذا وجدته موجوداً في عامة الأوصاف المحمودة والمذمومة أيضاً، فالتوبة قد يوصف الإنسان بأنه تائب توبة خاصة مقيّدة من ذنبٍ معيّن، وقد يوصف بأنه من التائبين على سبيل الإطلاق.

طيب. قول سليمان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ**))[النمل:40] على أي وجهٍ نحمله؟

الطالب: هو اشار الى هذا

الشيخ : إذا قلنا أنه على العموم معناه أنه رمينا سليمان بأنه ليس بشاكرٍ لنعمة الله في غير هذا، وإذا قلنا أنه على الخصوص يعني: على هذه النعمة المعيّنة فهو أولى، ولهذا قال: ((**هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي**))[النمل:40] ليختبرني به أأشكر الله عليه أم أكفر.

فالظاهر أنها هنا على سبيل الخصوص يعني: على هذه النعمة، أما النعم الأخرى فنحن نؤمن بأن سليمان قد قام بشكرها؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما مر علينا في قصة النملة قال مثل هذا الكلام ((**فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ**))[النمل:19].

الطالب: نقول: هذه فعلاً قد تكون ..... في تأثيرها على ما أنزل الله به عليه من نعم أخرى؟

الشيخ: لا لا ما نقوله؛ لأن الذي نعتقد وهو أقرب من حال سليمان أنه قد شكر الله على النعم الأخرى.

الطالب: .....

الشيخ: لا لا، لا تحاول أبداً، هي على هذه النعمة أأشكر ما قال أأتم الشكر، لو قال: أأتم الشكر. أشكر مطلقاً.

فالحاصل: أن الذي يظهر لنا أنها على هذه النعمة هذه النعمة هل أشكرها أم أكفرها؛ لأن كل نعمة تحتاج إلى شكرٍ خاص، والشكر العام معروف، الإنسان يؤمن بقلبه أنه شاكرٌ لله على جميع النعم، لكن عند نعمة معيّنة تحتاج هي أيضاً على شكرٍ خاص، فالشكر على المال ليس كالشكر على ....

مثلاً إنسان عند قوة وقدرة على الرمي والجهاد، ما هو شكر النعمة هذه، أن أستعملها في الجهاد أجاهد، عنده قدرة على بيان الحق بما أعطاه الله تعالى من العلم والفهم، شكر الله على هذه النعمة أن يبيّن هذا الأمر.

فتجد أن الشكر يختلف إذا اعتبرنا كل نعمة بحسبها؛ لأنه يختلف نقول: شكر هذا غير شكر هذا.

لكن الشكر المطلق أن نعتقد بأن جميع الفضائل والإنعامات كلها من الله سبحانه وتعالى، هذه يشترك فيها جميع الناس.

((**لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ**))[النمل:40] إذا قال قائل: كيف يقول سليمان أم أكفر، فالكفر كلمةٌ نابية تنفر منه النفس، فلما لم يقل: أأشكر أم لا أشكر، مع أن المعنى واحد لكن هذه أهون؟

نقول: لأجل ردع نفسه عن المخالفة وعدم الشكر، حتى يبيّن لنفسه أنه إذا لم يشكر فمعناه هو الكفر، فلكل مقام مقال.

قد تخاطب إنسان ترى أنه لم يشكر نعمة الله عليه فتخشى إذا قلت: أنت كافرٌ بالنعمة، أن ينفر منك ويزداد نفوراً حتى من النعمة، وإذا قلت: أنت لم تشكر تمام الشكر أو حق الشكر ... أو ما أشبه ذلك، وجدت أنه أهون، والأساليب تؤثر.

يقال: أن ملكاً من الملوك رأى رؤية فأفزعته فقال: عليَّ بالمعبّرين أو بالعابرين، فأحضروا له العابرين وقال لهم: إني رأيت أن أسناني قد سقطت فما ترون؟ فقام كبيرهم فقال: أرى أن أهلك سيموتون. انزعج الملك فقال: أوجعوه ضرباً، فأوجعوه ضرباً وقال: اصرفوهم هؤلاء ما هم معبّرين.

ثم جاء بمعبّرين آخرين وقال لهم: إني رأيت أن أسناني قد سقطت فقام كبيرهم وقال: الملك أطول أهله عمراً، وقال: هؤلاء أجلدوهم. مع أن المعنى واحد؛ لأن أهله لو ماتوا صار هو أطولهم عمراً.

فالحاصل أن التعبير له دخل في قبول الحق والنفور منه، وقد مر علينا قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث قال لأبيه: ((**إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ**))[مريم:43] ما قال: أنت جاهل ولا تدري ولا تعرف.

((**قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا**))[مريم:43] وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، بعض الناس يهبه الله سبحانه وتعالى قدرة على التعبير حتى إن العبارات تكون بيده كالعجينة، يلان له القول في كل ما يريد، فتجده يستطيع حتى لو أراد أن يخرج من لسانه كلمة لا يريدها على طول يجد بدلها، وبعض الناس ما يستطيع، فالله سبحانه وتعالى يهبه لمن يشاء.

إذاً: ((**وَمَنْ كَفَرَ**))[النمل:40] نقول: عبّر بهذا التعبير لأجل أن يردع نفسه عن المخالفة وعدم القيام بالشكر.

" ((**فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ**)) **عن شكره** ((**كَرِيمٌ**))**[النمل:40] بالإفضال على من يكفرها** ".

يعني: من كفر فإن ربي غني.. غني عن شكره صحيح، أو غنيٌ مطلقاً ومن جملة ما هو غنيٌ عنه شكر هذا الإنسان على نعمة الله، فإن الله تعالى ما أنعم على العباد لحاجته إلى أن يشكروه، بل لفضله عليهم وظهور آثار أوصافه.. ظهور آثار صفاته العظيمة ما يكون إلا بأفعاله التي من جملتها النعم.

أو النقم أيضاً ليظهر بذلك صفات الانتقام والغضب.

وقوله: ((**كَرِيمٌ**))[النمل:40] أي: أنه سبحانه وتعالى قد يبقي النعمة على من كفرها تكرماً منه أحياناً، وأحياناً استدراجاً، والله تبارك وتعالى حكيم يهب فضله من يشاء، قد يبق الله النعمة على الكافر بها استدراجاً؛ لقوله تعالى:وإلا لا؟ ((**وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا**))[آل عمران:178]، ((**فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ**))[القلم:44 - 45].

وقد يبقي الله تعالى النعم مع الكفر تربية؛ بحيث أن الإنسان يفتح الله عليه في التأمل فيخجل من الله عز وجل، أن يكون هو يبادر الله تعالى بالمعاصي والله تبارك وتعالى يدر عليه النعم فيرتدع.

وهذا هو ظاهر قوله: ((**كَرِيمٌ**))[النمل:40] لأن الكرم في مقابل الكفر ما يكون إلا حيث يكون ذلك الكرم من مصلحة الكافر بها، وإلا ما ظهر آثار الكرم بل ظهر آثار الكفر، لو قال: حكيم صار هذا يشمل من تدرج الله به حتى أهلكه، لكن كريم ما يتم الكرم للكافر بالنعمة إلا حيث كان إبقاء النعمة عليه مصلحة له، لأجل أن يعود.

ثم قال سليمان: " ((**قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا**))**[النمل:41] أي غيروه إلى حال تنكره إذا رأته** ".

والتنكير يحصل بتغيير أدنى صفة من صفاته،وإلا لا؟ ...إذا كان مثلاً قوائمه طويلة يمكن يقصّر القوائم فيكون تنكير، إذا كان لون إحدى .... مثلاً أحمر ممكن يخليها أصفر، يعني: سواءً هذا التنكير بالأجزاء أو باللون أو بالفرش بتغيير الفُرُش، الظاهر أن هذا داخل في التنكير.

((**نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ**))[النمل:41]

الطالب: ...

الشيخ: نكّروا فعل أمر، وننظر مقرون على أنه جواب الأمر.

نكّروا ننظر، كلمة نكّروا ولم يوجه الخطاب إلى شخص معيّن يدل على أن كل جنوده في طاعته؛ لأنه لو كان يخشى أن أحداً من الجنود يتمرد لكان يوجه الخطاب إلى شخصٍ معيّن لأجل أن يحرجه فلا يستطيع أن يقول لا، وهكذا عظمة السلطان تكون بمثل هذا، عندما يقول السلطان مثلاً أو الأمير: القهوة يا ولد. كل الحاضرين يفزعون، قهوة قهوة فتجيه بسرعة.

((**نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا**))[النمل:41] نقول: هذه أيضاً خطاب عظمة، ولهذا قال: ((**نَنظُرْ أَتَهْتَدِي**))[النمل:41] إما أن المعنى يقصد نفسه ويكون تعظيماً أو مع جنوده وحاشيته ينظرون جميعاً أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون.

وهذا كله أيضاً من أساليب الاختبار الذي يختبر به سليمان هذه المرأة كما اختبرها أيضاً فيما يأتي في مسألة الصرح، وأما قول المؤلَّف وغيره أن رجلها رجل حمار، فهذه من الإسرائيليات المكذوبة، فقدمها كقدم غيرها.

الطالب: .... أن فيها برص فيريد أن يتزوجها.

الشيخ: كل هذه ما هي صحيحة ... سليمان.

الطالب: تزوجها .....

الشيخ: على كل حال هي جديرة بأن تتزوج لأنها أسلمت وكانت ذكية.

الطالب: ما فيه دليل على تصرف ..... بحيث تصرف بالعقل؟

الشيخ: إن كانت في الآيات السابقة كنا نقبل منك الفائدة هذه، وإن كانت في الآيات اللاحقة درس اليوم ما نقبله.

الطالب: ... ((**نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا**))[النمل:41 ....

الشيخ: ..... إن شاء الله.

الطالب: في قوله ... لا يدل بأن مقام النبوة أعظم ... ما يقدمونه .... مما يقدمونه العوام .... علم.

الشيخ: لا. حتى الإنسان العادي يقول كذا؛ لأن .... هذه صارت هذه خاصة في مثل مقام سليمان، وليس كذلك حتى الإنسان .... يقول مثلاً أنا الله سبحانه وتعالى ما أعطاني هذه إلا ليبلوني أأشكر أم أكفر.

الطالب: ليس كفر مطلق، وإنما .....

الشيخ: ...قلنا قبل قليل: الشكر، والتوبة، والكفر، والإيمان.. كل هذه تتبعض وتكمل، مطلق شيء وشيء مطلق، لا. هنا المراد به كفر النعمة.

الطالب: كفر النعمة الواحدة يعني ....

الشيخ: لكن .....

الطالب: يا شيخ! ..... فضل الله جل وعلا على العباد إنما هو لأجل .... وإن لم يوجد المخلوق.

الشيخ: .... بما أن هذه الصفة صفة الله، قبل أن يوجد المخلوق..

الطالب: ...؟

الشيخ: كما أنه سبحانه وتعالى متصفٌ بالكلام مع أنه يتكلم بمشيئة، كونه يتصف بالخلق مع أنه يخلق بمشيئة..

((**لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**))[النمل:40].

أولاً في هذه الآية من الفوائد: التحدث بنعمة الله سبحانه وتعالى بإضافة النعمة إليه، لقوله: ((**هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي**))[النمل:40] وهذا هو الواجب شرعاً والمقتضى عقلاً؛ لأن إضافة النعم إنما تكون إلى مسديها ومواليها وفي هذا دليل على إثبات التعليل لأحكام الله سبحانه وتعالى الكونية كما ثبت ذلك في الأحكام الشرعية. من أين يؤخذ؟ عبد الرحمن.

الطالب: .....

الشيخ: لا.

الطالب: ...

الشيخ: نعم. من أين؟

الطالب: من اللام.

الشيخ: من اللام للتعليل، وفيه دليل على تعليل أفعال الله، أحكام الله الكونية كما أن أحكامه الشرعية كذلك معللة، نعم. ففيه رد على الجهمية الذين يقولون: إن فعل الله سبحانه وتعالى ليس معللاً، إنما يفعل لمجرد المشيئة، إذا شاء فعل لحكمة ولغير حكمة.

وفيه دليل على اختبار المرء على فيما يظهر حقيقة أمره، لقوله: ((**لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ**))[النمل:40].

وفيه أيضاً .... الفائدة الآتية: أنه يجوز اختباره وإن كان المختبر يعلم مآله، ويمكن أن يؤخذ هذا، أو نقول: إن هذا خاص فيما يتعلق بالله، أنك تختبر إنسان لو إنك تعلم مآله.

الطالب: ....

الشيخ: هاه؟

الطالب: ....

الشيخ: وأما بالنسبة لله فهذا أمر واقع، نعم. لكن بالنسبة للإنسان، تختبر الإنسان وأنت تعرف مآله؛ هذا ينظر فيه إلى المصلحة، قد يكون محرماً، كما لو أردت أن تظهر ضعفه أمام الناس وتخجله، وقد يكون واجباً كما لو

كان إنساناً داعية إلى ضلالة وأردت أن تختبره ليتبين أمره للناس، وأنت تعرف أن ما عنده جواب لما اختبرته به، لكن تريد أن تظهر للناس أمره، فهو بالنسبة لله سبحانه وتعالى ممدوح كله؛ لأن الله يعلم المآل لكن بالنسبة للإنسان، فاختباره عما يعلم مآله على حسب المصلحة والفائدة. وفيه إشكال حيث قد يقال: أليس الله تعالى يعلم فيما يؤول إليه الأمر؟ الجواب؟

الطالب: بلى.

الشيخ: بلى. إذاً: ما فائدة الاختبار وهو يعلم؟

الطالب: ابتلاء خلقه للتمييز حتى يعرف ..... مثلما فعل في إبراهيم أمره بذبح ابنه، ويعلم أنه لن يحصل هذا الشيء وأنه .... لكن أمره ليبتليه.

الشيخ: نعم. ليترتب الجزاء على ظاهر الحال، لأن الله لو جازى الإنسان على ما يعلم من حاله قبل أن يبلوه لكان ذلك ظلماً في ظاهر الحال، فإذا ابتلاه فأطاع أو عصى تبين الأمر، فيكون هنا الفائدة عظيمة وهي ظهور أثر هذا الشيء للناس، وأنه ليس بظلم من الله سبحانه وتعالى للعباد، ...وظهور أيضاً نعمة الله على العبد العامل إذا أطاع حيث يشكر الله سعيه.

فالحاصل: أن الابتلاء في مثل هذه الأمور نقول: فائدته أن يجري الجزاء على ظاهر الحال لا على علم الله، نعم. وهل يؤخذ منه أنه لا يجوز للقاضي أن يحكم بعلمه، لأنه إذا كان الله سبحانه وتعالى وهو أحكم الحاكمين لا يحكم بمجرد العلم حتى تظهر الآثار؟ فالقاضي من باب أولى، ولهذا ذكر أهل العلم أنه لا يجوز للقاضي أن يحكم بعلمه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**إنما أقضي بنحو من ما أسمع**) نعم. هذه قد يقال: إنها تؤخذ، وقد يقال: إن هذا توسع في الاستدلال، وأنها لا تؤخذ من هذه الآية. نعم.

في هذا دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يخاطب نفسه بما تقتضيه الحال، لقوله: ((**أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ**))[النمل:40] فإننا ذكرنا أن قوله: ((**أَمْ أَكْفُرُ**))[النمل:40]^ هذه العبارة الشديدة من أجل أن يردع نفسه عن ممارسة كفر النعمة.

وفي هذا دليل على أن الإنسان الذي يشكر الله ليس يسدي إلى الله سبحانه وتعالى نفعاً أو يدفع عنه ضرراً، وإنما هو إذا شكر فإنما يشكر لنفسه، يشكر لنفسه، المصلحة لنفسه، هي ليست لله.

وفيها أيضاً دليل على أن الشاكر يثاب، لقوله: ((**فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ**))[النمل:40]^ ولم يقل: عن نفسه، بل قال: لنفسه، فدل ذلك على أن للشاكر ثواباً يجازى به، وهو كذلك.

وفي هذا دليل في قوله: ((**فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ**))[النمل:40] دليل على أن العامل عمله له وليس لغيره، إلا أنه قد يؤخذ منه مقاصة كما جاء في الحديث الصحيح في المفلس (**الذي يأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال وقد ظلم هذا وأخذ مال هذا، فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته**)، وإلا فثوابك لك، ما يمكن أحد يعتدي عليك أبداً فيأخذه، فهو مدخر عند الله سبحانه وتعالى.

الطالب: الصدقة؟

الشيخ: نعم؟

الطالب: الصدقة؟

الشيخ: نعم. الصدقة للميت من عملك لك، لأنك أنت الذي اخترت أن يتحول إلى هذا إنما لا يؤخذ منك، وأما إذا أنت أردته فهذا من عملك، لأن عملك قد يكون تريده لك أو لغيرك، وهذا أيضاً مقيد بما جاءت به السنة.

وقوله: ((**وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**))[النمل:40] ما قال: ومن كفر فإنما يكفر على نفسه، كما قال: ((**وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ**))[النمل:40]^ لأن رحمة الله تعالى سبقت غضبه. نعم. وإلا فالحقيقة أن من كفر فعلى نفسه، مثلما قال الله تعالى: ((**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا**))[فصلت:46] لكن أحياناً يكون السياق يقتضي خلاف ذلك، فهنا يقول: من كفر فإنه لا يضر الله شيئاً؛ لأن الله تعالى غني عنه وعن شكره، وهو مع ذلك كريم، قد يجود على الكافر في الإمهال لعله يشكر، ولهذا قال: ((**فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**))[النمل:40]. قال الله تعالى.. نعم.

الطالب: ....؟

الشيخ: إي نعم. إضافة الفعل إلى العبد.

الطالب: ....؟

الشيخ: على إيش؟

الطالب: ....؟

الشيخ: لا، هو على ..... واضح، لأنه أضاف الشكر إلى نفسه. نعم.

الطالب: ....؟

الشيخ: إيه. يدل أن هذا من فعل الله.

الطالب: ....؟

الشيخ: إيه، لكن هو الآن العطاء من فضل الله سبحانه وتعالى، العطاء من فضل الله، وما تحدث عن عمله، ما قال: إن عملي من الله، قال: هذا العطاء الذي تفضل الله به هو من الله سبحانه وتعالى.

الطالب: ....؟

الشيخ: الجبري، نعم. اللهم إلا في قوله: ((**هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي**))[النمل:40] مع أن الذي قال: أنا آتيك به؛ هو الذي عنده علم من الكتاب، لكن حتى ما يستطيع، لأن الذي عنده علم من الكتاب ما جاء به بنفسه.

((**قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ**))[النمل:41].

يستفاد من هذا أيضاً: امتحان الغير بما يعرف به ذكاؤه وفطنته، لقوله: ((**نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا**))[النمل:41] وقد سبق أن المراد بتنكيره؟

الطالب: تغييره.

الشيخ: تغييره، نعم. والعلة في ذلك قوله: ((**نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ**))[النمل:41] أتهتدي أتعرف أم تكون من الذين لا يعرفون. وكيف تعرف أو لا تعرف؟ لأنه لو بقي العرش على ما هو عليه لعرفته، نعم. ولو غُيِّر نهائياً لكان لها العذر في أن لا تعرفه، ولكنه إذا غُيِّرت صفته وبقي أصله حينئذٍ يعرف به

ذكاؤها هل تعرفه، والمقام في الحقيقة هنا مقام مدهش، ليس مقاماً عادياً طبيعياً؛ لأنها هي سوف تستبعد أن يؤتى بعرشها وهو محفوظ في مكانه ومحروس ثم يؤتى به إلى سليمان.

ثم أيضاً لعلها حسب الطبيعة والعادة تستبعد جداً أن يسبقها العرش، مع أن الظاهر أنها أتت إلى سليمان بأسرع ما يمكن من السير. فعلى كل حال! هذا التنكير سوف يدل على دهائها وعقلها، والأمر سيأتي بيانه إن شاء الله قريباً.

وقوله: ((**أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ**))[النمل:41] مثل قوله للهدهد: ((**أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**))[النمل:27] ما قال أم لا تهتدي، بل قال: ((**أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ**))[النمل:41].

وفيه أيضاً في هذا الامتحان إشارة إلى أنها إذا كانت تعرف عرشها مع تغييره فكيف لا تعرف أن الذي يستحق العبادة هو الله؟ لأنها هي وقومها يسجدون للشمس من دون الله، كما مر. فإذا كانت هي تعرف عرشها مع تنكيره فإنه لا شك أن معرفتها بأن الله تعالى هو المستحق للعبادة من باب أولى، فهذا وجه من أوجه الاختلاف في هذه القصة.((**أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ**))[النمل:41] نعم.

الطالب: ....؟

الشيخ: فهي أولى أن تعرف....؟

الطالب: تمهيد لها بأن تعرف..

الشيخ: إي نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: لا، هنا ما في ...؟ لأنه ما في مخاطبة الله، لكن العبارة مثل الأول، وإلا ما هو يخاطب، يخاطب قومه، يخاطب الملأ من قومه. قال الله تعالى: ((**فَلَمَّا جَاءَتْ**))[النمل:42] أظن ...؟

الطالب: حتى الآية...؟نكروا لها عرشها.

الشيخ: طيب. " **ننظر أتهتدي إلى معرفته أم تكون من الذين لا يهتدون إلى معرفة ما يغير عليه، قصد بذلك اختبار عقلها** " نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: ويش؟

الطالب: ...؟

الشيخ: نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: إي نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: إيه. للمصلحة، إيه. يجوز للمصلحة، لمصلحة الغير، لأن هذا لمصلحتها هي. وقد يقال: إن سليمان عليه الصلاة والسلام تصرف فيه بناءً على أنها لم تظهر إسلامها بعد، وأنها إلى الآن وهي في حرب، ما بعد استقر أمرها.

الطالب: ...؟

الشيخ: هاه؟

الطالب: ...؟

الشيخ: من الآن ما علم ولا تحقق، وإن كان هو يقول: قبل أن يأتوني مسلمين، لكن قد يكونوا مسلمين لله أو مستسلمين له. وعلى كل حال! إلى الآن ما بعد ما يحكم عليها حتى الآن إلا بعد أن تظهر إسلامها.

قيل له: إن فيه شيئاً فغيروه بزيادة أو نقص أو غير ذلك.

" ((**فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ**))[النمل:42] أي: أمثل هذا عرشك؟ ((**قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ**))[النمل:42] أي: فعرفته ".

((**فَلَمَّا جَاءَتْ**))[النمل:42] يعني: إلى سليمان، ونظرت إلى العرش ((**قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ**))[النمل:42] والقائل إما سليمان أو أحد جنوده، ولم يبيَّن؛ لأن المقصود معنى هذا القول دون قائله.

وقوله: ((**أَهَكَذَا عَرْشُكِ**))[النمل:42] الاستفهام هنا على حقيقته، والمراد به: الاستخبار. والهاء للتنبيه، والكاف حرف جر، حالت بين هاء التنبيه واسم الإشارة، مع أن هاء التنبيه تقترن باسم الإشارة، لكن الكاف تحول بينها وبين اسم الإشارة لمباشرة حرف الجر للمجرور، ((**أَهَكَذَا عَرْشُكِ**))[النمل:42] ولكن أيضاً هو خاص بالكاف، لو أنك أتيت بحرف جر سوى الكاف ما جاز أن تفصل بينه وبين اسم الإشارة. لو قلت مثلاً: ألهذا حضرت؟ ما يصح تقول: أهلذا حضرت، ما يصلح، يعني: ما يفصل بين اسم الإشارة وبين هاء التنبيه بأي حرف من حروف الجر إلا بالكاف فقط. إذاً نقول: ((**أَهَكَذَا عَرْشُكِ**))[النمل:42] الجار والمجرور خبر مقدم. وعرشك: مبتدأ مؤخر، وتقديم الخبر هنا جائز وإلا واجب؟

الطالب: واجب.

الشيخ: واجب لأجل الاستفهام؛ لأن له الصدارة. وهنا ما قالوا: أهذا عرشك، بل قالوا: أهكذا عرشكِ؟ يعني: هل عرشكِ مثل هذا؟ هو أجابت بمثل ما سئلت عنه فقالت: ((**كَأَنَّهُ هُوَ**))[النمل:42] وكأن للتشبيه، ولم تقل إنه هو. نعم. ولم تنف. نعم. السبب أنه مشابه لعرشها من حيث الأصل ومخالف له من حيث الصفة، لأنه غُيِّر. وهذا أيضاً من ذكائها أنها لما وقع في نفسها أنه عرشها لكن تغيرت صفته قالت: كأنه هو، والجواب مطابق للسؤال، والمؤلف سلك في هذا مسلكاً غريباً، قال: " **فشبهته، أي: فعرفته وشبهت عليه كما شبهوا عليها إذ لم يقل: أهذا عرشكِ، ولو قيل هذا لقالت: نعم** ". ما ..... ما ندري هل تقول نعم أو تقول كأنه هو، إنما جوابها مطابق للسؤال ومطابق لمقتضى الحال، أما مطابقته للسؤال فلأنه قيل لها: أهكذا؟ يعني: أهو مثل هذا، فكان الجواب: كأنه هو.

وأما مطابقته لمقتضى الحال؛ فلأن المرأة رأت أن العرش قد غُيِّر، فلم تجزم بنفيه ولم تجزم بإثباته، إن نُظِر إلى أصل الكرسي أو العرش فهو هو، وإن نُظِر إلى صفته فليس إياه، لذلك كان جوابها طيباً جداً وليس فيه تشبيه كما قال المؤلف، هذا ما فيه تشبيه.

ولو قالوا: أهذا عرشك؟ ما ندري هل تقول نعم أو تقول: كأنه هو، وجزم المؤلف بأنها تقول نعم ليس بصحيح؛ لأن المرأة ذكية جداً، والإنسان إذا حصل له مثل هذه الحال هل يجزم بأن ما شاهده هو ما كان يعرفه من قبل؟ ما يجزم، بل إن مقتضى الحزم والتحرز أن يقول. ويش يقول؟

الطالب: كأنه.

الشيخ: كأنه هو، هذا مقتضى الحزم، لا سيما مع القرائن التي تبعد أن يكون إياه كما في هذه القصة، فإنه عرش محوط محروس من مكان بعيد، فيبعد أن يمثل أمامها في هذه الحال. المهم يا جماعة الآن! أننا نأخذ من جوابها هذا نأخذ منه ذكاءها من وجهين:

أولاً: أنها أجابت بجواب مطابق للسؤال. هذا واحد.

وثانياً: أنها أجابت بجواب مطابق لمقتضى الحال، إذ لا ينطق بالجزم بهذا تسرع، ونفيه تباطؤ أيضاً، احتمال أن يكون إياه. ((**قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ**))[النمل:42].

الطالب: ...؟

الشيخ: كأن للتشبيه.

الطالب: ...؟

الشيخ: هاه؟

الطالب: ...؟

الشيخ: لا، نقول: شبهت عليهم، يعني: لبست عليهم، ما قال شبهته.

ثم قال: " قال سليمان لما رأى لها معرفة وعلماً: ((**وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ**))[النمل:42] " وجه الخطاب هذا الذي قلنا فيما سبق أنه أراد أن يتحدث سليمان بما أنعم الله به عليه من العلم، العلم يشمل العلم الشرعي، ويشمل العلم بقواعد الملك ومثبتاته، وما أشبه ذلك. يعني: كأنه أو كأن الملأ من قومه لما رأوا ما رأوا من ذكائها ومعرفتها وتحرزها وتثبتها رأوا أمراً عظيماً، فأراد سليمان صلى الله عليه وسلم أن يذكرهم بما هو أعظم من

ذلك وهو ما آتاهم الله تعالى من العلم السابق والإسلام: ((**وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ**))[النمل:42].

ويرى بعض المفسرين أن قوله: ((**وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا**))[النمل:42] من قول المرأة، يعني: كأنه هو وأتينا العلم، وأن المسألة متصلة ...؟ من قبلها أي: من قبل هذه القضية، أي: أننا عندنا علماً من قبل هذه القضية فلا تعجب من علمنا بهذا فإن لنا علماً سابقاً، ولكن هذا الاحتمال -وإن ذُكر- ضعيف، والصواب: أن هذا من قول سليمان عليه الصلاة والسلام يتحدث فيه بنعمة الله سبحانه وتعالى عليه وعلى قومه السابق لمعرفة هذه المرأة، نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: نعم؟

الطالب: ...؟

الشيخ: وين؟

الطالب: قيل: أهكذا عرشك؟

الشيخ: ... من قوله: ((**وَأُوتِينَا**))[النمل:42] لأنه قد يقولها أحد جنوده، ثم هو يتكلم بعد ذلك بعدما تحصل المشاهدة هذه يقول: وأوتينا العلم من قبلها.

الطالب: ...؟

الشيخ: نعم؟

الطالب: ...؟

الشيخ: يجوز .... عليها ... قال: " ((**وَصَدَّهَا**))[النمل:43] عن عبادة الله ((**مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ**))[النمل:43] " صدها ما كانت.

((**وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ**))[النمل:43] إذاً (**ما**) في قوله: ((**مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ**))[النمل:43] إعرابها أنها فاعل، يعني: صدها الذي كانت تعبد من دون الله، ويحتمل أن تكون ما مصدرية، أي: وصدها كونها تعبد من دون الله، لكنه وإن كان سائغاً لغة لكنه ليس محل هنا، فـ (**ما**) هذه اسم موصول.

وقوله: ((**مَا كَانَتْ تَعْبُدُ**))[النمل:43] ما هو الذي تعبد من دون الله؟

الطالب: الشمس.

الشيخ: الشمس، والعائد على (**ما**) الموصولة محذوف، التقدير: ما كانت تعبده من دون الله. وصد: بمعنى صرف، ومناسبة هذا لما سبق، لما ... لما سبق أنه يقال: إذا كانت هذه المرأة في هذا الذكاء –نعم– وهذه المعرفة فلماذا لم تعبد الله؟ لماذا لم تعبد الله مع ظهور أن العبادة لله وحده؟ بيَّن أن الذي صدها عن عبادة الله أنها اشتغلت من أول أمرها بعبادة غير الله؛ لأنها كانت من قوم كافرين، فنشأت في بيئة كافرة –نعم– واشتغلت بعبادة المخلوق عن عبادة الخالق، فكأن هذه المرأة مع كونها المرأة ذكية وفاهمة وعندها احتراز وتحفظ كأنها مع ذلك إنما عدلت عن عبادة الله مع ظهورها ووضوحها بسبب انشغالها بالباطل، والنفس لا بد أن تكون مشغولة إما بالحق وإما بالباطل، ولا بد أن تكون كاسبة: إما كاسبة حراماً أو حلالاً، إن أخذت ما لا حق لها فيه فهي كاسبة حراماً، وإن أخذت ما لها حق فيه فهي كاسبة حلالاً.

فهنا نقول: مناسبة قوله: ((**وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ**))[النمل:43] أنه كالجواب عن سؤال مقدر، ويش السؤال المقدر؟

الطالب: لماذا لم تعبد الله؟

الشيخ: لماذا لم تعبد الله؟ فقال: إنه صدها عن عبادة الله ما كانت تعبد من دون الله وكانت من قوم كافرين، فقد نشأت من أول أمرها في بيئة كافرة، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم (أن كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه).

((**وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ**))[النمل:43] وقيل: إن (**صدها**) الفاعل يعود على سليمان، أي: أن سليمان منعها ما كانت تعبد من دون الله، أي: منعها عن ما كانت تعبد من دون الله بسبب ما رأت من

الملك العظيم الذي لسليمان عليه الصلاة والسلام، ولكن الأول أولى بالسياق: أن (**ما كانت تعبد**) فاعل، نعم. لكن هنا لا بأس أن نقول الاحتمال؛ لأنه ربما يكون عند التأمل يظهر أن هذا الاحتمال صحيح.

قال الله تعالى: ((**إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ**))[النمل:43] يعني: بيئتها منذ نشأت وهم كافرون بالله سبحانه وتعالى يعبدون الشمس، فلهذا اشتغلت بعبادة غير الله عن عبادة الله. وسيأتي إن شاء الله ما في هذه الجملة من الفوائد.

" ((**قِيلَ لَهَا**))[النمل:44] أيضاً؛ ((**ادْخُلِي الصَّرْحَ**))[النمل:44] " والقائل كما قلنا مبهم إما سليمان أو غيره، وهذا الصرح يقول المؤلف: " **هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك اصطنعه سليمان لما قيل له: إن ساقيها وقدميها كقدمي الحمار** " نعم.

أما قوله: إنه سطح من زجاج أبيض هذا صحيح، نعم. سطح من زجاج أبيض، والأصل في الصرح أنه البناء العالي، كما قال فرعون لهامان: ((**ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ**))[غافر:36] لكنه يُطلق على السطح وإن لم يكن عالياً، وهذا عبارة عن سطح من زجاج وتحته ماء؛ يقول المؤلف: إنه جارٍ، وأخذ كونه جارياً أخذه من قوله: ((**حَسِبَتْهُ لُجَّةً**))[النمل:44] لأن اللجة هي أمواج البحر المترددة، لأن كل شيء متردد يُسمى لجة، ومنه اللجة تردد الأصوات وارتفاعها، فالظاهر أن المؤلف أخذ الجريان -وإلا ما في الآية ما يدل على أنه جريان- أخذه من قوله: ((**حَسِبَتْهُ لُجَّةً**))[النمل:44]. وقوله: (**فيه سمك**) هذا ما هو بشرط، نعم. ليس فيه شرط أن يكون فيه سمك، لأن اللجة..

الطالب: ...

الشيخ: نعم؟ نعم. لأن اللجة قد تكون فيها سمك وقد لا يكون، وقد يكون فيها سمك بعيد لا يُرى.

وكذلك قوله: (**إنه ماء عذب**) ما في دليل على أنه عذب ولا أنه ملح، فلا.. المهم أنه ماء، نعم. بدليل ما يأتي.

الطالب: ...؟

الشيخ: لا، لأن العذب قد يبقى فيه السمك ما شاء الله.

الطالب: ...؟

الشيخ: صحيح.

الطالب: ...؟

الشيخ: لا، ويبقى فيه حتى هذا، بس أنه ما يعيش العيشة الكاملة، اللهم إلا كان فيه مثلما قال الإخوان: فيه أسماك خاصة بالملح ما يكفي. طيب. المهم على كل حال! كل هذا لا داعي له، حتى لو قال قائل: إنه ليس تحته ماء، لو قال قائل: وأن الزجاج هذا يعطي كأنه ماء، نعم. بسبب مثلاً ... فيه وإلا شيء لو قيل بهذا ما يكون بعيداً؛ لأنه لا يتعين أن يكون تحته ماء، ما هو متعين. طيب.

الطالب: ...؟

الشيخ: على كل حال! ما هو متعين، لكن نحن إن تنازلنا وقلنا: إن قوله: ((**حَسِبَتْهُ لُجَّةً**))[النمل:44] ..... زجاج شفاف وتظنه بحراً.

يقول: وأما قوله: (**لما قيل له إن ساقيها وقدميها كقدمي الحمار**) يقولون: إن الجن لما أن سليمان أعجبته هذه المرأة هم أن يتزوجها فحسدوها على ذلك، فقالوا له: إن قدميها وساقيها قدما دابة وساقا دابة، وحطوها بعد حمار لأنه ... وهذا ليس بصحيح، وإنما المقصود من هذا الصرح اختبار المرأة أيضاً، لأنه لما قيل: ((**ادْخُلِي الصَّرْحَ**)) هي في الحقيقة إذا كانت تحسبه لجة، إذا كانت جبانة تدخل وإلا ما تدخل؟

الطالب: ما تدخل

الشيخ: ما تدخل أصلاً، وإذا كانت مغفلة دخلت وثيابها نازلة، إذا كانت مغفلة، وإذا كانت حازمة وشجاعة دخلت ورفعت عن ساقيها، نعم. دخلت هذا ورفعت عن ساقيها. ثم هي أيضاً من ذكائها: أنها تعلم أنها ما أُكرمت وقيل لها ادخلي الصرح وهي ستُدخل في بحر لجي يغرقها، فعلمت أن هذا البحر أن غاية ما فيه أن يصل إلى ركبتها أو نحو ذلك، وأنه لا يمكن أن يكون بحراً لجياً عميقاً، لماذا؟ لأنها قيل لها على سبيل الإكرام: ((**ادْخُلِي الصَّرْحَ**)).

فالمهم أن هذا أيضاً اختبار ثان لذكائها وحزمها وشجاعتها، وأما أن رجلها رجل حمار فهذا كذب بلا شك، والأصل فيها أنها امرأة مثل بنات آدم ليس فيها شيء من هذا. نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: إيه. نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: إيه.

الطالب: الساقان عورة؟

الشيخ: ما ندري عن شريعة من سبق، ما نعرف عن شريعة من سبق.

قال: " ((**فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً**)) من الماء ((**وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا**)) وهذا لا شك أنه يدل على حزمها وقوتها وشجاعتها، لأن الإنسان الغريب إذا حصل له مثل هذا الأمر قد يتوقع، يقول: ما أدري، يمكن يخدعونني ربما ... في هذا وأموت، لكنها قوية وحازمة أيضاً، أقدمت على الدخول لكن مع الاحتراز عن الأذية حيث رفعت عن ساقيها، والرفع عن الساقين إبراهيم يقول: يؤخذ منه جواز إظهار المرأة للساقين، ونحن نقول: أولاً: لا يؤخذ منه؛ لأنه هنا فعلته للحاجة، وكشف المرأة ساقيها للحاجة لا بأس به حتى في شريعتنا، إذا احتاجت المرأة إلى كشف ساقيها في مثل هذه الحال فلا حرج فيه، لأن ما حُرِّم تحريم وسائل تبيحه الحاجات كما هو مقرر في علم الأصول، المحرم تحريم وسائل تبيحه الحاجات، ولهذا يجوز النظر إلى العورة لأدنى حاجة، حتى إنهم قالوا: يجوز أن يحلق عانة من لا يحسن علق عانته، وهذا بالضرورة سوف يكشفها، سوف يكشف العانة لتحلق.

فالحاصل أننا نقول: إن كانت شريعة سليمان تبيح مثل ذلك فلا دلالة فيه، وإذا كانت لا تبيحه فإنه أيضاً لا يخالف شريعتنا؛ لأن الحاجة هنا تدعو إليه.

" **((وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا)) لتخوضه، وكان سليمان على سريره في صدر الصرح فرأى ساقيها وقدميها حساناً** " اطمأن الآن الرجل، اطمأن، ولكنها ليست كما قال المؤلف، ما هو الغرض من هذا أن يتبين لسليمان

هل رجلها رجل حمار وإلا رجل آدمية؟ لا، الغرض أن يعرف بهذا ذكاءها وفطنتها وشجاعتها، وكل ما تدل عليه هذه الصورة من معنىً يعود إلى المرأة فإنه يريده سليمان عليه الصلاة والسلام.

الطالب: ...؟

الشيخ: ... " ((**قَالَ**)) لها ((**إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ**)) مملس ((**من قوارير**)) " أي: زجاج. هذه الجملة أيضاً تفيد أنه قُصد به مع اختبارهم .... إظهار عظمة ملك سليمان مثلما قصد بإحضار العرش هذا المقصد.

((**قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ**)) فتبين بذلك أمران؛ أحدهما: عظمة ملك سليمان، حيث إن الزجاج يصنع له حتى يكون كالبحر اللجي.

وثانياً: الإشارة إلى أن هذه المرأة وإن كانت ذكية وعاقلة وحازمة فإنها يخفى عليها الأمر، وإلا لا؟ لأنها حسبت أن هذا الزجاج لجة من الماء مع أنه ليس كذلك، ففيه نوع من إظهار ضعفها أيضاً، فيه نوع من إظهار ضعفها، حيث إنه ظنت الأمر على خلاف ما هو عليه. وسيأتي إن شاء الله تعالى في هذا من فوائد الآيات ما ..... نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: نعم.

الطالب: . ...؟

الشيخ: أنه إيش؟

الطالب: ...؟

الشيخ: بل ما يستبعد، ما يستبعد، لأن وجود الماء تحتها مثلما قلت ما هو بلازم.

((**قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ**)) [النمل:44] حينئذٍ عرفت مكانها وعرفت مكانة سليمان.

وقوله: (**ودعاها إلى الإسلام**) ليس في الآية ما يدل عليه، بل إن الظاهر أنها بما شاهدت ألجأها ما شاهدته إلى أن تسلم؛ لأنها شاهدت أموراً، منها: إتيان عرشها. ومنها: هذا الصرح العظيم الممرد من القوارير.

الطالب: ...؟

الشيخ: هي قالت: كأنه هو. ومنها أيضاً: أن سليمان عليه الصلاة والسلام أخبرها بعظمته وقوته حيث إن هذا صرح ممرد من القوارير وليس ماءً، حينئذٍ اعترفت فقالت: " ((**رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي**))[النمل:44] بعبادة غيرك" وعبادة غير الله من أعظم الظلم، قال الله تعالى عن لقمان لما قال لابنه: ((**يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**))[لقمان:13] لأن أعظم الظلم أن تتسلط على من حقه أبين وأوضح، ولا أبين وأوضح من حق الله على العباد، لهذا كان الشرك أظلم الظلم.

عندما تخاصم إنساناً وأنت تعرف أن الحق له لا لك تُعَدُّ ظالماً، عندما يشتبه عليك الأمر بحيث ترجح ثمانين في المائة أنه له وعشرين في المائة أنه لك؛ يكون هذا الظلم أخف من الأول، عندما يكون خمسين في المائة لك وخمسين في المائة له يكون أخف من الثاني، عندما ترجح ثلاثين في المائة له وسبعين لك يكون أخف، وهكذا. فالمهم أن الظلم يكون أقبح وأشنع بحسب ظهور الحق وبيانه، وأظهر الحقوق وأبينها: عبادة الله سبحانه وتعالى، فيكون أظلم الظلم الإشراك مع الله، أن تشرك مع الله أحداً، ولهذا تقول: ((**رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي**))[النمل:44] إذاً: النفس عندك أمانة يجب عليك أن تسعى لها بما فيه خيرها، فأنت يجب أن تسعى لنفسك بما هو خير لك، فإن تجرأت على ما ليس لك فقد ظلمت نفسك، أو فرطت فيما يجب عليك فقد ظلمت نفسك، وإذا كنت لا تستطيع أن تتصرف في بدنك بما تريد فكيف تستطيع أن تتصرف في فعلك بما تريد؟ لو أن إنسان قال لشخص: أنا أعطيك إصبع، اقطع الأصابع وحطهم... يجوز؟

الطالب: ما يجوز.

الشيخ: ما يجوز، هذا حرام. لو طلب اقلع عيوني وحطها بعينك ... يجوز؟

الطالب: لا يجوز.

الشيخ: لا يجوز، إذا كان هذا لا يمكن في جسم مآله إلى الفناء فكيف يكون ذلك في الأفعال التي عليها مدار سعادة العبد؟ فلا يجوز أن تتصرف في أفعالك فيما يعود على نفسك بالضرر، فإن فعلت فأنت ظالم.

قالت: ((**وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**))[النمل:44]. " ((**أَسْلَمْتُ**)) **كائنة** ((**مَعَ سُلَيْمَانَ**)) " أفاد المؤلف بتقدير كائنة أن الظرف في قوله: ((**مَعَ سُلَيْمَانَ**)) في موضع الحال، يعني: أسلمت حالة كوني مع سليمان، لمن؟ لله رب العالمين، هنا تعتبر مسلمة وإلا لا؟

الطالب: نعم.

الشيخ: إيه. إذا قال الرجل: أسلمت ولو ما قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقد أسلم، نعم. ((**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا**))[الحجرات:14] فإذا عبر الإنسان عن العمل بما يدل عليه من فعل حُكِم عليه به، ولهذا لو قال قائل لإنسان: حلفت عليك أن تفعل كذا؛ صار يميناً، لو ما قال: والله، أو حلفت لا أفعل كذا؛ صار يميناً وإن لم يقل بالله؛ لأن هذا هو الفعل. إذا قال: أسلمت؛ صار إسلاماً وإن لم يقل: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

الطالب: .....

الشيخ: إيه، يستعمل كثيراً. طيب، إذاً نقول: ((**أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**))[النمل:44] فيها أنها أسلمت إسلاماً كاملاً، حيث أقرت بألوهية الله في قولها: ((**لِلَّهِ**))، وبربوبية العامة في قولها: ((**رَبِّ الْعَالَمِينَ**)).

قال المؤلف: " **وأراد تزوجها فكره شعر ساقيها، فعملت له الشياطين النورة فأزالته** " والله الحقيقة أنه مشكل هذا.

الطالب: ...؟

الشيخ: هاه؟

الطالب: هو ما...

الشيخ: فكأن بس ... نعم. ... في الشعر ... عملت له الشياطين النورة، والنورة تزيل الشعر، ويقال: إن أول من عملت له النورة ساق بلقيس بأمر سليمان حيث أن الشياطين عملتها له، وكل هذا كذب. ويجب أن ينزه كلام الله عن مثل هذه الأشياء، وموقفنا مع مثل هؤلاء العلماء أن نسأل الله لهم العفو، وأن ... لأن كونهم

يضعون في كلام الله مثل هذه الأمور هذا من الأشياء التي يتنقص بها الإنسان كلام الله عز وجل، وأكثر ما وردت هذه كما قال ابن كثير في هذا الموضع عن رجلين وهما: كعب الأحبار ووهب بن منبه، فإنهما أدخلا كثيراً من الإسرائيليات في كلام الله غيره مما ينقلوه نسأل الله أن يعفو عنهم

قال: " **فأزالته فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها، وكان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام " اقامة المتزج بالثيب، " نعم " وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان، روي: أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه** ".

الطالب: ...

الشيخ: هاه؟

الطالب: ...

الشيخ: عندي، نعم.

الطالب: ...

الشيخ: إيه. ويش بعد؟

الطالب: ... ومات وهو ...

الشيخ: لا، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة.

الطالب: بس الغريب مع اختصار يعني ... فيه أشياء الكل ...

الشيخ: إيه، إي نعم.

الطالب: يعني في ....

الشيخ: ...

الطالب: ...

الشيخ: إيه.

الطالب: ...

الشيخ: إيه، لكن ... يعني قال: كيف الأشياء المهمة يختصرها حتى إن بعض الأحيان يكون تفسيره كالرموز، ثم يجيب الأشياء التي ما لها أصل

الطالب: ...

الشيخ: إيه،...

الطالب: يا شيخ.

الشيخ: نعم.

الطالب: ...

الشيخ: نعم.

الطالب: ولو كان لحاجة.

الشيخ: ولو كان بضرورة.

الطالب: ....؟

الشيخ: لا، الدم يجوز لأنه يخلفه غيره، الدم ليس هذا، لأنه منفعة.

الطالب: ...

الشيخ: لا، ما يجوز.

الطالب: ...

الشيخ: لأنه ضرر عليك أنت.

الطالب: ...

الشيخ: ضرر.

الطالب: ...

الشيخ: أولاً: لا تفكر أن الله ...

الطالب: ...

الشيخ: ... لا تسأل ... وثانياً: ما يمكن يصير عمل بكلية واحدة ... وإلا لا؟

الطالب: ...

الشيخ: وثالثاً: ما يؤمن أنه يلحقها عطب... بل حقها ... اللي ... عندك أنت..

لما كانت...

الطالب: ...

الشيخ: إيه.

الطالب: إي نعم.

الشيخ: هاه؟

الطالب: ...

الشيخ: إي نعم.

الطالب: لما جاءت ...

الشيخ: طيب. ذكرنا في قوله ... فائدة الاختبار، اختبار الشخص لمعرفته وذكائه مثل هذا اللي حصل.

وقوله تعالى: ((**فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ**))[النمل:42].

يستفاد منه: التورية في الكلام، وهو أن يظهر الإنسان شيئاً غير ما يريد، فإن قولهم: ((**أَهَكَذَا**)) تورية؛ لأن حقيقة الأمر أن العرش الذي بين أيديهم هو عرشها، فكان مقتضى الاستفهام أن يقولوا: أهذا عرشك؟ لكن أتوا بصيغة التورية لإبعاد الأمر، لأن كونها عرشها قد تتسرع وتقول: لا، لأنها تستبعد أن يكون حضر في هذه المدة وعليه الحرس وعليه المغاليق، فقيل لها: أهكذا عرشكِ.

وقولها: ((**قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ**)) فيه دليل على أن الجواب ينبغي أن يكون مطابقاً للسؤال، لأنها قالت: (**كَأَنَّهُ**) بالتشبيه، ولم تقل هو.

وفيه دليل على ذكاء هذه المرأة واحترازها من ما يخشى أن يكون خطأً، لأنها لو قالت لا؛ فقد يكون هو، ولو قالت نعم فقد يكون غيره، فقالت: ((**كَأَنَّهُ هُوَ**)) فاختارت هذا للسببين الذين ذكرناهما في ... وفي التفسير.

وفي هذا دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يتحدث بنعمة الله تبارك وتعالى عليه، لقوله: ((**وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ**))[النمل:42] لأن الصحيح أن هذه الجملة من كلام من؟

الطالب: سليمان.

الشيخ: من كلام سليمان وإن كان بعضهم يطرح احتمال أنه من كلامها، لكن الصحيح أنه من كلام سليمان.

الطالب: ...؟

الشيخ: لا، الله ما يصف نفسه بأنه مسلم، ((**وَأُوتِينَا الْعِلْمَ**))[النمل:42] ما قال آتينا. وفيها أيضاً..

الطالب: ...؟

الشيخ: هاه؟

الطالب: الله لا ...؟

الشيخ: إيه، نعم نعم. وقد ... أتينا بها في الأظهر لأنه معروف.

((**وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ**))[النمل:43].

يستفاد من هذه الجملة: أن الإنسان لا بد أن يشغل نفسه، أو لا.. فلا بد أن تكون النفس مشغولة إما بحق وإما بباطل، فهذه المرأة اشتغلت بالباطل عن الحق، وقد قيل من الحِكَم: إن لم تشغل نفسك بالحق شغلتك بالباطل. وقيل أيضاً: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك. وهذا صحيح، وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**كل حارث وكلكم همام**)فلا بد للإنسان أن يهم ويعمل، لكن إما بخير أو بغيره، ((**وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ**))[النمل:43].

وفي هذا دليل على أن البيئة لها تأثير، لقوله: ((**إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ**))[النمل:43] فهؤلاء القوم أثروا عليها فصارت كافرة تعبد مع الله غيره.

وفيه التحذير من مصاحبة الأشرار، لقوله: ((**إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ**))[النمل:43] حتى لو كانوا من أقاربك فلا ينبغي أن تصاحبهم، وإذا كان لهم حق عليك بالقرابة فأعطهم حقهم الذي لهم، ولكن لا تكن مخالطاً لهم ومصاحباً لهم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يروى عنه وهو حديث حسن: (**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**) وهذا شيء واقع يشهد له التاريخ السابق والحديث، نعم يا ...

الطالب: ...؟

الشيخ: هاه؟

الطالب: عذر ...

الشيخ: ويش هي؟

الطالب: البيئة.

الشيخ: ما ... يعني الواجب على الإنسان أن يفارق هذه البيئة، ولهذا وجبت الهجرة على من استطاع أن يهاجر، ولكن ... قلت: أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه يخبر، والخبر لا يلزمه ...فقد قال عليه الصلاة والسلام: (لتتبعن سنن من كان قبلكم) وهذا خبر، هل معناه أنه يجوز أن نفعل؟ وأخبر قال: (والله ليتمن الله هذا الأمر حتى تقوم الظعينة من صنعاء إلى حضرموت) فهل معنى ذلك أنه يجوز للمرأة أن تسافر بدون محرم؟ لا. فما أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام من ما يقع لا يلزم منه الجواز. طيب.

وفي هذا دليل.. نعم قبل. ((**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا**...))[النمل:44] إلى آخره.

فيه دليل على عظمة ملك سليمان وتسخير الله له، ففي ذلك الوقت حسب علمنا ليس هناك أفران يشكل بها الزجاج ويفعل بها الإنسان كما يشاء، نعم. ولكن لا شك أن الزجاج موجود، قد يكون مستخرجاً من البحر تستخرجه الشياطين، وقد يكون هناك أيضاً مصاهر وأفران حسب حالهم، ولهذا قال الله عن الشياطين: ((**يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ**))[سبأ:13] جفان جمع جفنة وهي الصحفة ... والجواب ما هي؟

الطالب: ...؟

الشيخ: ... وهي البِركة، يعني كبيرة. وقدور راسيات يعني: ما تنقل لكبرها وعِظمها.

فالحاصل أننا نقول: إن هذا فيه دليل على عظمة ملك سليمان، حيث سُخِّر له الجن والإنس يعملون له ما يشاء.

وفيه دليل على جواز اختبار المرء كما سبق، وهذه القصة فيها عدة اختبارات، لقوله: ((**ادْخُلِي الصَّرْحَ**))[النمل:44] ليرى هل تهاب فلا تدخل، أو تغامر فتدخل بدون تحرز، أم ماذا تصنع؟ فالمرأة لذكائها دخلت ولكن مع التحفظ والاحتراز، كشفت عن ساقيها، أي: رفعت ثوبها حتى بان الساقان.

وفي هذا دليل على أن المرأة من قديم الزمان زينتها التستر، لأن قوله: ((**وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا**))[النمل:44] دليل على أن الأصل أنها مستورة، وهو كذلك، بخلاف الرجل؛ فإن أزرة المؤمن فوق نصف ساقه. نعم. أو قال: نصف ساقه، نسيت اللفظ.

الآن أصبح الأمر بالعكس عند كثير من المسلمين مع الأسف، فأصبح الرجال ثيابهم مسبلة، والنساء ثيابهن قصيرة، وهذا خلاف الفطرة التي فطر الله عليها الخلق.

وفي هذا دليل على أن الرؤية قد تكذب، وأن ما يدرك بالحواس ليس على الأمر الواقع مائة بالمائة، لقوله: ((**حَسِبَتْهُ لُجَّةً**))[النمل:44] فإن هذا كما هو الواقع صرح ممرد من قوارير وتنظر إليه نظر العين ومع ذلك تحسبه لجة، فدل هذا على أن ما يُدرك بالحواس قد يقع فيه الخطأ، أليس كذلك؟ قد يرى الإنسان الشيء المتحرك ساكناً والساكن متحركاً، والأبيض أسود، والرجل امرأة، نعم. بل قد يتخيل له في بصره شيء وليس له حقيقة، وكذلك بالنسبة للسمع، وبهذا نعلم أن الشهادات وروايات الأخبار وغيرها كلها يمكن أن يقع فيها الخطأ وليست معصومة مائة بالمائة، ولكن لا شك أنه كلما تواردت الأخبار وتكاثرت فإنه يدل على أن الأمر متأكد، ولكن نفي احتمال الخطأ مهما بلغ الرائي أو السامع من القوة والأمانة؛ فإن الخطأ عرضة فيما رأى أو فيما سمع، بل في الملمس الآن، قد تلمس الشيء فتظنه ليناً أو أملس وبالعكس، الرجل الفلاح يلمس الشيء الخشن فيظنه أملس، والناعم يلمس الخشن البسيط جداً فيجده كالشوك.

فالحاصل: أن المسألة حتى في الأمور الحسية الخطأ يمكن أن يقع، فما بالك بالأمور العقلية؟

الطالب: من باب أولى.

الشيخ: من باب أولى وأعظم، وبه نعرف ضعف الإنسان، وأنه بحاجة ماسة إلى علم الشرع والوحي، مهما بلغ فإنه بحاجة إلى هذا الأمر. نعم.

الطالب: . ... الحواس ...؟

الشيخ: نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: لا، ما هو ... هو من القطعيات، لكنها باعتبار الفكر والعقل صحيح.. إنما الوهم قد يقع فيها، نعم.

وفيها أيضاً في قوله: ((**إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ**))[النمل:44] دليل على أنه ينبغي التأكيد تأكيد الكلام في موضعه، ما قال: هذا صرح، قال: إنه صرح، وإن للتوكيد، والتوكيد هنا في محله؛ لأنها هي وإن لم تكن منكرة لكن حالها حال المنكر، حيث ظنته لجة وكشفت عن ساقيها.

وفي هذا دليل في قوله: ((**قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي**))[النمل:44] دليل على أن الله تبارك وتعالى قد يهب المرء ما يوجب له أن يسلم، بل قد ييسر له الأسباب التي توجب إسلامه بكل سهولة، هذه المرأة حسب القصة ما وجدنا أنها دُعِيت وأُكِّد عليها وبُيِّن لها الخطأ إلا في قوله في أول القصة: ((**أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**))[النمل:31] لكن لما شاهدت ما شاهدت من عظمة ملك سليمان وقوته عرفت أنه لا بد أن

تسلم، فهكذا إذا يسر الله تعالى للعبد هذه الهداية فإنه يكون الأمر عليه يسيراً، وإذا لم تيسر له أصبح كل مانع يمنعه من الاهتداء وإن لم يكن مانعاً قوياً.

وفي هذا دليل على أن المرأة آمنت بسليمان، لم تسلم إسلاماً مطلقاً، لأنه قال: ((**وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ**))[النمل:44] فدل هذا على أنها آمنت به؛ لأن (**مع**) للمصاحبة، فكانت من أصحابه المؤمنين به. نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: نعم؟

الطالب: ...؟

الشيخ: الأخير هذا؟ قلنا: لم تؤمن إيماناً مطلقاً، يعني ما قالت: إني أسلمت لله فقط، بل صرحت بأنها تابعة لسليمان.

الطالب: ...؟

الشيخ: أقول هذا لقولها: ((**مَعَ سُلَيْمَانَ**))[النمل:44] يعني مثلاً ما آمنت بنبي آخر أو بشريعة أخرى، آمنت بشريعة سليمان فكانت من قومه مع أنها كانت في سبأ في اليمن وسليمان في الشام.

وفي هذا دليل على.. في قوله: ((**إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي**))[النمل:44] دليل على أن المعاصي ظلم للنفس، وسبق وجه ذلك، وأن الإنسان مؤتمن على نفسه، مؤتمن على نفسه من حيث السلوك والسير، مؤتمن على نفسه من حيث التصرف في ماله، مؤتمن على نفسه من حيث التصرف في بدنه، ولهذا نُهي عن إضاعة المال، نعم. ونهي عن قتل النفس: ((**وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**))[النساء:29]، ((**وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**))[البقرة:195] نعم. وأُمر بالدواء: {تداووا ولا تداووا بحرام}، وأُمرِ بالأكل وبالشرب وباللباس وبالوقاية من الحر والوقاية من البرد، كل هذا من أجل حفظ النفس التي هي أمانة عندك، فالإنسان ليس حراً يتصرف كما يشاء في بدنه أو كما يشاء في سلوكه أو كما يشاء في ماله، لا، هو مقيَّد، نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: نعم.

الطالب: وهنا نُسب ...؟

الشيخ: إي نعم. لأن الإنسان فيه نفسان، وقيل: ثلاثة أنفس: أمارة، ومطمئنة، ولوامة. والصواب: أن اللوامة من صفات الثنتين، ولكن هي أمارة وهي التي تأمر بالشر وتنهى عن الخير، وفيه مطمئنة وهي التي تأمر بالخير...

((**ظَلَمْتُ نَفْسِي**))[النمل:44] التي يقول: هي المطمئنة

وفي هذه الآية إثبات عموم ربوبية الله، لقوله: ((**رَبِّ الْعَالَمِينَ**))[النمل:44] ولا أحد له الربوبية العامة الشاملة سوى الله عز وجل، الإنسان قد يكون رباً لبيته، وقد يكون رباً لدابته، وقد يكون رباً لمملوكه، كما في الحديث الصحيح: (**أن تلد الأمة ربها، وأن ترى الحفاة العراة**) نعم.

ثم قال الله تعالى.. وتقدم لنا في التفسير أن ما ذكره المؤلف من هذه الإسرائيليات أنه لا يجب التصديق بها، بل ما كان منها مخالفاً للقرآن أو لا يليق بحال نبي فإنه يجب؟

الطالب: تكذيبه.

الشيخ: تكذيبه، وما كان منها ليس مخالفاً ولا منافياً لما يليق بالنبي فإنه لا يصدَّق ولا يكذَّب. نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: نعم؟ ولا ينبغي أن يحسب في التفسير، لأنه إذا حسب في التفسير معناه أنه صدِّق حيث جعل تفسيراً لكلام الله.

((**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا**))[النمل:45] نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: عظمة سليمان وجنوده.

الطالب: ...؟

الشيخ: إي نعم. وهي .... هو الذي قال: ((**أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**))[النمل:31] تذكر أن هذا الرجل لا بد إما أن تسلم وإما أن يقضى عليك.

الطالب: ...؟

الشيخ: ولكنها أسلمت. نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: والله هذا المشهور، لكن ما ...الظاهر أنه من الأشياء التي لا تُصدَّق ولا تُكذَّب، لكن ما هو لا بأس، نعم. لاشتهارها ما في مانع.

((**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا**))[النمل:45] تقدم أن مثل هذا التعبير هذه الجملة فيها ثلاثة مؤكدات: القسم واللام وقد.

((**أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا**))[النمل:45] أخاهم: مفعول أرسلنا، وصالحاً: عطف بيان له، عطف بيان وليس بدلاً؛ لأن كونه عطف بيان أوضح، إذ أنه يبين المبهم في قوله: (**أَخَاهُمْ**).

يقول المؤلف: : **يقول الله تعالى**: ((**إِلَى ثَمُودَ**)) " ثمود هذه قبيلة موجودة في مكان يسمى الآن..

الطالب: مدائن.

الشيخ: مدائن صالح، ويسمى الحجر، ويسمى ديار ثمود، نعم. هذه القبيلة يسر الله تبارك وتعالى لها من أسباب العمران في السهل والجبل ما برزت به على غيرها، كما قال لهم نبيهم مذكراً لهم: ((**وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ**))[الشعراء:149] نعم. وأرسل الله إليهم صالحاً، وآتاهم بآية عجيبة وهي ناقة لها شرب وللقوم شرب، يعني: أن هذه البئر التي تشرب منها الناقة وهي أوسع الآبار وأغزرها ماءً أُذِن لهم بأن يشربوا منها يوماً وأمروا بأن يدعوها يوماً للناقة تشرب منه وتذهب في اليوم الثاني للرعي، وفي اليوم الذي تشرب منه قيل: إنهم يأتون إليها، ومن سقاها دلواً أعطته دلواً من اللبن. هذا من الإسرائيليات لا تصدق ولا تكذب، لكنه مع هذه النعمة العظيمة في هذه الناقة كفروها والعياذ بالله، ((**فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ**))[القمر:29] وعقر هذه الناقة وكفروا بهذه النعمة العظيمة.

يقول: " ((**أَخَاهُمْ صَالِحًا**))**[النمل:45] أخاهم من القبيلة** " ليش قال من القبيلة؟ احتراز من الدين؛ لأنه ليس أخاً لهم إلا نفراً يسيراً آمنوا معه.

" ((**صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ**)) **أي: بأن اعبدوا الله** " أفادنا المؤلف أن (**أن**) هنا مصدرية، ولكن يجوز فيها وجه آخر: أن تكون تفسيرية؛ لأن أرسلنا يتضمن أوحينا، والوحي فيه معنى القول دون حروفه، وهذا هو دلالة أن التفسيرية أن يسبقها فعل فيه معنى القول دون حروفه. إذا قلنا أنها تفسيرية ما صح أن نقدر الباء، أي: بأن، بل نقدر (**أن**) بمعنى: أي، أن اعبدوا الله، يعني: أوحينا إليهم أن اعبدوا الله، اعبدوا الله قال: وحدوه. وهذا مأخوذ من تفسير ابن عباس فيما أظن لقوله تعالى: ((**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**))[الذاريات:56] قال: ليوحدون، فجعل العبادة هي التوحيد، ولكن الصحيح أن العبادة: التذلل لله سبحانه وتعالى بالطاعة، لأن هذه المادة العين والباء والدال تدل على الذل، ومنه قولهم: طريق معبَّد أي: مذلل لسالكيه، فعبادة الله معناها: الذل

له بالطاعة، ومنه بل من أعظم ذلك توحيده. فالصواب أن المراد بالعبادة: التذلل لله سبحانه وتعالى بالطاعة، ((**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ**))[النمل:45] نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: إيه، هو الغالب ... يكون على هذا، التعظيم بلا شك والمحبة معه.

قال: ((**فَإِذَا هُمْ**))[النمل:45] الفاء: حرف عطف، وإذا: فجائية. يعني: فما الذي حصل بعد إرساله؟ إذا هم، المفاجأة بالتفرق.

" ((**فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ**))**[النمل:45] في الدين، فريق مؤمنون من حين إرساله إليهم، وفريق كافرون** ". هاه؟

الطالب: ...؟

الشيخ: من حين يكون أحسن، لأن (**إذا**) فجائية. انقسم قومه إلى قسمين: قسم آمنوا به، وقسم آخر كفروا به. من الذين آمنوا به؟ المستضعفون، كما قال الله تعالى في سورة الأعراف.. نعم.

الطالب:...؟

الشيخ: ((**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ**))[الأعراف:75] ما قال أتؤمنون به، أتعلمون. فماذا قال هؤلاء؟ ((**قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ**))[الأعراف:75] يعني: لسنا نعلم فقط، بل نعلم ونؤمن، ((**قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**))[الأعراف:76] ما قالوا إنا به كافرون، ((**بِالَّذِي آمَنتُمْ بِهِ**))[الأعراف:76] بإظهار المضادة لهم والمعاندة، يعني: ما دام هذا آمنتم به وأنتم الضعفاء نحن ضدكم على طول((**إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**))[الأعراف:76] وهذا أبلغ ما يكون -والعياذ بالله- من المضادة والمحادة والاستكبار أيضاً، كأنهم يقولون: أنتم الذين تؤمنون به هذا نكفر به، نعم.

طيب. هؤلاء الفريق آمنوا وفريق كفروا، ((**فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ**))[النمل:45] يعني: يجري بينهم خصام، وهذا الخصام الذي جرى بين قوم صالح جرى أيضاً في قوم الرسول صلى الله عليه وسلم، وكل الناس قوم ولا بد: ((**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ**))[الفرقان:31] لا بد من هذا، ولا يمكن أن يتمحص الحق إلا بظهور العدو؛ لأن العدو يورد والوحي يجيب حتى يتمحص الحق بيناً ظاهراً، حتى في الأمور الواقعية، حتى في الانتصار وفي الخذلان يحصل هذا أيضاً.

فالله تبارك وتعالى ذكر من فوائد الخذلان في أحد: ((**وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**))[آل عمران:141] فلا يتبين الحق تماماً إلا بظهور عدو له يناقضه ويعاديه حتى يظهر الحق على الباطل. ((**فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ**))[النمل:45].

" ((**قَالَ**)) للمكذبين ((**يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ**)) **أي: بالعذاب قبل الرحمة حيث قلتم: إن كان ما أتينا به حقاً فأتنا بالعذاب** " لم تستعجلون؟ الاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ والتعدد، يعني: أنه يوبخهم وينكر عليهم هذا الأمر ويتعجب من حالهم، لأن حال العاقل المستعجل..

الطالب: بالحسنة.

الشيخ: بالحسنة قبل السيئة، لا أن يستعجل بالسيئة قبل الحسنة، لكن السفيه –والعياذ بالله– سفيه، مثلما قالت قريش: ((**اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**))[الأنفال:32] ما قالوا: إن كان هذا هو الحق فاهدنا إليه، أمطر علينا حجارة، وهذا –نسأل الله العافية– في غاية ما يكون من الاستكبار ... هؤلاء يستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ويقولون: ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين. نعم. وهذا التحدي من أعداء الرسل للرسل يدل على تماديهم في العناد، وأنهم غير مؤمنين، ولكن ذلك لا.. هذا الأمر لا يجابون إليه، وإن كان في ذلك نصر للرسول لكنهم لا يجابون إلى ذلك؛ لأنه إذا أجيبوا إليه صار معناه: أنهم يجابون على اقتراحاتهم، مثلما قالوا لما قيل لهم عن البعث قالوا: ((**ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**))[الجاثية:25] فيقال لهم: الرسل ما قالوا لكم إنكم تبعثون الآن، تبعثون متى؟ يوم القيامة، لو قالوا تبعثون الآن كان يقول: نعم، ... لكن هم قالوا: تبعثون يوم القيامة وانتظروا يوم القيامة وستجدون آباءكم.

نقول: يقول الله عز وجل حكاية عن صالح: " ((**لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ**))[النمل:46] من الشرك " لولا بمعنى: هلا، وهذا من معاني.. من معاني لولا: أن تكون للتحضيض، ولها معانٍ أخرى أيضاً ويش هي؟

الطالب: ...

الشيخ: إيه. ويقال فيها: حرف؟

الطالب: ...

الشيخ: امتناع لوجود. ((**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ**))[الحج:40] ويش اللي امتنع؟

الطالب: تهدم الصوامع.

الشيخ: تهديم الصوامع لدفع الله سبحانه وتعالى الناس بعضهم لبعض. من الذي يعين هذا المعنى من هذا المعنى؟

الطالب: السياق.

الشيخ: يعينه السياق، وبهذا وبكثير من أمثاله يتبين أن الكلمات ليس لها معنىً ذاتي بمعنى أنها خلقت له، وإنما هي قوالب وثياب للمعنى الذي يدل عليه السياق، فأي ثوب تركبه بمعنى يدل على السياق فهو فهو، وبهذا التقرير أيضاً يتبين أن ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من أنه لا مجاز في اللغة العربية أنه أمر صحيح، وأن كل كلمة استُعملت في مقامها فهي حقيقة فيه، وكل مثلاً ما تُعرف في هذا اللفظ إلا لذاك المعنى الذي لم تستعمل فيه ما يدل على أن ذاك هو معناها الذاتي؛ لأننا نقول: ليس للكائنات معنىً ذاتي. إي نعم، والله أعلم.

... يا إخوان! أننا ... الوقت بناءً على أننا تحدثنا في سابق التفسير ... واستلخصنا منه أن ... فوق الوقت، بدل ما تكون الحصة عندنا ساعة إلا ربع تكون نصف ساعة. هاه؟

الطالب: ...؟

الشيخ: والدراسة على ما هي عليه.

الطالب: ...؟

الشيخ: إيه. هذا من .... أو ....

الطالب: ...

الشيخ: . ...

الطالب: ...

الشيخ: هاه؟

الطالب: ...

الشيخ: إيه، ... من سبع ونصف إلى ثمان بالنسبة للمدرس، بالنسبة للطلبة من سبع ونصف.

ذكر الله سبحانه وتعالى أنه أرسل إلى ثمود أخاهم صالحاً وأكد هذا الخبر، فيستفاد منه: أنه ينبغي أو يجب أحياناً تأكيد الأخبار المهمة ليكون المخاطب على يقين منها، ولا تقل: أنا لست ملزوماً ولا يهمني صدق أم كذب، بل إن مقتضى النصح أن تؤكد ما ينبغي تأكيده للمخاطَب.

والفائدة الثانية: دليل على أن الرسل السابقين رسالتهم خاصة، ليست عامة، لقوله: ((**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ**))[النمل:45] ما قال: إلى الناس جميعاً، ((**إِلَى ثَمُودَ**))، وهذا ثبت به الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**).

والفائدة الثالثة: أنه يصح إطلاق الأخوة النسبية بين المسلم والكافر، فلا يقال: إذا انتفت الأخوة الإيمانية انتفت الأخوة النسبية، بل كلٌ منهما إذا انتفى يبقى الآخر، لقوله: ((**أَخَاهُمْ صَالِحًا**))[النمل:45].

وفي الآية أيضاً الفائدة الرابعة: أن الذي أُرسِلَت به الرسل هو ما خُلِقَ له البشر، بل الجن والإنس: وهو عبادة الله، لقوله: ((**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ**))[النمل:45]، والعبادة سبق معناها.

الفائدة الخامسة..

الطالب: ...

الشيخ: أي: هي عبادة الله، أن الذي أُرسل به الرسل هو ما خُلِق له الخلق وهو عبادة الله.

الفائدة الخامسة: انقسام الناس إلى فريقين في مقابلة الرسل أو في مواجهة الرسل: مؤمن وكافر، وهذا لتحقيق الحكمة الابتدائية والغائية في خلق الله، قال الله تعالى: ((**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ**))[التغابن:2] لو كانوا كلهم مؤمنين ما صار منهم كافر ومؤمن هذه حكمة ابتدائية بالخلق منذ خُلِق.

أيضاً: لتتم الحكمة الغائية، الحكمة الغائية: هو أن الله تعالى خلق جنة وناراً، وخلق لكلٍ منهما أهلاً، فلو كان الناس كلهم مؤمنين لم يكن لخلق النار فائدة. واضح؟ ولهذا قال الله تعالى: ((**وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**))[هود:118-119] هذا ابتداء. ثانياً: ((**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**))[هود:119] هذا الغاية، إذ لو لم يكن مؤمن وكافر هل تتم كلمة الله في ملء جهنم؟ ما تتم. إذاً فالفائدة الخامسة: انقسام الناس في مجابهة الرسل إلى قسمين: مؤمن وكافر، والحكمة من ذلك: هو تمام حكمة الله تبارك وتعالى ابتداءً وغاية، ابتداءً حيث خلق الناس منهم مؤمن ومنهم كافر، وغاية.. عليكم هذا.

الطالب: ... وخلق ...

الشيخ: نعم.

الطالب: منهم من يكون في النار، ومنهم من يكون في الجنة.

الشيخ: نعم. ولولا ذلك لم يكن لخلق النار فائدة، ولما تمت كلمة الله: ((**لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**))[هود:119].

الفائدة السادسة: وقوع الخصام بين المؤمنين والكافرين، وأنه أمر لا بد له..

استكملت؟

الطالب: ...

الشيخ: نعم؟ عشرة؟

الطالب: ...

الشيخ: طيب. الجواب: لما حثهم على الاستغفار وبيَّن لهم نتائجه الطيبة؛ كان جوابهم: ((**قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ**))[النمل:47] أعوذ بالله! هذا الجواب، يعني: أنت ما أتيت لنا بفائدة، بل صرت شؤماً علينا، أنت وأتباعك. نعم. وهذ حال هؤلاء الذين يتطيرون بأهل الخير، والله تبارك وتعالى قد يفتن الناس، فقد يقع -مثلاً- في مجيء الخير أو معه قد يقع بعض الآفات أو بعض الأشياء المكروهة لدى الناس؛ ليكون ذلك فتنة وابتلاءً، نعم. ربما -مثلاً- يحل رجل من أهل العلم والعبادة في بيت، ثم يحترق هذا البيت ابتلاءً من الله سبحانه وتعالى وامتحاناً، أهل الشر يفرحون ويفرهون، يقولون: يا الله! شوفوا أسباب الطوع، نعم. احترق البيت لما جاء هذا الرجل -نعم- والله تعالى قد يفتن الناس: ((**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**))[الأنبياء:35].

هؤلاء يقولون: إنه بمجيء صالح ومعصية قومه عاقبهم الله -تبارك وتعالى- بالقحط والجدب وغور المياه، فقالوا: أنت صالح ومن معك ما جئتنا بخير، ما جئتمونا إلا بالقحط والجدب وغور المياه، فتطيروا به وقالوا: ((**اطَّيَّرْنَا بِكَ**))[النمل:47] أصله: تطيَّرنا، أُدغمت التاء في الطاء، نعم! تطيَّرنا، وهذا الإدغام على خلاف القاعدة؛ إذ أن الإدغام بين ثابت ومتحرك، وهذا بين متحركين، نعم! فأدغمت التاء في الطاء، ولما أدغمت التاء في الطاء صار الحرف الأول منهما ساكناً، ولاحظوا أنه أيضاً بعد الإدغام قُلِبَت التاء طاءً، والساكن ما يمكن الابتداء به فاجتُلِبَت الهمزة لتسهيل النطق به، ولهذا قال المؤلف: :"**واجتُلِبَت همزة الوصل .... لتسهيل النطق بالساكن**".

ومعنى ((**اطَّيَّرْنَا**)) أي: تشاءمنا، من الشؤم، والشؤم معناه: توقع الشر من مشاهَدٍ أو مسموع أو زمن أو حال، ولهذا قالوا: إن التطيُّر مأخوذ من الطير، وكانوا في الجاهلية يتشاءمون بالطيور...، يبعثونها وعندهم قواعد لهذا التشاؤم: إذا ذهبت يميناً يتفاءلون، أو يساراً يتشاءمون، أو أماماً يعيدون أظن يعيدون ... مرة ثانية، وخلفاً يتشاءمون أكثر، فعندهم لهذا قواعد، فلذلك سُمِّي هذا التشاؤم تطيراً، مأخوذ من أين؟

الطالب: ....

الشيخ: من الطير؛ لأن غالب تشاؤم العرب بها، نعم! فهم يقولون: اطيَّرنا بك؛ أي: تشاءمنا، وكان مجيئك شؤم علينا أنت وأتباعك.

طيب! إذاً ما هو التطير؟ هو التشاؤم، التطير: التشاؤم بمرئي أو مسموع أو زمان أو مكان أو حال. نعم. هذا

التطير، التطير: هو التشاؤم ....؟

الطالب: بمرئي.

الشيخ: بمرئيٍ أو مسموع أو زمان أو مكان أو حال، هذا هو التشاؤم. بمرئي: يرى الإنسان شيئاً فيتشاءم، افرض أنه مثلاً أراد أن يسافر فقابله إنسان يكرهه، هو يكره هذا الرجل قال: خلاص رجعنا، نعم. هذا تشاؤم؟

الطالب: ...

الشيخ: بمرئي. أو همَّ أن يسافر، فلما خرج سمع رجلاً يقول: مات فلان بن فلان، قال: خلاص رجعنا، هذا تشاؤم؟

الطالب: بمسموع.

الشيخ: بمسموع. أو زمان يتشاءم بيوم من الأيام، يوم الأربعاء، يوم الخميس، أو شهر من الشهور كشهر شوال، العرب يتشاءمون بشهر شوال في الزواج، يقولون: من يتزوج في شهر شوال ما يوفّق، نعم...من هذا الزواجات في شهر شوال كثيرة، لكن عائشة أبطلت ذلك بالواقع، قالت:(**إن الرسول عليه الصلاة والسلام تزوجها في شوال، وبنى بها في شوال، فأيُّكم أو أيُّكن كان أحظى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم**) نعم. إذاً: ينبغي أن نتدارك إن أردنا أن نعمل التشاؤم والتفاؤل، فإننا؟

الطالب: نتفاءل.

الشيخ: نتفاءل بشهر شوال، نتفاءل به، ولكن مع ذلك لا نتفاءل بالزمان ولا نتشاءم به، الخير والشر بيد الله سبحانه وتعالى. ومنهم من يتشاءم بالمكان، نعم. تجد مثلاً يجلس في هذا المكان ثم ... الشوك، يقول: خلاص، قمنا هذا ما يمكن يجلس هنا.

أو يتشاءم بالحال، حال الشخص مثلاً. التشاؤم بالحال أيضاً هذا تطير ما يجوز، قد –مثلاً– يعمل إنسان عمل ويعاكسه في أول أمره، نعم. أو مثلاً يهمُّ أن يفعل شيئاً غداً ولا صار غد وله معه بعض التعب والعجز، فيتشاءم ويعدل بسبب هذه الأحوال التي تعرض له، فنقول: هذا لا يجوز، كل هذا لا يجوز، أنت إذا عزمت فتوكل على الله،(**اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك**).

الإنسان –مثل ما قال القرطبي وكذلك غيره من أهل العلم– يعلِّق تصرفاته بمثل هذه الأمور فهو من أجهل الناس، وأيضاً: هو من أجهل الناس حقيقة، ثم إنه ما يمكن أن يمشي له حال إذا ينظر لهذه الأشياء، ولكن لاحظوا أن الفأل الذي يعين على فعل الخير لا يدخل في هذا الأمر، الفأل كان الرسول عليه الصلاة والسلام يعجبه الفأل ولكنه يكره الطِّيَرَة؛ لأن الطِّيَرَة فيها تعلُّق الإنسان بغير الله سبحانه وتعالى بمثل هذه الأمور، وفيها

أيضاً منع للإنسان عما يريده من الخير، لكن التفاؤل: التشجيع على الخير، لما جاء سهيل بن عمرو في صلح الحديبية؛ قال النبي عليه الصلاة والسلام : (**هذا سهيل بن عمرو، وإنه قد سهل لكم من أمركم**) إذا صحت هذه الكلمة في الحديث.

فالحاصل: أن هذا التفاؤل غير التشاؤم. واعلم أن التشاؤم غير الشُّؤم؛ فإن الشؤم قد يكون في بعض الأشياء مثلما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أنه يكون في المرأة، ويكون في الدار، ويكون في الدابة، وهذا شيء مشاهد؛ أن الإنسان قد ينزل بعض الدور وما يتشاءم، لكن يكون فيها شؤم، تكون دائماً خراب مثلاً، نعم. ودائماً تحتاج إلى أعمال متتابعة، فإذا ارتحل عنها ارتاح ووجد ما يريد، كذلك بعض السيارات.. ما عندنا ما في دواب الآن في غالب الناس. بعض الأحيان هذه السيارة يشتريها الإنسان ويحبها وتتعبه، كل يوم ويخرب منها شيء، ثم يبيعها ويشتري ثانية ويرتاح لها، نعم. ومثلها أيضاً بعض الأحيان يشتري الإنسان قلم.. حتى الأشياء الصغيرة تتعبه يبدأ كل يوم يتعبه، يجف المداد وتلقى الريشة أيضاً ما تستقيم معه، نعم. ومرة يضيع منه ويتعبه، ويشتري قلماً آخر ويبقى عنده مدة ما ... لكن هذا ليس تشاؤماً ولكنه شؤم.

كذلك بعض النساء، يتزوج الإنسان امرأة وتتعبه ليلاً ونهاراً، في حياته العامة والخاصة، ومع أهله وأقاربه، ويتزوج أخرى فتكون؟

الطالب: صالحة.

الشيخ: راحة لنفسيته وقرة عين. فالحاصل: أن هذه الأشياء أمرها واقع، ولكن الرسول ما قال التشاؤم، قال: الشؤم، وفرق بين هذا وبين هذا، يعني معنى ذلك: أن هذه الأشياء يجد الناس فيها أحياناً بركة وراحة، وأحياناً يجدون فيها قلقاً وتعباً، نعم.

الطالب: التشاؤم ما هو ...

الشيخ: لا، ... الأشياء بأسبابها.

الطالب: ... مثلاً ... رجل ...

الشيخ: إذا كان ... نعم.

الطالب: ...

الشيخ: لا، إذا كان هذا يتعلق بشيء يتعلق فيه ...مثلاً وإلا شيء، وأما بس مجرد ...

الطالب: اسمه يزيد وإلا اسمه صالح وإلا اسمه راشد.

الشيخ: لا، ما هو هذا، لكن الشيء ذي معه ...فأنا قد أتفاءل، سهيل بن عمرو له معاملة مع الرسول عليه

الصلاة والسلام، فتفاءل، وهذا يكون من باب فتح الأمور باليسر، إي نعم.

الطالب: ثم يكون بغير هذا الشيء ...

الشيخ: نعم.

الطالب: ... اسمه ...

الشيخ: يمكن ... ما يخالف ولكن الإنسان أول الأمر ما يتفاءل، كما هو عادة الناس الآن أكثر العوام ما يدون عن المسائل هذه، الحمد لله! ويصير فيه خير ... هذا الشخص ... في أمانة الشخص الآخر لو أنه يزيد أو صالح مثل شؤم ... نعم.

الطالب: حديث الرسول عليه الصلاة والسلام (**الشؤم في ثلاثة يدل على أن ...**)

الشيخ: لا لا، يدل على أن مثلها ... إنما كان هذا ...

الطالب: ...

الشيخ: إي نعم. يعني معناه ذلك الشؤم في زمان أو في مكان أو ما أشبه ذلك يتشاءم، وأنا أيضاً ذكرت لكم الفرق بين الشؤم والتشاؤم، التشاؤم من فعله، والشؤم من فعل غيره، وهذا واضح أنه قد يكون يجعل الله في هذا الشيء خيراً وبركة للإنسان، وفي هذا الشيء شؤم وبلاء. نعم.

الطالب: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**الشؤم في ثلاثة**) وذكرها

الشيخ: نعم.

الطالب: وقال: (**الخير معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة**)

الشيخ: نعم.

الطالب: يعني افتتح حالها مع الشخص ... معقود في نواصيها الخير.

الشيخ: إيه. لكن هل معقود بنواصيها الخير مطلقاً أو في حال الجهاد؟ لأن..

الطالب: ...

الشيخ: لا، لأنه ذكر بعدها مثال الذي يربطها بالجهاد في سبيل الله، إنما (**ما تستن... ولا تعلو شرفاً ولا تأتي روضة ولا تشرب ماءً إلا كانت له أجراً**).

الطالب: وإذا كان فيه خصوص السبب ما ...

الشيخ: لا، نرى أن الحديث هنا وإن كان.. لكن السبب يقتضي ذلك، وإلا صحيح العبرة ليس بخصوص السبب وانما بعموم اللفظ لكنه ما دام أن السبب صالح لإحالة الحكم عليه فيجب أن يقيد بالحكم، مثلما قال الرسول

عليه الصلاة والسلام: (**ليس من البر الصيام في السفر**) ... مع أنه هو نفسه يصوم إذاً: يخصص بالسبب الذي ورد فيه، وهو أنه إذا كان الصيام يؤدي إلى مثل هذه الحال فليس من البر.

الطالب: ... قد تكون شؤم أن الإنسان يربطها خيلاء.

الشيخ: إي نعم.

الطالب: ...

الشيخ: إيه، نعم. بحكم النصرة ...

الطالب: والحديث معناه ... أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر اسمه ...بسبب الاسم..

الشيخ: ما أدري، ما أعرف، ما أعرف هذا الحديث، ولكن الظاهر لي -والله أعلم- أن الرسول وجد قرينة غير الاسم، ولهذا استدعى أن يُسأل عن اسمه، كأنه واجه في حال هذا الرجل مثلاً، مع أنه ... ما أعرف عن معناه ولا.. نعم.

الطالب: ذكره ابن القيم في احكام المولود.

الشيخ: إيه ما أعرف.

الطالب: الاسم لأول مرة، الثاني اسم شهاب، والثالث الذي حلب اسمه يعيش

الشيخ: إيه، ما أعرف عن هذا الحديث، قد ينظر في سنده.

الطالب: ... عدة أحاديث ...

الشيخ: إيه، لكن هذا فيه تشاؤم، مثلاً التفاؤل لا بأس، لو كانت مثلاً ... يعيش، نعم. ما فيها إشكال، ولهذا قال: (**سهل من أمركم**) إن صحت الكلمة هذه، لكن المشكلة الأول.

الطالب: يا شيخ.

الشيخ: نعم.

الطالب: هل الأسماء لها تأثير على المسميات ؟

الشيخ: مالها تأثير، إلا إذا كان ذلك من طريق الوحي مثلاً أو.. إي نعم. من طريق الوحي، أما التأثير فلا يخاف، ولهذا الواقع يشهد بأنه لا حقيقة لذلك تجد هذا اسمه عبد الله. هاه؟

الطالب: ...

الشيخ: وهو عبد للشيطان، إي نعم. وتجد هذا اسمه شرورة، نعم. وتجده من أخير الناس. ماله تأثير، إلا على الشيء يكون مثلاً بطريق الوحي هذا شيء ممكن، مثلما قال الرسول عليه الصلاة والسلام لما ابن أبي طلحة سماه

عبد الله، ولما دعا له بالبركة بارك الله له حتى كان من أولاده عشرة يحفظون القرآن.

الطالب: ...؟

الشيخ: لا ،يعني ينبغي أن يقارن في الأسماء ما أرشد إليه الرسول عليه الصلاة والسلام، أن يراعى ما أرشد إليه، (**أحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن**) يعني: عبد الله وعبد الرحمن أفضل من صالح ومن راشد ... كون الإنسان يسمي اسم ليتفاءل به ما ... الرسول قال: (**لا تسم غلامك يساراً ولا نجاحاً**)

الطالب: ...؟

الشيخ: لا، هذه أبعد وأبعد، كونك إذا سميت بأسماء رجال صالحين يكون مثلهم هذه أبعد، إلا إذا كان إنسان على سبيل المحبة لهم ممكن يكون على سبيل المحبة، مثلما يفعلون الآن بعض الناس يسمون بأسماء الزعماء الذين يحبون، نعم. ولا يصيرون مثلهم بعد، طيب.

((**قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ**))[النمل:47] هذا جواب الرسل، وهذا الجواب تجدونه أيضاً أجاب به بنو إسرائيل لمن؟ لموسى.

الطالب: لموسى.

الشيخ: أجاب به بنو إسرائيل لموسى.

الطالب: ...

الشيخ: ((**وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ**))[الأعراف:131]، وكذلك أصحاب القرية الثلاثة تطيَّروا بالرسل الذين أُرسل إليهم، طيب.

على كل حال! هذا جواب أهل الشر أنهم يجعلون الأسباب التي هي من أفعالهم ونتيجة لأفعالهم؛ يجعلونها بأسباب هؤلاء المصلحين، والحقيقة أنها وقعت جزاءً على أفعال الكفار.

((**قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ**))[النمل:47] أي: تشاءمنا.

((**وَبِمَنْ مَعَكَ**))[النمل:47] أي: المؤمنين حيث قَحِطوا المطر وجاعوا، قُحِطوا بمعنى: مُنِعوا المطر، وجاعوا.

((**قَالَ طَائِرُكُمْ**))[النمل:47] شؤمكم؛ ((**عِنْدَ اللَّهِ**))[النمل:47] أتاكم به، ((**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ**))[النمل:47].

((**قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ**))[النمل:47] يعني: وليس منا، وطائركم بمعنى: شؤمكم، والمراد: ما أصابكم من ما تشاءمتم به –وهو القحط والجوع– عند من؟

الطالب: عند الله.

الشيخ: عند الله، وليس منِّي أنا، وإذا كان عند الله سبحانه وتعالى –هذا من أبلغ الجواب– إذا كان عند الله فإن الله تعالى حكيم، ما يُنزِّل هذا الشيء إلا؟

الطالب: أن يشاء.

الشيخ: في منزلته، وبأسبابه التي يُستحق بها، فكأنه يقول: ما دام عند الله فالله تعالى حكيم، ما أنزله إلا في موطنه وموضعه، هذا الشؤم عند الله.

ثم قال: ((**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ**))[النمل:47] هذا الإضراب ليس لإبطال الأول، ولكنه الانتقال، إضراب انتقالي، وتعرفون أن الإضراب يكون على نوعين: إضراباً إبطالياً يكون حكم لما بعد (**بل**) ويبطل ما قبلها.

والثاني: إضراب انتقالي مثل هذه الآية، ومثل قوله تعالى: ((**بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ**))[النمل:66] انتقال من شيء إلى شيء، هنا الإضراب إبطالي وإلا انتقالي؟

الطالب: انتقالي.

الشيخ: انتقالي؛ لأنه عند الله يفتنهم سبحانه وتعالى بما حصل، ((**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ**))[النمل:47] ووجه الفتنة أولاً: أنهم نسبوا هذا إلى صالح ومن معه، وهذه فتنة عظيمة، فتنة ضلَّ بها هؤلاء.

ثانياً –من وجه الفتنة– : أنه أصابهم مع مجيء صالح إليهم، فظنوا أو ادعوا أن أسباب ذلك صالح ومن معه، ففُتِنوا بذلك فابتعدوا عن الحق. ومثلما قلت لكم أنا قبل قليل بالتمثيل: أن يحدث مكروه عند وجود رجل صالح، فيُنْسَب هذا المكروه..

الطالب: إلى هذا الرجل.

الشيخ: إلى هذا الرجل الصالح ومجيء هذا الرجل الصالح فيكون في ذلك فتنة، فيكون في هذا حكمة. نعم. والله سبحانه وتعالى حكيم جل وعلا يفتن الإنسان ويختبره بأنواع المفاتن، نعم. تارة بالمصائب، وتارة بالنِّعم، وتارة بالأمور التي توجب الاشتباه؛ ليمتحنه بذلك، ولهذا الدنيا كلها محنة، ما دام الإنسان دائراً بين أمرين: إما شر وإما خير. وإلا لا؟ كل حياتك هكذا شر وإلا خير، وكلاهما يقول الله فيه: ((**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**))[الأنبياء:35] إذاً معناه: انتبه يا الإنسان، انتبه!! الفضل ليبلوني أأشكر أم أكفر؟ المصائب ليبلوني أأصبر أم أجزع؟ نعم. الشبهات العلمية التي ترد على قلب الإنسان ليبلوه هل يثبت أو يزيغ، نعم. فالمسائل كلها في الحقيقة فتنة واختبار من الله سبحانه وتعالى، ولهذا يجب على العاقل أن يكون حذراً دائماً، ولست أدعوكم في قولي هذا إلى سوء الظن بالله عز وجل، ولكني أدعوكم إلى النظر في الأمور؛ ليكون تصرُّفكم على وجه سليم، ولكن مع ذلك أقول: إنه إذا تجاوز الإنسان هذه الفتنة حصل له الثبات والاستقرار، نعم. لأنه يطمئن قلبه،

ويرسخ في هذه الأمور، ولا يزيغ -بإذن الله- بعد ذلك، لكن قد يُفتن المرء فلينظر، ولهذا قال: ((**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ**))[النمل:47] يفتنون بأي شيء يكون؟

الطالب: بالخير والشر.

الشيخ: بالخير والشر. ووجه الفتنة في هؤلاء: أن البلاء الذي أصابهم بسبب دعوة صالح إلى عبادة الله فكفروا فعُوقِبوا، فهذه من الفتن؛ لأنهم قالوا: أنت أسبابها، وفي الحقيقة أن أسبابها: هُمْ أنفسهم، ففُتِنوا بذلك. قال: يختبرون في الخير والشر.

((**وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ**))[النمل:48] مدينة ثمود.

((**تِسْعَةُ رَهْطٍ**))[النمل:48] **أي: رجال**". المؤلف قال: أي رجال. والرهط -صحيح- هم الرجال، لكنهم قالوا: إن الرهط ما بين الثلاثة إلى العشرة. وبعضهم قال: ما بين السبعة إلى العشرة، نعم. فعلى هذا: تسعةُ رهطٍ، يصير تسعة وتسعة؟ لا، ولهذا فسر المؤلف الرهط بإيش؟ بالرجال، نعم. الرَّهط فسَّرهم بالرجال لا بمعناه الخاص لأجل أن تستقيم الإضافة، إذ الشيء لا يُضاف إلى نفسه إلا على تأويل.

وقال بعضهم: إنه لا حاجة إلى هذا التأويل؛ لأن الإضافة هنا بيانية، أي: أن رهط تفسير لتسعة، كأنه قال: تسعةٌ رهطٌ. والمعنى على كل حال! هو أن هذه المدينة -مدينة صالح أو مدينة ثمود- كان فيها رجال تسعة. نعم. وكانت التسعة هذه مجالاً للتفاؤل والتشاؤم، أحد يتشاءم من العدد التسعة، يقول لهم تسعة جاءت بالإفساد في الأرض، ((**تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ**))[النمل:48].

وأحد يتفاءل بها، الرافضة يتشاءمون بالعشرة ويتفاءلون بالتسعة، العشرة من؟ المبشرون بالجنة، لكنهم يخرجون علي بن أبي طالب منهم ... من يحطون بداله؟ لكنهم يتشاءمون بالعشرة، عدوُّهم من العدد: العشرة، وصديقهم: التسعة؛ لأنهم يقولون: هم آل البيت الذين وضع عليهم الرسول الكساء، فقال لهم شيخ الإسلام: يجب إذا كنتم تتفاءلون أو تتشاءمون بالعدد أنكم تتشاءمون؟

الطالب: إحدى عشر.

الشيخ: لا، تتشاءمون بالتسعة.

الطالب: بالتسعة.

الشيخ: لأنه هو الذي قال: ((**وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ**))[النمل:48]، أما العشرة؛ فإن الغالب أنها خير، نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: نعم. عشر ذي الحجة، وعشر رمضان، والعشرة المبشرون بالجنة، وأمثلة كثيرة ما تحضرني الآن، وأنا أقول: أن كلام شيخ الإسلام هذا للتنزُّل مع الخصم، وإلا هو رحمه الله ما يتفاءل لا بهذا ولا بهذا، العدد عدد، ما أتى بشيء.

((**وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ**))[النمل:48] بأي شيء؟ بالمعاصي، يفسدون في الأرض بالمعاصي، وكلما ذكر الله تبارك وتعالى الفساد في الأرض فالمراد به: المعصية، الشرك فما دونه. لماذا؟ لأنه لا شك أن عمل المعاصي نفسه فساد، أليس كذلك؟

الطالب: بلى.

الشيخ: ثم هو سبب للفساد، نعم. ((**وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**))[الأعراف:130].

وقال تعالى: ((**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**))[الروم:41]، ((**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ**))[الشورى:30]. فالمعاصي هي نفسها فساد، وهي سبب للفساد أيضاً، فلذلك كل ما ذكر الله سبحانه وتعالى الفساد في الأرض فالمراد به المعاصي، يفسدون في الأرض بالمعاصي منها: قرضهم الدنانير والدراهم ... يقطعونها، يخربونها، يقصُّون منها، يقصُّون من الدراهم والدنانير، ولكن هذا إسرائيلي.

الطالب: أين الدليل؟

الشيخ: إسرائيلي، ما في دليل، ولا هو أيضاً أكبر المعاصي، هذا صحيح أنه غش، لكن ما هو بأكبر المعاصي. على كل حال! أهم شيء أنهم أنكروا الرسالة وكفروا بالخالق، هذه من أعظم المعاصي التي يفسدون بها في الأرض.

وقال: ((**وَلا يُصْلِحُونَ**))[النمل:48] يفسدون ولا يصلحون، لأن معناها: أن فسادهم هذا -والعياذ بالله- شامل، ما فيه صلاح أبداً، وهذا هو الحكمة من قوله: ((**وَلا يُصْلِحُونَ**))[النمل:48] وفيه فائدة عظيمة: وهو أنه قد يجتمع الفلاح والفساد في آنٍ واحد، كما أن الإنسان يكون مؤمناً ويكون فاسقاً، يكون فيه إيمان وفيه كفر، فيه فسوق وطاعة، فيه فساد وصلاح، وإلا لا؟ فالأمور إما خير محض وصلاح محض، وإما شر محض وفساد محض، وإما خليط من الأمرين. هؤلاء القوم يفسدون ولا يصلحون -والعياذ بالله- ما يصلحون بالطاعة أبداً، وهذا دليل على أنهم ليس فيهم خير محض، ليس فيهم خير أبداً لا قليل ولا كثير، لكن فيهم أناس خيِّرون، من؟ الذين آمنوا بصالح واتبعوه، لكن هؤلاء الرهط التسعة يفسدون ولا يصلحون، دائماً ما همّهم إلا الفساد في

الأرض بالمعاصي، وإلقاء الفتن بين الناس، ومحاولة قتل المصلحين، ولهذا: ((**قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ**...))[النمل:49] إلى آخر الآية.

الطالب: يا شيخ.

الشيخ: نعم.

الطالب: التشاؤم هو يعتبر شرك أصغر وإلا أكبر؟

الشيخ: لا. أصغر، ما لم يعتقد أنه مؤثر بنفسه فيكون أصغر، وأظن أنا ذكرنا هذه القاعدة مرة: كل من أثبت سبباً..

الطالب: غير شرعي.

الشيخ: غير شرعي.

الطالب: أو قدري.

الشيخ: أو قدري -يعني ما يقتضيه الشرع ولا القدر- فهو مشرك، لكنه شرك أصغر ما يؤدي إلى الأكبر، فأما ما اقتضاه الشرع أو اقتضاه القدر، ما اقتضاه الشرع بأن يُعلم من طريق الشرع أن هذا سبب لهذا، نعم. كقراءة الفاتحة على مريض سبب للشفاء، شرعاً وإلا قدراً؟

الطالب: شرعاً.

الشيخ: يعني: جاء بها الشرع. التجارب الذي يجرى على بعض النباتات وبعض الأدوية فيُعرف تأثيره هذا سبب؟

الطالب: قدري.

الشيخ: قدري، جاء به القدر. الأشياء التي ما دل عليها الشرع ولا القدر هذه ما يجوز أنك تقول: أنها أسباب، مثل إنسان علَّق خيط برقبته وقال: هذا لدفع العين، الذي يعلق الخيط خلاص ما عاد تجيه العين، هذا ما هو سبب، ليس بصحيح، أين الشرع الذي دل عليه؟ وأين القدر الذي دل عليه؟ وكم من إنسان يُصاب بالعين وعليه هذا الخيط.

الطالب: يا شيخ ...

الشيخ: نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: لا، ما يصير مشركا.

الطالب: أن يعتقد هو نفسه ...

الشيخ: إيه، لا. يعتقد أنه سبب للنفع، أن النافع الله لكن هذا من أسباب النفع. إيه. لكن لو اعتقد أنه ينفع بنفسه وليس سبباً محضاً صار متخذاً مع الله إلهاً.

الطالب: يا شيخ! ... الشرك ... أكبر وإلا أصغر؟

الشيخ: لا، ... ما هي داخلة ...

الطالب: ...

الشيخ: في مسألة الأسباب هذه، ما ...

الطالب: ...

الشيخ: لا، هذا من جهة أخرى غير.. نحن الآن نتكلم عن الأسباب.

الطالب: نعم.

الشيخ: من جعل سبباً من المسبَّبات المعيَّنة بدون شرع ولا قدر فهو مشرك، وأما مسألة التشريع فالتشريع حكم بغير ما أنزل الله، أي إنسان يشرِّع ما لم يشرعه الله ويعتقد أنه ما شرعه الله وأنه أصلح من ما شرع الله؛ فهو كافر كفراً مخرجاً من الملة، سواءً حكم به أم لم يحكم، أم جعل الناس يحكمون به، ولهذا يجب أن نفرِّق بين من لم يحكم بما أنزل الله تشريعاً، وبين من لم يحكم بما أنزل الله فعلاً، الذي يحكم بغير ما أنزل الله فعلاً لا تشريعاً هذا قد يكفر وقد يفسق وقد يظلم، والذي يحكم بغير ما أنزل الله تشريعاً بمعنى: أن يجعله هو الشرع شرع مبدَّل بدل شرع منزَّل، هو يرى أن هذا الشرع المبدَّل أصلح للعالم من الشرع المنزَّل؛ فهذا كافر، ولا ينقسم فعله إلى ظلم وفسق وكفر، بل هو كفر محض، فهمتم؟

الحكَّام الآن الذين يقنِّنون للناس، قوانين يجب تمشون عليها بأنها أصلح لكم من ما سبق؛ هؤلاء كفار حتى وإن لم تنزل بهم نازلة واحدة من هذه القوانين فيحكمون بها فهم كفار. أو ما فهمتم؟

الطالب: ...؟

الشيخ: يعني: إنسان مثلاً رئيس دولة، وشرع نظام يعرف أن هذا النظام مخالف للشرع لكن يعتقد أنه أفضل من الشرع وأصلح للخلق، هو ما حكم به لكن سنَّه وقال للناس يحكمون به، نقول: هذا كافر كفراً مخرجاً عن الملة.

الطالب: يحل الخروج عليه.

الشيخ: يجب الخروج عليه، إلا إذا كان.. قد يكون متأول، قد يقول: لا، هذا ما يخالف الشرع؛ لأن مثلاً عندنا بعض العلماء –الله يهدينا وإياهم– يفتحون للحكَّام أبواباً حتى إنه مما يهون عليهم أن يقولوا: مسائل الدنيا ما للشرع فيها دخل، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: (**أنتم أعلم بشؤون دنياكم**) في مسائل ... فإنه

يهون على الحكَّام، يقولون مثلاً: تجوز البنوك؛ لأن هذه من النظام الاقتصادي الحديث، ما للشرع فيه دخل. تجوز صناديق هذه التنميات ولا فيها شيء؛ لأن هذه من الأمور الاقتصادية التي يرجع فيها إلى ما يقتضيه العصر، ما للشرع فيها دخل.

غالب الحكَّام قد يجهلون هذا الأمر، فيظنون أن هذا صحيح فيلتبس عليهم، لكن إذا علمنا وفهَّمناهم وبيَّنا لهم الحق وقلنا (**أنتم أعلم بشؤون دنياكم**) فيما يتعلق بالعمل والصناعة، الصانع يعرف كيف يصنع القدر لكن قد لا يعرفه الرسول صلى الله عليه وسلم، الحرَّاث يعرف كيف يبذر ولكن الرسول قد لا يعلم ذلك، نعم. لكن أحكام شؤون دنيانا من الأعلم بها؟

الطالب: الله سبحانه وتعالى.

الشيخ: إيه. الشرع، ففرق بين الأفعال وبين الأحكام، أنا الآن مثلاً أعرف مثلاً أن هذا الشيء محرَّم من الصناعة أو من الزراعة أو ما أشبه ذلك، لكن هل أعرف كيف أصنعه؟ أعرف أن صناعة السيارات أنها من الأمور الطيبة المطلوبة لما فيها من المصلحة، لكن هل أعرف كيف أصنع سيارة؟

الطالب: ...

الشيخ: أقول للكافر المشرك المنكر الشيوعي الخبيث: أنت أعلم بشئون دنياك، صحيح وإلا لا؟ لكن ما هو بأعلم مني بحكم هذا الشيء. واضح؟ فقول الرسول: (**أنتم أعلم بشؤون دنياكم**) يعني: هل هذا التقليح ينفع أو لا ينفع؟ نعم. لأنكم مجرِّبين وفاهمين، لكن أنا أعطيكم حكم شرعي بأن كل ما كان صالحاً للخلق، فيه مصلحة للخلق فهو من الأمور المفروضة شرعاً؛ لأن أصل الشرائع ما نزلت إلا لإصلاح الخلق.

الطالب: ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في مسائل الطب

الشيخ: نعم.

الطالب: وايش هذا؟ لأنا لو قلنا: النبي صلى الله عليه وسلم ليس طبيبا ...

الشيخ: نعم. لكنه بالوحي يدرك هذا الشيء، لأنه هو إما أن يكون أدركه بالتجارب، فإذا أدركه بالتجارب وأخبر به علم وإن لم يكن قد أدركه؛ بالوحي، فمثلاً: ذكره أن الشفاء في ثلاث، العسل معروف: ((**فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ**))[النحل:69]، الكي والحجامة يحتمل عندي أنا وعند غيري أيضاً يحتمل أنه تلقى ذلك من الوحي ونحن لا نعلم بهذا، ويحتمل أنه علمه من التجارب، علمه من التجارب وثبت عنده ومع ذلك أيضاً ما دام الرسول صلى الله عليه وسلم أثبته؛ فإنا نثبته لأنه ثبت بقول الرسول وكذلك التجارب تشهد له.

الطالب: إذاً الأصل أن نتلقى عنه ولا نقول أن هذا ما هو من جانب النبي صلى الله عليه وسلم، إنما ثبت في

مثل التلقيح.

الشيخ: لا، مثل التلقيح وغيره، ... مثلاً صناعة الأبواب والبنايات والأشياء هذه.. قد لا يعلمها الرسول عليه الصلاة والسلام، إن كان قد مارسها، ولهذا الرسول عليه الصلاة والسلام لو كان عنده في مكة، لو كان عنده نخل مارس هذا الشيء أو مارسه ... به، ما يدري عنه الرسول..

الطالب: إلا

الشيخ: يدري عنه، لأنه أتى إلى المدينة أول ما أتى قال: والله ما أظن هذا التلقيح ينفع شيئاً، حتى ما قال: لا تلقِّحون، لكن الصحابة لتعبهم من التلقيح ... فرحوا وقالوا: إذاً ما نلقِّح، اتركوا التلقيح.

الطالب: ... التلقيح هذا هل في مثال آخر ...

الشيخ: ما نعرف، لكن نحن نعرف الآن أن قول الرسول: (**أنتم أعلم بشؤون دنياكم**) في الأمور التي تحصل بالممارسة والرسول ما علم عنها.

الطالب: طيب. الطب يحصل بالممارسة.

الشيخ: يحصل بالممارسة، والرسول أخبر بأشياء تلقاها من الوحي، وأشياء ... من الوحي أو من التجارب وأخبر بها.

الطالب: إذاً الأشياء التي تثبت في الطب بالممارسة ما كان يخبر عنها.

الشيخ: ما كان ...

الطالب: يعني قد يكون النبي صلى الله عليه وسلم..

الشيخ: قد لا يكون علم بها.

الطالب: قد لا تكون ...

الشيخ: قد لا يكون علم بها وهي الآن نافعة. عندنا مثلاً إبر البنسلين ما كان الرسول يعرفها.

الطالب: لا، أنا أقصد الذي ذكرت، الأمور الطبية التي ذكرت.

الشيخ: إيه.

الطالب: يمكن بعضها بالممارسة مثلما ذكرت.

الشيخ: ما أخبر به الرسول قد يكون بالممارسة، وقد يكون بغير الممارسة، مثلاً: (**الكمأة من المن، وماؤه شفاء للعين**) هل هذا وحي أو لا؟

الطالب: الأصل أنه وحي.

الشيخ: نعم.

الطالب: الأصل أنه وحي.

الشيخ: هذه بالذات قد تكون وحياً؛ لأنها خفية.

الطالب: نعم.

الشيخ: لكن مسألة الحجامة ومسألة الكي هذا أمر معلوم، معروف عند الناس، فقد يغلِّب الإنسان أن الرسول علم ذلك بالتجارب، وقد يقول إنسان: هذا وحي من الله عز وجل أوحاه الله إليه.

الطالب: طيب. المعلوم بالتجارب قطعي النفع؟

الشيخ: نعم. إذا أخبر به الرسول، إذا حكم به الرسول، مع أن الرسول -لاحظ- يقول: (إن كان الشفاء في شيء ففي ثلاث) ما جزم بعد، ما جزم، لأنه قد لا يشفى الإنسان بهذه الثلاث.

الطالب: إذاً كلامه الأول ما هو عن تجارب، إذاً قوله ...

الشيخ: نعم، ما هو عن تجارب، ولهذا أخلف الأمر، لأن ما عنده وحي ولا تجارب عليه الصلاة والسلام.

الطالب: إذاً بس قاله رأي.

الشيخ: قاله رأي ... هو قال(**أُرَى أن ذلك لا ينفع شيئاً**) لكن مثلما قلت لك: أن الصحابة لما سمعوا هذا الكلام فرحوا به، قالوا: إذاً كُفِينا المئونة، ما دام هذا ظن النبي صلى الله عليه وسلم وتركوه، وفسد النخل

الطالب: إنه بس قد يشكل على بعض الناس، يقول: كما أنه ليس مؤبر فليس أيضاً طبيب فيرد الأخبار التي وردت .

الشيخ: لا لا، لا.

الطالب: ...

الشيخ: لا، ما هو بصحيح هذا، النبي صلى الله عليه وسلم ما جزم، ما قال ليس فيه شيء، أو جزم أنه ما يفيد، ثم هذا أمر -الحمد لله- معلوم لكل مؤمن ويستطيع أن يدافع، يستطيع أن يدافع لمن أورد شبهة في هذا الأمر، فيقول ان الرسول ما جزم. والشيء الثاني: لو جزم النبي عليه الصلاة والسلام بهذا الأمر فإنما جزم به على سبيل الظن، والإنسان قد يجزم بالشيء على سبيل الظن، وقد أقر النبي عليه الصلاة والسلام من جزم.. بل من أقسم على سبيل الظن.

الطالب: يا شيخ.

الشيخ: نعم.

الطالب: ... عند الأطباء العصريين قد يعملون على ...

الشيخ: إي نعم.

الطالب: مثلاً ... هل يرد الحديث ... هل يرد الحديث بسبب ما ظهر من أنواع ...

الشيخ: نعم. نقول: هذا ما هو صحيح، أولاً: أنهم هم الآن يؤمنون ... لكن بس على ... تختلف الوسيلة الآن ... وما أشبه ذلك، نعم. هذه معروفة الآن ومستعملة ويؤمنون بها، نعم. وكما قال الرسول: (**ألا إن القوة الرمي**) ما هو بالرمي بالقوة الآن، الرمي بالآلات الموجودة، والكي أيضاً بالآلات الموجودة، ليس بلازم أن يكون ... وهم أيضاً الآن في بعض الأشياء يلجئون إلى الطب العربي، أنا أذكر أن ... دائماً يقول بأن المريض يتطبب طباً عربياً، إي نعم. ويُشفى بإذن الله.

الطالب: يعني ما ... ؟

الشيخ: إيه.

الطالب: يعني ...

الشيخ: ... الحقيقة قد ينكرون الوسيلة أو الآلة التي حصل بها الكي أو فعل البعض الذين يقومون بالحديد. فعل بعض ... هم ... أنا أذكر مثلاً بعض النساء يُؤتى بالطفل إليها ... في رأسه ثم ... كية وتجعل في ظهره كل خرزة من الظهر، من الظهر عليها خمسة ...

الطالب: ...

الشيخ: نعم.

الطالب: ...

الشيخ: فهم الأطباء مثل يعني يدرون بهذا الشيء وينكرونه لئلا يحصل مثل هذه الحالات، ... ما فيه لكن ... نعم. قلنا: أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما ذكر هذه الأشياء..

الطالب: ما معنى هذه ...

الشيخ: هذه حتماً التي تنفع قد يكون يقوم مقامها ما هو أولى منها، نعم.

الطالب: نهى عن ...

الشيخ: إيه، بس ما هو معنى ... لأن هو نفسه كوى سعد بن معاذ رضي الله عنه. نعم.

الطالب: ...

الشيخ: هاه؟

الطالب: ...

الشيخ: ايش

الطالب: ...

الشيخ: لا لا، يُقرأ ... إذا كان لغير عذر يُعاقب الإنسان.

الطالب: إذا كان ...

الشيخ: طيب. محمد إسماعيل عنده حديث ...

الطالب: شفتها لهم، بس ما لقيت كلام ...

الشيخ: ممكن هذا، أنت ...

الطالب: ما يخالف، أجيبه الذي لقيت

الشيخ: جيب ...

الطالب: بس، يعني ...

الشيخ: إيه، إذا ما لقيت ويش نسوي، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

الطالب: لقيت ابن حبان والحاكم، الأسانيد.

الشيخ: إيه.

الطالب: بس، فتشت على كلام العلماء حوله ما لقيت إلا موافقة الذهبي للحاكم.

الشيخ: المهم بارك الله فيك! اكتب ... ما نبغي أكثر من هذا، طيب.

إذا أدرك الإمام بعد قراءة الفاتحة فهل تجب عليه ...

الطالب: ...

الشيخ: كلام شيخ الاسلام؟

الطالب: ...

الشيخ: ... درست ... المهذَّب شرح المهذَّب، لأن الشافعية يرون وجوب القراءة مطلقاً.

الطالب: بحثت

الشيخ: شرح المهذَّب بحثت؟

الطالب: لا بحثت في كتب الشافعية

الشيخ: لا لا، هو الكتاب الجامع لهم...

((**وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ**))[النمل:48].

" ((**قَالُوا**)) **أي: هؤلاء التسعة بعضهم لبعض:** ((**تَقَاسَمُوا**)) **أي: احلفوا** ((**بِاللَّهِ**)) ".

يعني: طلب بعضهم من بعض أن يتعاهدوا على هذا الأمر، يتحالفوا على أن يبيّتوا صالحاً وأهله، ومعنى البيات إنزال العقوبة بهم ليلاً.

فهنا حلفوا والعياذ بالله هذا الحلف الفاجر على أن يبيّتوا صالحاً وأهله، ولهذا قال: ((**لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ**))[النمل:49].

اللام في قوله: نبيّتنّه واقعة في جواب القسم، والنون للتوكيد، فهم أكدوا هذا الفعل باليمين واللام والنون.

يقول المؤلف: " **بالنون والتاء وضم التاء الثانية** " كذا عندكم؟.

وبالتاء والثانية إذا جعلناها بالتاء لزم ضم التاء الثانية لتبيتُنّه، وأما لَنُبَيِّتَنَّهُ فإنها تبقى مفتوحة.

" ((**لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ**))**[النمل:49] أي من آمن به أي نقتلهم ليلاً** " هذا تفسير البيات.

والمراد بالأهل أتباعه كما قال المؤلف، ولكن قد ينازع في هذا، ويقال: إن المراد به أهله الخاصون يعني: أهل بيته؛ لأنهم هم الذين يسكنون في الغالب معه في البيت، فإن الغالب أن الإنسان في الليل لا يكون معه في بيته إلا أهله الخاصون به.

ثم بعد ذلك أن يبيّته " ((**ثُمَّ لَنَقُولَنَّ**))**[النمل:49] بالنون والتاء وضم اللام الثانية** ". ضم اللام الثانية متى؟ إذا صارت ستة لتقولنَّ، أما بالنون فهي بالفتح لنقولن.

يعني: ثم بعد أن نبيّته ونقتله ثم إذا قام وليه للأخذ بثأره نقول له " ((**لِوَلِيِّهِ**)) **أي: ولي دمه** ".

ومن ولي الدم عندنا في الخلافة الإسلامية هم الورثة بفرضٍ أو تعصيب، وقول البعض: بل هم العصبة هم أولياء الدم؛ لأنهم هم الذين يؤدون العقل عنه، وأما ذوي الفرض فليس من أولياء الدم.

والصواب العموم: أن أولياء الدم هم الورثة بفرضٍ أو تعصيب، حتى الزوجة أو الأم هي من أوليائه.

((**لِوَلِيِّهِ**)) نقول: " ((**مَا شَهِدْنَا**)) **حضرنا** ((**مَهْلِكَ أَهْلِهِ**)) **بضم الميم وفتحها** " مُهلك ومَهلك.

ولم يتعرض المؤلف للقراءة الثالثة وهي: ((**مَهْلِكَ**)) فالقراءات فيها ثلاث: فتح الميم وكسر اللام، فتح الميم واللام مَهلَك، ضم الميم وفتح اللام. وهاتان الأخيرتان هما اللتان ذكرهما المؤلف مُهلَك أهله، ومَهلَك أهله يقول: " **أي إهلاكهم أو هلاكهم** " على القراءتين.

مُهلك أي: إهلاك؛ لأن مُهلك من أهلك الرباعي، ومهلَك من هلك الثلاثي. ولذلك نقول: إذا كان الفعل ثلاثياً فإن المصدر الميمي منه على وزن مفعل مهلك، هلك مهلك قام مقام، وإذا كان رباعياً فإن المصدر الميمي منه على وزن اسم المفعول، فتقول: مُهلَك من أهلك، وتقول: مقام من أقام.

قام فينا مقام فلان، مثلما قال أبو حيان في ابن تيمية:

قام ابن تيمية في نصر شِرعتنا	**مقام سيد تَيْم إذ عصت مضر**

قام مقام، لكن عندنا تقول: أقام في هذا المكان مُقام فلان بضم الميم ما تقول: مقام. وهذه قاعدة معروفة في النحو: أنه المصدر الميمي إذا كان من رباعي فهو على وزن اسم المفعول، وإذا كان من ثلاثي فهو على وزن مفعَل أو مفعِل مثل مهلِك ((**مَهْلِكَ أَهْلِهِ**)).

" **فلا ندري من قتلهم** ". وهذا الإنكار صحيح أو كذب؟

الطالب: كله كذب.

الشيخ: ما داموا هم الذين قتلوه، فقولهم: ((**مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ**))[النمل:49] هذا كذب، لكن فيه تورية؛ لأنهم يقولون: ما شهدنا بل فعلنا، والشاهد لم يفعل، ولهذا قالوا: ((**وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**))[النمل:49].

وجملة ((**وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**))[النمل:49] هل هي من جملة كونهم الذين يدافعون به عن أنفسهم أو هو تقريرٌ لقولهم: ((**مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ**))[النمل:49] يعني وأنهم لم يقولوه للدفاع عن أنفسهم، يحتمل الأمرين، ولكن ما أدري هل فهمتم الفرق بين الأمرين أم لا؟

((**ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**))[النمل:49] هل ((**وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**))[النمل:49] من جملة ما يقولونه للولي، ليؤكدوا النفي؟ ما شهدنا وإننا لم نكذب عليكم، إننا لصادقون أنا ما شهدنا هذا وجه.

أو أن المعنى: ((**ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ**))[النمل:49] واطمئنوا أيها الإخوة فإننا -يقولون لبعضهم البعض- لصادقون؛ بأننا لم نشهد. يحتمل هذا وهذا.

إنما هم المفسّرون ذكروا احتمالين: أحدهما أن يقولوه في جملة دفاعهم عن أنفسهم لولي صالح، وعلى هذا فتكون الجملة ((**وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**))[النمل:49] تقريراً لقولهم: ((**مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ**))[النمل:49] وتكذيب، ما شهدنا وإنا لصادقون فلم نخبركم بالقتل.

أو أن المعنى: ((**ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ**))[النمل:49] ونحن إذا قلنا هذا فإننا صادقون؛ لأننا ما شهدنا مهلك، ولكننا أهلكنا بأنفسنا.. لسنا شهوداً بل فاعلون.

الطالب: ....؟

الشيخ: بلى، لكن الحقيقة أن الفاعل غير الشاهد، وأنه ... تورية هذه مثلاً، وإلا معلومٌ أن من فعل فقد شهد بلى أبلغ.

الطالب: ومن قتل النبي فالذين آمنوا بأنه يكفي عليهم أنهم قدموا لما هو أعظم.

الشيخ: لا. هم يهونون أمرهم بعضهم على بعض؛ حتى لا يكون في أنفسهم شيء، وإلا هو معلوم أن الذي يقتل يشهد، لكن لتهوين الأمر على بعضهم يوطّن بعضهم بعضاً.

والحاصل: أن هؤلاء والعياذ بالله أرادوا هذا الفعل المنكر وهو مكر؛ لأنه إتيان لصالح وأهله من حيث لا يشعرون، فإن الليل موضع السكون والهدوء، فإذا أحدٌ اعتدى على أحد صار ذلك غدرا ومكراً، ولهذا حتى في حرب الكفار اختلف العلماء: هل يجوز تبييت الكفار أو لا يجوز؟ فمن منع التبييت قال: ما يمكن أن يقتل الكفار وهم غارون نائمون، ومنهم من أجاز ذلك. والمسألة تحتاج إلى تحرير بحث في هذا الشيء.

والحاصل: أنا نقول: إن هذا من الغدر والمكر، أن يأتي هؤلاء إلى صالحٍ وأهله في الليل فيبيتوهم.

ولهذا يقول الله عز وجل: ((**وَمَكَرُوا مَكْرًا**))[النمل:50] " ((**وَمَكَرُوا**)) **في ذلك** ((**مَكْرًا**))**[النمل:50]** ". مكراً منكّر، وأحياناً يكون من فائدة التنكير التعظيم. أي: مكروا مكراً عظيماً.

والمكر فسّره بعضهم بأنه التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخطب، فيحصل بأسباب خفية إلى الوقاع بخصمه؛ لأن الأسباب الظاهرة ما تسمى مكر، وإنما هي أسباب خفية.

قال الله عز وجل في مقابلة ذلك: ((**وَمَكَرْنَا مَكْرًا**))[النمل:50] أي: أعظم من مكرهم.

قال المؤلف: " **أي جازيناهم بتعجيل عقوبتهم** " ففسّر مكراً بالمجازاة.

والصحيح: أن المكر أشد من المجازاة؛ لأنها مجازاة من حيث مأمن المجازى، لكن أراد المؤلف رحمه الله أن يدفع بذلك صفة المكر عن الله سبحانه وتعالى ففسّره بالمجازاة.

والصواب عند أهل السنة والجماعة أن المكر لا يجوز أن يحرّف إلى معنى المجازاة مطلقاً، وأنه لا يمتنع وصف الله تبارك وتعالى به في محله، فالمكر في محله يعتبر مدحاً وإلا لا؟وفي غير محله يعتبر ذماً.. فالمكر بهؤلاء الماكرين يعتبر مدحاً عظيماً.

ولهذا الصحيح في هذه المسألة الذي عليها أهل السنة والجماعة: أن الله تعالى يوصف بالمكر لا على الإطلاق، فلا يقال: إن الله ماكر؛ لأنه على الإطلاق يتضمن صفة الذم، وإنما يقال: ماكرٌ بمن يمكر به أو بمن يستحق المكر. وحينئذ يكون صفة مدح.

والصفات تنقسم إلى ثلاثة أقسام: أحدها: صفاتٌ حسنى في كل حال، فهذه ثابتةٌ لله على وجه الإطلاق كالسمع، كالبصر، كالعلم، كالحياة، كالقدرة .. وما أشبه ذلك.

والثاني: صفات نقصٍ على كل حال أو صفات سوءٍ على كل حال، فهذه يُنزّه الله عنها على كل حال مثل: الظلم، ....، والجهل، والعمى، والموت، والمرض، والجوع والعطش .. وما أشبه ذلك، هذه ينزّه الله عنها على كل حال والولادة، .....، والشريك .. وما إلى ذلك، هذه ينزّه الله عنها في كل حال.

والثالث: صفاتٌ ذات وجهين تكون مدحاً في حال وتكون ذماً في حال، فهذه لا يوصف الله بها بإطلاق، ولا تنفى عنه على الإطلاق مثل: المكر، والخداع، والاستهزاء، والسخرية .. وأمثالها. هذه لا يوصف الله بها على كل حال ولا تنفى عنه في كل حال. بل يوصف بها حيث تكون كمالاً، وتنفى عنه حيث تكون نقصاً. قال الله تعالى: ((**فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ**))[التوبة:79]، وقال تعالى: ((**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ**))[البقرة:15]، وقال تعالى: ((**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ**))[النساء:142]، وقال تعالى: ((**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ**))[الأنفال:30].

((**وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**))[النمل:50] يعني: هم لا يشعرون بعاقبة مكرهم، وهل يتم لهم ما أرادوا أم لا، ولا يشعرون كيف يمكر الله بهم. فهم لا يشعرون لا بهذا ولا بهذا.. لا بنتيجة مكرهم ولا بمكر الله بهم؛ لأنهم والعياذ بالله متمادون في الضلالة، والغالب أن الذي يتمادى في الضلالة يعمى فلا يبصر، ويصم فلا يسمع.

فلهذا قال: ((**وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**))[النمل:50] والجملة في قوله: ((**وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**))[النمل:50] محلها من الإعراب؟ حال من الواو في مكروا أو من الضمير المحذوف في قوله: ((**وَمَكَرْنَا مَكْرًا**))[النمل:50] يعني: بهم ((**وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**))[النمل:50]؟

الطالب: تدل على مكر مضاد ... بالذات الخفي في الليل.

الشيخ: لا. هو بالأسباب الخفية وقد يشعر به.قال: ((**وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**))[النمل:50].

((**فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ**))[النمل:51]. ((**فَانظُرْ**))[النمل:51] الخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولاً، أو لمن يصح خطابه. يعني: فانظر أيها المخاطب، أو فانظر يا محمد وهو رأس هذه الأمة وقائدها وإمامها، فيكون خطابه خطاباً للأمة أيضاً.

((**فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ**))[النمل:51] كيف هذه اسم استفهام معلّقةٌ ل(انظر) عن العمل، ولهذا نقول: إن محلها النصب خبر كان مقدماً، وجملة كان وخبرها في محل نصبٍ مفعول ل(انظر)، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم، العاقبة ما يعقب الشيء. يعني: انظر ماذا يعقب مكرهم من الأمر: ((**أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ**))[النمل:51] أهلكناهم، عندكم بفتح الهمزة أو بالكسر؟

الطالب: ....؟

الشيخ: فيها قراءتان: بفتح الهمزة أنا دمّرناهم، وكسرها: إنا دمّرناهم. أما كسرها فهي كقوله تعالى: ((**فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ**))[القمر:30 - 31] فتكون مستأنفة على قراءة الكسر تكون مستأنفة لبيان هذه العاقبة ((**فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ**))[النمل:51].

وأما... الآن يتفوه إلى هذه العاقبة، وجيء بالجملة الاستئنافية بياناً لها: إنا دمرناهم وقومهم أجمعين.

أما على قراءة الفتح فهي بيان للعاقبة بدلٌ منه فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ. أو أنها على خبر مبتدأ محذوف التقدير هي: ((**أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ**))[النمل:51].

وقوله تعالى: ((**دَمَّرْنَاهُمْ**)) يقول المؤلف: " **أهلكناهم** " من التدمير وهو أبلغ من الإهلاك؛ لأن التدمير يوحي بغلظ هذا الإهلاك وعظمته. وهو كذلك؛ فإن قوم صالح أخذوا والعياذ بالله بأمرين: بصيحة، ورجفة.

صيح بهم وارتجفت بهم الأرض حتى انهدم عليهم بناؤهم، وتقطعت قلوبهم في أجوافهم نسأل الله العافية، قال الله تعالى: ((**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ**))[القمر:31] مثل الهشيم .... والعياذ بالله.

فهذه .... العظيم نتيجة لهذا العصيان والتمرد والمكر الذي أرادوه بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقوله: ((**دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ**))[النمل:51] مع أن القوم لم يشاركوا في هذه الجريمة، ولكن هذا شؤم المعاصي: أن الله سبحانه وتعالى إذا عاقب بها أحداً شمل الجميع، مع أن قومهم مستحقون للعقوبة لأنهم كانوا كفاراً مكذّبين، لكن تعجيل العقوبة مقروناً بهذا السبب، وهو مكر هؤلاء بصالح، هذا قد لا يكون قوماً مستحقون له ولكنهم شملهم والعياذ بالله عقوبة هؤلاء، وقد ذكر الله تبارك وتعالى في آيات أخرى مفصّلة: أن نبيهم صالحاً قال لهم:

((**تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ**))[هود:65] فتمتعوا وبقوا ثلاثة أيام، ثم بعد ذلك أخذهم الله تعالى بهذه الصيحة والرجفة. وقوله: ((**أَجْمَعِينَ**))[النمل:51] ما محله من الإعراب؟

الطالب: توكيد.

الشيخ: توكيد لقوله: ((**وَقَوْمَهُمْ**))[النمل:51] للقوم يعني: ما بقي منهم أحد إلا من كان مؤمناً بصالحٍ عليه الصلاة والسلام، وقول المؤلف: " **بصيحة جبريل أو برمي الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم** ".

أما قوله: " **بصيحة جبريل** " فهذا قد يكون مقبولاً؛ لأن الله تعالى يقول: ((**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً**))[القمر:31] وهذه الصيحة إما من الله، أو من جبريل، أو من غيره من الملائكة. المهم أنهم أهلكوا بصيحة.

وأما قوله: " **أو برمي الملائكة بحجارة** " فهذا لا أعلم له وجه، ولكنه قيل: إنهم لما جاءوا إلى صالح أمر الله تعالى الملائكة أن تحرسه، فلما جاءوا وإذا الملائكة تحرسه فجعلت الملائكة ترميهم بالحجارة.. وهذا لا أصل له، إذا لم يكن هذا عن معصوم فإنه غير مقبول وهو أيضاً غير لائق أن تكون الملائكة يرمون بالحجارة، وأنهم من البشر. ولكنا نقول: الذي دمّر الله به هؤلاء وقومهم هو الصيحة والرجفة، كما جاء ذلك في القرآن، ولا نتعدى القرآن في هذا الأمر؛ لأن الله تعالى يقول في سورة إبراهيم: ((**لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ**))[إبراهيم:9] فما دام هذه الأمور من معلومات الله سبحانه وتعالى، فإننا لا نتجاوز ما كان له فيها إلا ما ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسند مقبول.

الطالب: وصلوا إلى بيته؟

الشيخ: على رأي المؤلف وصلوا إلى بيته.

الطالب: فانطبق عليهم الغار.

الشيخ: ذكر بعض العلماء أنهم لما خرجوا أصيبوا بمطر وأنهم قالوا ... إلى غار عن هذا المطر، فلما لجأوا إليه انطبق عليهم هذا الغار وهلكوا، وأنا قومهم جعلوا يطلبونهم ويبحثون عنهم فلم يجدوهم، ثم رجعوا إلى بيوتهم فخرج عليهم صالح فقال لهم: ((**تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ**))[هود:65].

وقالوا: إن هذا هو الذي ..... لأن هؤلاء القوم دخلوا إلى الغار يريدون الأمن، ولكن كان في هذا الغار حتفهم.

وهذه القصة أيضاً على هذا الوجه ما رأيتها ثابتة بسند عن النبي عليه الصلاة والسلام، ولهذا الأولى أن يقال: إن الله تعالى مكر بهم فدمّرهم وقومهم، وليس من المهم أن نعرف كيف دُمّروا، المهم أن نعرف أنهم دُمِّروا عن آخرهم بسبب ما أرادوه بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ....

الطالب: .... لما تواعدوا ... لما جاء يقول صالح: ((**تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ**))[هود:65] .... مثلاً بيوتهم والعذاب .....

الشيخ: ما يلزم؛ لأن الله ما ذكر أنه سبحانه وتعالى دمّرهم في تلك الليلة.

الطالب: ....

الشيخ: الذي حال بينهم وبين هذا، ثم إنهم هم قُذف في قلوبهم الرعب، ..... ما ندري، أو أنهم جاءوا فلم يتوصلوا إلى بيته لأنه مغلق محكم، المهم هذه .... فهم ما حصل أنهم نفذوا ما أرادوا.

((**أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ**))[النمل:51]

قال الله تعالى: " ((**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً**))**[النمل:52] أي: خالية ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الإشارة** ".

((**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ**))[النمل:52] المشار إليه معلوم وإلا؟ محدود؛ لأن بيوت ثمود موجودة الآن مشاهدة، لكنها كما قال الله تعالى خاوية بمعنى: أنها خالية على رأي المؤلف، وقيل: خاوية متهدمة كما قال الله تعالى: ((**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا**))[البقرة:259] أي متهدمة.

وهذا المعنى أبلغ وأن تفسير الخاوي بالمتهدم الذي ليس بقائم أولى وأشد؛ لأن البيوت قد تخلو مع العمار، ولكن إذا خويت بمعنى دمرت وانهدمت فهي خالية. فإذاً: أيضاً من دمارها خلوها، ولا يلزم من خلوها دمارها، والواقع أنها دمرت؛ لأن هذه الرجفة العظيمة لا بد أن تدمرها.

الطالب: .....

الشيخ: عندكم ما هو جعلها على صفتها بالأول، بل هي مدمرة.

ثم أن المؤلف قال: " **نصبه على الحال** " نصب الخاوية على الحال، من أين؟

الطالب:...

الشيخ: لا حال من البيوت.. بيوتهم حال كونها خاوية، لكن أين العامل في الحال؟ لأن العامل لا بد أن يكون إما فعلاً أو اسماً بمعنى الفعل، قال المؤلف: " **العامل فيها معنى الإشارة** " لأن تلك بمعنى أشير، فاسم الإشارة متضمنٌ لحرف معنوي وفعل، أي: أشير إلى بيوتهم خاويةً.

قال: " ((**بِمَا ظَلَمُوا**))**[النمل:52] بظلمهم** " الباء للسببية، وما مصدرية. انظر المؤلف رحمه الله حوّل الفعل إلى مصدر، إشارة إلى أن ما مصدرية أي: تحوّل ما بعدها إلى مصدر، أي: بسبب ظلمهم لا أننا ظالمون لهم، بل هم الذين ظلموا أنفسهم.

ثم فسّر المؤلف هذا الظلم بالكفر فقال: " **أي كفرهم** " لأن كل كفرٍ ظلم وليس كل ظلمٍ كفراً، ولهذا قال العلماء: إننا نحمد الله سبحانه وتعالى أن قال: ((**وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**))[البقرة:254] ولم يقل: والظالمون هم الكافرون، لو قال: والظالمون هم الكافرون كان كل ظالمٍ فهو كافر، ولكن قال: الكافرون هم الظالمون؛ فإن كافر هو ظالم ((**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**))[لقمان:13].

وتفسير المؤلف الظلم هنا بالكفر هل عليه دليل أو لا؟ نعم عليه دليل؛ لأن فعلهم وتكذيبهم لرسولهم كفرٌ، فهنا تفسير الظلم بما هو أخص له دليل.

((**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**))[النمل:52]. ((**إِنَّ فِي ذَلِكَ**))[النمل:52] المشار إليه كل القصة على الصحيح، وليس المشار إليه مجردٌ للذات، بل إنه كل القصة " ((**لَآيَةً**)) **لعبرة** ((**لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**))**[النمل:52] قدرتنا فيتعظون** ".

تخصيص هذا بالقدرة غير مسلّم؛ إذ المراد ما هو أعم من علم قدرة الله سبحانه وتعالى، بل يعلمون قدرة الله وحكمته، وما جرى في الأمم .. كل هذا داخل؛ لأن الذي ما يدري بماذا يعتبر؟ لكن الذي يدري هو الذي يعتبر.

وفي هذا من الحث على معرفة أخبار الأمم والعلم بها ما هو ظاهر؛ لأن بها يتعظ الناس.

وكذلك أيضاً الأخبار الواقعة في زمن الإنسان ينبغي أن يتخذ من حوادثها عظة وعبرة، وسيأتي إن شاء الله ذكر ما في قوله: ((**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**))[النمل:52] من الفوائد.

الطالب: .... يعلمون الدليل .... قوله: ((**لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**))[النمل:52] .... يقول: " **يَعْلَمُونَ وُجُوهَ دَلَالَةِ الدَّلَائِلِ** ".

الشيخ: ما أدري، هذا يحتمل، لكن ما هو محصور ما هو على الأمثلة محصور.

الطالب: ....؟

الشيخ: لا. لأن يعلمون الدلائل والدلالة كله، أنه هذا كله من جملة العلم.

قال الله تعالى: " ((**وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا**)) **بصالح وهم أربعة آلاف** ((**وَكَانُوا يَتَّقُونَ**))**[النمل:53] الشرك** ". أنجينا أي: عصمنا، الإنجاء بمعنى العصمة.

أنجيناهم من هذا التدمير الذي ذكر الله والعقوبة ((**وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا**))[النمل:53].

وقوله: ((**الَّذِينَ آمَنُوا**))[النمل:53] قول المؤلف: " **بصالح** " فيه نظر، فقد آمنوا بالله لأجل أن يشمل صالحاً ومن معه، كما قال الله تعالى في سورة هود: ((**فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا**))[الأعراف:72].

.... الإيمان بالله، بل نقول: إن صالحاً عليه الصلاة والسلام يجب عليه أن يؤمن بنفسه أنه رسول، ولهذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يؤمن ويشهد لنفسه بالرسالة يقول في صلاته : (**أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله**) وهو يعني نفسه.

وأحياناً يقول إذا وقع الأمر على وفق ما قال يقول: (**أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله**).

فالمهم أن الرسول نفسه ملزمٌ بأن يشهد لنفسه بالرسالة، وأنه رسول الله، يؤمن بما أوحي إليه، وكذلك غيره من باب أولى.

وقول المؤلف: إنهم أربعة آلاف، لكن أين الديوان الذي حصرهم؟ لا دليل عليه.

والغالب أن المؤمنين أقل من ذلك في هذا، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (**رأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد؛ إذ رفع له سواد فظن أنها امته فقيل: هذا موسى؟ وقومه** ...) المهم أن تقديرهم بأربعة آلاف، أو بأربعين نفراً، أو بأربعة ملايين، أو بأقل أو أكثر.. هذا يحتاج إلى دليل.

وهو أيضاً من فضول العلم الذي لا ينبغي للإنسان أن يُتعب نفسه في ذلك؛ لأنه ما فيه فائدة، الذي فيه فائدة لا بد أن يقصّه الله علينا.

ونظير هذا البحث مثلاً: كلب أصحاب الكهف ما لونه؟ وما اسمه، وايش كبره؟ ما عليه فوائد، الغار الذي هم فيه أين هو؟ وفي أي مكان؟ كل هذه مسائل جانبية.

كذلك أيضاً ما يقع في الحديث في السنة قال رجل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض الشرّاح يعنى عناية كاملة: من الذي قالها؟ هذا في الحقيقة ما له داعي وإن كنا قد نستفيد أنه إذا كانت الصفة منقبة، أن يكون في ذلك منقبة لهذا الرجل إذا عُرفت، لكن هل هذا ملزومٌ للحكم أو للدلالة؟ لا. ولكنه من فضول العلم، هذه أيضاً مثله: كمن الذين مع صالح؟ أربعة آلاف أو أربعة ملايين ما يهم، المهم أن كل من اتصف بالإيمان فإن الله تعالى أنجاهم من هذا العذاب العام.

((**وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**))[النمل:53] يقول المؤلف: " **يتقون الشرك** " ولو أنه قال: يتقون المعاصي أو يتقون الله لكان هذا أولى؛ لأن الإيمان والتقوى بمعنى الإيمان والعمل الصالح، لأن العمل الصالح عند الإطلاق من التقوى بخلاف ما إذا قُرن بالتقوى الظلم وما إلى ذلك، فيكون التقوى للمعاصي والقرب من الطاعات.

ثم قال الله تعالى: ((**وَلُوطًا**))[النمل:54] قال المؤلف: " **منصوب باذكر مقدراً قبله** " يعني: واذكر يا محمد لوطاً، وإنما ذُكر بعد صالح وهو دائماً يُذكر بعد صالح؛ لأن مدائن صالح وقرى قوم لوط ليس بعيداً بعضها من بعض، وليست مجهولة من الناس في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم قال: " ((**وَلُوطًا**))**[النمل:54] منصوب باذكر مقدراً قبله ويبدل منه** ".

فأما التقدير: واذكر إذا قال لوطٌ لقومه. " ((**إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ**))**[النمل:54] أي: اللواط** " الهمزة هنا لاستفهام الاستعلام وإلا لا؟؛ لأنه يعلم لكن التوبيخ والإنكار، وإن كنت أزيد على ذلك تعزر أو التعزير. يعني: كيف أنكم تأتون الفاحشة، فهي للتوبيخ والإنكار والتعدي.

وقوله: ((**الْفَاحِشَةَ**)) أي: لاستغراق الجنس من حيث المعنى لا من حيث الأفراد، لكن المعنى أن هذه أعظم فاحشة.. أعظم فاحشة من نوعها هي هذه، وهي أعظم من الزنا؛ لأن الله قال: ((**وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً**))[الإسراء:32] فاحشة من الفواحش، وهنا قال: الفاحشة، وهي أيضاً أعظم من نكاح ذوات المحارم؛ لأن الله قال: ((**وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا**))[النساء:22] ونساء ذوات المحارم أعظم من الزنا؛ لأن الله وصفهم بثلاثة أوصاف: فاحشة، ومقت، سوء السبيل. والزنا وصفه بوصفين: فاحشة، وسوء السبيل ((**إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**))[الإسراء:32].

ولهذا الصحيح أن من زنى بمحارمه يُقتل وإن لم يكن مختاراً؛ لأن هذه أعظم والعياذ بالله من الزنا.

كذلك أيضاً اللواط الصحيح أن فاعله يُقتل، ما دام بالغاً عاقلاً وإن لم يكن محصناً.

" ((**أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ**)) **أي: اللواط،** ((**وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ**))**[النمل:54] أي: يبصر بعضكم بعضاً انهماكاً في المعصية** ".

يعني: أخبث من الحمير يرى بعضهم بعضاً، يفعل واحد في الثاني، ولهذا قال: ((**وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ**))[العنكبوت:29] اذا اجتمعوا والعياذ بالله صار يركب بعضهم بعضاً كالحمير نسأل الله السلامة.

الطالب: ...

الشيخ: لكنهم يفعلونه؟

الطالب: يفعلون هذا. هذا بالنسبة ... بريطانيا ...

الشيخ: سفاهة.

الطالب: عندها قانون.

الشيخ: وقانون. طيب قوله: ((**وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ**))[النمل:54] من الإبصار بالعين، وقيل من الإبصار بالقلب. يعني: وأنتم تبصرون خبثها وتعقلونه، وكل إنسان له فطرة سليمة يكره هذا الصنف؛ لأنه كيف يركب مثله؟ نفس هذا المركوب الذي يركب آخر واحد.

ثم إن المكان هذا أيضاً ليس محلاً لهذه الشهوة؛ لأنه مكانٌ متلوث بالأنجاس وليس محل اللهو، فهو خبيث في الفطرة وفي الحكم أيضاً. ولكنا نقول: لو أننا فسّرنا الإبصار هنا بالإبصار الحسي بالعين والإبصار المعنوي بالقلب، لكان ذلك جائزاً.

وفي الحقيقة أن بشاعة هذا الشيء في القلب أمرٌ معلومٌ بالفطرة، وكونهم يفعلونه وهم يبصر بعضهم بعضاً هذا أشد وأعظم.

" ((**أَئِنَّكُمْ**))**[النمل:55] بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين** " فالقراءة أيضاً تكون اربعة.

((**أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً**))[النمل:55] هذا تفسيرٌ لقوله: ((**الْفَاحِشَةَ**))[النمل:54].

وهنا لاحظ أن الاستفهام هنا للتقرير، لكنه أُكّدت الجملة التي قرئت بالاستفهام اكدت بإن واللام ((**أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ**))[النمل:55]، وهذا كقول إخوة يوسف ليوسف: ((**أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ**))[يوسف:90] أي: أتقرر أنك يوسف وتؤكد ذلك؟

فقال: ((**أَنَا يُوسُفُ**))[يوسف:90] وفي ذلك لهم إهانة لهم؛ لأنهم هم طلبوا منه أن نؤكد لك أنه يوسف ((**أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ**))[يوسف:90] ما قال: إني لأنا يوسف، قال: أنا يوسف. فحذف التأكيدات استهانة بهم. فلازم أقول مرة ثانية إن الاستفهام إذا تلاه التأكيد لا يسقطه عن معنى الاستفهام، بل كأن المستفهم يطلب من المستفهم منه تأكيد الجملة، ولهذا قال لهم: لكن في هذه المسألة الاستفهام للتقرير، نقرر مع التأكيد ((**أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ**))[النمل:55].

شهوة يحتمل أن تكون مصدراً في موضع الحال، ويحتمل أن تكون مفعولاً لأجله أي: لأجل الشهوة.

وعلى كل حال ففيها إنكار من جهة أنهم يأتون الرجال شهوة وليسوا أهلاً لهم، ومن جهة أخرى أنهم يدعون النساء؛ ولهذا قال: ((**مِنْ دُونِ النِّسَاءِ**))[النمل:55] وهم محل الشهوة، فيكونون قد أساءوا فيما فعلوا وفيما تركوا، ولهذا قال لهم في آية أخرى: ((**وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ**))[الشعراء:166] وهذا أبلغ.

يعني: لو أن المسألة ضيقة ما بقي إلا هذا الطريق لكان أهون، لكن هنا طرق محللة مباحة موافقة للفطرة تدعونها

فتذهبون إلى هذا! كالذي يدع المذكاة ويأكل الميتة، وكالذي يدع البيع الصحيح ويذهب إلى الربا، ويقول: ((**إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا**))[البقرة:275].

فالحاصل أن الخبائث تزداد قبحاً إذا كان لها بدائل من الأصناف.. إذا كان لها بدائل من الأصناف ازدادت قبحاً، ولهذا قال لهم: ((**لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً**))[النمل:55] لو أنه اكتفى بهذا وقال: أتأتون الرجال شهوة بل أنتم قومٌ تجهلون، حصل التوبيخ لكن زادت..

الطالب:...

الشيخ: ذكرنا هذا ؟ ذكرنا أن الاستعجال بالسيئة يكون بطلبها أو بالأفعال التي تسببها ذكرنا هذه؟

الطالب : بداية الشرح من((**قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ**))

الشيخ: قال الله تعالى: ((**قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ**))[النمل:47].

يؤخذ من هذه الآية: بيان مسلك المكذبين للرسل أنهم يسلكون مسالك التشبيه والتمويه؛ لقولهم حينئذ أصيبوا بالجدب والقحط: ((**اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ**)) مع أن هذا الأمر من الله سبحانه وتعالى وليس بأسباب النبي، وهكذا أهل الباطل يشبهون ويلبسون على الناس بمثل هذه الأمور.

وفي هذا دليل على أن المصائب التي تصيب الإنسان إنما هي من الله سبحانه وتعالى؛ لقوله: ((**طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ**)) ولا ينافي هذا قوله تعالى: ((**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**))[الشورى:30]، ولا قوله: ((**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**))[الروم:41] لأن نسبة هذه الأمور إلى الله نسبة خلقٍ وإيجاد، ونسبتها إلى المخلوق نسبة تسبب، فهي تضاف إلى الناس إضافة الشيء إلى سببه، وتضاف إلى الله سبحانه وتعالى إضافة المخلوق إلى خالقه.

وعلى هذا يزول إشكال كثير من الآيات التي ظاهرها التعارض في هذا الباب.

وفي هذا دليل على أنه من الحكمة أن يُرد الباطل بالحق بدون سكوت، لقوله في جوابهم: ((**قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ**))[النمل:47] أنه لا يُسكت على الباطل بل يُرد عليه ويُذكر، هذه الفائدة.

وفيها الفائدة الرابعة: أنه ينبغي أن يكون الرد من جنس الإيراد، فهنا تطيروا بصالح ومن معه فبيّن أن طيرتهم وشؤمهم بسبب أعمالهم، لكنه قال: ((**طَائِرُكُمْ**))[النمل:47] يعني: اللفظ مثل اللفظ، فينبغي أن يكون الجواب مثل الإيراد، ويتحرى المجيب حتى اللفظ.

خامساً: أنه ينبغي لمن رد على غيره أو أبطل قوله: أن يأتي بأمرٍ لا جدال فيه؛ لأن هذا صالح عليه الصلاة والسلام لو قال: هذا الجدب ليس مني وأنا ما أتيت بسببه وما أشبه ذلك، لكان هذا فيه مجال للأخذ والرد، ولكن ينبغي أن يختار المجيب الجواب الذي لا كلام بعده.

نظير هذا: محاجة إبراهيم للذي حاجّه في الله ((**قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ**))[البقرة:258] ما قال: لا أنت ما تحيي وتميت، ولكنك تقتل من لا يستحق

القتل وترفع القتل عمن يستحقه، وهذا ليس بإحياءٍ ولا إماتة، مع أن هذا هو الحقيقة، لكن هذا يكون فيه جدل، إنما أتى بأمرٍ لا جدال فيه ولا يمكنه أن يجادل، ولهذا بُهت الذي كفر.

وهكذا ينبغي للإنسان في محاجة من حاجّه أن يختار الأجوبة التي ما تؤدي إلى النزاع والجدال؛ لأنه إذا أدّت إلى النزاع والجدال فقد يتغلب الباطل على الحق؛ بسبب طول الجدال واللف والدوران، لكن يؤتى بشيءٍ لا جدال فيه، وهذه من آداب المناظرة حتى عند الذين يتكلمون بهذه الأمور يرون أنها من آداب المناظرة الأخذ بما لا يمكن الجدل فيه.

الفائدة السادسة: ((**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ**))[النمل:47] دليل على أن الله تعالى قد يحدث من الأمور ما يكون سبباً للافتتان بعض الناس، لما جاء صالح وجاء الجدب، في الحقيقة أنه فتنة لبعض الناس؛ إذ يقول بعض الناس مثلاً: إن هذا من أسباب هذه الرسالة، فيكون سبباً للفتنة لولا عصمة الله تبارك وتعالى، وهذا دائماً يكون في أفعال الله تعالى القدرية والشرعية.

في الشرعية ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ**))[المائدة:94] حرّم الله الصيد على المحرمين، فبعث الله على الصحابة رضي الله عنهم صيداً تناله أيديهم ورماحهم، يمسكه بيده ما فيه تعب، أو برمحه ما يحتاج ولا إلى قوس.

((**لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ**))[المائدة:94] فخافوه بالغيب.

وافتتن الله تعالى قوم موسى بالحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعاً مع تحريم الصيد عليهم، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ولكنهم لم يشكروا، وخادعوا فتحيلوا، وصاروا يضعون الشباك للحيتان في يوم الجمعة، فتأتي الحيتان فتقع فيه يوم السبت، فإذا كان يوم الأحد جاءوا وأخذوه، فقالوا: نحن ما صدنا يوم السبت، فقلبهم الله تعالى قردة ((**فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**))[البقرة:65].

فالحاصل أقول: إن الله تعالى قد يفتن الإنسان بالفتن الشرعية والقدرية؛ لأجل أن يعلم من يخافه بالغيب، ومن يشكر ومن لا يشكر.

أحياناً أيضاً يبتلى المرء بالمصائب ((**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ**))[الحج:11]، ومن الناس من يعبد الله تعالى على أساس ما هو على حرف، إن أصابه خيرٌ اطمأن به وشكر عليه، وإن أصابته فتنة صبر حتى ....واضح؟

ويدل عليه هنا قوله: ((**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ**))[النمل:47].

الطالب: هناك .... ما أدري في قسيمة الآيات التي ... لأن الأنبياء يؤتون آيات تدل على... أصحاب الكهف، فإذا جاءت هذه الفتن من القحط أو ... ما تكون قسيمة لها؟

الشيخ: لا. ما تكون مضادة لها، هذه فتنة لأنه هو عليه الصلاة والسلام بيّن أن السبب ما هو الابتلاء، وهو ما جاء بها لتشهد على المخالفين، أصيبوا بها لأنهم كذّبوا مثلما أصيبت قريش بدعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم، وما قال: آيتي أن الله يبتليكم بالقحط، وحتى لو قال: إن آيتي أن يبتليكم الله بالقحط وحصل فهي آية.

دل فيها أيضاً قوله: ((**وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ**))[النمل:48] فيه مبدأ العصابات، ولا يزال موجوداً إلى الآن، فإن هؤلاء تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وما زال الأمر إلى يومنا هذا وإلى ما بعد والله أعلم أنه سيبقى؛ لأن أهل الشر لهم طرق يتفننون بها في فرض شرهم على غيرهم.

وفيه أيضاً دليل على أنه يمكن أن يجتمع الفساد والصلاح؛ لقوله: يفسدون ولا يصلحون، ولولا أنه يمكن اجتماعهما لم يكن لقوله: ولا يصلحون فائدة؛ لأنه يكون عدم الصلاح .... من إثبات الفساد لو لم يمكن اجتماعهما، هذه فائدتين. ففيها إثبات أن الفساد والصلاح قد يجتمعان في شخص.

ومنه نأخذ أيضاً أن الكفر والإيمان قد يجتمع في شخص؛ لأن الإيمان صلاح والكفر فساد، وكذلك أيضاً الفسوق والطاعة ممكن تجتمع، وخالف في ذلك طائفتان من الناس: المعتزلة والمرجئة.

المرجئة قالوا: ما يمكن، الإنسان إذا كان مؤمن كل أحوال الصالحين، ولا يعذّب بذنب ولا يلام عليه.

والخوارج والمعتزلة بالعكس، قالوا: ما يمكن يجتمع كفر وإيمان، وفسوق وطاعة، بل من أتى ما يوجب الفسق صار كافراً، ومن أتى ما يوجب الكفر صار كافراً. هذا رأي الخوارج أو خارجاً من الإيمان بين منزلة الإيمان والكفر على رأي المعتزلة.

ولا شك أن النفوس والواقع والعقل يدل على خلاف ما قالوا؛ لأن الاجتماع هذا وهذا أمرٌ موجود معلوم.

الطالب: يعني يكون الرجل بالأغلبية، يعني: يجتمع كونه ... ويكون الرجل بالأغلبية، أن يكون مؤمن .... الإيمان.

الشيخ: لا. نقول: مؤمن ناقص الإيمان ما نطلق عليه الإيمان المطلق، حتى لو كان فيه مثلاً عشرة في المائة، لا بد أن يكون ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسقٌ بكبيرته، مثلاً لو اغتاب الإنسان رجلاً من الناس هذه كبيرة من الكبائر تنقّص الإيمان، وهو يصلي ويصوم ويزكي ويحج ويتطوع بفعل الطواف، ما نعطي هذا وصف الإيمان المطلق، بل نقول: مؤمن بإيمانه فاسقٌ بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان.

الطالب: يا شيخ! كون ((**يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ**))[النمل:48] ما نتركه للصحابي فأمرنا بالسكوت مثلاً عن الكلام، بمعنى أنه يتحقق الوصف بواحد منه ما هو الثاني يعني .....

الشيخ: لا. وبارك الله فيك؛ لأن السكوت والكلام متناقضان، أما الصلاح والفساد فهي متضادان، يمكن أن يجتمعان فيكون في الشيء مصلحة ومفسدة ((**قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**))[البقرة:219] أما هذا فهو السكوت وإلا الكلام متناقض، يعني ما يمكن يوجد أحد هنا إلا بفقد الآخر.

الفائدة الثالثة: أن المعاصي من أسباب الفساد في الأرض؛ لقوله: ((**يُفْسِدُونَ**))[النمل:48] وهؤلاء الجماعة ليسوا يهدمون البيوت، ولا يغرقون الزروع، ولا يحرقون المتاجر، لكنهم يفعلون ما يكون سبباً للفساد، الفساد المعنوي وهو فساد الأخلاق والسلوك، والفساد الحسّي؛ لأن الفساد الحسي يتبع الفساد المعنوي.

((**قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**))[النمل:49].

يستفاد من هذه الآية الكريمة:

أولاً: أنه من الحزم –والحزم قد يكون في الخير وفي الشر– أن تتعاقد الطائفة وتتعاهد على منهاجها الذي تسير عليه؛ لئلا تتفرق وتختلف ((**قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ**))[النمل:49] ما .... ثم اذهب، اجتمعوا أول على تدبير الصفة، ثم على تنفيذها.

فيؤخذ منه: أن من الحزم أن تجتمع الطائفة وتتفق على عهد يربط بعضها ببعض؛ ليكون التنفيذ واحداً.

وهذا المسلك لا زال يُسلك حتى الآن، وتعرفون أن الصحيفة التي اجتمعت قريش فيها على مقاطعة بني هاشم، هل نقضت برجلٍ واحد؟ لا، بل ذهب هذا الرجل الذي أراد نقضها إلى فلان وفلان، وصار يجمّع الناس حوله حتى اجتمعوا على نقضها وغلبوا في تنفيذ فكرته.

فالحاصل أن المسائل هذه ينبغي للإنسان إذا أراد أن يهم بأمر ويمشي على منهاج أن يجعل معه أقواماً يساعدونه ويتعاقد معهم ويتعاهد، إن كان في خيراً فخير وإن كان في شر فالله يتولاهم.

هنا تقاسموا على خير أو على شر؟ على شرٍ من أعظم الشرور.

وفيه دليل على مبدأ الاغتيالات لقوله: ((**لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ**))[النمل:49] لأن التبييت اغتيال؛ إذ ثم الاغتيال معناه هو القتل على غرّة، ولهذا كان الصحيح من أقوال أهل العلم: أن الغيلة ليس فيها خيار لأولياء الدم وأنه يجب قتل المغتال بكل حال حتى لو عفوا، وهذا مذهب مالك واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لأنه لا يمكن التحرز منه وهو فسادٌ في الأرض، ولا يعارض هذا قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**من قتل له قتيل فهو بخير**

النظرين) لأن قوله: (**من قتل له**) هذا من الحقوق الخاصة، وأما مسألة الاغتيال فإنها من الحقوق العامة، يجد الإنسان في مأمن ويقتله.

الطالب: هذا فعل القاتل.

الشيخ: لا. فعل القاتل أنه إذا أراد أن يقتل الذي فيه التخيير أنه يأتي ... لكن المهم أن ذاك يمكن أن يتحرز منه.. أن المقتول يمكن أن يتحرز بالفرار، أو يتحرز بالمدافعة، أو ما أشبه ذلك ...

أما أن يأتيه وهو نائم مثلاً أو يأتيه في بيته وهو غافل، فهذا ما يمكن التحرز منه فساد؛ لأنه إذا جاءه وهو يعلم به يمكنه يتحرز بالفرار، يتحرز بالمدافعة، يتحرز بالسلاح لمن حوله.. وما أشبه ذلك.

وليس قولنا أنه على ... ما عنده أحد؛ لأنه مثلما قلت الغالب أنه ما يقتل إلا إن كان ما عنده أحد، لكن الكلام على غرّة من المقتول، هذا هو قتل الغيلة؛ فهؤلاء الجماعة تقاسموا على هذه الفعلة القبيحة المشينة، ولكنهم لم يحصل لهم تنفيذ ما أرادوا؛ لأنهم مكروا ومكر الله والله خير الماكرين.

الطالب: هل يدل على مبدأ الاغتيالات؟

الشيخ: نعم.

الطالب: الله سبحانه وتعالى .... وهو على حرمة .....

الشيخ: الاغتيال موجود حتى في الزمن السابق هذا قصدي، وليس معنى هذا أنه ... هذا موجود ولا زال موجود. يعني: فغالب الأمور تجد أصله موجود، غالب الأمور من خير أو شر تجد له أصل في الأمم السابقين.

الطالب: المسلمين لا يجوز مع الأعداء..

الشيخ: نعم؟

الطالب: الاغتيال.

الشيخ: ويش فيه؟

الطالب: المسلمين لا يجوز لهم أن يسلكوه مع الأعداء.

الشيخ: إن كانوا يسلكونه بنا سلكناه بهم ((**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ**))[النحل:126].

فيه دليل في قوله: ((**ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ**))[النمل:49] دليل على الإنكار، إنكار المدّعي وهذا الشيء واضح، أن الفاعل للسيئة لا يهمه أن ينكر فعله، يعني: من قتل يهون عليه أن ينكر القتل؛ لأن القتل أعظم من إنكاره، ولهذا قالوا: ((**ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ**))[النمل:49].

وفيها فائدة رابعة: أن البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر؛ لأنه لولا أن هذا القول يبرئهم ما صح أن يتفقوا على اتخاذه حجة، اوما فهمتم؟ يقتلونه ويقولون: ما شهدنا مهلك أهله. اتفقوا على هذا.

دل هذا على أن الإنكار يدرأ به المدّعى عليه، وجهه: لولا أن ذلك يبرئهم لم ينفعهم الاتفاق عليه؛ لأنه لو قالوا: ما شهدنا مهلك. لقال: أنتم القاتلون، فهذا أيضاً دليل على أن البينة على المدّعي واليمين على من أنكر.

فإذا ادعى شخصٌ أن هذا الرجل قتل والده، نقول له: هات بيّنة، فإذا لم يأت ببينة فإنه لا يثبت له حق؛ لأن البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر.

ولكن هل هذا على إطلاقه؟

المشهور من المذهب أنه على إطلاقه، وأنه لو كان المدّعى عليه القتل من أفجر الناس والمقتول من أخوف الناس وكذلك المدّعي، فإنه لا يؤخذ بقوله؛ لعموم قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**البيّنة على المدّعي، واليمين على من أنكر**).

واختار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أن هذا يؤخذ بقوله، ولكن تجرى فيه القسامة.. إذا كان هذا الرجل معروفٌ بالفسوق والمقتول معروفٌ بالصدق والاستقامة، وكذلك أولياؤه، قال: فإن هذا قرينة تغلّب على الظن صدق المدّعي، وعلى هذا فتجرى فيه القسامة. وما قاله الشيخ فليس ببعيد.

كذلك الأمر الثاني بالعكس، لو أن شخصاً قتل إنساناً وقال: نعم أنا قتلت، ولكن الرجل صال عليَّ ولم يندفع إلا بالقتل، فماذا أصنع؟

المذهب لا يُقبل قوله ويُقتل اما فهمتم؟.. إنسان ادُّعي عليه أن القاتل .... قال: نعم أنا القاتل، لكنني قتلته دفاعاً عن نفسي؛ لأن الرجل يريد أن يقتلني، نقول له: هات بيّنة أنه صال عليك وإلا قتلناك. قال: ما يمكن يكون بيّنة لأنه لا يصول عليه أمام الناس.. لو يدري أن حوله أحداً ما صال.

نقول: إذاً نقتلك ويوم القيامة تختصمون عند الله، هذا هو المذهب، واختار الشيخ هنا أنه يُقبل قول المعروف بالصدق، فإذا كان هذا الرجل مستقيماً –هذا القاتل الذي يقول أنا قتلته دفاعاً– مستقيما ، والمقتول معروفاً بالفجور والاعتداء على الخلق، فإنه يُقبل قوله ولكن يحلف تأكيداً لقوله.

وما قاله الشيخ هو الصحيح، ولا يمكن العمل إلا به، أما أن نقول: نقتلك وتلقى حسابك عند الله، هذا فيه نظر.

طيب. حتى لو وجد قرينة تدل على صدق الرجل غير مسألة الحال هذا والحال هذا. يعني: مثلاً لو وجد المقتول في بيته.. في بيت القاتل، جاء ودخل عليه البيت ليقتلني، أو يريد أن ينتهك حرمة أهلي، فهو .... لا يندفع إلا بالقتل، يقول: نعم ولو كان؛ لأنه يمكن أنه عازمه لأجل يقتله.

الطالب: فيه شبهة تدرأ .....

الشيخ: ما هي؟

الطالب: لأنه في بيته.

الشيخ: نعم. هم يقولون نعم في بيته، لكن هو يقول: أنا الآن قتلت عمداً ما فيه شبهة، لكن ادّعى أنه صائل، يقول: إن كونه في بيته ما يدل على ما قال؛ لأنه يجوز أن .... يقول: تفضل عندنا، تفضل عندنا نوريك ويدخل على أن بيده ....، مشكلة هذه ما يستقيم الحال إلا على ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية.

طيب. هذا الكلام على قوله: ((**مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ**))[النمل:49] يدل على أن المنكِر مقبول القول ما لم يأتي المدّعي ببيّنة.

وفي هذه الآية: ((**وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**))[النمل:50] دليل على عظمة الله سبحانه وتعالى، وأنه أعظم مكراً ممن يمكرون به وبرسله.

فهؤلاء أرادوا المكر برسوله ولكن الله تعالى مكر بهم بما هو أعظم.

وفيه دليلٌ على وصف الله تعالى بالمكر لكنه ليس على سبيل الإطلاق بل على سبيل التقييد، فيقال مثلاً: هو ماكرٌ بأعدائه أو بمن يستحق المكر، أو ما أشبه ذلك مما يجعل المكر صفة كمال؛ لأن المكر ليس بصفة الكمال على الإطلاق، ولا بصفة نقصٍ على الإطلاق.

وفي هذا دليل على أن الله سبحانه وتعالى قد يمكر بالعبد فلا يشعر بمكره.

ومن ذلك –من مكر الله بالعبد وهو لا يشعر–: استدراجه إيّاه بالنعم؛ حيث يسدي إليه النعم وهو يبارز الله تعالى بالعصيان.

ومن مكره به تلبيسه عليه بالحكم حتى يظن الباطل حقاً، سيتمادى فيه، ولهذا من الدعاء المأثور: اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، فالإنسان قد يكون لديه شبهة أو شهوة، شبهة ما يعرف الحق أو شهوة لا يريد الحق يريد غيره.

وفي قوله: ((**فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ**))[النمل:51].

في الآية فوائد:

أولاً: الحث على الاعتبار؛ لقوله: ((**فَانظُرْ**))[النمل:51] فالنظر يكون بالقلب، ويسمى نظر البصيرة، ويكون بالعين ويسمى نظر البصر، وكلاهما أمرٌ مطلوب إذا أدى إلى مطلوب.

وأما إذا لم يؤد إلى مطلوب، بل أدى إلى العكس مثل أن يعتبر ويتبصّر ثم يتخذ من هذا النظر وسيلة إلى الطعن في حكمة الله سبحانه وتعالى، أو إلى وصف الله تعالى بالظلم.. أو ما أشبه ذلك مما يقع من بعض الملحدين، فإن هذا ضرره كبير والعياذ بالله، لكن من نظر ليعتبر.. من نظر بعين العقل والعدل فلا بد من الأمرين: عقلٌ وعدل، فبانتفاء العقل ما يعرف الإنسان، وبانتفاء العدل يظلم.

فعلى كل حال في هذه الآية دليل على أنه ينبغي للإنسان أن ينظر ويتأمل في الأمور، لا سيما في أمور المكذبين.

وفيه دليل على أنه ينبغي في مقام التحذير استعمال أغلظ الألفاظ وأشدها تأثيراً؛ لقوله: ((**دَمَّرْنَاهُمْ**))[النمل:51] ولم يقل: أهلكناهم، فإن التدمير أعظم وقعاً في النفس، والنفس تنفر منه أكثر، ولهذا قال: ((**أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ**))[النمل:51].

وفي هذا دليل أيضاً على أن العقوبات إنما تأتي بأسباب المرء؛ حيث جعل هذا التدمير عاقبة مكرهم، وهذا يدل عليه أيضاً قول الله تعالى: ((**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**))[الأعراف:96].

وقال تعالى في خصوص أهل الكتاب: ((**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ**))[المائدة:65 – 66] من فوقهم: من الثمار الطيبة، ومن تحت أرجلهم: من الزروع التي تحت الأرض.

في قوله أيضاً: ((**أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ**))[النمل:51] في هذا دليل على أن العقوبة تعم، ولكن كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**يُبعث الناس على أعمالهم**) العقوبة قد تعم، ولكن يُبعث الناس على أعمالهم، وهذا مشاهد، سواءً كانت العقوبة من الله يعني: من فعل الله أو من فعل العباد، يسلّط الله تعالى بعض عباده على بعض، فيدمر هذا المتسلط على الصالح والطالح، ولكن يُبعث الناس يوم القيامة على أعمالهم ونياتهم.

أو ينزل الله تعالى كارثة من عنده كالفيضانات، والرياح.. وغيرها. فتدمر الصالح والطالح، ويوم القيامة يُبعثون على نياتهم.

وإنما كان كذلك والحكمة عند الله سبحانه وتعالى لأجل أن يستقيم الناس على أمر الله؛ لأني أنا إذا علمت أن المصيبة ستعم سأسعى في إزالة السيئة الموجبة للعقوبة، لكن لو أننا نعلم أن العقوبة تخص العامل ما استقام الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر.

ولذلك يجب أن يكون خوف الإنسان من معاصي غيره كخوفه من معاصي نفسه؛ لأن العقوبة واحدة إذا نزلت عمّت، بل إن المعاصي سبحان الله كالدخان يصرع من شمّه وإن لم يكن في بيته.

ولذلك معاصي الناس اليوم أثّرت على أهل الخير البعيدين منهم. يعني: أهل الخير لو سألتهم وقلت: هل تجدون في قلوبكم ما كنتم تجدونه قبل سنوات من الإنابة إلى الله، والخشوع، والخضوع، ومحبة الخير؟ لوسألتهم؟ لأجابوا: لا.

دعنا من الناس الذين ماتوا قبل ثلاثين سنة أو أكثر، هذا معلوم أنهم سلموا من هذه الفتنة، لكن حتى الموجود الآن هروبهم قبل نحو ثلاثين سنة أصلح بكثير من اليوم، مع أن حالهم هي هي، تجد الإنسان مثلاً في مسجده إمام ولم يرتبط بالدنيا ولم يشتغل بها، تجد إنسان مثلاً في أهله ما يلتفت إلى أحدٍ غيرهم، ومع ذلك تأثرت القلوب؛ لأن المعاصي مفاسد مهما كانت.

ولكن مع هذا قد يأتي الله تعالى ببركانٍ عظيم يبدد هذه الأشياء، يقيض الله تعالى للأمة الإسلامية طائفة منصورة ظاهرة فتبدد كل هذا الأمر، ولهذا لا بد من عمل، الركود ما ينفع.. الركود ما فيه سلامة أبداً، لا بد من العمل ولكن على هدى مستقيم وبحكمة بالغة؛ لأن الذي يضر الدعاة إلى الله واحد من أمرين: إما جهلٌ، أو سفه.

يعني: إما أنه ما عندهم علم بيّن راسخ، فتجدهم يحرمون ما أحل الله، ويوجبون ما لم يوجبه الله.

مثلما يوجد من بعض الإخوان الذين يتشددون في الأمور، يحرمون ما أحل الله، أو يوجبون ما لم يوجبه الله، وهذه مفسدة عظيمة.

أو يكون عندهم سفه، يعني: ما عندهم حكمة في الدعوة إلى الله، فيكون عندهم تسرع وعيد وعنف ، أو تباطؤٌ في غير موضعه.

ففي الأول يحصل رد فعلٍ عميق من المدعوين، وفي الثاني يحصل تمادٍ من المدعوين يفوّت الفرصة على الداعين، فلا بد من العلم والحكمة ((**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**))[النحل:125].

يقول: ((**أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ**))[النمل:51].

((**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**))[النمل:52].

تلك بيوتهم خاوية، لما قال: ((**فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ**))[النمل:51] هذا عام مبهم، نص على شيء معيّن وهو أن بيوتهم خاوية الآن، ايش معنى خاوية؟

الطالب: فيها قولان: إما خالية، وإما متهدمة.

الشيخ: مدمّرة، خاويةً. وهذا قد نقول أن فيه فائدة وهي: التبيين بعد الإجمال؛ لأن التبيين بعد الإجمال أوقع في النفس، فالشيء إذا جاء مجملاً تتشوف النفس إلى بيانه ومعرفته، فإذا جاء إليها مبيَّناً بعد الإبهام صادف أرضاً يابسة تشرب الماء، لكن إذا بُيِّن الأول مر مر الكرام، وهذا دائماً تجدونه في القرآن ((**وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ**)) ما هو هذا الأمر؟ ((**أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ**))[الحجر:66].

عندما تقف ((**وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ**))[الحجر:66] تجد نفسك هذا الأمر بأل، ما هو الأمر هذا؟ ثم تجد ((**أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ**))[الحجر:66] يتبين لك وقع هذا البيان بعد الإبهام.

وفي هذا دليل على أن التبذير والإتلاف من أسباب الظلم لقوله: ((**بِمَا ظَلَمُوا**))[النمل:52] لأن الباء هنا للسببية.

الطالب: من أسباب الظلم أو بأسباب الظلم؟

الشيخ: يصلح هذا وهذا؛ لأن من للسببية.

وفيه دليل على أن الجزاء من جنس العمل.

وفيه دليل على أن الله سبحانه وتعالى ليس بظالم، ما دام لا يعاقب إلا بسبب فعل العبد، فمعنى ذلك أنه منتفٍ عنه الظلم سبحانه وتعالى.

وفيه دليلٌ على التحذير من الظلم؛ لأننا إذا تبينا أن التبذير من أسباب الظلم معناه: أننا ننفر منه ونهرب منه، وفيه التحذير من ممارسة الظلم سواءٌ كان متعدياً أو لازماً، أو سواءٌ كنت تظلم نفسك وحدها بالتقصير بواجب الله أو بالظلم لغيرك أيضاً.

وفيه دليل على أن هذه الحوادث التي يحدثها الله عز وجل آياتٌ من آياته، تدل على كمال قدرته وسلطانه وعلى كمال عدله أيضاً ياولد، ولهذا قال: ((**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً**))[النمل:52] أي: علامة على قدرة الله وسلطانه، وعلى حكمته وأنه سبحانه وتعالى لا يفعل إلا بمقتض للفعل.

وفيه ردٌ على من يُنكرون الحكمة مثل الجهمية، فإن الجهمية يقولون: إنه لا حكمة لله سبحانه وتعالى في أفعاله، وخالفتهم المعتزلة تماماً، وقالت: أفعاله مقرونةٌ بالحكمة والحكمة موجبة، ولهذا قالوا: يجب عليه فعل الصلاح، وبعضهم قالوا: يجب عليه فعل الأصلح.

وأما الجهمية فبالعكس، وهذا من المواضع التي اختلفت فيه الجهمية والمعتزلة، وإن كانوا يشتركون في كثير من الأشياء، لكنهم يختلفون أيضاً في أشياء أخرى منها هذه المسألة: هل فعل الله لحكمة أو لمجرد مشيئة؟

الجهمية يقولون: لمجرد مشيئة، والمعتزلة يقولون: لحكمة، لكن غلوا في إثبات الحكمة؛ حيث أوجبوا على الله سبحانه وتعالى فعل الأصلح.

وقد مر علينا هذا في العقيدة وبيّنا أن الصواب أنه يجب على الله فعل الأصلح لكن لا بإيجابنا نحن، ولكن بمقتضى حكمته؛ لأن الحكمة تقتضي هكذا.

الطالب: والأشاعرة؟

الشيخ: الأشاعرة مثل الجهمية.

وفي هذا دليل على أنه لا ينتفع بالآيات إلا أولوا العلم؛ لقوله: ((**لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**))[النمل:52] أما من ليس من ذوي العلم فإنه يفوتهم شيءٌ كثير لا يعتبرون به ولا يتعظون به، ولهذا قال الله عز وجل: ((**وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**))[العنكبوت:43] والأمثال تشمل الأمثال المعقولة والأمثال المحسوسة المشاهدة، فالله تعالى يضرب الأمثال المعقولة ويضرب الأمثال المحسوسة ((**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ**))[يس:13] ... إلى آخره، هذا ما يسمى المشهود المحسوس.

مثلاً: ((**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا**))[العنكبوت:41] هذا من الأمثال المعقولة.

والحاصل: أن أهل العلم هم الذين يعقلون هذه الآيات ويعتبرون بها، وينتفعون بها.

وفيه دليل على فضيلة العلم.. وفيه دليل أيضاً على الحث على العلم؛ لأنه إذا ثبت فضله فمعنى ذلك أن الله ذكره لنا لنتعلم.

ولا شك أن العلم من أفضل ما أنعم الله به على العبد، يعني: ما بعد الإسلام نعمة مثل العلم، هي أفضل من نعمة المال، وأفضل من نعمة قوة البدن، وأفضل من نعمة البنين، ما يعادلها إلا نعمة الإسلام فقط.

ولذلك تجد أن العلماء ولكن الذين مثّلوا العلم، بأن كانوا دعاة إلى الله، وكانوا علماء ملة لا علماء دولة؛ لأن العلماء منهم علماء ملّة يدعون إلى الملة والشريعة ويهدون بأمر الله، ومنهم علماء دولة يدعون إلى ما تريده الدولة، وتعرفون أول ما ظهرت بدعة الاشتراكية أو أول ما ظهر فسق الاشتراكية؛ لأنهم من زمان، صار أناسٌ من أهل العلم -في البلاد التي ظهرت فيها هذه البدعة- صار يدعون إليها ويزعمون أن القرآن والسنة دلّا عليه، فيأتون بآيات تدل على هذا. مثل ((**ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ**))[الروم:28].

الطالب: هذا في الإنكار.

الشيخ: نعم. قال: ((**فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ**))[الروم:28] خلاص أنتم سواءٌ في الرزق، والناس شركاء في ثلاث.. وهكذا، وبدءوا يحرفون الكتاب والسنة لماذا ؟ لأنهم علماء دولة لا علماء ملّة، وهذا كثير أيضاً.

وفيه أيضاً محدّثون دولة، مر علينا الذي قال المهدي ابراهيم بن غياث أو غياث بن إبراهيم قال: " **لا سبق إلا في خفٍّ أو نصل أو حافر – واستثنى – أو جناح** ".

الحاصل أن هذه دلالة في القصد، لكن المراد بالعلم الممدوح هو العلم المؤثر للعمل والدعوة.

والحقيقة أن مقام طلبة العلم ما هو مقام علم فقط ويكون العلم قابعاً يا أحمد في صدورهم، إذا لم يكن هناك دعوة، أنت الآن وارث للأنبياء و إلا لا؟ العلماء ورثة الأنبياء إذاً: ادع إلى الله.. ادع مثل ما دعا الأنبياء إلى الله سبحانه وتعالى، اعلم ثم ادع، ما نقول: ادع بجهل؛ الدعاء بجهل ضرر عليك وعلى الإسلام أيضاً، لكن اعلم وادع ولا تبالي.

واعلم أنك ما قلت كلمة تبتغي بها وجه الله إلا كان لها تأثير لا بد، ونحن نضرب دائماً لكم مثلاً بقول موسى أمام السحرة وأمام فرعون وجنوده وعامة أتباعه قال للسحرة: ((**وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**))[طه:61] كلمة ماذا عملت؟

الطالب: ((**فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ**))[طه:62].

الشيخ: ولا قنبلة ((**فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ**))[طه:62] راحت معنويتهم واجتماعهم.

وأخيراً آمنوا بالله، أعلنوا إعلان كامل بتصميم وعزم سبحان الذي أعطاهم إياه بهذه اللحظة ((**آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ**))[الأعراف:121 - 122] فوعدهم ((**لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ**))[الأعراف:124]، ماذا قالوا: ((**لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ**))[طه:72]...

((**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**))[النمل:52 - 53].

في هذا دليل على أن الإيمان والتقوى من أسباب النجاة؛ لأن قوله: ((**وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا**))[النمل:53] حكمٌ معلّقٌ بوصف، والحكم إذا عُلِّق بوصف دل ذلك على علّية هذا الوصف وتأثيره في الحكم، فيكون فيه دليلٌ على أن الإيمان والتقوى وهي متضمنة للعمل الصالح من أسباب النجاة.

الفائدة الثانية: الحث على الإيمان والتقوى؛ لأن كل إنسان عاقل ينبغي له أن يضبط أسباب النجاة، فيكون في الإخبار عن نجاتهم الحث على السبب الذي به نجوا.

الفائدة الثالثة: بيان عدل الله سبحانه وتعالى حيث أهلك من يستحق الإهلاك، وأنجى من يستحق الإنجاء ((**وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**))[النمل:53].

الفائدة الرابعة: أن صالحاً ومن معه كانوا مؤمنين متصفين بهذا الوصف.. بالإيمان والتقوى؛ لأنهم هم الذين أنجوا من هذه العقوبة.

((**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ**))[النمل:54 - 55].

في هذا دليلٌ من الفوائد على أنه ينبغي ادراك الغرض الذي من أجله أُرسل الرسول؛ لأن الرسل كلهم كافة أُرسلوا لتوحيد الله، لكن بعضهم يبيّن مع الأمر بعبادة الله أنه أُرسل لهذا الغرض، ولوط هنا بيّن الله تعالى أنه أرسله لغرض انتشال قومه من هذه الفاحشة العظيمة ((**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ**))[النمل:54] مع أنه لا بد أنه قال لهم: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، لكن لما كانت هذه الفاحشة ظاهرةً فيهم بيّنها الله تبارك وتعالى.

الطالب: يعني: الرسل .... لماذا لم .... حتى يؤمنوا، بحيث لا يطالبوه بهذا الشيء حتى ....

الشيخ: هم مؤمنون، هم طالبوهم أولاً بالإيمان ثم بهذا، الكلام هنا فيما قصّ الله.

الطالب: لكن في الآيات كثيراً يقرنونها .....

الشيخ: قرن بالواو ما تدل على أنها للفورية .... التعقيب.

الطالب: لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالف .....

الشيخ: لا حتى .... ما تدل على أنه خالفهم، وهو إما أن يكونوا مثلاً أخطأوا في هذه العملية مع تحقيق العبادة ويكون الأمر بعبادة الله من باب الأمر بالاستمرار عليها، أو أنهم يأمرونهم ثم بعد ذلك إذا استقر الإيمان في نفوسهم نهوهم عما هم عليه.

الفائدة الثانية: أن الرسل يُرسلون إلى قومهم لقوله: ((**إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ**))[النمل:54] ولم يُبعث أحدٌ إلى عموم الناس إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الفائدة الثالثة: بيان عظم اللواط وقبحه، وأنه في قمم الفواحش؛ لقوله: ((**أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ**))[النمل:54].

رابعاً: بيان وجوب الإنكار على من أتى هذه الفاحشة؛ لقوله: ((**أَتَأْتُونَ**))[النمل:54] لأن الهمزة هنا للاستفهام والتوبيخ.

ولا شك أنه يُنكر عليه، لكن بماذا يُعاقب؟ في شريعتنا يُعاقب بالقتل مطلقاً سواءً كان محصناً أم غير محصن، وهذا هو ما دل عليه الحديث الذي في السنن وصححه الحاكم وغيره من قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**) وهو الذي أجمع عليه الصحابة كما حكاه عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

لكنهم اختلفوا كيف يُقتل: هل يُقتل بالرجم، أو بإلقائه من شاهق وإتباعه بالحجارة، أو يُقتل بالسيف، أو يُقتل بالإحراق في النار؟ اختلفوا في هذا. المهم أنهم اتفقوا على قتله، وتكون الكيفية هنا راجعةٌ إلى الإمام، إذا رأى أقوى كيفية تردع عن هذا العمل الخبيث فإنه يسلكه.

وفيه دليل على أن الفواحش تقبُح بحسب ما يقترن بها؛ لقوله: ((**وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ**))[النمل:54] فإن هذه الفاحشة منكرة، ولكنها إذا كانت علناً وجهراً يبصر الناس بعضهم بعضاً فيها صارت أقبح وأعظم، ولهذا أتى بالجملة الحالية في قوله: ((**وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ**))[النمل:54].

الطالب: ....؟

الشيخ: ما هي ؟ لا. يجب قتله، ما لها حد في كيفية قتله.

الطالب: الكيفية يعني: ما يُحد، وإنما بحسب ....

الشيخ: بحسب ما يكون راجحاً نعم.

الطالب: الاحراق...؟

الشيخ: فعله أبو بكر رضي الله عنه، وفعله أيضاً هشام بن عبد الملك، وفعله عبد الله بن الزبير. وذكروه ...

الطالب: ولم يُنكر عليهم الصحابة في ذلك؟

الشيخ: ما أنكروا عليهم. فهذه الخمس فوائد.

ثم قال: ((**أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**))[النمل:55].

في هذه الآية من الفوائد:

أولاً: قبح فعل هؤلاء، وهذا مع اللفظ الأول ((**وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ**))[النمل:54] يكون قُبح من وجهٍ آخر: وهو أنهم يأتون الرجال الذين ليس لهم حقٌ في إتيانهم، ويدعون النساء اللاتي خلقهن الله في ذلك ((**لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ**))[النمل:55].

الفائدة الثانية: أن هذه الشهوة إنما تخطر عن جهل لا بمقتضى الطبيعة، وإنما هي عن سفهٍ في الإنسان؛ لقوله: ((**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**))[النمل:55]. كأنه قال: إتيانكم إياهم شهوة ليس له محل، ولكن الذي أوجد ذلك لكم أنكم قومٌ ذووا جهل أي: سفه ((**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**))[النمل:55].

الفائدة الثالثة: بيان ما عليه هؤلاء القوم من المظهر الاجتماعي الفاسد؛ لأنهم إذا كانوا يأتون الرجال ما بقي منهم رجل في الحقيقة، صاروا كلهم بمنزلة النساء، إلا أنهم إذا كبر الإنسان ارتفع عن أن يُفعل به وصار فاعلاً. فهم في حال الشباب مفعولٌ بهم، وفي حال الكبر فاعلون، ولهذا يُعتبر هذا .... بالبصر من أخص الانحطاطات.

ورابعاً: أن هذه الفعلة من السفه العظيم؛ لقوله: ((**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**))[النمل:55] فأتى بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار.

الطالب: ...

الشيخ: عن شهوة بمقتضى الطبيعة.

الطالب: ما يشكل على هذا ....

الشيخ: كيف؟

الطالب: ما يرويه .... من بعض الأئمة.... خوفاً أنها .... أو خوفاً من أن تقع في أمة.

الشيخ: نعم. كما أن الزنا قبيح في الفعل، قد تدعو النفس إليه، فلا يمنع أن النفس الأمّارة بالسوء تدعو إلى ما يخالف مقتضى الطبيعة، ولهذا قال بعض العلماء: إنه ليس فيه حد ولا عقوبة؛ لأن النفس تنفر عنه بمقتضى الطبيعة، فهو كشرب البول، وأكل الغائط. ولكن هذا ليس بصحيح. صحيح أن بعض النفوس السافلة ....إليه.

الطالب: يعني الزنا بمقتضى الطبيعة مرغوب يعني.

الشيخ: نعم. الزنا محرّم بوصف لا بمقتضى الطبيعة لأنه زنا؛ ولهذا لو تزوجها حلّ له ذلك، أما هذا فهو محرم بمقتضى الشريعة والطبيعة، حتى النفس تنفر منه إلا نفساً مغلوباً عليها أمرها. ولهذا قال لهم: ((**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**))[النمل:55] ليس هذا شهوة طبيعية تمليها الطبيعة، وهو حقيقة يعني: كيف الإنسان .... ويستعملها بمحل الخبث والأنتان والأقذار، وربما يعلق به شيءٌ من ذلك ويدع المحل الطاهر الذي أباحه الله له.

قال الله تعالى: ((**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ**))[النمل:56].

جوابَ خبر كان مقدّم، و((**أَنْ قَالُوا**)) اسمها مؤخر.

وهذه الجملة للحصر، يعني: ما كان جواب قومه أن ينقادوا ولا أن يقفوا موقفاً سلبياً من دعوته؛ بحيث يتوقفون عن القبول وعن المعارضة، بل كان جواب قومه والعياذ بالله: اللجوء إلى القوة وإلى العنف ((**إِلَّا أَنْ قَالُوا**))[النمل:56] أي: قال بعضهم لبعض.

((**أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ**))[النمل:56] أخرجوا الفاعل يعود إلى أهل الحل والعقد في القرية.

وقوله: ((**آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ**))[النمل:56] أتوا بهذا التعبير إشارة إلى أن لوط ليس منكم، وإنما هو جرثومة طارئة حادثة على محل، فيجب أن ينزّه منه؛ لأن لوطاً كما هو معروف أُرسل إلى أهل سدوم وليس منهم، ولهذا قال: ((**أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ**)) يعني: الذين جاءوا ووفدوا إليكم وليسوا منكم ((**مِنْ قَرْيَتِكُمْ**))[النمل:56] لم يقولوا من القرية، بل قالوا: من قريتكم؛ للإغراء بإخراجه.

إغراءً بإخراجه يعني كأنهم يقولون: هذه قريتكم وهذا رجل جاء جديداً عليها، ويريد أن يناقضكم وأن يقف ضدكم أخرجوه، القرية لكم ما هي له.

((**أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ**))[النمل:56] وسيأتي إن شاء الله بيان الفائدة في هذا لأن بعض الناس إذا ضاق ذرعاً بالدعاة المصلحين يقولون: اطلع هذه ما هي ديرتكم، أو لا تتكلم في هذا المسجد ما هو مسجدك أو ما أشبه ذلك.

((**مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**))[النمل:56] الجملة تعليلٌ لما سبقها من حكم وهو: الأمر بالإخراج، أخرجوهم، لماذا؟ لأنهم أناسٌ يتطهرون من أدبار الرجال، فجعلوا علّة العقوبة ما هي من أسباب رفع العقوبة، فإن تطهرهم هذا حسن يقتضي المدح والثناء أي: الجميل على من تطهر منه، وهؤلاء جعلوه بالعكس؛ لأنهم والعياذ بالله إما زائغون.. يعرفون الحق ولم يعملوا به، وإما ضالّون.. يضلوا عن الحق وعمي عليهم نسأل الله العافية.

والغالب: أنهم زائغون؛ لأن هذا معروفٌ لدى البشر أن الطبيعة تنفر منه ولا أحد يقبله.

وقوله: ((**إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**))[النمل:56] هل هم أرادوا الحقيقة وأن هذا الفعل خبيث وهؤلاء يريدون التطهر منه، أو أراد يتطهرون بزعمهم وأن هذا الفعل ليس نجساً لكن هؤلاء يريدون أن يتطهروا منه؟

الأقرب الأخير؛ لأنه هو مقتضى حالهم.. مقتضى حالهم أنهم رأوا هذا المنكر معروف، وهذه الفاحشة يسيرة فتمسكوا بها.وقولهم: ((**إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**))[النمل:56] أناس نكرة، والمنكر غير معروف، وكل هذا لقصد التباعد منه والإغراء بإخراجهم.

قال الله عز وجل: ((**فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ**))[النمل:57] لما عزموا على إخراجه أمره الله تعالى أن يخرج بأمر الله، فإن الملائكة أتت إليه وأمرته أن يسري بأهله إلا امرأته كانت من الغابرين.

فسرى بأمر الله، ولما بعُد عن القرية أهلك الله تعالى أهل القرية صباحاً ((**إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ**))[هود:81] فأرسل الله عليهم حجارة من سجّيل فجعل عاليها سافلها، ولهذا قال: ((**فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ**))[النمل:57] الاستفهام متصل أو منقطع؟

الطالب:...منقطع

الشيخ:... اذن منقطع ((**فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ**))[النمل:57].

وفي هذا دليل على أن المرأة من الأهل؛ لأن الإنسان يأهلها ويأوي إليها، وكذلك هي بالنسبة إليه. فالزوجة من أهل الإنسان كما أن أقاربه من أولاده وآبائه هم أيضاً من الأهل ((**فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ**))[النمل:57] أي: كتبنا عليها وقدّرنا عليها، ولهذا قال: " **جعلناها بتقديرنا من الغابرين الباقين في العذاب** " الغابر بمعنى: الباقي. فالمعنى أنها هي بقيت ولم يسر بها، فكانت والعياذ بالله من الهالكين.

((**إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ**))[النمل:57] وهذا هو معنى قوله تعالى: ((**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا**))[التحريم:10] فإن هذه الخيانة ليست خيانة فرج وعرض، وإنما هي خيانة كفر؛ لأنهما أظهرتا أنهما مؤمنتان وهما ليستا كذلك، فبهذا صارتا خائنتين.

قال: ((**إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ**))[النمل:57].

" ((**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا**)) **وهو حجارة السجّيل فأهلكتهم** ((**فَسَاءَ**)) **بئس** ((**مَطَرُ الْمُنذَرِينَ**))**[النمل:58] بالعذاب مطرهم** ".

((**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا**))[النمل:58] في هذا دليل على أن المطر ليس خاصاً بالماء، بل كل ما حصب به الإنسان من فوق يسمى مطراً، ولهذا قال: ((**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا**))[النمل:58] والمطر الذي أصابهم ما قاله المؤلف: " **حجارة السجّيل** " كما قال الله تعالى في آية أخرى ثانية: ((**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ**))[هود:82].

هذه الحجارة أهلكتهم، وجعلت عالي القرية سافلها،... بمعنى أنها تهدمت عليهم حتى صار عاليها سافلها؛ لأنه إذا انهدم البناء صار أعلاه أسفله، هذا هو الظاهر. وأما ما روي من أن جبريل حملهم من تحتهم الأرض السفلى وأنه صعد بهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ونهيق حميرهم، ثم قلبها. فإن هذا لا دليل عليه لا من كتاب الله

ولا من سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فالأقرب أن هذه الحجارة لما أصابت قريتهم صار عاليها سافلها، انهدم البناء فصار أعلاه أسفله.

" ((**فَسَاءَ**)) **بئس** ".

إذاً: ساء فعل ماضٍ مجردٌ عن الزمن، وإنما هو لإنشاء الذم، مثل: حسُن في بعض الأحيان.. ((**وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا**))[النساء:69] هذا فعلٌ لإنشاء المدح، ((**فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ**))[النمل:58] هذا أيضاً فعلٌ لإنشاء الذم.

قال: " ((**مَطَرُ الْمُنذَرِينَ**))**[النمل:58] بالعذاب مطرهم** ".

لماذا قال: مطرهم؟ لأن ساء مثل بئس، تبغي فاعل وتبغي مبتدأ. المخصوص بالذم هو المبتدأ محذوف.

فإذاً نقول في إعرابها: ساء فعلٌ ماضٍ، ومطر فاعل وهو مضاف إلى المنذرين، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: مطرهم. ((**فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ**))[النمل:58] أي: مطرهم.

وهذا المخصوص أحياناً يتقدم وأحياناً يأتي بدله اسم منصوب يجعل تمييزاً يكون بدل هذا المخصوص.

الطالب: الجمع بين قوله تعالى: ((**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ**))[الحجر:73]، وقوله في سورة هود: ((**إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ**))[هود:81] معنى الصبح يعني طلوع الفجر كما ذكر ابن القيم، والإصباح ....؟

الشيخ: لا. الصبح يشمل أول النهار من طلوع الفجر الظاهر إلى الضحى، يسمى ضحى ويسمى صبحاً. فلا ينافي.

الطالب: ... ما بين نجاة لوطٍ وأهله وهلاكهم إلا من السحر إلى طلوع الفجر.

الشيخ: نعم. .....

الطالب: كأنه يعني أحسن من موعدهم الصبح.

الشيخ: ما يخالف، موعدهم الصبح.. الصبح قلنا يشمل أول النهار أيضاً.

الطالب: يعني ما له وجهان .....

الشيخ: خلنا ندخل الآن في تلك الأخيرة ((**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ**))[الحجر:73] أو مصبحين، .....طيب ما يخالف.

الطالب: قوله تعالى: ((**فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ**))[هود:81].

الشيخ: ... من الإصباح، وراء العذاب استمر بهم إلى الإصباح .....

ثم قال: ((**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ**))[النمل:59]. " **قل يا محمد: الحمد لله على هلاك الكفار من الأمم الخالية** ".

((**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ**))[النمل:59] الأمر للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو لكل من يمكن أن يوجه إليه من العقلاء.

وقوله: ((**الْحَمْدُ لِلَّهِ**))[النمل:59] أطلق هنا ما يُحمد عليه، فهو أعم مما قاله المؤلف، وإن كان السياق يقتضي ما قاله المؤلف لكنه يجب أن يؤخذ بالعموم، ويكون من جملة ما يُحمد عليه إهلاك الكفار.

لأنه جارٍ على عدله، جاءه بأخذ هؤلاء وعلى فضله بالأنبياء والمؤمنين؛ حيث أخذ أعداءهم.

ولكنا نقول: الحمد لله. هذا عام يُحمد على كامل أوصافه، وعلى أحاسن أفعاله، فأفعاله كلها حسنى وصفاته كلها كاملة، فيُحمد على هذا وعلى هذا، ويكون إهلاك كفار الأمم من جملة ما يُحمد عليه، وهذا هو السر في أن الله تعالى لم يقل: قل الحمد لله على هذا. بل قال: ((**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ**))[النمل:59] ليكون الله تبارك وتعالى محموداً على كل حال. ومن جملة ما يُحمد عليه: إهلاك المكذبين للرسل.

" ((**وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى**)) **هم** " هذا المفعول قدّره المؤلف.

((**وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى**))[النمل:59] هل هو داخلٌ في ضمن المقول يعني: قل الحمد لله، وقل: سلامٌ على عباده الذين اصطفى. فيكون الإنسان مأموراً بحمد الله وبالدعاء لعباد الله الذين اصطفاهم بقوله: ((**وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى**))[النمل:59]، أو هي جملة مستقلة خبرٌ من الله سبحانه وتعالى في أنه كلّم من اصطفاه وأنجاه؟

فيه احتمال للأمرين، لكن أيهما أقرب إلى السياق؟

الطالب: يقال بحمد الله والسلامٌ، الجميع. يقال: الحمد لله على إهلاك الكفار، ....

الشيخ: والله فيها احتمال، ما يترجح عندي أحد الاحتمالين؛ لأن لكل منهما وجه، فالإنسان مأمورٌ أن يحمد الله ومأمورٌ بأن يسلّم على عباد الله.

وكذلك أيضاً الله تبارك وتعالى محمود على كمال صفاته، ثم إخباره بأنه سلّم هؤلاء، هذا أيضاً مما يُحمد عليه؛ لأن زوال النقم كجلب النعم.

ويكون في هذا فائدة وهو أن العباد الذين اصطفاهم الله قد أحل عليهم السلام، فلا ينالهم ما نال هؤلاء الكفار، ويكون الله تعالى محموداً على الأمرين: على إهلاك الكفار، وعلى تسليم عباده الذين اصطفى.

وقوله: ((**الَّذِينَ اصْطَفَى**)) بمعنى: اختارهم. والله تبارك وتعالى يخلق ما يشاء ويختار، يختار ما يخلق ويصطفيه.

فمن جملة ما اختار من بني آدم: اختار الأنبياء، كما قال الله تعالى: ((**وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ**))[ص:47]، واختار أيضاً المؤمنين فإن المؤمنين بالنسبة للكفار مصطفون، والأنبياء أخص في التقوى.

والاصطفاء كغيره من الصفات التي تكون متفاوتة بحسب ما قام به العبد من أسباب الاصطفاء، فكلما كان الإنسان أقوم بعبادة الله وأشد تعظيماً لله سبحانه وتعالى كان أشد اصطفاءً.

" ((آللَّهُ))**[النمل:59] بتحقيق الهمزتين أألله وإبدال الثانية ألفاً –آلله–، وتسهيلها –االله–، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه** ".

الطالب: ....

الشيخ: تحقيق همزتين، إبدال الثانية ألف هذه الثنتين واضحة.

الطالب: ويش هي الأولى؟

الشيخ: تحقيق الهمزتين أألله، إبدال الثانية ألفاً هي قراءتنا المعروفة آلله.

التسهيل فيه صفتان يدخل بينهما ألف –بين الهمزة والمسهّلة– ويترك، فتكون القراءات الآن أربع.

الطالب: يعني الأولى بتحقيق الهمزتين، لكن القراءة الرابعة تسهيل الهمزة الثانية بدون مد.

الشيخ: القراءة الثالثة تسهيل الهمزة الثانية لكن فيها ألف أو بدون ألف.فصارت القراءات أربع الآن.

ثم قال: " ((**آللَّهُ خَيْرٌ**)) **لمن يعبده** ((**أَمَّا يُشْرِكُونَ**))**[النمل:59] بالتاء والياء أي: أهل مكة به الآلهة خير لعابديها** ".

قوله: ((**آللَّهُ خَيْرٌ**)) خصّه المؤلف بخيريته لمن يعبده، والصواب أنها خيرية مطلقة لمن يعبده وهذا يقتضي الإحسان، ولكماله وهذا يقتضي الجلال والعظمة.

فهنا ما نقول: الله خيرٌ لمن يعبده فقط، بل آلله خيرٌ في كل صفاته وفي إحسانه وعطائه؛ لأن الآية مطلقة فيجب إطلاقها. وإطلاقها أكمل من تقييدها؛ لأنه مثلاً قد يكون هذا خيراً لمن يتعامل معه، لكنه ليس فيه خيرية مطلقة.

.... هذا الرجل يتعامل مع شخص، وإذا عامله أعطاه فوق ما يستحق، لكنه في صفاته الأخرى رديء، وهي في آخر جيد وخيّر في صفاته الأخرى لكن إذا تعامل معه هذا الرجل ربما لا يعطيه ما يستحق، فيكون الأول خيراً له من الثاني، ومع ذلك فهو ناقص.

فقول المؤلف: " **خيرٌ لمن يعبده** " هذا فيه نظر.

أولاً: أنه تقييد للمطلق بلا دليل.

الثاني: أن هذا التقييد لا يقتضي الأفضلية، ولذلك يجب أن يقال: آلله خيرٌ في كل شيء، في صفاته وفي ثوابه وجزائه لمن يعبده.

((**أَمَّا يُشْرِكُونَ**))[النمل:59] يعني: أم الذي يشركونه مع الله من الأصنام وغيرها. والجواب؟ بل الله خيرٌ، ولهذا ينبغي لك إذا قرأت مثل هذا أن تقول: بل الله.

وهذه المعادلة لا تقتضي المقاربة أو المماثلة فإنه قد يفاضل بين الشيئين مع خلو الطرف الثاني منهما. قال الله تعالى: ((**أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا**))[الفرقان:24] مع أنه ليس فيه مستقر النار خير وليس فيها حسن مقيل، بل إنهم يفضّلون بين أمرين متعاكسين فيقال مثلاً: الشتاء أشد من الصيف، أو يقولون أبلغ من هذا: الشتاء أبرد من القيظ، مع أن القيظ ليس فيه برودة.

فالحاصل: أن هذا ما يقتضي المماثلة أو المساواة، ولكن هل يقتضي النقص؟ نقول: نعم. يقتضي النقص لأنه يوهم المشاركة إلا في مقام التنزُّل.. في مقام التنزُّل فلا يقتضي النقص.

يقول الشاعر:

ألـم تـر أن السـيف يـنقص قـدره	**إذا قيل إن السيف أمضى من العصا**

لكن عند التنزُّل لا يدل على النقص، فهذه الأصنام التي يُشرك بها مع الله يريد منها عابدوها أن تنفعهم في جلب النفع أو دفع الضرر.

فنقول لهم: أيهما الأصنام في الخير أم الله؟ من باب التنزُّل مع الخصم؛ لأن هؤلاء يدّعون أن فيها خيراً بآلهتهم، فيقال لهم: ((**آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**))[النمل:59] يعني: على زعمكم وإن كان ليس فيها خيرٌ إطلاقاً.

وقوله: ((**أَمَّا يُشْرِكُونَ**))[النمل:59] أم هذه متصلة أو منقطعة؟

الطالب: متصلة.

الشيخ: متصلة،... ما الفرق بين المتصلة والمنقطعة حتى نحكم عليها؟

الطالب: المنقطعة بمعنى .....

الشيخ: المتصلة معناه: أن تكون بين متعادلين، وأما المنقطعة فتكون بين متباينين. هذا الفرق.

يعني: الثاني منقطع عن الأول وهذاك متصلٌ به، فإذا صارت بين المتعادلين فإنها ثم متصلة.

وأيضاً فرقٌ آخر لفظي: أن المتصلة يسبقها همزة الاستفهام أزيدٌ قائمٌ أم عمروٌ؟ فيُذكر فيها المعادل وتسبقها همزة تحقيقاً أو تقديراً.

وأما المنقطعة فلا تُذكر بين متعادلين ولا يلزم منها، بل ولا يكون قبلها همزة. بلغ

هذه الآن قبلها الهمزة آلله خير، وهي أيضاً بين متعادلين ((**آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**))[النمل:59]

بالتاء والياء يعني: أمّا تشركون، أو أما يشركون. قال المؤلف: " **بالتاء والياء أي: أهل مكة به** ".

بعد ؟

الطالب:...

الشيخ: " **آلالهة خيرٌ لعابديها** ((**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ**))**[النمل:60]** ".قدر المؤلف .... قدّرها مرة ثانية.

الطالب: الآلهة.

الشيخ: لا. الممدودة آلالهة.

الطالب: وافق تحقيق .....

الشيخ: " **آلالهة خيرٌ لعابديها** ((**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا**)) **فيه التفات من الغيبة إلى التكلم** ((**بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ**)) **حسن** ((**مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا**)) **لعدم قدرتكم عليه** ((**أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ** ...))**[النمل:60]** " إلى آخره.

قول المؤلف: آلالهة خيرٌ أم الله واضح، وعلى هذا فتكون أم أيضاً متصلة ((**أَمَّنْ خَلَقَ**))[النمل:60].

وخلق بمعنى أوجد بتقدير؛ لأن الخلق لا بد أن يسبقه تقدير، والإيجاد أعم منه، قد يوجد الإنسان الشيء بلا تقدير، ولكن الخلق لا بد فيه من تقدير.

((**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**))[النمل:60] بعضهم يقول: السماوات ليست مفعولاً بها، وإنما يقال: مفعولاً مطلقاً وليست مفعولاً بها؛ لأن المفعول به يقتضي أن يكون ما وقع عليه الفعل سابقاً على الفعل.

وهنا السماوات ليست سابقة على خلقه، وعلى هذا فقل: إنها مفعول ولا تقل به، لكن هذا في الحقيقة من الفلسفة التي ليس لها معنى.

لأن خلق: أوجد السماوات، فالمفعول به أو الفعل واقعٌ على الإيجاد وإن كانت السماوات قبل الإيجاد ليست موجودة، هم يقولون: المفعول به أنه لا بد يكون سابق على الفعل.

ضربت زيداً.. زيد سابق على الضرب، أكلت الطعام.. الطعام سابق على الأكل، صنعت الطعام.. حوّلته من حال إلى حال، أيضاً سابق على الطعام.

لكن خلق السماوات هو سابق على الخلق؟ لا. إذاً: لا تقول مفعولٌ به؛ لأنه ما وقع عليها فعل الفاعل، إذ هي لم توجد إلا بفعل الفاعل، ايش أقول: مفعول وبس لا به ولا فيه ولا معه ولا له؛ لأن المفاعيل خمسة كما هو معروف لكم: مفعول غير معدى بحرف، ومفعول معدى بحرف بالباء، أو بفي، أو باللام، أو بما. هذه المفاعيل.

ولكننا نقول: الحقيقة هذه تمحل؛ لأن خلق معناها يدل على الإيجاد، والإيجاد سابقٌ على الموجود؛ لأن به يحصل الوجود فلا حاجة إلى هذا التمحل، فنقول: السماوات مفعولٌ به .... ما نحذفها.

الطالب: الفعل المفعول .....

الشيخ: المفعول المطلق مثل: ضربت ضرباً، هذا يسمى مفعول مطلق ما يُعدى بالباء ولا ....

الطالب: .... تكون مثل هذا.

الشيخ: تكون مثل هذا، وإن كان ما هي موافقة للفعل. يعني: المفعول المطلق تكون بمعنى الفعل.

قال: ((**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**))[النمل:60] والسماوات تُذكر بلفظ الإفراد والجمع كثيراً في القرآن، والأرض ما ذُكرت إلا بلفظ الإفراد، إلا أن الله قال: ((**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**))[الطلاق:12] وإلا فبقية الآيات، حتى في هذه الآية ما ذُكرت إلا مفردة ولم يقل: ومن الأرضين مثلهن، لكنها وردت في السنة مجموعة ومبيّن أنها سبع.

((**وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**))[النمل:60] ماءً هذا مفعول أو مفعولٌ به؟

الطالب: على قاعدة النحويين مفعول.

الشيخ: لا. مفعولٌ به ((**وَأَنزَلَ لَكُمْ**)) اللام للتعليل أو للإباحة، ولكنها للتعليل أبلغ؛ لأنها إذا كانت التعليل شملت الإباحة وشملت ما يكون به النفع من هذا الماء وإن لم نلامسه.

((**وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ**))[النمل:60] المراد بالسماء هنا العلو، والدليل على ذلك: أن الماء هذا ينزل من السحاب، وقد قال الله تعالى: ((**وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**))[البقرة:164] فدل هذا على أن المراد بالسماء هنا العلو.

وقوله: ((**مَاءً فَأَنْبَتْنَا**)) فيه التفات من الغيبة إلى التكلّف، أين الغيبة؟ ((**أَمَّنْ خَلَقَ**))، ((**وَأَنزَلَ**)).

وهنا قال: ((**فَأَنْبَتْنَا**)) والالتفات فيه فوائد، هات واحدة منها؟

الطالب: تنبيه الخلق ....

الشيخ: .....

الطالب: أن الكلام إذا سار على وتيرة واحدة فإن المخاطب يمل ويسأم و ربما ...

الشيخ: و... معه ويغفل عنه.

الطالب: فإذا تغير من له اختصاص ينتبه.

الشيخ: ينتبه نعم، هذه واحدة. الفائدة الثانية.

الطالب: تنويع الكلام.

الشيخ: تنويع الكلام؟

الطالب: لأنه مثلاً تارة يكون على هذه الوتيرة، وتارة يكون على الوتيرة الثانية، فيكون أروع ....

الشيخ: يعني محسنة طبيعية لفظية فقط. الفائدة الثالثة؟ محمد . لافي

الطالب: ذكرنا واحد تتعلق.... دائماً ....

الشيخ: ويش باقي من فوائد؟ ((**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ**))[النمل:56].

الطالب: ...؟

الشيخ: هه؟

الطالب: ...؟

الشيخ: ... ((**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ**))[النمل:56].

الطالب: ...بلى

الشيخ: قال الله تعالى: ((**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**))[النمل:56] يستفاد من هذه الآية: بيان عتو هؤلاء المكذبين للوط عليه الصلاة والسلام، وأنهم لم يقتصروا على رد دعوته، بل اتفقوا على أن يخرجوه من البلد.

وفيها أيضاً دليل –الفائدة الثانية– أنه ينبغي عند الدعوة إلى الشيء أن يقرن الداعي دعوته بما يغري المدعوين ويؤلبهم ويقويهم، مستفاد من قوله: ((**آلَ لُوطٍ**)) ومن قوله ((**مِنْ قَرْيَتِكُمْ**)) ولم يقولوا: من القرية.

والفائدة الثالثة: استعمال الداعي لما يغري المدعو، لأن قوله: ((**مِنْ قَرْيَتِكُمْ**)) هذه توجب الحمية والعصبية حتى يخرجوه، كأنهم قالوا: القرية هذه تكره هذا الرجل، وكذلك في قوله: ((**آلَ لُوطٍ**)) يعني: هؤلاء ليسوا منكم، فلا يحسن أنكم تسكتون عنه.

الفائدة الرابعة: بيان أو قرن الحكم بالسبب، لقوله: ((**إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**)) هذا سبب قولهم: ((**أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ**)).

الفائدة الرابعة: أن قول البعض إذا رضيه الباقون فهو للجميع، لقوله: ((**إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ**))[النمل:56]. ومن المعلوم أن هذا القول ليس للجميع، يعني هم يقولون: أخرجوا، فهو يخاطب بعضهم بعض، ولكن الكلمة إذا جاءت من بعض القوم ورضيها الآخرون فإنها تنسب إليهم، ولهذا يخاطب الله اليهود في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بما فعله أسلافهم، يخاطبهم بما فعله أسلافهم، وفي سورة البقرة كثيرة من ذلك، كما قال الله تعالى: ((**وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**))[البقرة:53]. موسى الذي أوتي الكتاب والفرقان؛ هل جاء لهؤلاء وإلا لأسلافهم؟ وكذلك قال: ((**ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ**))[البقرة:92] والذين اتخذوا العجل ما هم بهؤلاء، لكن هؤلاء راضون، ففعل القوم أو فعل بعض القوم أو القبيلة إذا رضيه الآخرون فهو للجميع.

الطالب: ... ؟

الشيخ: إي نعم. العبرة بالأشراف ومن لهم الكلمة، وإلا قد يكون بعض الناس يكره هذا الشيء ولا يريده، فالعبرة بالأشراف.

ثم قال تعالى: ((**فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ**))[النمل:57]. يستفاد من هذه الآية: بيان أن الله تعالى كامل العدل، حيث أنجى لوطاً وأهله.

ثانياً: أنه من أتى بأسباب الهلاك هلك وإن كان بين قوم صالحين، لقوله: ((**فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا**))[النمل:57].

الفائدة الثالثة: بيان سبق التقدير للحوادث، أن تقدير الله تعالى سابق على أفعاله، لقوله: ((**قَدَّرْنَاهَا**))[النمل:57]، لأنه ويش معنى قدرناها؟ أي: جعلناها بتقديرنا السابق.

وفيه دليل على أن المرء يُعذر بما لا يعلم؛ فإن لوطاً كان لا يعلم عن امرأته شيئاً أنها كافرة، والدليل على أنه لا يعلم قوله تعالى من سورة التحريم: ((**اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا**))[التحريم:10] وإلا لما كان لنبي أن يبقى تحته امرأة كافرة، إلا أنه إذا كان لا يعلم فهو معذور.

وفيه دليل –الفائدة الخامسة أظن– أنه لا ينجي من عذاب الله الاتصال بأهل الصلاح، فلا يقول مثلاً الإنسان: أنا أخي صالح أو ولي أو ما أشبه ذلك، فهو يعصمني من عذاب الله، فهذه امرأة لوط لم ينفعها أنها امرأة نبي، ولهذا قال تعالى: ((**فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**)) [التحريم:10] ونوح عليه الصلاة والسلام له ابن كافر، قال: إنه من أهلي، فقال الله تعالى: ((**إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**))[هود:46].

والنبي عليه الصلاة والسلام قال لابنته فاطمة: (**يا فاطمة بنت محمد! لا أغني عنكِ من الله شيئاً**).

فالمهم أن هذه الفائدة هو أن لا يغتر الإنسان بقربه من أهل الخير والصلاح، فيقول: إنني سأنجو بهذا القرب، لأن الله تبارك وتعالى لا يحابي أحداً، ((**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا**))[فصلت:46] نعم.

الطالب: ... أسباب ... ؟

الشيخ: ولو كان مع قوم صالحين. الفائدة هنا: أن له قرباً خاصاً، الأول: لو كان معهم بمجرد الاجتماع والمصاحبة.

الطالب: امرأة لوط؟

الشيخ: امرأة لوط جامعة بين الأمرين.

ثم قال الله تعالى: ((**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ**))[النمل:58] يستفاد من هذه الآية: أن الله

سبحانه وتعالى يعذِّب كل إنسان بذنبه، كما قال الله تعالى: ((**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ**))[العنكبوت:40] من فعلنا به كذا ومنهم من فعلنا به كذا، فهنا يقول: ((**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا**))[النمل:58] ووجه مناسبة العقوبة للجريمة: أن هذا المطر جعل عالي بلادهم سافلها، كما أن أولئك سفلوا بأخلاقهم حتى كانوا يستعملون هذه الفاحشة ويذرون ما خلق لهم ربهم من أزواجهم، وهذا بلا شك انقلاب في فطرهم، ولذلك عوقبوا بهذه الجريمة والعياذ بالله.

وفي هذا من الفائدة الثانية: أن الثناء على الفعل بما يستحقه من الثناء، حيث قال: ((**فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ**))[النمل:58]، وهنا يرد إشكالاً: وهو أن هذا المطر من أين؟

الطالب: ...؟

الشيخ: من الله سبحانه وتعالى، والثناء عليه بالقبح وبالشر ألا ينافي قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**والشر ليس إليك**)؟ نعم. نقول: لا ينافيه، والجمع: أن هذا السوء ليس في فعل الله، ولكنه في مفعوله، فهذا المطر هو الذي أُثني عليه بالسوء، ((**فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ**))[النمل:58]. وأما فعل الله فإنه ليس بشر، بل هو من كمال العدل والقوة والسلطان، حيث عاقب المجرمين بما يستحقوه، وعقوبة المجرم بما يستحقه لا شك أنها ليست بظلم، وليست بسيئة، ولا يثنى على فاعلها بالسوء، فتبين بهذا: أنه لا ينافي قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**الشر ليس إليك**).

والفائدة الثالثة في هذه الآية: أن هؤلاء قد قامت عليهم الحجة، هؤلاء الذين أهلكهم الله قد قامت عليهم الحجة، من أين نأخذها؟ من قوله: ((**الْمُنذَرِينَ**)) أن هؤلاء أُنذروا بالعذاب وقامت عليهم الحجة، والله سبحانه وتعالى يقول في القرآن: ((**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**))[الإسراء:15] ما عذَّب الله أمة من الأمم إلا بعد قيام الحجة عليهم، ولولا ذلك لكانت الحجة على الله، قال الله تعالى: ((**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**))[النساء:165] فلا أحد له حجة على ربه؛ لأن الحجة قد قامت فيما ركَّب الله تبارك وتعالى في خطاب الناس من محبة الخير وعبادة الله سبحانه وتعالى، وأيَّد ذلك بالأنبياء والرسل الذين أتوا بالبينات الظاهرات، فلم يبق للإنسان حجة؛ لأن الدليل الباطني والدليل الظاهري موجود فيه، فالدليل الباطني الفطرة: ((**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**))[الروم:30].

والدليل الخارجي: الرسل الذين جاءوا بالكتاب وبالآيات البينات، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ما من نبي إلا أوتي ما على مثله يؤمن البشر**) فلهذا نقول: إن هؤلاء الذين أهلكهم الله -وهم قوم لوط- كانوا قد أُنذِروا بالعذاب، ولهذا قال: ((**فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ**))[النمل:58]. ما الفرق بين المنذِرين في قوله تعالى:

((**إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ**))[الدخان:3] وبين المنذَرِين في هذه الآية؟

الطالب: ...

الشيخ: المنذِرين من أتى بالإنذار أو من أنذر، والمنذَر؟

الطالب: من أقيمت عليه الحجة.

الشيخ: من أقيمت عليه الحجة ...

ثم قال الله تعالى: ((**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**))[النمل:59].

يستفاد من هذه الآية أولاً: وجوب حمد الله، لقوله: ((**قُلِ**)) والأصل في الأمر: الوجوب، والله تعالى يُحْمَد على كمال صفاته وأفعاله، وهنا الحمد: ((**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ**))[النمل:59] على أيُّ الأمرين؟

الطالب: ...؟

الشيخ: عليهما جميعاً، ليس على أفعاله، ومن جملة ما يُحْمَد عليه: أنه أهلك هؤلاء المنذَرين الذين كذبوا الرسول، ولهذا تخصيص المؤلف بقوله على هلاك الكفار تقدم التنبيه عليه، وأن هذا تخصيص للآية، والله تعالى يقول: ((**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ**))[النمل:59] فيُحْمد الله تعالى على كمال صفاته وأفعاله، وحمده واجب.

والحمد هل هو الثناء أو غير الثناء؟ بعض الناس يقول: الحمد هو الثناء على الله بالجميل. وليس بصحيح، بل الحمد: هو وصف المحمود بالكمال، ثم إن كُرِّر..

الطالب: صار ثناءً.

الشيخ: صار ثناءً، ودليلنا على هذا قول الله تعالى في الحديث القدسي: (**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال: الحمد لله رب العالمين؛ قال الله**).

الطالب: حمدني عبدي.

الشيخ: (**وإذا قال الرحمن الرحيم قال: أثنى عليَّ عبدي**) فدل هذا على أن الحمد ليس الثناء، نعم.

الطالب: واجب شرعاً أو عقلاً؟

الشيخ: واجب شرعاً وعقلاً، إيه. لأن العقل يقتضي أن يوصف الله تعالى بالكمال

وفيه أيضاً –الفائدة الثانية– أن إهلاك الله للأمم صفة كمال ينبغي أن يُحْمد عليها، للأم المستحقين طبعاً، ولا يعذِّب الله إلا مستحقاً. على هذا؛ إذا أصيب هؤلاء الكفار بالكوارث من الزلازل والفيضانات والأوبئة فما موقفنا نحن من ذلك؟ هل نترحم لهم ونأوي لهم؟

الطالب: ...

الشيخ: لكن بعض الناس الجهَّال في وقتنا هذا تجدهم يتأوهون لهم، ويتوجَّعون لهم، ويعطفون عليهم، ويرحمونهم، وهذا خلاف العقل وخلاف النقل، بل إننا إذا أوقع الله بهم ما يوقع من عقوبات فإننا نقول: الحمد لله، نحمد الله على ذلك؛ لأن إهلاكهم مصلحة للإسلام والمسلمين، ما من فرد يزيد في الكفار إلا ويزدادون به قوة على المسلمين، فإذاً: إهلاكهم نعمة من الله عز وجل، علينا أن نحمد الله سبحانه وتعالى عليه، ولا ينافي هذا أن نعطف مثلاً على القصَّار منهم؛ لأن هؤلاء لا ذنب لهم، مثلاً: لو فرضنا أن قرية أهلكت وبقي أيتامها وهم كفار؛ فإنه لا مانع مثلاً من أن نتصدق عليهم؛ لأن هؤلاء لا ذنب لهم ولا جريمة لهم، وربما يعيشون في الإسلام فيما بعد، إنما هؤلاء المكذِّبون المجرمون إذا أهلكهم الله فإن الواجب علينا أن نحمد الله، لا أن نترحم لهم ونرِّق لهم، نعم. وهذا خلاف ما عليه بعض الناس اليوم الذين فقدوا الغيرة الدينية، ولم يكن في قلوبهم المحبة أو الولاء.. على الأصح: لم يكن في قلوبهم الولاء والبراء؛ لأن كثيراً من الناس فقدوا الولاء والبراء، وبعض الناس فقد البراء فقط ومعه الولاء، لكنه ولي لكل أحد، وبعض الناس بريء من كل أحد، لا يحب المسلمين ولا الكفار، ولكن هذا نادر، إنما الكثير في وقتنا هذا هو الولاء للجميع، وأنه لا يبغض أحداً، هو إنسانية، المسألة ليست دينية، نعم. وهذا خطأ وخطر أيضاً، مع كونه خطأً فهو خطر؛ لأن أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله، نعم.

الطالب: طيب. ...

الشيخ: نعم.

الطالب: ...

الشيخ: نعم.

الطالب: ...

الشيخ: ما يلزم منا أن ننقذه. نعم. إن كان معاهَد فإنه معصوم، ننقذه، وإن كان غير معاهَد، ما بيننا وبينه عهد فلا.. بل إننا نجهز عليه.

الطالب: ...

الشيخ: ما من معاهَد إلا وهو حرام.

الطالب: ...

الشيخ: نعم..

الطالب: المعاهد ...

الشيخ: هه؟

الطالب: الإنسان ما يعلم ... معاهَد ...

الشيخ: إذا كان ما يعلم الله أعلم.

الطالب: ...؟

الشيخ: نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: هو المعاهد يصير مستأمناً، الذي في بلادنا مستأمن، لأنه كونه يأتي بعقد سواء حكومي أو غير حكومي فهو مستأمن. إي نعم.

الطالب: ...

الشيخ: نعم.

الطالب: وله حكم المعاهَد؟

الشيخ: له حكم المعاهَد، نعم. المستأمن له حكم المعاهَد، لأنه يقول: ((**فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ**))[التوبة:6].

الطالب: ... ؟

الشيخ: هه؟

الطالب: ... هل يجب عليه؟

الشيخ: إيه ... العلماء قالوا: إنقاذ المعصوم ... إنقاذ المعصوم من الهلكة واجب نعم.

الطالب: ...

الشيخ: لا ما ...

الطالب: ...

الشيخ: ما ... يعني هذا ما هو ...

الطالب: ...

الشيخ: وجه ... المعصوم ... مثلما قال الله سبحانه وتعالى: ((**فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ**))[التوبة:7].

الطالب: حصل ...

الشيخ: إي نعم.

الطالب: وأنا مثلاً ما ...

الشيخ: هذا هي المشكلة بحيث أنه ما ...

الطالب: ... ولكن ...

الشيخ: لا، ما في إلا أن أهل العلم يقولون: إن المعصوم يجب أن يُنقَذ من الهلاك مطلقاً، ولا فصل بين المسلم وغير المسلم، ولذلك ما يجوز الاعتداء عليه، وهذا ثابت بالنص، كما جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام: (**فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله**).

فالحاصل: أن المعصوم يقول العلماء: أنه يجب إنقاذه مطلقاً، والله يقول: ((**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**))[الممتحنة:8].

هذه المسألة هذا كلام أهل العلم الآن فيها، ويمكن المسألة تحتاج إلى بحث عندما نريد أن نحققها، ينظر هل في المسألة خلاف في هذه المسألة، نشوف إن شاء الله أيهما أرجح. نعم.

طيب. وفي هذا دليل في قوله: ((**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ**))[النمل:59] على أن الله سبحانه وتعالى له أن يتمدَّح بنفسه ويدعو الناس إلى ذلك، أما غيره فليس من اللائق أن الإنسان يقول للناس: احمدوني وأثنوا عليَّ، نعم. ومعلوم أن الله سبحانه وتعالى لأنه أهل لذلك، ولأن المصلحة لنا، والله تعالى لا ينتفع بطاعة الطائعين ولا يتضرر بمعصية العاصين.

وفي قوله: ((**وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى**))[النمل:59] فائدة رابعة: أن الذين اصطفاهم الله قد برئوا من ما يوصف بهم، لقوله: ((**وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى**))[النمل:59] فإن هذا السلام يتضمن: سلامتهم من ما وُصفوا به وقُدِحَ فيهم به، ويتضمن أيضاً: سلامتهم من عقوبة الله، فالسلامة هنا شاملة للسلامة من ما يتعلق بفعل الله كالعقوبة، أو بفعل الخلق كالقدح.

وفيه دليل على أن الله سبحانه وتعالى يصطفي من عباده ما شاء، يختارهم لعبادته، لقوله: ((**عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى**))[النمل:59] أي: اختار، لكن من الذين يختارهم؟ هم الذين قاموا بطاعته، فمن قام بطاعة الله اصطفاه الله، ومن عصى الله فهو بعيد من الاصطفاء.

وفيه دليل على قيام الأفعال الاختيارية بالله عز وجل، لقوله: ((**الَّذِينَ اصْطَفَى**))[النمل:59] فإن الاصطفاء من الأفعال، والله تبارك وتعالى قائم به الأفعال، الأفعال الاختيارية.

وفيه أيضاً دليل على حكمة الله تعالى في تعليق الأحكام بأسبابها، فإن السلامة هنا معلَّقة على الاصطفاء، وهكذا أحكام الله الكونية والقدرية كلها مربوطة بأسبابها، وذلك لثبوت الحكمة في أحكام الله، إذ أن الله لا يفعل شيئاً إلا لحكمة.

وفيه دليل على الثناء على المصطَفين لسلامتهما.

وفيه أيضاً دليل على أن ما جاءت به الرسل فإنه ليس فيه نقص، سواء كان ذلك في الأحكام الشرعية أو في الأخبار، فما أخبرت به الرسل فهو حق، ليس فيه كذب، وما أمرت به أو نهت عنه فهو عدل ليس فيه جور ولا ظلم، لأن قوله: ((**وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى**))[النمل:59] أول من يدخل فيه الرسل، ولهذا يقول الله عز وجل في سورة الصافات: ((**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**))[الصافات:180-182] فسلَّم على الرسل لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، وهكذا هنا: ((**وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى**))[النمل:59].

ويستفاد من الآية: أن من قام بما يجب عليه من الاجتهاد فأخطأ فلا إثم عليه، من أين تؤخذ؟

الطالب: ...

الشيخ: من قوله: ((**وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى**))[النمل:59] فإذا اجتهد الإنسان في طلب الحق وتحري الحق وأخطأ؛ فلا إثم عليه في هذا الخطأ؛ لأنه ما دام متحرياً للحق وطالباً له وفاعلاً لأسبابه فهو من العباد المصطَفَين، فإذا حصل عليه الخلل فهو سالم من جراء أو من ما يكون بهذا الخطأ، وهذا يشهد له قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر، وإذا حكم فأصاب فله أجران**).

وفي قوله تعالى: ((**آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**))[النمل:59] دليل على جواز المقارنة بين ما هو خير محض وما لا خير فيه تنزُّلاً مع من؟ مع الخصم، أو مراعاة أحسن من تنزُّلاً؛ لأن الله لا يوصف بالتنزُّل، ولكن نقول: مراعاة للخصم وإقامة للحجة عليه، فإن من المعلوم أن الله خير من ما يشركون، ولا مقارنة بينه وبينه، لكنه يخاطب من؟ يخاطب قوماً مشركين إن كانت في القراءة بالتاء فهي قراءتان، (أما تشركون) و(أما يشركون)، أو يتحدث عن قوم مشركين، فلهذا راعى أحوالهم فقال: ((**آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**))[النمل:59].

وفيه دليل على أن من أساليب المناظرة: إلزام الخصم بما يُقِرُّ به؛ لأن هؤلاء لا يمكن أن يقولوا: إن آلهتهم خير أبداً، ولهذا عقبها بقوله: ((**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ**))[النمل:60] إلى آخره.. من ما هو أفعال الربوبية التي لا يمكن لهم أن يدعو أن آلهتهم تفعلها، فإذاً: تقرير الحكم أو إلزام الخصم بما يُقِرُّ به؛ هذا من أساليب المناظرة.

نعم، طيب.

وفيه أيضاً دليل في قوله تعالى: ((**آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**))[النمل:59] دليل على عدل الله سبحانه وتعالى في إقامة الحجة على المعاندين؛ لأنه إذا وصلت الحال إلى هذا الأمر، إلى أن يقول لهم: الله خير أم أصنامكم؟ فهذا في غاية ما يكون من العدل وإقامة الحجة، وإلا فالله قادر على أن يدع هؤلاء ويبين الحق ولا حاجة إلى المناظرة، ولكن لإقامة الحجة على هؤلاء، ولكمال العدل فيما لو عوقبوا أن تكون عقوبتهم بعد إقامة الحجة صار مثل هذا الكلام، نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: نعم.

الطالب: ... ... الأقرب أنه ...

الشيخ: .وايش

الطالب: ...؟

الشيخ: نعم.

الطالب: ... ((**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**))[النمل:59].

الشيخ: نعم.

الطالب: ...

الشيخ: لا. يعني هذا قد يكون من جملة ما يقال لهم، يعني: ((**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى**))[النمل:59] وقل أيضاً لهؤلاء: ((**آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**))[النمل:59] فيكون من جملة المقول. طيب.

وفي الآية دليل على أن لله سبحانه وتعالى الخيرية المطلقة في كل شيء، خلافاً لما مشى عليه المؤلف، حيث قال: آلله خير لمن يعبده، والصواب: آلله خير لكل شيء، خيرية مطلقة، في صفاته وفي أفعاله المتعلقة بعابديه، نعم.

((**أَمَّا يُشْرِكُونَ**))[النمل:59] ثم قال تعالى: ((**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**))[النمل:60] وهذا مبتدأ قراءتنا اليوم.

قال المؤلف:" **الآلهة خير لعابديها أمَّن خلق السماوات والأرض؟**" ويش الجواب؟

الطالب: ...

الشيخ: بل من خلق السماوات والأرض فهو خير. وقوله: الآلهة خير لعابديها، نقول فيها مثل ما قال: خير لمن يعبدها. الخيرية هنا مطلقة إذا صح تقدير المؤلف؛ لأنه قد يقول قائل: إن قوله: ((**أَمَّنْ خَلَقَ**))[النمل:60]

للإضراب وليست للمقارنة، نعم. يعني ويكون السؤال استفهام مطلق، يعني يقول: من الذي خلق السماوات والأرض؟ أإله مع الله، فيكون قوله: ((**أَمَّنْ**)) هذه للإضراب وليست متعلِّقة بما سبق، ويصير تقدير الآية: ((**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ**))[النمل:60] نعم. فيكون الاستفهام هنا ليس للمعادلة، أما على غير المؤلف فجعل الاستفهام للمعادلة: الآلهة خير لعابديها أمَّن خلق السماوات والأرض؟ وقد تقدم الكلام عليها، وبيَّنا أن بعض ... تفلسف وقال: إن السماوات ليست مفعولاً به وإنما هي مفعول مطلق، وبيَّنا أن هذا ليس بصحيح.

((**وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ**))[النمل:60] قال: " **حدائق جمع حديقة وهو البستان المحوَّط** " يعني: الذي عليه حائط.

" ((**ذَاتَ بَهْجَةٍ**)) **حسن** " البهجة بمعنى الحسن، لأنه يبتهج بها القلب وينشرح بها الصدر، وهذا أمر معلوم، لا سيما لعشَّاق الحدائق. نعم. وإلا فبعض الناس ما يهمُّه الحديقة سواء كان فيها ما يبهج أو لا، لكن عُشَّاق الحدائق يجدون لذة عظيمة في مثل هذه الحدائق التي فيها هذا النبات العظيم.

قال الله تعالى: ((**مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا**))[النمل:60].

((**مَا كَانَ**)) بمعنى: ممتنع غاية الامتناع، وهي نظير قوله تعالى: ((**مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ**))[مريم:35] أي: ممتنع عليه.

فـ ((**مَا كَانَ**)) أي: ما صح لكم، وما أمكن لكم أن تنبتوا شجرها، لماذا؟ لعدم قدرتكم على ذلك، ليس في مقدوركم أن تنبتوا هذا الشجر.

فإذا قال مجادل: بل في مقدورنا؟ أجيب عدس، أجيب حب وأحرث الأرض وأضعه فيها.

الطالب: ((**أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُون**))[الواقعة:64].

الشيخ: ((**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ**))[الواقعة:63-64] نعم! أنت فعلت السبب، لكن هل خلقت هذا؟ هل فلقت الحبَّ والنوى؟ أبداً. وإذا جادل مجادل بمثل ذلك قلنا له مثلما قال إبراهيم للذي قال أنا أحيي وأميت؛ ((**قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ**))[البقرة:258] نقول: إذا كان أنت الذي تفعل هذا فهذه الشمس تأتي من المشرق فأتِ بها من المغرب.

قال: " ((**مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ**))**[النمل:60] بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في مواضعه السبعة** ". ما هي المواضع السبعة؟

الطالب: في الآيات.

الشيخ: في الآيات الآتية. ... هذا واحد، ونعدُّ، نشوف كلام المؤلف هو مضبوط وإلا لا؟

" ((**مَعَ اللَّهِ**)) **أعانه على ذلك** " يعني: أو انفرد بشيء منه، فالمعيَّة هنا تقتضي -كما قال المؤلف- المعاونة إذا كان مصاحباً له، أو الانفراد ببعض الخلق إذا كان غير مصاحب له. هذه الحديقة مثلاً فيها نخل ورمَّان وعنب، هل مع الله إله شاركه في إيجاد النخل والرمَّان والعنب؟ أو أوجد النخل والله أوجد الرمان والعنب أو ما أشبه ذلك؟

الطالب: ... ؟

الشيخ: إذاً قول المؤلف: " أعانه " ينبغي أن يقال: أو انفرد بشيء منه، وقلت ذلك؛ لأن الله يقول: ((**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ**))[سبأ:22] هذا الانفراد.

((**وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ**))[سبأ:22] هذه المشاركة على وجه الشيوع.

((**وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ**))[سبأ:22] هذه المعاونة وإن لم يكن شريكاً.

((**وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ**))[سبأ:23] هذا التوسط، كل ما يمكن أن يتعلق به المشركون نفاه في هذه الآية، كل ما يمكن أن يتعلَّق به المشركون بالنسبة لأصنامهم نُفِي في هذه الآية: ((**وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**))[سبأ:23] انظر بلاغة القرآن.

أولاً: الانفراد، شوفوه في أي كلمة؟

الطالب: ...؟

الشيخ: في قوله: ((**لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ**))[سبأ:22]. المشاركة على وجه الشيوع؟ ((وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ))[سبأ:22].

المعاونة بدون مشاركة؟ ((**وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ**))[سبأ:22] ما عاونوا الله ولا معاونة.

التوسط للعابدين إلى الله: ((**وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**))[سبأ:23] إذاً: بأي شيء يتعلَّقون؟

فالحاصل: أن قوله: ((**أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ**)) أعانه، ويش نقول أيضاً؟

الطالب: أو انفرد.

الشيخ: أو انفرد بشيء. نعم. أو شارك في ملكه أيضاً، نجيب الثلاثة: لا أعان الله، ولا شاركه، ولا انفرد بشيء من ملكه. نعم. أي: ليس معه إله. نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: إذا قالوا: ما تفعل، قلنا: إذاً لماذا تعبدهم؟

الطالب: يا شيخ.

الشيخ: طيب يقول. نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: إيه.

الطالب: المشاركة.. ؟

الشيخ: لا.

الطالب: ... ؟

الشيخ: لأني قد تعنِّي مثلاً على إصلاح شيء في بيتي، ما لك فيه شركة، كله لي.

((**أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ**)) يقول: أي ليس معه إله، فالاستفهام إذاً إنكاري، للنكرة. يعني: ليس مع الله إله فعل ذلك، فالمعبودات التي تعبدونها مع الله لم تفعل ذلك، إذاً: ويش الواجب؟

الطالب: ...

الشيخ: الواجب إفراد الله تعالى بالألوهية، فعليه تكون الحجة قد قامت على هؤلاء بما أقروا به من الربوبية، وهذا كثيراً ما ... الله تبارك وتعالى لتوحيد الربوبية على وجوب توحيد الألوهية. ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ**))[البقرة:21]. ((**اعْبُدُوا**)) توحيد ألوهية. ((**رَبَّكُمُ**)) هذا ربوبية.

قال الله تعالى: " ((**بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**))[النمل:60] يشركون بالله غيره " (**بل**) هذه للإضراب، انتقالي وإلا إبطالي؟

الطالب: انتقالي

الشيخ: انتقالي. يعني: بل هم مقرون بذلك، وأنه لا إله مع الله، ولكنهم يعدلون به غيره فيشركوه، فصار فعلهم هذا ليس عن دليل، وإلا لا؟ ولكن لمجرد هوى، بل هم قوم يعدلون وإن كانوا يقرون بأن الله تعالى لا شريك له في خلق السماوات والأرض وإنزال المطر وإنبات النبات به، وإنما يعدلون بالله غيره فيشركونه مع الله بمجرد أهوائهم، أما أنه عن دليل عقلي أو فطري أو نقلي فليس كذلك. نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: تحتمل، لكن ما قرره المؤلف أحسن، لقوله تعالى: ((**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**))[الأنعام:1] ولم يقل: عن ربهم يعدلون، فدل هذا على أن المراد بالمعادلة هنا: المساواة، أي: يساوون به غيره.

قال تعالى: ((**أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا**))[النمل:61] على تقدير المؤلف نقول: آلآلهة خير أمَّن جعل الأرض قراراً؟

((**أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا**))[النمل:61] جَعَلَ: فعل ماض ينصب مفعولين، الأول: الأرض. والثاني: قراراً.

" ((**قَرَارًا**)) **لا تميد بأهلها** " وهذا ما أحد يستطيع أن يجعل الأرض قراراً لا سيّما وأنها مركبة على الماء، الماء محيط بها من كل جانب، ولو أنك وضعت كرة في ماءٍ هل تستقر وإلا ما تستقر؟ ما تستقر، تتقلَّب وتتموَّج، ولكن الله تبارك وتعالى جعل هذه الأرض كرة في وسط ماء؛ لأن البحار تمثِّل كم؟ تقريباً ثلاثة أرباع اليابسة، ومع هذا فإنها منضبطة تماماً لا تميد ولا تتقدم إلى ناحية ولا تتأخر عنها. نعم. ولا تتدحرج في هذا الماء، فجعلها الله تعالى قراراً، والقرار موضع الاستقرار، وهذا.. نعم.

الطالب: ...؟

الشيخ: لا، لا ...

الطالب: ...

الشيخ: إي نعم.

وقوله: ((**قَرَارًا**)) استدل به من يقول: إن الأرض تدور، ومن يقول: إن الأرض لا تدور. الذي يقول: أن الأرض لا تدور يقول: لأنها مع الدوران ليست بقرار، لو كانت تدور ... نعم. والذي يقول: إنها تدور؛ يقول: لولا أن هناك حركة ما نفي الميدان، فنفي الأخص يقتضي وجود الأعم، مثلما أنكم استدللتم بقوله تعالى: ((**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**))[الأنعام:103] استدللتم بها على أن الله؟

الطالب: ما يرى.

الشيخ: لا، يرى. استدللنا بها على أنه يرى؛ لأنه لو كان لا يرى ما صح أن يقول: ((**لا تُدْرِكُهُ**)) لقال: لا تراه، فهنا ألقى في الأرض رواسي أن تميد، لولا وجود حركة ما صح نفي الميَدَان؛ لأن ما لا يتحرك لا يُتوقَّع منه مَيَدَان، وإنما توقع الميَدَان بماذا؟ بما يتحرك، وعلى هذا فنقول: إن الآيات دليل على أن الأرض تدور.

والذين يقولون: لا تدور، يقولون: إن نفي الميَدَان صحيح، يدل على حركة، لكن هل هو يدل على حركة موجودة بالفعل أو يدل على حركة متوقعة؟ بمعنى: أنه لولا هذه الجبال لكانت تضطرب حيث أنها في الماء، ولكن لما وجدت هذه الجبال أمسكتها، وكانت لها رواسي بمنزلة أطناب الخيمة.

في الحقيقة أن هذا الأخير رد واضح على الأول، وأنه لا يلزم من مجرد الحركة إيش؟

الطالب: ...

الشيخ: الدوران، لا يلزم منه، يعني فنحن نقول: نعم، هي ممكن أن تتحرك، ولولا هذه الجبال لمادت؛ لأنها أين محلها؟ في ماء، فكرة في ماء لا بد أن تتحرك، والماء كما ترون هذا الماء العظيم الذي تضربه الرياح لا بد أن يكون فيه أيّ شيء؟ أمواج عظيمة مثل الجبال، ((**يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ**))[النور:40] هذه الأمواج العظيمة إذا ضربت الأرض لولا وجود الجبال المرسية لمادت على كل حال، لأن هذه ما هي هينة هذه الأمواج.

فالحاصل: أن الآية ليس فيها ما يقرر أن الأرض تدور، فيها ما يقرر أن الأرض لا شك أنها تضطرب لولا وجود هذه الجبال.

ثم يبقى الأمر الآن مسألة الدوران تبقى لا دليل عليه من القرآن، يعني: لا دليل يثبتها ولا دليل ينفيها، فإذا ثبت ذلك بالأدلة البيِّنة فإننا نؤمن به، لأن الإنسان المؤمن لا ينكر المحسوس أبداً، بل إذا أنكر المحسوس كان ذلك طعناً في فهمه وفي تصوره، وما دام أنه ليس في القرآن ما ينفي ذلك ولا ما يثبته، فموقفنا نحن، ما موقفنا؟ موقفنا الوقوف حتى يتبين لنا الأمر، فمن زعم أن الأمر قد تبين له وهو من المسلمين، وقال: أنا أعتقد ذلك؛ ننكر عليه؟ ما ننكر عليه، ما عندنا دليل ننكر عليه.

ومن قال: أنا ما يتبين لي والحمد لله، حسبنا أن نقول: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، وكونها تدور أو ما تدور هذا أمر ما يعنينا، يعنينا أن المصالح الآن -ولله الحمد- مرتبة على تعاقب الليل والنهار، ((**وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**))[القصص:73].

أما أن هذا التعاقب يكون بدوران الأرض أو بدوران الشمس فهذا ليس إليكم، مع أن..

((**أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ**))[النمل:61].

من فوائد الآيات السابقة: جواب إلزام الخصم بما لا يمكنه إنكاره؛ لقوله تعالى: ((**آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**))[النمل:59].

وفيه أيضاً جواب مقارنة بين شيئين لا يشتركان في المعنى من أجل إقامة الحجة؛ لقوله: ((**آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**))[النمل:59] وذلك لأن ما يشركون به مع الله ليس فيه خيرٌ إطلاقاً، كما قال الله تعالى: ((**وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ**))[غافر:20] ما قال: لا يقضون بالحق، قال: لا يقضون بشيءٍ. يعني: ما لهم أي حكم أو سلطة ما فيها خير أحجار وأشجار ما ينتفع بها.

وفي قوله تعالى: ((**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَأَلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**))[النمل:60].

بيان انفراد الله تعالى بخلق السماوات والأرض، هذه فائدة لقوله: ((**أَأَلَهٌ مَعَ اللَّهِ**))[النمل:60].

خلق السماوات والأرض يتضمن إيجادهما وإيجاد ما فيهما من المنافع، فلا أحد يستطيع أن يغير شيئاً من خلق السماوات والأرض؛ لا من الشمس ولا من القمر ولا من النجوم ولا من غيره.

ففيه أيضاً الفائدة الثانية: ما تضمنته هذه المخلوقات من منافع الخلق.

الفائدة الثالثة: بيان حكمة الله تعالى في إنزال المطر من فوق، وقوله: ((**وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ**))[النمل:60] لأن نزوله من السماء أعم وأقل ضرراً؛ إذ لو كان آتي من الأرض ما وصل إلى قمم الجبال إلا وقد أغرق ما تحته، فلهذا صار ينزل من فوق ليكون أكمل وأعم وأقل ضرراً.

الفائدة الرابعة: بيان رحمة الله في قوله: ((**وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ**))[النمل:60] لأن اللام هنا للتعريف أي: لأجلكم، وهذا من رحمته تعالى لأنه غنيٌ عنا، ولكننا نحن مفتقرون إليه.

الفائدة الخامسة: أن الأشياء ينبغي أن تضاف إلى المسبب لا إلى السبب؛ لقوله: ((**فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ**))[النمل:60] فأضاف الإنبات إلى الله مع أن النبات يحصل بالمطر، ولكن المنبت هو الله.

ولهذا ينبغي للإنسان أن يضيف الشيء إلى المسبب الخالق مشيراً إلى السبب كما يقول العلماء في الرسول عليه الصلاة والسلام: " **هدى الله به من الضلالة، وأنقذ به من الهلاك، وبصّر به من العمى** " ... فيضاف الشيء إلى المسبب بالإشارة إلى بيان السبب.

وفيه دليلٌ على إثبات الأسباب؛ لقوله: ((**فَأَنْبَتْنَا بِهِ**))[النمل:60] لأن الباء للسببية.

وإثبات الأسباب يتضمن الفائدة السابعة وهي: إثبات الحكمة، وأن الله سبحانه وتعالى ربط الأسباب بمسبباتها، وهذا من الحكمة أن لا تأتي الأمور على وجه المصادفات، أو بدون أسبابٍ تقتضيها.

وفيه أيضاً التنزُّه في الحدائق والابتهاج بها؛ لقوله: ((**حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ**))[النمل:60] وأن الإنسان ما يلام إذا ما تنزّه أو يتفرج على ما أخرج الله من المطر من هذه الحدائق مثل البساتين، فإنه لا يلام على ذلك، أنزل هذا من فضول الأفعال، فإن النفس إذا لم تُمرّن على هذا وهذا فإنها تمل وتكل، ولا تأتي بالأمور على وجهها.

والناس أيضاً يختلفون في هذا: منهم من يكون من ضروريات الحياة له أن يتنزّه أحياناً، ومنهم من لا يهتم بذلك، ومنهم من يجعل ديدنه دائماً هو التنزّه واللهو واللعب فيعرض عما خُلق له لما خُلق له.

فالحاصل أن نقول: إن قوله تعالى: ((**ذَاتَ بَهْجَةٍ**))[النمل:60] في سياق الامتنان يدل على أنه لا مانع أن الإنسان يرتاد هذه الحدائق لأجل أن نبتهج بها، لكن بشرط أن لا تشغله عن ذكر الله وطاعته وعما هو أهم من ذلك.

الطالب: إذا كان الإنسان ليس ... النظر ... ما يعتبر من قبل ...؟

الشيخ: هي من الخروج، لكنه لا بأس أن يبتهج به.

الطالب: ...

الشيخ: لا. مثل هذا الوقت ... لو رأى وقت غير هذا قلنا له: ...، إنما لو أن الإنسان يحب هذا الشيء وأفخر به وأسر، ... ما نقول هذا من ... أو من إضاعة الوقت ما لم يغفل عن ذكر الله.

الطالب: فإن أراد التفكر في آيات الله ....

الشيخ: صار عبادة صار عبادة.

وفيه دليل الفائدة التاسعة: على أن الخلق لا يمكنهم أن يخلقوا ولا شجرة؛ لقوله: ((**مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا**))[النمل:60] يعني: ما كان بمعنى ما يمكن ولا يصح، فهنا مستحيل ونظيره قوله تعالى: ((**مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ**))[مريم:35] فالخلق مع قدرتهم الصناعية ما يمكن أن يخلقوا شجرة، ولا شجرة صغيرة، وإلى الآن وإلى ما بعد الآن لا يمكنهم ذلك.كما أنهم لا يمكنهم أن يخلقوا إنساناً، ولا يمكنهم أن يمنعوا خروجه عند خروجه.

فإذا قال قائلٌ: نجدهم الآن يعالجون المرضى ... ثم ...، فما الجواب؟

الطالب: ... أو حكم سبب، .....

الشيخ: لا يعدو أن يكون سبباً قد ينفع وقد لا ينفع، قد يعارضه مانع حضور الأجل، وإذا حضر الأجل بطل ما سواه. نحن ما ننكر الأسباب ولكنا ننكر أن تكون هذه الأسباب موجبة لمسبباته أو مسبباتها ما توجبها؛ لأنها قد تفيد وقد يوجد مانع، وليس هذا حاصل بهذه النكرة كل الأسباب. قد يوجد فيها مانع أقوى منها فيمنع من دخوله.

الفائدة العاشرة في هذه الآية: تحدي هؤلاء المتخذين آلهة مع الله أن يكون لآلهتهم شيءٌ من هذا؛ لقوله: ((**أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ**))[النمل:60]. فإن هذا تحدٍ عظيم ولا يستطيعون أن يثبتوا ذلك.

وفيه الفائدة الحادي عشرة: إقامة الحجة على سفه هؤلاء المشركين؛ لقوله: ((**بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**))[النمل:60] يعني: يعدلون بالله غيره، وليس المراد العدل الذي هو ضد الظلم، إن كان هذا هو المراد لكان هؤلاء ممدوحين ... ولكن المراد يعدلون بالله غيره، يجعلونه عديلاً لله سبحانه وتعالى ومساوياً له.

الفائدة الثاني عشرة: ما أشرنا إليه كثيراً من أن الكلمات ليس لها معنى داخلي، بل معناها يحدده السياق؛ لأن كلمة يعدلون لو كان لها معنى ذاتي لكانت هنا بمعنى لا يجورون؛ لأن العدل أو المفهوم من هذا الفعل أنه العدل بمعنى إعطاء كل ذي حقٍ حقه، والأمر هنا ليس كذلك بل هذا ظلم أن يعدلوا بالله غيره.

وبهذا التقرير الذي حفظناه يتبين رجحان كلام شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: إنه ليس في اللغة مجاز، وأنتم علمتم أن هذا ...، وعلمتم أيضاً أن في المسألة ثلاثة أقوال: إثبات المجاز في اللغة والقرآن، نفيه فيهما، إثباته في اللغة دون القرآن.

والصواب أنه لا مجاز لا في اللغة ولا في القرآن، وأن كل ما ادُّعي أنه مجاز فإنه حقيقةٌ في موضعه.

وفي قوله تعالى: ((**أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا**))[النمل:61] هذه ما كمّلناها...

" ((**أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا**))**[النمل:61] أي: لا تميد بأهلها** ".

والميدان معناه: الاضطراب، ما أحد جعل الأرض قراراً إلا الله سبحانه وتعالى، ولا يستطيع أحدٌ أن يقوم بذلك.

ولهذا إذا جاءت الزلازل هل يمكن هؤلاء بجميع قواهم أن يمنعوا رجفة الأرض؟ لا يستطيعون، بل ولا يعلمون متى تكون هذه إلا إذا ظهرت بوادرها ولو خفيةً تُعلم بالآلات الدقيقة علموا بذلك.

فإذاً لا أحد يستطيع أن يجعل الأرض قراراً لأهلها إلا خالق الأرض وهو الله سبحانه وتعالى.

((**وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا**))[النمل:61] ما معنى خلالها؟ قال: " **فيما بينها أنهاراً** ".

أنهاراً ظاهرة على ظهر الأرض، وأنهاراً باطنة في جوف الأرض، فإن الله تعالى أخبر بأن هذا المطر يسلكه الله تعالى ينابيع في الأرض، وهذا شيءٌ مشاهد، الذين يحفرون الأرض يجدون أن فيها أنهاراً تجري.. يرونها عيونا تجري في باطن الأرض، وتصب حيث أراد الله سبحانه وتعالى أن تصب.

فمن الذي جعل خلال الأرض هذه الأنهار؟ الله سبحانه وتعالى، لئن اجتمعت الأمم كلها بجميع قواها وقدرها على أن تجري نهراً واحداً من هذه الأنهر ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فالذي جعل هذه الأنهار رحمة بالعباد هو الله سبحانه وتعالى.

" ((**وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ**))**[النمل:61] جبالاً أثبت بها الأرض** ".

وجعل لها أي: صيّر لها رواسي. يقول المؤلف: " **جبالاً أثبت بها الأرض** ".

فواعل جمع فاعل أي: راسي. وكأن المؤلف هنا يشير إلى أن راسي بمعنى مرسي، وفرق بين الراسي والمرسي، الراسي يعني: بنفسه والمرسي لغيره. هذه الجبال يعبّر الله عنها في آيات عديدة أنها رواسي، وقال في سورة النازعات: ((**وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا**))[النازعات:32] أي: أرسى الأرض بها وإلا أرسى الجبال أثبتها؟

الطالب: كلا المعنيين.

الشيخ: كلا المعنيين، فإذاً هي رواسي بنفسها، وهي أيضاً مرسية، ولهذا سماها الله أوتاداً ((**وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا**))[النبأ:7] بمنزلة أوتاد الخيمة تمسكها وتضبطه، هذه الجبال راسية بنفسها.

ولذلك على كشف العواصف والقواصف تجدها ثابتة ما تتغير، فهي راسية، وكذلك أيضاً مرسية للأرض كما قال تعالى: ((**وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ**))[النحل:15] فهي راسية مرسية.

إذاً: من الذي جعل هذه الرواسي؟ الله سبحانه وتعالى، لو تجتمع الخلائق كلها على أن تزلزل جبلاً من مثل هذه الجبال الكبيرة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فدل هذا على أنه لا إله إلا الله كما جاء التحذير في آخر الآية.

" ((**وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا**))**[النمل:61] بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر** ".

حاجزاً أي: مانعاً، والمراد بالبحرين: العذب والملح.

ثم كيف هذا الحاجز؟ بعضهم قال: إن الحاجز هو مياه الأرض الذي يحول بين البحر وبين النهر؛ لأن النهر له ممكن خاص والبحر له ممكن خاص، ولو شاء الله تعالى لمزجهما، ولكن جعل لهذا مجاريه ولهذا مجاريه.

وبعضهم يقول: إنه حاجزٌ غير مرسي وليس هو اليابس، وأنه يوجد في نفس البحار أنهارٌ عذبة حلوة، ومع ذلك لا تختلط فتفسد بالملح ويفسد الملح بها؛ لأنه لو اختلط العذب بالمالح لفسد الهواء وأنتن وأوجد احمراراً، كما

تشاهدون الآن في المستنقعات التي تأتي من السيول إذا ابطت يتغير فيها الجو والهواء ويتولد منها أشياء كثيرة مؤذية ضارة.

دائماً البحار العظيمة ما يتأتى فيها هذا؛ لما أودع الله تعالى من هذا الملح الذي يقتل الجراثيم ويمنع عن فساد الهواء، لو اختلطت هذه بهذه أفسد كلٌ منهما الآخر، لكنه جعل بينهما حاجزاً.

فالمهم هل هذا الحاجز أمرٌ محسوس وهو اليابس من الأرض الذي يكون بين هذا وهذا، أو هو حاجزٌ غير محسوس كما يشاهد في الأنهار التي في وسط البحار.

لنا أن نقول بالأمرين: حاجزٌ محسوس وحاجزٌ غير محسوس، وقد أخبرني الشباب أنهم دائماً إذا جزر بعد امتداده يجدون في الأرض الذي يدخل منها الماء عيوناً يجدون عيونا حلوة جداً، وأخبرني أيضاً أنهم يستسقون من هذه العيون في وسط البحر، ينزّلون أفواه القرب ويجعلونها على العين حتى تملأها.

وهذا لا شك أنه من تمام قدرة الله سبحانه وتعالى حيث جعل بين هذين البحرين –وهما وكلٌ منهما ماء– حاجزاً يمنع اختلاط أحدهما بالآخر.

وبعض الناس يقولون: إن الحاجز هو ما يوجد في مصب النهر، وهذا عندي فيه نظر؛ لأن مصب النهر إذا اندفع يفرّق الماء المالح فتجده مثلاً قد دفعه إلى مسافة هذا حسب اندفاع النهر، لكن هذا ليس ... هذا شيء محسوس، أما الشيء الذي من آيات الله هو غير محسوس، فهو هذه الأنهار التي توجد في البحار، والله تعالى على كل شيءٍ قدير.

قال: ((**أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ**))[النمل:61] ما هو الجواب؟ لا إله مع الله.

والاستفهام هنا للاستنكار والتوبيخ. ((**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ**))[النمل:61] يعني: الأمر واضح وبيّن، لكن أكثر هؤلاء لا يعلمون، وقول المؤلف: " **توحيده** " فيه .قصور والصواب أنه وصف للعلم مطلقاً لا توحيد الله ولا بما تدل عليه هذه الآيات العظيمة من الرحمة والحكمة والقدرة والسلطان، بل تخصيصه ذلك للتوحيد فيه نظر.

وقوله: ((**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ**))[النمل:61] يفهم منه أن بعضهم يعلم ولكنه معاند وجاحد، وأيهم أشد لوماً وتوبيخاً؟ من علم وجحد فهو أشد لوماً وتوبيخاً.

ثم اعلم أن نفي العلم قد يراد به نفي حقيقة العلم، بحيث لا يكون الإنسان عالماً، وقد يراد به نفي الانتفاع به، فإن من لا ينتفع بعلمه فهو كالجاحد بل هو شرٌ منه.

وفي القرآن أمثلة كثيرة يراد بنفي الشيء نفي فائدته ((**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ**))[الأنفال:21]، ((**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ**))[البقرة:18] مع أن عيونهم كبار، وآذانهم قوية السمع، ولكنهم من أجل عدم الانتفاع بهذه الأشياء صاروا كالفاقدين بها.

فهنا نفي العلم إن كان المراد به نفي وجود العلم فالأمر ظاهر؛ لأن بعض الناس جاهل لا يفكر بهذه الآيات ولا يستدل بها على خالقه، أو على من هي آية له.

وإن كان المراد بذلك نفي فائدة بالعلم، فهو أيضاً واقع ودائماً ينفى الشيءُ لانتفاء فائدته وثمراته ((**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ**))[النمل:61].

" ((**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ**)) **المكروب الذي مسه الضر** ((**إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**))**[النمل:62]** ".

عندنا ((**أَمَّنْ**)) ... بجنس، وهذا على خلاف القاعدة المعروفة.. القاعدة المعروفة أن يفصّل: أن وحدها ومن وحدها، لكن تعرفون أن الرسم في القرآن على الرسم العثماني اصطلاح قديم.

وفيه فائدة أنه ... أمن خلق السماوات.. أمن ولو كانت على الرسم المعهود أمّن ما تتناسب القراءتان.

وكلما ما وافق وجه نحو	**وكان للرسم احتمالاً يحوي**
وصحَّ نقلا هو القرآن	**فهذه الثلاثة الأركان**

القراءات السبع كلها متفقة بما دل عليه هذا البيت:

وكلما ما وافق وجه نحو	**وكان للرسم احتمالاً يحوي**
وصحَّ نقلا هو القرآن	**فهذه الثلاثة الأركان**

فهنا لو كانت أمّن، تتناسب مع أمن ما تتناسب ولذلك صارت أمّن ضبطت جميعاً.

((**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**))[النمل:62] مضطر اسم فاعل وإلا اسم مفعول؟

الطالب:...؟

الشيخ: لأن معنى مضطر أي: جاءت للضرورة، ما هو مضطر غيره، إذا جعلناها مضطر اسم فاعل فهو مضطرر يعني: مضطر لغيره، فالأمر ليس كذلك، بل المراد مضطرر يعني: من أخذته الضرورة.

ولهذا تجد في القرآن ((**إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ**))[الأنعام:119] اضطررتم مبني للمفعول وإلا الفاعل ؟

الطالب:...

الشيخ: ما قال: إلا ما اضطررتم ما اضطُررتم، وعلى هذا أيضاً: ((**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ**))[البقرة:173] اضطر يعني: ألجأته الضرورة. وهنا المضطر اسم مفعول، ولا تصح أن تكون اسم فاعل؛ لأن المراد به من ألجأته الضرورة إلى دعاء الله سبحانه وتعالى.

الطالب: المضطر هل تصلح لهما أو ما تصلح؟

الشيخ: نعم. تصلح لهما، هذا ... لأنها لو كانت ... ما ...، مضطر ومختار.. مثل: مضطر ومختار الأمثلة كثيرة، ومحتاج أيضاً. ما ... اسم فاعل أو مفعول إلا بالسياق، مختار هل معناه اختاره غيره أو اختار غيره؟

هو من حيث الوضع البنائي يصلح فيهن كلهن، لكن السياق يعيّن؛ وذلك أن أصل مختار اسم فاعل مختيرٌ، اسم مفعول مختَيَرٌ، وكلهن لازم نقلب الياء ألف؛ لأنها متحركة مفتوحٌ ما قبلها، والياء المتحركة إذا فُتح ما قبلها وجب قلبها ألفاً.مختار ما نقلبه مختير أو الناس يحتاجونه؟ محتاج إليه.

أيضاً هذا مضطر ما نقلبه مضطر .هو نفسه اصابته الضرورة أو أنه هو يضطر الناس؟

على كل حال الذي يعيّن هذه المعاني هو السياق.

وقوله: ((**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ**))[النمل:62] هل قُيد بالمسلم؟ ما قُيّد، والله تبارك وتعالى يجيب دعوة المضطر ولو كان كافراً؛ لأن رحمته سبقت غضبه، وها هنا داعيان لا بد أن يجابا: المضطر، والمظلوم؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**)؛ لأن هذا هو مقتضى عدل الله اجابة المظلوم في دعائه على الظالم، ليس من اجل محبة المظلوم، ولكن أرجوا اقامة العدل، والله سبحانه وتعالى حكمٌ عدل.

ولهذا المظلوم والمضطر تجاب دعوتهما، والله تعالى يقول: ((**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**))[العنكبوت:65] فأجيب دعوتهم مع أنه يعلم أنهم سيكفرون إذا نجوا، لكن الضرورة يجيب الله تعالى فيها الدعوة.

((**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**))[النمل:62] الجواب: الله، وهذه الأصنام ما تجيب دعوة المضطر، ولكنه قد يجعل الله تبارك وتعالى سبباً مقارناً فيفتتن بها العابد، ربما يدعوا الإنسان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكشف ضره، فيقدّر الله تعالى سبباً مقارناً لهذا، فيُشفى المريض، فيفتتن الداعي بأن الذي أجاب دعوته وشفى مريضه هو الرسول عليه الصلاة والسلام، وهذا شيءٌ مشاهد إن الله تعالى قد يفتن العبد، وإلا فنحن نعلم أن دعاء الرسول ليس بنافع.. نعلم علم اليقين ويجب علينا أن نؤمن بذلك أن دعاء الرسول ليس بنافع، يعني: كونك

تدعو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكشف عنك الضر لا ينفع قطعاً، فإن قُدِّر أن أحداً ابتلي بمثل هذا فإنه بسببٍ آخر مقارن.

والذي يحدثنا مع أصحاب الخرافات بمثل هذه يقول لي قائل ونحن ... في المدينة ... في السنة الماضية، قال: أقبلنا على الرسول الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. نوافق على هذا. قال: كاشف الغم ومبرئ المرضى.

قلنا: ما نوافق على هذا.

قال: ليه ؟

قلنا: هذا ما يفعله إلا الله.

قال: لا. فيه واحد أصيب ببطنه –مبطون– وأنه ذهب إلى جميع الأطباء ولا أثر، فقال: ما لي إلا أن أتوجه إلى الحبيب

الطالب:...

الشيخ: لا حبيب اعظم يقول: فتوجه إلى الحبيب فلما بلغ مشارف المدينة دعا: يا رسول الله! انقذني يا رسول الله.. انقذني اشف بطني. يقول: فما دخل المدينة إلا وبطنه قد برئ تماماً. سبحان الله!

هذه أنا ما أقول أنه كذب، قد تكون صدقاً، وقد تكون ....

لكن أقول: أن هذه من الفتن العظيمة التي قد يبتلى بها المرء ... وقد سبق قبل أيام.... هذا ليس في ...، والآية ..... ((**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ**))[النساء:64] ولم يقل: إذا ظلموا، .... ((**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ**))[النساء:64] ولهذا قال: ((**وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ**))[النساء:64] لم... لا احد يجيب المضطر إذا دعاه إلا الله ...

طيب. وقوله: " ((**وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ**))**[النمل:62] الإضافة بمعنى في** "

،((**خُلَفَاءَ الأَرْضِ**)) يخلف بعضكم بعضا ... ((**ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض**)) ونظر ... النحو الإضافة تأتي بمعنى في ... وبمعنى من، وأكثر ما تكون الإضافة بمعنى الثاني، فتأتي بمعنى من إذا كان الأول نوعا من الثاني... ثوب خيط بمعنى ثوبٌ من خيط، وتأتي بمعنى في إذا كان ظرفاً له.. إذا كان الثاني ظرفاً للأول كما قال الله تعالى: ((**بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**))[سبأ:33] أي: مكرٌ في الليل ومكرٌ في النهار.

وهنا ((**خُلَفَاءَ الأَرْضِ**))[النمل:62] أي: خلفاء في الأرض. فهذا ظرف مكان في الأرض و ((**مَكْرُ اللَّيْلِ**))[سبأ:33] ظرف زمان ...((**مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**))[البقرة:107] بسيطة جداً، كل الإضافات ....

((**وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ**))[النمل:62] الجواب: لا.

((**قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**))[النمل:62] قليلاً مفعول مطلق لتذكرون المحذوف أي: تذكرون تذكراً قليلا.

وقوله: ((**مَا**)) مصدرية ((**مَا تَذَكَّرُونَ**)) وإذا كانت مصدرية فما بعده يؤل بمصدر، ويكون التقدير: قليلاً تذكركم.

ولا يصلح أن تكون ما نافية؛ لأنه من المعروف أن ما النافية لا يعمل ما بعدها بما قبلها، وربما ...، لأنه لو كان المعنى ما تذكرون قليلاً، لو تذكرون كثيراً ما يصلح، وإن كان قد .... من باب أولى، لكن المعروف ... فاعلاً لقليلاً.

وقوله: ((**تَذَكَّرُونَ**))[النمل:62] " **تتعظون بالفوقانية والتحتانية** " بالفوقانية تذكرون، والتحتانية يذّكرون.

" **والتحتانية وفيه إدغام التاء في الذال** " إذاً: تذّكّرون، فيكون في الآية ثلاث قراءات: تذكّرون، تذّكّرون، يذّكّرون. والمؤلف ما ذكر تذكرون بالتخفيف ما ذكرها.

الطالب: ...؟

الشيخ: لا. عام بالفوقانية والتحتانية وفيه.

قال: " **وفيه إدغام التاء في الذال وما زائدة لتقليل القليل** ".

يعني كأنه يقول المؤلف: ما زائدة؛ إذ قليلاً تذّكّرون. وهذا وجه أيضاً ... الوجوه ثلاثة ... وما ذكره المؤلف وما ذكرناه متقاربان أن تجعلوا قليلاً تذكركم أو قليلاً تذكرون.

((**أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**))[النمل:63].

((**يَهْدِيكُمْ**)) يقول المؤلف: " **أي: يرشدكم إلى مقاصدكم** ". فالهداية هنا هداية دلالة أو توفيق؟

الطالب: دلالة.

الشيخ: دلالة وتوفيق؛ لأن من ... يصير أعظم وأعظم، ... وهذه يمكن أنتم في ... القديم .... كان الناس يتيهون، ولا تاهوا ... ولا يستطيعون الوصول إلى مقصدهم، وبنو إسرائيل تاهوا أربعين سنة، مع أنها مسافة شهر فأقل، وهم بقوا أربعين سنة تائهين ما اهتدوا....

فإذاً: ((**يَهْدِيكُمْ**))[النمل:63] يرشدكم هداية دلالة وتوفيق.

" ((**فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**))**[النمل:63] بالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهاراً** " ولو قال المؤلف: وبالشمس نهاراً لكان أيضاً أولى؛ لأن علامات الأرض إذا صار من البحر واسع ... بعلامات الأرض؟ ما ...، وهذا ... ما تشوف علامات الأرض ما تشوف إلا ماء.

فإذاً بماذا أستدل؟ في النهار أستدل بالشمس، وبعضهم أيضاً يستدل بالرياح، حتى الفقهاء رحمهم الله ذكروا أنهم استدلوا ... بالرياح، وأنهم قالوا: أن كل ريح بإذن الله لها خاصية معيّنة، لكن ما نعرفها نحن يعرفها الخبراء.

ثم نعرف هذا بالبرودة الشمال باردة والجنوب حارة هذه نعرفها، لكن هذه معرفة سطحية إنما هم يعرفونها بدقّة يقولون: إذا هبّت الريح قال: هذه ريح شمالية أو جنوبية أو شرقية أو دبور لكن نقول: العلامات الظاهرة: هي الشمس في كل حال، والقمر والنجوم...

((**أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا**))[النمل:61] أليس كذلك؟ فيستفاد منها أولاً: نعمة الله سبحانه وتعالى على العباد بجعل الأرض قراراً مع أن الأصل أن تكون مائدة.

الطالب: ....

الشيخ: هه.

الطالب: ....

الشيخ: هذه الفوائد نعم.

الطالب: ....

الشيخ: لا، ما..

الطالب: إلا.. أما .... البهجة أخذناها، قوله تعالى..

الشيخ: إيه. هذه بعدها.

الطالب: بهجة في سياق .... بشرط ألا تشغلوا عن .... لأن الخلق لا يمكن أن يخلق شجرة .... ولا شجرة .... هؤلاء ....

الشيخ: هذه الآيات التي بعدها .... التي بعد.

الطالب: نحن وقفنا على: ((**أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا**))[النمل:61].

الشيخ: إي نعم، والذي بعد. ((**أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ**))[النمل:61] فيها بيان نعمة الله سبحانه وتعالى بجعل الأرض قراراً لأهلها، واستدل بها بعضهم على أن الأرض تدور، لأن كونها قراراً مع عدم الدوران لا يتبين فيه تمام القدرة والنعمة، وإنما يتبين ذلك فيما إذا كانت دائرة، وهذه الفائدة يناقش فيها، غير مسلَّمة، لأننا نقول: لا يلزم من الميَدَان الدوران، فهي حقيقة أنها لولا أن الله جعلها قراراً لكانت تميد بأهلها، وأما أنه يلزم أن تكون تدور فهذا ليس بلازم.

إذاً: ففيها الفائدة الأولى فقط.

الفائدة الثانية: ما أنعم الله به على العباد من هذه الأنهار المتخللة للأرض ظاهراً ايش بعد؟.

الطالب: وباطناً.

الشيخ: وباطناً، لقوله: ((**وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا**))[النمل:61].

الفائدة الثالثة: ما أنعم الله به في هذه الرواسي التي هي الجبال التي هي راسية بنفسها مرسية للأرض أيضاً، ((**وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ**))[النمل:61].

وفي سورة فصلت قال: ((**رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا**))[فصلت:10] قال أهل العلم والبيولوجيين: إن كون هذه الرواسي من فوق لا من باطن الأرض فيه فوائد عظيمة، فوائد للطقس، وفوائد للنبات، وفوائد للمعادن.. إلى غير ذلك من ما هو معلوم عند أهل العلم بذلك، يعني يقولون: إن كون الجبال المرسية في الأرض من فوقها دون أن تكون من أسفل فيه فوائد كثيرة، وأنت إذا نظرت إلى سلاسل الجبال التي على البحار عرفت بها قدر هذه النعمة العظيمة، لا سيّما ما يأتي من الجهات الباردة، حيث هذه الرواسي تصد تلك الرياح الباردة التي تضر.

فالمهم أن فيها فوائد عظيمة لكونها من فوق الأرض، ولكن هذا لم يُذكر هنا، وإنما ذُكِرَ في سورة فصلت.

وفيها أيضاً الفائدة الرابعة: بيان قدرة الله عز وجل، حيث جعل بين البحرين حاجزاً، والبحران هما: العذب والمالح. وهذا الحاجز هل هو مشهود أو مذكور؟

الطالب: ....

الشيخ: نعم. فيه احتمال، بل إننا نقول: عام، يشمل المشهود والمذكور وإن لم يشهد، فإن الأنهار هذه جعل الله بينها وبين البحار حواجز طبيعية كالأرض، وحواجز غير معلومة لكنها مذكورة، فإن في جوف البحار المالحة أنهار عذبة وعيون عذبة.

وفيها أيضاً: بيان قدرة الله ومنَّته أيضاً بجعل الحاجز بين هذين البحرين؛ لأنه لو اختلط ماء بعضهما ببعض لأفسد أحدهما الآخر وضاعت منافعهما.

وفيه أيضاً: أن أكثر الخلق لا يعلمون ما في هذه الآيات من العِبَر، ثم إن نفي العلم -كما قلنا- قد يكون نفياً لأصله، وقد يكون نفياً لثمرته وفائدته، والأمر كله واقع: أن من الناس من ليس عنده علم أصلاً ولا يفكر في هذه الآيات، ويرى أنها ظواهر طبيعية وليس لله تعالى فيها أيّ شأن، ومنهم من يعلم ولكن لا ينتفع.

ثم قال تعالى: ((**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**))[النمل:62].

في هذه الآية من الفوائد: أن الله تبارك وتعالى يجيب دعوة المضطر، لقوله: ((**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**))[النمل:62].

الفائدة الثانية: أنه لا فرق بين أن يكون المضطر مؤمناً أو كافراً، من أين يؤخذ؟

الطالب: من العموم.

الشيخ: من العموم وعدم التقييد، لأنه ما قُيِّد بأنه مسلم، بل أطلق وعمَّم.

الفائدة الثالثة: أنه ينبغي إقامة الحجة على الخصم بما يعترف به، لأن إجابة المضطر يقر بها هؤلاء المكذبون، كيف ذلك؟ هم إذا ركبوا في الفلك وأصابتهم الضراء والأمواج من يدعون؟

الطالب: يدعون الله.

الشيخ: يدعون الله، فهم عند الضرورة ما يدعون إلا الله، فإذا كنتم تعرفون أنكم لا تدعون إلا الله عند الضرورة فكيف تعبدون غيره عند السعة؟ إذاً فالفائدة الثالثة هذه ما هي؟

الطالب: ....

الشيخ: .... إقامة الحجة على الخصم بما يعترف به؛ لأنه لا يمكنه إنكاره، نعم. والفائدة الرابعة؟

الطالب: ....

الشيخ: لا، خير الأمور الوسط ....

الطالب: ....

الشيخ: .... تخالطون الآيات ....

الطالب: .... الآية ....

الشيخ: .... الفوائد على كل آية وحدها.

الطالب: إيه. ....

الشيخ: نعم. فيه دليل -الفائدة الرابعة- على شمول رحمة الله سبحانه وتعالى بكشف السوء، سواء دُعي لذلك أم لم يُدْعَ، لقوله: ((**وَيَكْشِفُ السُّوءَ**))[النمل:62]، وكم من سوء كشفه الله تبارك وتعالى عن خلقه بدعاء وبغير دعاء، وبضرورة وبغير ضرورة، ولا يكشفه إلا الله، وقد أوردنا في ما سبق أنه قد يقول قائل: هذا الطبيب يعالج المريض فيبرأ فيكون كاشفاً للسوء؟ وأجبنا عن هذا..

الطالب: سبب.

الشيخ: بأن هذا فعل للسبب وليس كشفاً للسوء، بدليل أنه قد يعالجه بما برأ به غيره في نفس المرض ولا يبرأ، فالكاشف للسوء هو الله، وما للعباد إلا فعل الأسباب فقط.

الفائدة الخامسة: بيان قدرة الله ونعمته أيضاً بجعل هذه الخليقة خليفة، يخلف بعضها بعضاً، وإلا إذا انقطعت الخليقة وانقطع النسل أو بقيت الخليفة أو الخليقة بقيت أزمنة متطاولة -نعم- وتعاقبت عليها الأحداث وتوالت عليها الأمور وحينئذٍ يكون فيها سأم وملل، نعم. يعني: لولا هذه الخلافة أن بعضهم يخلف بعضاً للزم أحد أمرين: إما انقطاع الخليقة، لأنه ما تستمر بدون أن يخلف بعضها بعضاً. وإما أن تبقى الخليفة دائماً وحينئذٍ يكون التعب والسأم والملل، وقد جاء في ذلك قول الشاعر:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم

وقال الشاعر الآخر:

إن الثمانين وبُلِّغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

ففي الحقيقة أن طول الزمن في الإنسان يضعفه ويلحقه السأم والملل، ثم هو لا يزال يتذكر الأحداث التي تتعاقب وحينئذٍ .... ولا يكون عنده قرار نفسي ولا فكري، لذلك كان من قدرة الله سبحانه وتعالى ومن رحمته أيضاً أن جعلنا خلفاء يخلف بعضنا بعضاً. نعم.

الطالب: الجن ....؟

الشيخ: إلا. هم أيضاً يخلف بعضهم بعضاً، لأن الجن والإنس يموتون.

الطالب: ....؟

الشيخ: عامة في هؤلاء وهؤلاء.

الطالب: لازم الأول.

الشيخ: نعم؟

الطالب: .... لازم الأول لعدم الخلافة.

الشيخ: أن ينقطع النسل، إما أن يموتون أو يبقون مع هذا الضرر.

وفيها أيضاً من الفوائد: أن كثيراً من الناس لا يتذكَّر مع وجود ما به التذكُّر، لقوله: ((**قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**))[النمل:62]، والتذكُّر بمعنى: الاتعاظ؛ لأن الإنسان يذكر فينتفع بذكره فيقال: اذكَّر، نعم. وانتهى الكلام على هذه الآية.

ثم قال الله تعالى: ((**أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ**))[النمل:63] نعم.

الطالب: ....

الشيخ: من أين ....

الطالب: ... لكنه على جعل ....

الشيخ: إذ أنه أبدى بالحقيقة أظهر الإنسان حاجته فيكون لإجابته وقع ليس كوقعه إذا حصل بدون طلب، قول.

الطالب: نعم.

الشيخ: ممكن أن يقال هذا، وممكن أن يقال: الآية ناسخة له. على كل حال! إثبات الأسباب وأن الدعاء من أسباب إزالة الضرر يمكن أن نجعله فائدة، وهو أن الدعاء –الفائدة السادسة أظن– السادسة: هو أن الدعاء من أسباب رفع البلاء، لقوله: ((**إِذَا دَعَاهُ**))[النمل:62] وهذا أمر مجرَّب ومشاهَد ولا سيما الأدعية التي جاءت بها السنة؛ فإنها خير وبركة، ولها ثمرة ظاهرة. نعم.

الطالب: .... هل ورد ...؟

الشيخ: إي نعم، ورد في هذا ... بيناها البارحة أمس. أنت حاضر أمس؟

الطالب: إيه حاضر.

الشيخ: نقول: بل بعضهم لا يحضرون.

الطالب: ....

الشيخ: .... عندما ذكرنا الفائدة في هذا.

الطالب: إلا ....

الشيخ: نعم. يمكن .... تكتب الفوائد وفاتت عليك.

الطالب: .... فوائد ....

الشيخ: .... أعتذر لك .... طيب.

الطالب: .... إجابة الله المضطر .... المضطر أنه بيان لعدل الله سبحانه وتعالى.

الشيخ: ....

الطالب: .... رحمة ....

الشيخ: إيه. نعم.

الطالب: عند المظلوم لعدله.

الشيخ: قلنا: إن هذا بيان على أن رحمة الله سبقت غضبه، وأنه لكمال رحمته إذا علم بهذا المضطر أزال ضرورته على أي حال.

الطالب: يعني ....؟

الشيخ: لا، ولهذا إذا كانوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فأجاب دعاءهم مع أنه يعلم أنهم سيشركون إذا خرجوا، وأن إيمانهم هذا بس إيمان ضرورة.

الطالب: .... بسبب ...؟

الشيخ: ....

الطالب: الله.... ربما يجعلهم يعني ....

الشيخ: قد يسلمون وقد يكفرون، لأن الحقيقة النعمة قد تكون للامتحان إما للخير وإلا للشر، ولهذا بعض الناس إذا مسهم الضر دعوا الله، فإذا أصيبوا بالرحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون.

وفيه أيضاً: ((**أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَئِلَهٌ**))[النمل:63] أظن ما قرأناها، يا ولد.

الطالب: نعم.

الشيخ: أو قرأنا بعضها؟

الطالب: ....

الشيخ: طيب. نخل .... إن شاء الله الكلام عليه في المستقبل.

قال الله تعالى: ((**وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**))[النمل:63] أي: قدَّام المطر، هذا تفسير لقوله: ((**بَيْنَ يَدَيْ**))[النمل:63] والمطر تفسير للرحمة؛ لأنه من آثار رحمة الله، فسمي رحمة؛ لأنه من آثارها وبه تحصل الرحمة، فمن الذي يرسل الرياح؟ لا أحد يستطيع أن يرسل الرياح سواء كانت ريحاً عقيمة أم ريح بشرى بين يدي رحمته إلا الله سبحانه وتعالى.

وقوله: ((**وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ**))[النمل:63] بالجمع، الأكثر أن الجمع يكون في رياح الرحمة، والإفراد في ريح العذاب، إلا إذا وُصِفَت الريح المفردة بما يدل على أنها ريح خير، ((**حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ**))[يونس:22] ثم إن الرياح بالنسبة إلى الفلك ليست من مصلحة أهله، وإلا لا؟ لأن الرياح إذا اختلفت على الفلك ما مشى لا سيما الفلك الأول، فإن الفلك الأول يمشي على الهواء، السُفُن الشراعية، فإذا اختلفت عليه الأهوية تعوَّق، ولكن إذا كانت ريحاً واحدة صار ذلك أحسن، ولهذا قال: ((**حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ**))[يونس:22].

المهم الرياح إنما تُقال في الغالب ....

الطالب: رياح الرحمة.

الشيخ: في رياح الرحمة، وفي الإفراد في ريح العذاب، هذا الغالب، نعم. ((**وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ**))[الذاريات:41] نعم. ((**وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ**))[الحاقة:6] وأمثال ذلك.

وقال العلماء: ومن الحكمة في هذا أن الريح إذا كان مهبها واحداً صارت .... إذ لا شيء يقابلها من الرياح حتى يكسر حدتها، فلهذا كانت تأتي دائماً في مقام العذاب.

وقوله: ((**وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**))[النمل:63] قال تعالى: ((**أَأَلَهٌ مَعَ اللَّهِ**))[النمل:63] ويش الجواب؟

الطالب: لا إله معه.

الشيخ: لا إله معه، وكل هذا تقرير لألوهية الله سبحانه وتعالى التي ينكرها هؤلاء المشركون.

((**تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**))[النمل:63] تَعَالَى: بمعنى علا بتنزهه .... علا بتنزه، لأن معنى تَعَالَى .... بمعنى: ترفَّع عن هذا الشيء مع علوه، فهو عالٍ بتنزه عما يشركون عن هذه الأصنام التي يجعلونها مع الله شريكاً، في العبادة وإلا في الربوبية؟

الطالب: في العبادة.

الشيخ: في العبادة، أما في الربوبية فإنهم يقرون بأن هذه الأصنام ليس لها أبداً شأن في الربوبية، ولكنهم -والعياذ بالله- يعبدونها مع الله، ومنهم من يصرِّح بأنه يعبدها لتقرِّبه إلى الله، كما قال الله عنهم: ((**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**)) [الزمر:3] فهم معترفون بأن عبادتها هذا ليست عبادة مقصودة لذاتها، بل هي مقصودة لغيرها لتوصلهم إلى الله عز وجل. طيب. ((**عَمَّا يُشْرِكُونَ**))[النمل:63] به غيره، عام في كل شرك؟

الطالب: ....

الشيخ: في كل شرك. وعام في كل مشرَكٍ به، والله تعالى متعال عن كل شِرْكٍ وعن كل مشرَكٍ به مهما عظم قدره.

ثم قال تعالى: ((**أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ**))**[النمل:64] في الأرحام من نطفة؛** ((**ثُمَّ يُعِيدُهُ**))**[النمل:64] بعد الموت وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها**".

((**أَمَّنْ يَبْدَأُ**)) مثلما قلنا فيما سبق أن أصله: أم من، لكنها قُرِنَت اتباعاً للرسم العثماني، نعم. ومن فوائد قرنها: ألا تتصادم مع القراءة الأخرى وهي؟

الطالب: أَمَنْ.

الشيخ: أَمَنْ يبدأ. نعم. وقوله: ((**يَبْدَأُ الْخَلْقَ**)) المؤلف رحمه الله قصر في التفسير، حيث قال: في " الأرحام من نطفة " والصواب أنه أعم من ذلك، يبدأ الخلق في الأرحام من نطفة هذا فرد من أفراده، وإلا فقد بدأ خلق الإنسان من أين؟ من طين، ((**ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ**))[السجدة:8].

أيضاً: بعض الأشياء التي تتولد ولا تتوالد مالها أرحام تكون فيها، وإنما تتولَّد من ما تتولَّد منه بدون أن يوجد لها أرحام، فالصواب فيها أن يقال بالعموم: يبدأ الخلق؛ أي: يوجده ابتداءً في الأرحام وغير الأرحام، لا أحد يستطيع أن يفعل ذلك. ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ**))[الحج:73] لو يجتمعون كلهم الذين يدعون من دون الله ليخلقوا ذباباً ما فعلوا، ما استطاعوا. أبلغ من هذا: ((**وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ**))[الحج:73] هذا الذباب الضعيف إذا سلبهم شيئاً ما يقدرون يردونه، ((**ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**))[الحج:73].

إذاً: الذي يبدأ الخلق هو الله، والذي يعيده؟

الطالب: الله.

الشيخ: هو الله سبحانه وتعالى. وقول المؤلف رحمه الله: "وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها" لا حاجة لتقديره؛ لأن الله سبحانه وتعالى لما ذكر: بدأ الخلق فإن إعادة الخلق -بالفطرة والعقل- أهون من ابتدائه، فهو إذا تقرر أنه يبدأ الخلق؛ فإنه من المعلوم أنه يعيده، بل إعادته أهون، نعم. فعلى هذا يكون الله تعالى قد قرر ألوهيته بهذا الفعل العظيم وهو بدء الخلق .... وإعادته.

الطالب: ما يقال أن بعضهم مقرّون ....

الشيخ: ربما نعم. وبعضهم يقر بهذا، ثم يعيده.((**وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**))[النمل:64].

((**وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ**)) أي: من جهة السماء بالمطر، ((**وَالأَرْضِ**)) بالنبات، فالرزق الذي يأتي من السماء هو المطر، والذي يأتي من الأرض هو النبات، هذا ما قاله المؤلف. ويجوز أن نقول: إن قوله: ((**مِنَ السَّمَاءِ**)) أي: من العلو. ((**وَالأَرْضِ**)) أي: من النزول، ويكون هذا كقوله تعالى: ((**لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ**))[المائدة:66]، ويكون المراد بالسماء: ما كان من الأشجار الرفيعة العالية، وبالأرض مثل الزروع والأشجار الممتدة على الأرض التي ليس لها ساق. أو نقول: إن الآية أعم من هذا، فتشمل المطر لأنه من السماء، وتشمل ما أشرنا إليه من الثمرات من الأشجار العالية التي يتوصل إليها هؤلاء، فتكون في السماء وتكون في الأرض.

قال الله تعالى: ((**أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ**))[النمل:64] الجواب: لا يفعل شيئاً من ما ذكر إلا الله، ولا إله معه. هذه الآية جمع الله فيها بين بدء الخلق والرزق، لأن المخلوقات تحتاج إلى إمداد، وتحتاج إلى إعداد، فالإعداد بابتداء الخلق؛ لأن الله إذا ابتدأ الخلق أعد الإنسان بكل ما هو لازم له، والإمداد بأي شيء؟ بالرزق من السماء والأرض.

قال: ((**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**))[النمل:64] قل يا محمد: ((**هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**)) حجتكم؛ ((**إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**))[النمل:64]. ((**هَاتُوا**)) فعل أمر، وإلا اسم فعل أمر؟

الطالب: .... فعل .... النحويون ....

الشيخ: لا، هي فعل أمر، النحويون مختلفون، لكن الذي لا شك فيه أنها فعل أمر؛ لأن الذي تلحقه العلامة يكون فعل أمر، والذي يبقى على حالٍ واحدة يكون اسم فعل أمر، أنت تخاطب واحد فتقول: صه، وتخاطب اثنين فتقول: صه، وتخاطب جماعة فتقول: صه، إذاً هي اسم فعل أمر، لكن تخاطب واحداً فتقول: هات، تخاطب أنثى فتقول: هاتِ، تخاطب جماعة فتقول: هاتوا، تخاطب نساءً فتقول: هاتين. إذاً: فهي فعل أمر.

ومعنى ((**هَاتُوا**)) يعني: أحضروا. والبرهان: هو الدليل، وخصَّه بعضهم بالدليل القاطع، وقالوا: إن الدليل إن كان قطعياً في دلالته فهو برهان، وإن كان ظنياً فهو دليل وليس ببرهان، ولكن الظاهر من الآيات الكريمة أن البرهان في القرآن دليل، سواء كان قطعياً -كما قال أهل المنطق- أم غير قطعي. فعلى هذا نقول: ((**هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**)) شامل لأي شيء؟ للقطعي والظني؛ لأنه ما عندهم لا دليلاً قطعياً ولا ظنياً. طيب.

((**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**))[النمل:64] الأمر في قوله: (**هَاتُوا**) إيش المراد به؟

الطالب: التحدي.

الشيخ: المراد به التحدي، نعم. إن كنتم صادقين أن معي إلهاً فعل شيئاً من ما ذكر، والجواب: أنه لا يمكن أن يأتوا ببرهان، وجواب (**إن**) الشرطية؟

الطالب: .محذوف.

الشيخ: محذوف دل عليه ما قبله على رأي الكثير من النحويين، والصحيح أنه في مثل هذا لا يحتاج إلى جواب، نعم.

قال المؤلف: " **وسألوه عن وقت قيام الساعة فنزل:** ((**قُلْ لا يَعْلَمُ**))[النمل:65] ".

ما ادعاه المؤلف من أن الآية لها سبب لا صحة له، ولكن الله سبحانه وتعالى انتقل من ذكر الخلق إلى ذكر ما يلزم في الخلق وهو العلم، فإن الخلق لا بد أن يتقدمه علم، إذ لا يتم خلق إلا بعلم وقدرة، فمن لا علم له لا يخلق، ومن لا قدرة له لا يخلق، فالآية فيها انتقال من معنىً إلى معنى، وليس لها سبب كما قال المؤلف.

((**قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**))[النمل:65] من الملائكة الذين في السماوات، والناس الذين في الأرض، وكذلك الجن.

((**الْغَيْبَ**))[النمل:65] مفعول يعلم، و((**مَنْ**)) فاعل يعلم، والغيب: مفعول، أي: ما غاب عنهم، فيكون الغيب – على تقدير المؤلف– مصدراً بمعنى اسم الفاعل، كأنه قال: أي ما غاب، وغاب: فعل ماض له فاعل، يكون هنا الغيب مصدر بمعنى اسم الفاعل، وهل يأتي المصدر بمعنى اسم الفاعل؟

الطالب: ....؟

الشيخ: ويش مثاله؟

الطالب: ....

الشيخ: لا، هذه نعم لا بأس، لكن غيره.

الطالب: ....

الشيخ: إي نعم. ما يخالف نبغي شاهد على هذا .

الطالب: ....

الشيخ: إيه.

الطالب: ....

الشيخ: طيب زين

الطالب: ....

الشيخ: هذا دليل. كذلك أيضاً يقول: رجل عدل بمعنى: عادل، وله أمثلة. كما أن المصدر يأتي بمعنى اسم المفعول كثيراً.

((**قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا**))[النمل:65] لكن الله يعلمه، إلا الله، جعل (**إِلَّا**) بمعنى لكن، فيكون الاستثناء منقطعاً، يكون الاستثناء منقطعاً على رأي، ثم قدَّر المؤلف: يعلمه؛ ليكون إعراب (**الله**) مبتدأ، ويعلمه: خبره. وهذه الآية تحتاج إلى مناقشة، أولاً: لماذا عدل المؤلف عن الاستثناء المتصل إلى الاستثناء المنقطع؟ ((**قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**))[النمل:65].

الطالب: لأن الله سبحانه وتعالى ليس من ....

الشيخ: لا.

الطالب: لكن هذه ....

الشيخ: لا. لأنه يرى أن الله تعالى لا مكان له، و(**من**) في السماوات هذه متعلقة بمحذوف تقديره: استقر، كما هو معروف أن صلة الموصول تقدَّر: استقر أو كان أو ما أشبه ذلك، فيقول إذا قلت: من استقر في السماوات أو من كان في السماوات والأرض لا يعلم الغيب إلا الله؛ لزم أن يكون الله تعالى في السماوات، فيكون له مكان، وهذا عندهم ممتنع، عند المؤلف ومن كان على عقيدته، ممتنع. بيَّن هذا في الحاشية، هذه واحدة.

ثانياً: نقول له: إذا كان الاستثناء منقطعاً فالمعروف أن الاستثناء المنقطع إذا سُبِقَ بتام منفي ويش يجب فيه؟

الطالب: ....

الشيخ: إيه.

الطالب: يجب فيه النصب.

الشيخ: إذا كان منقطعاً يجب فيه النصب، كما قال ابن مالك في الألفية:

" وانصب ما انقطع وعن تميم فيه إبدال وقع "

فالمشهور عند العرب أنه إذا كان الاستثناء منقطعاً وجب فيه النصب، وهنا ليس منصوباً، فقال: نحن نجعل الجملة لا دخل لها في الاستثناء، نجعل (**الله**) مبتدأ، والخبر محذوف، ويش لأجل؟ لأجل ألا نخالف المشهور من كلام العرب، لأن القرآن بلسان قريش وليس بلسان بني تميم. طيب.

بعض العلماء يقول: نحن نتخلص من ما فر منه المؤلف مع عدم إثباتنا المكان لله بأن نقول: لا يعلم من يُذكَر في السماوات والأرض الغيب إلا الله، ما نقول: من استقر، وحينئذٍ يزول الإشكال؛ لأن الله تعالى مذكور في السماوات وفي الأرض، فيزول الإشكال الذي من أجله قطع المؤلف الاستثناء.

والخلاصة يا جماعة الآن: أحب أن نعيد التقرير: على الرأي الذي نرى وهو المتعيِّن أن الاستثناء هنا متصل، وأن الله تعالى له مكان، وأن مكانه في السماء، وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم الجارية فقال لها: (**أين الله؟ فقالت: في السماء**) وأشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء حينما أشهد ربه على إقرار أمته بإبلاغ رسالته، فقال وهو يخطب في عرفة لما قال: (**ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال مشيراً إلى السماء: اللهم اشهد**) فهذا دليل على أن الله في السماء.

يصير قوله: ((**مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**))[النمل:65] الاستثناء متصل، ويكون (**الله**) بدلاً من (**مَنْ**) كما إذا قلت: ما قام القوم إلا زيد، نعم. فإن هنا الاتباع أولى وإن كان يجوز النصب، لكن الاتباع أولى، فعليه نقول: الاستثناء متصل ولا فيه إشكال على عقيدة أهل السنة والجماعة.

الطالب: ....

الشيخ: نعم.

الطالب: .... في السماوات.

الشيخ: إي نعم.

الطالب: ....

الشيخ: .... ((**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ**))[الأنعام:3].

الطالب: في السماوات والأرض يعني ليس حكماً؟

الشيخ: لا أبداً، هو الله في السماوات، يعني: في مجموعهما وإن كان هو في السماء، كما تقول: فلان أمير في مكة والمدينة وإن كان في واحدة منهما، فهنا الألوهية ثابتة في السماوات والأرض وإن كان هو في السماء. نعم.

الطالب: ....؟

الشيخ: طيب. خلو الآن نقرر الجمع، هذا هو الصحيح ولا إشكال فيه.

يبقى عندنا على رأي من يقول: إنه لا يجوز للمسلم أن يعتقد أن الله في السماء؛ لأن الله ليس له مكان على زعمهم، كيف نخرِّج الآية؟ نخرِّج الآية على ثلاثة أوجه: إما أن نجعل (**في السماوات**) متعلق بفعل مناسب، ويكون التقدير: من يُذكَرُ في السماوات والأرض الغيب إلا الله، وعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً، وهو مرفوع على البدلية، ولا إشكال فيه، يعني: لا إشكال فيه من حيث الإعراب، لكن من حيث المعنى غير مسلَّم، هذا وجه.

الوجه الثاني يقولون: نجعل الاستثناء منقطعاً، ويكون الرفع هنا على لغة من؟

الطالب: بني تميم.

الشيخ: على لغة بني تميم الذين يجوِّزون الإبدال ولو كان الاستثناء منقطعاً.

الوجه الثالث: أن نجعل الاستثناء منقطعاً ولكنه ليس تابعاً لما سبق، بل هو مبتدأ وخبره محذوف، وهو الذي مشى عليه المؤلف، حيث قال: لكن الله يعلمه. وهذه التفسيرات والتقديرات مما حذر منه النبي عليه الصلاة والسلام، حيث قال: (**من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**)، وفي رواية: (**فقد أخطأ وإن أصاب**). فالذي يفسِّر القرآن على حسب عقيدته هذا الحقيقة أنه جانٍ على الله سبحانه وتعالى، ومتقوّل على الله بلا علم؛ لأن الواجب أن تُفسِّر القرآن بما دل عليه، ثم تجعل عقيدتك تابعة له، ولهذا يقول العلماء: " استدل ثم اعتقد، ولا تعتقد ثم تستدل " لأن الإنسان الذي يعتقد أولاً ثم يستدل؛ الغالب عليه أنه يخضِّع الأدلة إلى معتقده كما هو معروف الآن تجدون هذا في ما يتكلم الناس فيه في العقائد، وتجدونه أيضاً حتى في ما يتكلمون فيه في الأحكام، فإن من ينتمي إلى مذهب إذا جاءته النصوص الدالة على خلاف مذهبه تجده يسلك فيها أحد مسلكين: إما إبطالها إن أمكنه، فيقول: هذا ضعيف ومردود وليس بمقبول، وإن لم يمكن الإبطال سعى بالتحريف لأجل أن تطابق مذهبه، وهذه علة قلَّ من يسلم منها إلا من شاء الله أن يجعل عقيدته وحكمه تابعاً ....؟

الطالب: ....

الشيخ: للدليل، وهذا هو الواجب على كل مسلم أن يجعل ذلك تابعاً للدليل لأجل أن يكون تابعاً، والنصوص تكون متبوعة، أما أن يعتقد أولاً سواء كان هذا الاعتقاد من ما يتعلق بالعقائد والأمور الخبرية أو من ما يتعلق بالأحكام العملية، ثم بعد ذلك يحاول أن يحرِّف النصوص إليها فهذا غير مسلَّم، ولا يجوز للمرء. نعم.

الطالب: .... للإيمان أول مراتبه الشك....

الشيخ: نجيبه بأن هذا لا دليل عليه، فإن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس وهم ليس عندهم شك ولا حيرة، بل جحود وإنكار، ثم انتقلوا من الجحود والإنكار إلى الإقرار والاعتراف. ونقول أيضاً هذا الكلام الذي لا دليل عليه: هو باطل أيضاً؛ لأن الإنسان إذا شك فقد لا يتخلص من هذا الشك، قد لا يتخلص، والله تبارك وتعالى ما دعا عباده إلى الشك والحيرة، بل دعاهم إلى الإيمان، دعاهم إلى الإيمان بعد الكفر مباشرة. إي نعم.

الطالب: .... بأن إبراهيم عليه السلام .... كذلك يعني بدون صرف النظر عن كونه يريد اقامة الحجة

الشيخ: نعم.

الطالب: فإنه أول أمر .... قال هذا ربي وهذا ربي.

الشيخ: نعم.

الطالب: ثم فرق .... حتى فرَّق ....

الشيخ: هذا ربي ما قاله عن عقيدة ولا عن شك، قاله لإقامة الحجة؛ لأنه مر علينا كثيراً جبنا هذا المثال، إلزام الخصم بما يعترف به، يعني أنتم الآن تعبدون هذه الكواكب والشمس والقمر فهذا ربي، يعني الآن نجلس أنا وإياكم مجلس المقنِع .... هذا ربي، فلما قال: لا أحب الأفلين، ثم تنقل بهم، ولهذا قال: ((**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ**))[الأنعام:83] ما قال: وتلك أدلتنا أقررنا بها إبراهيم، فإبراهيم ما كان في قلبه أدنى شك في هذا الأمر وأنها آلهة باطلة، لكن لأجل إقامة الحجة على هؤلاء. نعم.

الطالب: ....؟

الشيخ: إي نعم.

الطالب: ....

الشيخ: لما قال: ((**بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**))[البقرة:260] .... هه؟

الطالب: ....

الشيخ: إي نعم. ((**قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**))[البقرة:260] هل إبراهيم شاك؟

الطالب: ....

الشيخ: ما شك.

الطالب: لكن كيف الرد؟

الشيخ: هه؟

الطالب: كيف الرد عليهم؟

الشيخ: طيب اعلمك أنا إبراهيم ما شك، ولو أجرينا الحديث على فهمك لكان يقتضي أن إبراهيم قد شك ونحن أولى بالشك منه، ولكن معنى هذا: نفي شك إبراهيم، يقول: لو كان إبراهيم محلاً للشك لكنا نحن أولى به ونحن لم نشك. هذا المعنى، المعنى يعني كل الرسول عليه الصلاة والسلام يعلم علم اليقين بأن الله قادر على إحياء الموتى وكذلك الصحابة، فكأنه يقول للصحابة: هل فيكم أنتم شك؟ ويش الجواب؟

الطالب: لا.

الشيخ: لا، إذاً: لو كان هناك شك لكنا نحن؟

الطالب: أولى.

الشيخ: أولى به من إبراهيم، فإبراهيم ما شك عليه الصلاة والسلام والنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه ما شكوا، ولكن المعنى: كما أنكم تعلمون ما في أنفسكم من اليقين؛ فإن إبراهيم كذلك يعلم، ولو كان في الأمر مكان للشك لكنا نحن أولى به من إبراهيم، نعم. واضح الآن؟ طيب.

ثم قال المؤلف: " **لكن الله يعلمه** " نعم.

الطالب: ....؟

الشيخ: شوف، في السماوات وفي الأرض هذه مجموع، الظرف الآن لمجموع اثنين، فهو يقين ما يخرج عن الاثنين، لكنه تبارك وتعالى في واحد منهما بدليل العقل والنقل، مثلما ضربنا مثلاً بقولك: فلان أمير في المدينة وأمير في مكة، نعم. المعنى: أن إمارته ثابتة في مجموعهما، لكن ليس معناه أنه هو في كل مكان، في هذا وفي هذا قطعاً، ما يمكن يصير في المدينة وفي مكة في آن واحد بالنسبة للأمير مثلاً.

الطالب: .... يجوز .... نقول: الله في السماوات .... في السماء العليا.

الشيخ: إي نعم. المراد في السماوات يعني: فوق السماء، ولا هو في السماء السابعة أيضاً.

الطالب: نعم.

الشيخ: هو فوقها، هو على العرش، وبين العرش وبين السماء مسافة الله أعلم بها، فالمعنى: أنه في السماء بمعنى: أنه في هذه الجهة، مثل: ((**وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا**))[نوح:16].

الطالب: ....

الشيخ: ولا هو في الدنيا، بل في جهتهن. وأما قول بعض العلماء: إن نور القمر ينعكس أيضاً على السماوات ويكون له نور من جهة الأرض ونور من جهة السماء؛ فليس بصحيح، بل المعنى: فيهن؛ أي: في جهتهن وإن كان هو في الحقيقة القمر ما تخلل السماء الدنيا حتى كان في جهة السماء الثانية أو الثالثة أو الرابعة، لكن جهته فيهن واحدة.

الطالب: .... لا يعلم من في السماوات والأرض، يعني: الذي في السماوات والأرض لا يعلم الغيب؟

الشيخ: كل الذي في السماوات والأرض ما يعلم الغيب إلا الله، وأين الله؟ في السماوات، الله في السماوات، أي: في جهتها.

الطالب: ....

الشيخ: لا، ما هو معنى.. ما في إشكال، يعني: حتى في السماء ليس في السماء السابعة.

الطالب: نعم، في السماء العلو ....

الشيخ: في السماء العلو، إي نعم. أو نجعل (**في**) بمعنى؟

الطالب: على.

الشيخ: على، لأن فيها تخريجين لأهل السنة والجماعة: إما أن تجعل (**في**) بمعنى على، ويكون على السماء، أو (**في**) للظرفية ويكون السماء المراد به: العلو.

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تبارك وتعالى: ((**بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ**))[النمل:66] هذا وقفنا عليه؟

الطالب: لا، في الآية التي قبلها.

الشيخ: التي قبله؟ وقفنا على قوله: ((**إِلَّا اللَّهُ**))[النمل:65].

الطالب: ((**وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**))[النمل:65].

الشيخ: إيه. ... من الفوائد فيما سبق أظن: ((**أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**))[النمل:63] ... الفوائد ويش آخر ما ...

الطالب: ...

الشيخ: ويش لون؟

الطالب: ((**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ**))[النمل:62] الذي قبل، قوله ...

الشيخ: ((**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**))[النمل:62].

الطالب: ... أخذنا ...

الشيخ: أخذنا فوائدها؟

الطالب: ...

الشيخ: إيه. قال الله تعالى: ((**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**))[النمل:62].

يستفاد من هذه الآية أولاً: قدرة الله سبحانه وتعالى، لأن قوله: ((**يُجِيبُ**)) يشمل كل ما يتطلبه الضرورة من قليل أو كثير، فيكون في ذلك دليل على قدرة الله سبحانه وتعالى.

ومن فوائدها أيضاً: بيان أن رحمة الله تعالى سبقت غضبه؛ لأن قوله: ((**الْمُضطَرَّ**)) يشمل الكافر والمؤمن. ترى في سورة النمل وجدته؟

الفائدة الثالثة: أن المضطر مجاب الدعوة مطلقاً، لقوله: ((**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ**))[النمل:62] ولم يقيده بالمؤمن.

الفائدة الرابعة: أن إجابة المضطر المتحتمة مشروطة بما إذا دعاه، لقوله: ((**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**))[النمل:62]، وأما إذا لم يدعه فقد يجيبه، وقد.. يعني: فقد يزيل ضرورته، وقد لا يزيلها؛ لأن المضطر قد لا يدعو الله تعالى استغناءً بما عنده من الأمور المادية عن دعاء الله سبحانه وتعالى، فيستأنف عن دعائه، وحينئذٍ لا

تكشف ضرورته. فالمهم! أن إجابة المضطر هنا اشترط الله تعالى أن يكون المضطر داعياً، فقال: ((إِذَا دَعَاهُ))[النمل:62].

الفائدة الخامسة: منَّة الله تبارك وتعالى على عباده بكشف السوء، أي: إزالته. عن المضطر وإلا عن غير المضطر؟

الطالب: عن الجميع.

الشيخ: عن الجميع، ولهذا ما قال: عن المضطر، يكشف السوء، فحدث المتعلَّق، والقاعدة عند أهل العلم: أن حذف المتعلَّق يفيد العموم، فمعنى (**يكشف السوء**): عن كل أحد.. حذف المتعلَّق يفيد العموم. إي نعم.

الفائدة السادسة: أنه يجب على المرء ألا يلتفت في كشف السوء إلا إلى الله؛ لأنه لا يكشف السوء إلا الله سبحانه وتعالى، فعلى هذا يجب عليك ألا تعلِّق هذا الأمر إلا بربك الذي هو قادر على كشفه، وتعلُّقك بغيره خذلان لك، فمن تعلَّق شيئاً وكل إليه، ولكن هل هذا الكلام ينافي فعل الأسباب؟ لا ينافيها؛ لأن فاعل الأسباب إن كان يعتقد أن السبب وحده هو الفاعل لذاته فإنه ينافي ما ذكرنا، وإن كان يعتقد أن السبب هو الفاعل ولكن بتقدير الله فهذا من التعلُّق بالله سبحانه وتعالى، لأنه لا ينافي إذا توكلت عليه واعتمدت عليه أن تفعل من الأسباب ما جعله الله سبباً.

الإنسان يرجو من الله تعالى دخول الجنة والنجاة من النار ومع هذا يفعل أسبابها، يرجو من الله تعالى الأولاد ومع ذلك يسعى بالأسباب. فالمهم أن فعل السبب إذا لم يعتقد الفاعل –فاعل السبب– أن السبب فاعلٌ بذاته؛ فإنه لا ينافي التوكل ولا التعلُّق بالله سبحانه وتعالى.

الطالب: ...

الشيخ: ولا كمال التوكل، ولا ينافي كمال التوكل أيضاً، ولهذا كان الرسول –عليه الصلاة والسلام وهو سيد المتوكلين– يفعل من الأسباب ما يدفع به السوء.

الفائدة السابعة: بيان منَّة الله سبحانه وتعالى، إذ جعل الناس على هذه الأرض خلفاء، يخلف بعضهم بعضاً، وقد ذكرنا فيما سبق الحكمة من ذلك وهو..

الطالب: ...

الشيخ: أنه إن لم يخلف بعضهم بعضاً لزم أحد أمرين: إما استمرار الخليفة الأولى وحينئذٍ يلحقها الملل والسآمة وعدم التدبير، وإما انقطاع الخلق أو الخليقة لأنه ما فيها أحد يخلفها، فالله تبارك وتعالى من منَّته أن جعل الناس خلفاء.

الآن تجدون الرجل إذا طالت به الحياة لا يملُّه أهل سوقه فقط، بل يملُّه أقرب الناس إليه، نعم. تجدون منه: الله يريحنا بالعافية وما أشبه ذلك، يدعون الله تعالى بالراحة، لأنه يقلقهم ويؤذيهم، نعم. وهذه من نعمة الله سبحانه وتعالى، وفي هذا دليل على كمال قدرة الله في جعل الخلفاء، يعني: هو من رحمة الله، وهو أيضاً من قدرته؛ لأن فيه إحياءً وإماتة، إماتة للأولين وإحياءً للآخرين، وهذا من آيات الله وقدرته، ولهذا احتج إبراهيم على المتمرد بقوله: ((**رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**))[البقرة:258] فدل هذا على أن الإحياء والإماتة من آيات الله سبحانه وتعالى الدالة على قدرته.

وفي هذا دليل على أنه مهما ظهرت الدلائل والقران في الآية أيضاً.. الفائدة أظن هي التاسعة.

الطالب: نعم.

الشيخ: على أنه مهما ظهرت القرائن والبراهين؛ فإن من الناس من لا يتعظ بها، لقوله: ((**قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**))[النمل:62] نعم. وأن من المتَّعظين أيضاً من قد يكون اتعاظه قليلاً، لأن قوله: ((**قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**))[النمل:62] يتضمن التذكر من واحد، والتذكر من جماعة، فـ ((**قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**))[النمل:62] يعني: أن الواحد منا قد يتذكر لكن قليلاً، وكذلك أيضاً الفئات من الناس لا يتذكرون، ولا يتذكر من الناس إلا القليل، والمتذكِّر أيضاً تذكُّره قليل إلا من عصم الله سبحانه وتعالى.

الطالب: ...؟

الشيخ: نعم.

الطالب: ...

الشيخ: لا، نحن أعربناها، هذا الكلام له ثلاثة أوجه، المؤلف يرى أنها زائدة، ونحن قلنا: أنه يحتمل أن تكون مصدرية، نعم.

ثم قال الله تعالى: ((**أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَأَلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**))[النمل:63].

في هذه الآية من الفوائد أولاً: بيان نعمة الله سبحانه وتعالى على الخلق بالهداية في ظلمات البر والبحر، والجو؟

الطالب: والجو.

الشيخ: ...

الطالب: من البر ...

الشيخ: أو من البحر، كأنك على البحر ... من البحر، لأنه قلنا على قاعدة الفقهاء: الهواء تابع للقرار، إن كان على البر فهو من ظلمات البر، كذا؟ ففيه منَّة الله على عباده بالهداية في ظلمات البر والبحر. وهذه الهداية هل هي بعلامات أو بإلهام؟

الطالب: بكلا الأمرين.

الشيخ: بكلا الأمرين، نعم. قد تكون بالعلامات وهو الأكثر، وقد تكون بالإلهام. ((**وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ**))[القصص:22] وهو ما يعرف عليه الصلاة والسلام شيئاً فهداه الله سبحانه وتعالى، ولهذا بعض العلماء يستعمل هذه الآية إذا ضاع، إذا ضاع في البر أو حتى بالبلد يدوِّر بيت واحد ولا اهتدى إليه يتلو هذه الآية: ((**عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ**))[القصص:22] وهو دعاء مناسب.

إذاً: منَّة الله تعالى على الهداية في ظلمات البر والبحر. نعم. سواء كان ذلك بالأسباب المشاهدَة أو كان ذلك بالإلهام، فإن الله تعالى يمنّ على العباد بهذا وبهذا.

وفيها –الفائدة الثانية– أنه يجب على الإنسان أن يعتمد على الله في الهداية إلى الطريق الحسي كما يعتمد عليه في الهداية إلى الطريق المعنوي، فكما أنك تقول: رب اغفر لي وارحمني واهدني تريد الهداية المعنوية، كذلك أيضاً اعتمد على ربك في الهداية الحسية، لا تعتمد أيضاً على الأسباب؛ لأنه كم من أناس أهل ... ومع ذلك لا يهتدون.

وقد حدثني رجل أثق به يقول: إنه ذهب من عنيزة إلى بريدة في حاجة. قبل تظهر هذه السيارات.. أعطاه أحد التجار هنا كتاب إلى أحد التجار في بريدة، وقال له: احرص على أنك تروح مبكراً، يقول: فصليت المغرب خارج البلد، في عنيزة ورحت مع طريق يسمونه: طريق ... مختصر، يقول: لما أني وصلت وهو ... يعني ساعة وربع تقريباً على رجليه وصليت في المسجد مسجد ... الذي في بريدة وانتظرته حتى خرجت وتبعته وقلت: هذا خط من فلان، قال: طيب! ادخل ... يقول: إني قلت له بامشي، قال: لا ... لزم عليّ ودخلت ... يقول قال: متى كنت بعنيزة قال المغرب قال أخوه: والله يا أخي! هذا إنه أجود من ناقتنا الفلانية، يقول: أنا ما حطيته على بالي الكلمة هذه ما أبداً ما حطيته على بالي إطلاقاً، يقول: تقهويت وطلعت، يقول: يوم طلعت ... وأبدأ أدور أدور ... يقول: إلى آخر الليل، لما ضقت وتعبت ومليت وذهبت ... قلت له: ... قال: خلاص ... عندي، ما بينك وبينه إلا شيء يسير.المهم بقي إلى طلوع الشمس ... النهار ... ويوم ... على أن الرجل هذا يهتدي ومع ذلك؟

الطالب: ضل الطريق.

الشيخ: ضل الطريق، فلا تقول: إني والله عارف، فالهداية هداية الله للطريق هذه من نعمة الله سبحانه وتعالى على عباده، سواء في البر أو في البحر.

الطالب: ...

الشيخ: هه؟

الطالب: ...؟

الشيخ: إيه.

الطالب: ...

الشيخ: إي نعم. ساعة وربع، لأن بعض الناس ... يرفض.

الطالب: ...؟

الشيخ: ... لكن ما يخالف، يقول: ... تعللون بعد الأخير يروحون ... نعم. ... لا، هذا ... شيء عجيب، نعم. ... لا تزر وازرة وزر أخرى.

الطالب: ...؟

الشيخ: ((**أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**))[النمل:63] ذكرنا منها فائدتين أظن.

الفائدة الثالثة: بيان آيات الله سبحانه وتعالى في هذه الرياح، لقوله: ((**وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ**))[النمل:63].

الفائدة الرابعة: أن هذه الرياح مسخرة مدبرة، وليست هي التي تهب بطبيعتها، بل هي مسخرة مدبرة، لقوله: ((**وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ**))[النمل:63].

الفائدة الخامسة: أن الشيء الواحد قد يكون خيراً وقد يكون شراً بحسب آثاره ونتائجه، فالرياح هنا يقول: ((**بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**))[النمل:63] وعلى عاد ونحوهم عذاب: ((**إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ**))[الذاريات:41] والكل من فعله تبارك وتعالى، هنا: يرسل الرياح، وهناك: أرسلنا عليهم، فالكل من فعله، وحينئذٍ يرد علينا إشكال: هل الله تعالى يفعل السوء؟ نعم. ويش الجواب؟

الطالب: ... كونه ...

الشيخ: أيوه. السوء في المفعول، وأما بالنسبة لفعل الله فإنه ليس بسوء؛ لأنه صادر عن حكمة، وقد مر علينا في أول الآيات: أن انتقام الله تعالى من المجرمين هو نعمة وكمال يُحمد عليه، لما ذكر عقوبة قوم لوط قال: ((**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ**))[النمل:59] نعم.

وفيها أيضاً دليل على -الفائدة السادسة- أن المطر من رحمة الله، لقوله: ((**بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**))[النمل:63].

السابعة: إطلاق الصفة على آثارها، لقوله: ((**بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**))[النمل:63] فالمطر ليس رحمة الله ولكنه آثار من آثار الرحمة، والله سبحانه وتعالى يطلق الرحمة على ما كان من آثارها، قال الله تعالى للجنة: (**أنتِ رحمتي أرحم بكِ من أشاء**).

وفيه أيضاً من الفوائد الثامنة: دليل على أن الرياح سبب لنزول الأمطار، لقوله: ((**وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**))[النمل:63]، وقال تعالى في آية أخرى صريحة: ((**اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ**))[الروم:48] هذا دليل واضح على أن الرياح هي التي تثير السحاب بإذن الله سبحانه وتعالى.

وفي الآية أيضاً من الفوائد: بيان تنزه الله سبحانه وتعالى عن كل ما يُشرك به، وأنه أعلى وأعظم من كل ما يُشرك به، لقوله: ((**تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**))[النمل:63].

وفيها الفائدة العاشرة: أنه لا أحد يستطيع أن يفعل هذه الأفعال، وهي: الهداية في ظلمات البر والبحر، وإرسال الرياح بشراً بين يدي رحمته، ولهذا قال: ((**أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ**))[النمل:63] يفعل ذلك؟ الجواب: لا. طيب.

هل يشمل الهداية في ظلمات البر والبحر بالأسباب التي توصل الناس إليها اليوم؟

الطالب: نعم.

الشيخ: يشمل؟

الطالب: نعم.

الشيخ: إي نعم، يشمل؛ لأن الله أطلق، الهداية بأي سبب كانت فهي من الله.

قال الله عز وجل: ((**أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**))[النمل:64].

من فوائدها أولاً: بيان قدرة الله تبارك وتعالى في بدء الخلق وإعادته، ولا أحد يستطيع بدء الخلق وإعادته أبداً إلا الله، والذي قال لإبراهيم: أنا أحيي وأميت، ويش جوابه يا يوسف؟

الطالب: ...

الشيخ: الذي قال لإبراهيم: أنا أحيي وأميت. ويش الجواب؟

الطالب: ...

الشيخ: إيه. ... إبراهيم قال: ربي الذي يحيي ويميت، فرد عليه بقوله: أنا أحيي وأميت. ويش ...

الطالب: ...

الشيخ: ما هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده هو الله؟

الطالب: ...

الشيخ: إذاً هو الذي يحيي ويميت، فبماذا نجيبهم؟

الطالب: يفعل السبب...

الشيخ: نعم. وأما أن يحيي فيجعل الحياة في ميت لا يستطيع، أو يميت فيخرج النفس من البدن هو ما يستطيع، واضح؟ إذاً: قوله تعالى: ((**أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ**))[النمل:64] واضح أنها مختصة بالله، وأنه لا أحد يستطيع.

الفائدة الثانية.. نعم.

الطالب: ...

الشيخ: ما اقتنع، ولكنه عدل إلى أمر لا يمكنه أن يجادل فيه ... باب المناظرات يلجأ إلى الأظهر فالأظهر نعم.

وفيها أيضاً من الفوائد: بيان أن الرزق من الله عز وجل، لقوله: ((**وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**))[النمل:64]. طيب. أليس الله تعالى يقول: ((**فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ**))[النساء:8]، (**فارزقوهم منها**).

الطالب: ...

الشيخ: ويش تقولون الرزق من الله ولا احد يرزق إلا الله؟

الطالب: يجوز إطلاق الرزق العام على أنه ...

الشيخ: على أنه سبب؟

الطالب: إيه.

الشيخ: فيكون هنا إضافة إلى العبد من باب إضافة السبب إلى مسبِّبه. نعم.

الطالب: يقال: إن ... الله عز وجل ... الرزق مطلقاً، ورزق المخلوق مقيد ...

الشيخ: ربما هذا أيضاً نقول: وجه آخر، أن الرزق العام غير الخاص، لكن حتى الخاص أيضاً ليس رزق مستقل، إنما هو بالسبب، ولهذا الجواب الذي لا يخرج عنه شيء أن نقول: أن إضافة الرزق إلى المخلوق من باب إضافة الشيء إلى سببه، ولهذا قال الله تعالى: ((**وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ**))[الحجر:20] قبله؟

الطالب: ... قوله تعالى: ((**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ**))[الحجر:21-24].

الشيخ: لا، قبله. ((**وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ**))[الحجر:20] هذه المخلوقات ... من الذي يرزقها؟

الطالب: الله سبحانه وتعالى.

الشيخ: الله سبحانه وتعالى. ((**وَكَأَيِّن مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**))[العنكبوت:60]. أنت الذي ترزق الذر؟ ترزق الطير؟ ترزق الوحوش؟ ترزق السباع؟ أبداً، ما يرزقها إلا خالقها.

كذلك أيضاً أنت لا ترزق نفسك، حتى نفسك لا ترزقها، ولهذا تجد أشطر الناس وأجودهم في البيع والشراء وأذكاهم وأشدهم مكراً وحيلة تجده أحياناً من أفقر الناس، وتجد الإنسان الأبله -نعم- الذي ما يحسن أي شيء يكون عنده أموالاً عظيمة، والله تبارك وتعالى يعطي فضله من شاء، طيب.

وفيها أيضاً -الفائدة الرابعة- : قوله: ((**وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**))[النمل:64] الرزق من السماء كيف هو؟

الطالب: المطر.

الشيخ: المطر، والأرض؟ النبات. أو السماء؟

الطالب: العلو.

الشيخ: ما علا من الأشجار، والأرض ما نزل من الزروع، لقوله: ((**لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ**))[المائدة:66].

وفيها أيضاً -الفائدة الخامسة- : دليل على أنه لا يقدر على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى، لقوله: ((**أَأَلَهٌ مَعَ اللَّهِ**))[النمل:64].

والفائدة السادسة: تحدي المناظر، لقوله: ((**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**))[النمل:64].

الفائدة السابعة: أنه لا بأس للإنسان أن يتدرَّج مع خصمه. نعم. وأن يتحداه بما يقرُّ به، وهذا غاية الإنصاف أن تقول لخصمك: هات الدليل، لأن هناك حال أخرى ليست إنصافاً وهي أن تقول لخصمك: لا أقبل منك أبداً، وإلا لا؟ فأنت إذا قلت للخصم: هات الدليل إن كنت صادقاً؛ فقد أنصفته وتحديته أيضاً، وحينئذٍ يظهر عجزه، لكن لو قلت: لو تأتي بأي دليل ما قبلت؛ معناه أنك جعلت العلو لك، الآن هو ينتصر عليك وأنت تنخذل أمامه، مع أنك الآن في هذا الوصف تكون مستكبراً، لكن لو فُرِضَ أنه ظهر عناد هذا الرجل وأنه إنسان ممار ولا يأخذ بالحق، هل لك أن تقول: أنا لا أقبل منك؟ يعني مثل افرض أنك أنت استدللت عليه بآية من القرآن أو بنص صريح من السنة وصحيح، ثم جعل يجادلك في هذا الأمر، لو قال مثلاً: الربا حلال، الربا مصلحة عظيمة

ينتعش به الاقتصاد، والناس يتحركون، فإيش الذي حرمه؟ تقول له: الله حرم الربا، قال هذا الربا الذي في الجاهلية، إذا حل الدين على الفقير وهو فقير قال: نزيده في الأجل ونزيد في الربا، وأما ربا البنوك وما أشبه ذلك فهذا برضاً من الطرفين، ولا فيه ظلم، وهو انتعاش للاقتصاد ومصلحة للبلاد، نعم. وتنمية للمال، وما أشبه ذلك؛ هذا يصلح أن أقول: لا أقبل منك مهما جئت به، لماذا؟

الطالب: لأنه مجادل.

الشيخ: لأنه مجادل ما يريد الحق، فالشيء الذي فيه نص صريح واضح؛ المجادلة فيه غير مقبولة، ولهذا لما قال أبو سفيان: اعل هبل في أحد، ماذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم؟

الطالب: لا تجيبوه.

الشيخ: قال: (**لا تجيبوه**) منعهم أن يجيبوه. نعم. ويش السبب؟

الطالب: ...

الشيخ: لا.

الطالب: قال ...

الشيخ: إيه، نعم. بالعكس، لما قال: هل فيكم محمد وفيكم ابن أبي قحافة وابن الخطاب؟ قال الرسول: (**لا تجيبوه**) إهانة له، لكن لما قال: اعل هبل، وصار يجادل بالباطل ليعليه على الحق، وصار هذا فيه تشديد؛ لأن الشبهة قائمة في هذا المكان. إيش وجه قيام الشبهة؟

الطالب: الانتصار.

الشيخ: أن الانتصار كان لهم، فمن سمع هذا الكلام قال: صحيح، هبل الآن اعتلا، فكان من المناسب هنا أن تُزال هذه الشبهة فيقال: الله أعلى وأجل. أما بالأول فرأى النبي عليه الصلاة والسلام أن من المصلحة أن يُهجر وأن لا يجاب.... ليست هذه المسألة شبيهة بمسألة.. ليست شبيهة بمسألتنا، وكنت أظن أنها شبيهة بها.

الطالب: ...

الشيخ: نعم. أجابه ... لما قال: (**أما هؤلاء فقد كفيتموهم**).

الحاصل.. لأنه الآن صارت الشبهة، لما كان ما تكلموا وقال: (**أما هؤلاء فقد كفيتموهم**) تقوم الشبهة أمام الناس، يقولوا: صحيح، لو هم أحياء لأجابوا، حينئذٍ صار الجواب له محل، طيب.

إذاً: في دليل على أنه في مقام المناظرة ينبغي للإنسان أن يطالب الخصم بالدليل؛ لأن في ذلك فائدتين:

الفائدة الأولى: إظهار العدل والإنصاف، جبت دليل ... هذا عدل وإنصاف.

الفائدة الثانية: منع استنصار الخصم، لأن الخصم إذا ... ما نقبل منك، تجيب دليل وإلا ما تجيب دليل؛ حينئذٍ يستنصر ويقول: يا الله! الآن غلبت، الآن. طيب.

((**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**))[النمل:64] وفي هذا دليل على أنه ليس عندهم برهان. وإلا لا؟

الطالب: نعم.

الشيخ: لأنه لو كان ثمَّة برهان لم يكن للتحدي فائدة إطلاقاً، نعم. وبهذا ننقلكم إلى آية أخرى وهي قوله تعالى: ((يَا **مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ**))[الرحمن:33] أعلى بعض الناس صوته بهذه الآية حينما قالوا: إن الكفار وصلوا إلى القمر، وقال: هذه الآية دليل صريح صحيح واضح ظاهر على أنه يمكن الوصول إلى القمر، نعم. لقوله: ((**لا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ**))[الرحمن:33] والسلطان: العلم. هكذا قالوا، فيقال له: يا غبي! من قال لك أن السلطان العلم؟ السلطان: ما به السلطة، وهو في كل موضع بحسبه، فإذا كنت تجادل في مسألة علمية فالسلطان العلم، إذا كنت تبي تكلم لص تقطع يده فالسلطان القدرة على تنفيذ قطع يده، ما هو العلم، نعم. إذا كنت تريد أن تصعد مكاناً مرتفعاً فالسلطان القوة، نعم. فالسلطان في كل مكان هو عبارة عن السلطة على الشيء، فالآن: ((**إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ**))[الرحمن:33] ويش معنى السلطان؟

الطالب: القوة.

الشيخ: القوة والقدرة، ولهذا قال: ((**يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ**))[الرحمن:35] فهل هؤلاء يرسل عليهم شواظ من نار ونحاس؟

الطالب: ...

الشيخ: نعم؟ والآية: ((**إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**))[الرحمن:33] جميعاً، فهل هؤلاء نفذوا من أقطار السماوات والأرض؟

الطالب: ...

الشيخ: هب أنهم نفذوا من أقطار الأرض لكن ما نفذوا من أقطار السماوات، ثم إنه لو كانت دالة على ذلك؛ لكان هذا التحدي لا معنى له. ((**إِنِ اسْتَطَعْتُمْ**))[الرحمن:33] إذا كانوا يستطيعون ليش قال: إن استطعتم؟ نعم. الشيء ... ما يعرض بمعرض التحدي، ثم إن الآية مسوقة بين ابتداء الخلق ثم الموت ثم الموقف ثم الجزاء، وهذا يقال لهم متى؟ في الموقف، ذكر الله: ((**خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ**))[الرحمن:14] ثم قال:

((**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**))[الرحمن:26] ثم قال: ((**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ**))[الرحمن:33] نعم. ثم قال: ((**فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ**))[الرحمن:37] إلى آخره.. فذكر جزاء الظالمين وجزاء المؤمنين.

فالحاصل أنا أقول: إن التحدي في مقام الإمكان غير مقبول، ولا يمكن أن يقع في كلام الله ولا في كلام أي واحد من البشر، كيف تتحدى بما يستطاع؟

الشيخ: نعم. ويش تقول يا عبد الله؟

الطالب: ...

الشيخ: لا. المعاند فيه تفصيل: إذا كان ذلك من إهانته وعدم تأثيره ... فالأولى ... وأما إذا كان ذلك سبباً لاستنصاره أو سبباً لقوة ... فيجب أن يُرد عليه، لكل مقام مقال.

الطالب: ...

الشيخ: إهانته إن كان له قوة. نعم. فأسكته بالحديد والنار، وإن كان ما له قوة فللبيت رب يحميه.

الطالب: ...

الشيخ: نعم.

الطالب: ...

الشيخ: إيه. المراء غير

الطالب: ...

الشيخ: إيه. لا، ما هذا الجدال لإثبات حق، لأن فيه ... مجرد مغالبة، هذا هو المنهي عنه، وأما الجدال فقد أمر الله به، الجدال لإثبات حق وإبطال باطل مأمور به وجوباً، أو استحباباً حسب الحال، وأما المراء الذي بس مجرد معاندة، مثل بعض الناس الآن في المجلس تجده يختلف مع آخر في مسألة من المسائل، ما هي ... وتلقاهم يتعاندون على ... أنا عليّ حق وأنت عليك حق، هذا ما له داعي، لأن هذا ما يزيد الأمر إلا شدة، وربما يتحزب الحاضرون إلى حزبين، وربما يحدث في قلب أحدهما على الآخر حقد وعداوة، ولهذا كان من الأحسن تركه.

الطالب: يقول ...

الشيخ: نعم.

الطالب: ...

الشيخ: إيه. ... ما ... حق شرعي، يعني أنا مثلاً أقول لك: إن فلان وصل مثلاً البلد هذا، وأنت تقول: لا، ما في. الحق مع من؟

الطالب: مع الصادق.

الشيخ: مع الصادق. هذا ... ما هو معناه ... معناه ضد الباطل الذي هو الشرع. طيب. ((**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**))[النمل:64].

ثم قال تعالى: ((**قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**))[النمل:65] الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، فيستفاد من هذا ومن ما سبق: أن توجيه الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام أن يقول قولاً يدل على عناية الله سبحانه وتعالى بهذا القول؛ لأنه عبارة عن إيش؟

الطالب: وحي.

الشيخ: رسالة خاصة، القرآن كله مأمور أن ... كل القرآن، لكن إذا خُصَّ بعض الآيات بكلمة (**قل**) يدل على عناية الله تعالى بهذا الأمر، حيث أوصاه به، أوصاه بتبليغه وصية خاصة.

الفائدة الثانية: أنه لا يعلم أحد الغيب إلا الله، كذا؟ طيب. الذي في المستقبل ما يعلمه أحد إلا الله بكل حال، والحاضر أو الماضي قد يُعلَم، الحاضر أو الماضي قد يُعلَم، ودعوى علمه ليست من علم الغيب، وعلى هذا! فالذي يخبّرون ويخبرون عما جرى على العبد؛ هؤلاء ليسوا ممن يدَّعون علم الغيب. ويش السبب؟

الطالب: لأنه ماض.

الشيخ: لأنه إما ماض أو حاضر وهو معلوم، لكن قد يكون غائباً عن البشر شاهداً للجن؛ لأن الجن يعلمون الشيء البعيد، ويخبرون من يصحبهم من الإنس. وعلى هذا! فما نحدَّث به عن بعض الناس: أنه إذا جاءهم المريض قالوا: أنت أصابك وأصابك كذا وأصابك كذا ويكون أمره كما أخبر؛ هذا ليس من دعوى الغيب، فتصديقه ليس كفراً بالله، لكن يبقى النظر في حال هذا الرجل، هل هو مستقيم؟ فإننا حينئذٍ نركن إليه ولا حرج علينا إذا ذهبنا إليه، أما إذا كان غير مستقيم بحيث إن الجن لا تخدمه إلا بشرك وكفر؛ فإنه لا يجوز لنا أن نذهب إليه؛ لما في ذلك من الإعانة على الكفر، وقد أفتى شيخ الإسلام أن الجن يخدمون الإنس لمصالحهم لمصالح الجن، فإذا كانوا كفاراً فإنهم قد يخدمونهم إذا أشرك الإنسي بالله، وقد يكون مثل يعشق الإنسي مثلاً، تكون امرأة تعشق هذا الرجل، يقول: أنا أخدمه بشرط أني أفعل بها، نعم. أو كذلك رجل من الجن يعشق امرأة من الإنس فيحصل الأمر كذلك، فيكون هذا الأول شرك، الذي أشرك بالله، والثاني فسوق وزنا.

وقد يخدمه بمجرد محبته له بدون أي سبب؛ فهذا لا بأس، وقد يخدمه لله، يرى أنه عابد وتقي، نعم. أو عالم ينفع الناس بعلمه فيخدمه لهذا السبب، فما دام أن خدمة الجني للإنس تتنوع؛ فإن حكم استخدام الإنس للجن يكون بحسب هذا التنوع، ولا يقال: إنه حرام مطلقاً، نعم. ولا يقال: إنه جائز مطلقاً، بل على حسب الحال.

وقد بلغنا أن أحد أهل العلم كان يُسمع في حلقته حركات بغير مشاهدة، ويقولون: إن الجن يحضرون العلم عنده، وأنه أحياناً يسمعون كلاماً وسؤالاً بدون أن يعلموا به، نعم. هذا يعني متواتر عندنا.

الطالب: ...

الشيخ: إي نعم. هذا حادث، ما هو بيحدث.

الطالب: ...

الشيخ: لا، ... بس ما يشوفونه، يسمعون ... وهذا ليس ببعيد، إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم حضره ناس من الجن، وحضروا القرآن وتأدبوا، لما حضروه قالوا: أنصتوا، نعم. ((**فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ**))[الأحقاف:29].

وأيضاً لما سمعوا القرآن قالوا: ((**إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا**))[الجن:1-2]، فورثة الأنبياء من أهل العلم ممكن أن يحضرهم أناس من الجن ينتفعون بعلمهم، وليس هذا ببعيد.

الطالب: ...؟

الشيخ: لا، الغالب أنه ما يراه.

الطالب: إذا انقلب.

الشيخ: ما أعرف، لكن الغالب أنه ما يُرى.

الطالب: ...

الشيخ: نعم؟

الطالب: ...

الشيخ: إيه.

الطالب: يرونه.

الشيخ: إي نعم. يرونه، لكنه مثل الملائكة، ما هي ... يعني، الأصل أنهم عالم غيب، لكن قد يُرون. طيب.

((**قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**))[النمل:65] فإذاً نقول: ما كان قد حدث من قبل أو هو الآن موجود فليس من علم الغيب، فمن ادعى معرفته لم يكن مكذباً لله ورسوله. واضح؟ طيب.

وفي قوله: ((**مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**))[النمل:65] إشارة إلى أن الله تعالى في السماوات، وقد خرَّج العلماء.. فيفيد أن الله في العلو، وقد خرَّج العلماء ذلك على أن (**في**) بمعنى؟

الطالب: على.

الشيخ: على، أو أن المراد بالسماوات: الجهات العليا، لأنه تعالى فوق العرش وليس على السماء.

وفي الآية من الفوائد.. أظن ما وصلنا هناك.

قال الله تعالى: ((**وَمَا يَشْعُرُونَ**))[النمل:65] أي: كفار مكة كغيرهم؛ ((**أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**))[النمل:65] قال: أيان وقت يبعثون، نعم. يعني: ما يشعر أحد متى يبعث الناس؛ لأن علم الساعة إلى الله عز وجل، فلا أحد يشعر متى تكون الساعة، حتى لو جاءت علاماتها وأشراطها فإننا لا نستطيع أن نحددها بالتعيين، ونقول: بقي عليها كذا سنة، كذا شهراً، ولا ... ولهذا قال: ((**أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**))[النمل:65].

وقول المؤلف: " وقت يبعثون " فيه إشكال من جهة النحو، نعم. ما هو الإشكال؟

الطالب: ...

الشيخ: أيان هذه ظرف، لكنها استفهامية، ... ظرف مجردة من الاستفهام، ولهذا تفسير (**أيان**) بوقت قصور، ولو قال المؤلف: متى يبعثون، لكان هو المناسب، نعم. لأن (**أيان يبعثون**) نقول: إنها ظرف، وهي متضمنة للاستفهام، معلِّقة للفعل عن العمل. وين الفعل؟ يشعرون أيان يبعثون، فالجملة: ((**أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**))[النمل:65] في محل نصب ليشعرون، ولو كان التقدير: وقت يبعثون؛ لم يكن في جملة التعليق.

فإذاً: المؤلف بتقديره وقت ضيع علينا مسألتين:

المسألة الأولى: ما تضمنته أيان من الاستفهام ياولد.

والمسألة: كون الجملة هنا في محل نصب؛ لأنها معلقة بأيان، وعلى تقديره تكون (**أيان**) نفسها هي المفعول، نعم. هذا من ما ينبغي التنبه له؛ لأنه ينبغي أن يكون التقدير اللفظي خاصة مطابقاً للمفسر مطابقاً له في كل الأحوال.

((**وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**))[النمل:65] طيب. من ادعى أنه يعلم متى يبعث، فما الحكم؟

الطالب: كافر.

الشيخ: كافر؟ إي نعم. كافر، الذي يقول: إن القيامة ستكون في سنة ألف وأربعمائة وأربعة عشر، نعم. إي نعم. هو نُشِرَ هذا، نُشِرَ هذا في صحف لبنان عن واحد يقول كاهن، استنتج أنها ستكون في ألف وأربعمائة وأربعة عشر، يعني ما بقي إلا اثنا عشر سنة، هذا الذي يصدقه أو يشك في خبره.. لو ما صدق يكون عنده تردد يعتبر كافراً؛ لأنه يجب الجزم بتكذيب هؤلاء، يجب أن نجزم بأن هؤلاء كاذبون، لأنه ما يمكن يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله، النبي عليه الصلاة والسلام أعلم البشر وجبريل أعلم الملائكة؛ لما سأله قال: ما المسئول بأعلم من السائل؟ ما أحد يدري متى تقوم الساعة إلا الله، وهذه الأشراط أيضاً علامة على قربها، لكن القرب نسبي، لا تظن أن القرب ثلاثين سنة، أربعين سنة، مائة سنة، حدث النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه يوم من الأيام والشمس على رؤوس الناس، فقال: (**إنه لم يبق في الدنيا إلا كما بقي من يومكم هذا**).

بل ادارك علمهم في الآخرة وقبل أن نتكلم على فوائد هذه الآيات؛ رأيت كلاماً للزمخشري جيداً في هذه الآيات، وهو أن قوله: ((**بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ**))**[النمل:66]** ذكر أن معنى ما أشرنا إليه أمس: أنه بلغ علمهم في الآخرة غاية وبعدهم بها ولم ينتفعوا، وذكر أن ادارك من الدرك وهو الهلاك، يعني: أنه ضعف علمهم في الآخرة، ثم انتقل فقال: ((**بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا**))**[النمل:66]**، ثم انتقل فقال: ((**بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ**))**[النمل:66]** فيكون بالإضافة إلى قوله: ((**وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**))**[النمل:65]** المراتب أربع؛ أولاً: نفي الشعور، ثم ضعف العلم، ثم الشك، ثم العمى. فتكون هذه الآية فيها إضرابات، انتقال من الأدنى إلى الأعلى. مفهوم هذا؟ فإنه يقول: ((**وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**))**[النمل:65]**، ثم قال: ((**بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ**))**[النمل:66]** انتقالات، فالأول: نفي الشعور، والثاني: ضعف العلم، والثالث: الشك، والرابع: العمى، يعني عمى القلب.

الطالب: ...

الشيخ: الرابع أعلاهم إيه، ما عنده علم أبداً، وأيضاً: قد يكون عنده علم لكنه تركه وتغافل عنه. هذه المراتب، ((**وَ مَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**))**[النمل:65]** هذا نفي الشعور، ثم ضعف العلم، علم لكن ضعيف، ثم بعد ذلك الشك، ثم العمى.

يستفاد من هذه الآيات: أن هؤلاء المكذبين بيوم القيامة أنهم على هذه المراتب ويستفاد منها أيضاً: أن الإنسان الذي لا يريد الحق يكون له باعتبار قبوله مراتب، بعضها أشد من بعض، أي: أنه ينتقل من الأدنى إلى الأعلى، ولهذا قال أهل العلم: إن المعاصي بريد الكفر، ومعنى بريد الكفر: أنه ينتقل بها الإنسان من مرحلة إلى مرحلة كما ينتقل البريد –والبريد هو الساعي بالمساكين إلى بلاد أخرى، وكانوا في الزمن الأول يجعلون الرسل بالكتب يجعلونهم على مراحل، كل بريد فيه منطقة إذا وصل إليها وقف وأعطاه الثاني، ثم يسعى الثاني من هذا البريد رقم واحد إلى البريد رقم اثنين ثم يقف، ثم يأخذها من رقم اثنين إلى رقم ثلاثة حتى ينتهي إلى البلد، يفعلون ذلك لئلا يشق عليهم متابعة السير من البلد إلى البلد، وهذا يكون أسرع، ولذلك سُمِّي البريد بريداً لهذا السبب، لأنهم يجعلون في كل مساحة بريد من الأرض، والبريد كما تعرفون كم من فرسخ؟ أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، اضرب ثلاثة في أربعة باثا عشر اذن اثنا عشر ميل البريد اثنا عشر ميلا ولذلك كانوا في الأول يستعملون السرعة في إيصال الخطابات إما بالبريد كما ذكرنا وإما بالحمام يربى حمام تطير من محل إلى محل ويعلق في عنقها أو في أرجلها الرسائل وطبعا الرسائل مو بكثيرة يعنى يعقد تكون مثلا رموز أو إشارات يفهمها المرسل إليه فالشاهد أن من عمل معصية سواء اعتقادية أو عملية فإن الشيطان يتدرج به من أين ؟ أدنى إلى الأعلى فالشاهد أن أهل الإيمان يزدادون بها بصيرة لأنهم عندهم يقين وعلم وطمأنينة بما أخبر الله به في كتابه وعلى لسان رسوله لكن هؤلاء بالعكس بل هم عمون يعني من أجلها ساروا عمين أي عميت بصائرهم وسبب ذلك أنهم إذا كذبوا والعياذ بالله بها ازدادوا ضلالا وظلما ((**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**)) **وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ**))**[التوبة:125]**، ولهذا قال بل هم منها ما قال عنها منها أي من هذه الآخرة بسب أنهم أنكروها ازدادوا عمى وضلالا والعياذ بالله .

ثم قال تعالى ((**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ**))**[النمل:67]** يستفاد من هذه الآية أولا تلبيس أهل الضلال للحق بالباطل لأنهم أنكروا البعث واحتجوا بشبهة لا تغنى من الحق شيئا ما هي ؟ يقولون أئذا كنا ترابا نخرج هذه الشبهة تنطلي على الجهال أما على أهل العلم والبصيرة فلا تنطلي المهم أن نأخذ من هذه الآية أو من هذا الأسلوب بيان أن أهل الباطل يلبسون باطلهم بالشبهات التي يوردونها الفائدة الثانية إنكار هؤلاء للبعث لأن الهمزة في أئذا كنا للإنكار نعم الفائدة الثالثة أنهم احتجوا على تشبيههم هذا بأنهم وعدوا هم وآباؤهم هذا من قبل ولم يروا شيء وهذا من التمويه وإلا فهم لم يوعدوا أن يبعث الناس اليوم . متى وعدوا أن يبعثون ؟ يوم القيامة كما قال تعالى ((**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**))**[الجاثية:25]** فنقول لهم ... نحن ما قلنا لكم أنكم تبعثون اليوم إنكم ستبعثون يوم القيامة وستبعثون لكن هذا أهل الباطل يلبسون ويشبهون على الناس بالشبهات لإقرار باطلهم الفائدة الرابعة تأكيد إنكارهم بقولهم أإنا لمخرجون يعنى أتأكدون لنا ذلك و الأمر بعيد لا يمكن الفائدة الخامسة أن من لا يريد الحق فإنه لا يتبين له الإنسان الذى لا يريد الحق يحرم منه فلا يتبين له لقوله ((**إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**)) فجعلوا أبين الأمور و أصح الأمور و أوكد الأمور جعلوه أساطير و الأساطير كما تعرفون عبارة عن كلام لا أصل له كذب وغالبه أكاذيب فهذا القول تقدم لنا في التفسير أنه إن كان عن عقيدة فقد لبس عليهم الحق وإن كان عن إنكار فقد جمعوا بين التكذيب بالحق وبين عيب الحق يعنى جمعوا بين الأمرين لأنهم كذبوا و عابوا و أما إن كان هذا عن عقيدة بمعنى أنهم لا يريدون أن يروا الحقيقة و أنه أساطير فيكونون قد لبس عليهم الحق بسبب أنهم لا يريدونه و لا شك أن من لا يريد الحق فأنهم قد لبس عليهم الحق و لا يوفق له وبهذا نعرف أنه ينبغي لطالب العلم عندما يبحث عن مسألة أنه يبحث عنها نسأل الله العافية يبحث عنها لأجل أن يصل إلى الحق لا لأجل أن ينصر قوله بمعنى إنك إذا .. اختلفت انت وزميلك في مسألة وأردت أن تحقق ما قلت فأنت عندما تراجع و تبحث لا تجعل رائدك أن تنتصر لنفسك فإنك ربما تحرم من الوصول إلى الحق، لكن اجعل رائدك أي شيء ؟ الوصول إلى الحق الوصول إلى الحق عسى أن يكون معك فتحمد الله تعالى أن يسر لك الوصول إليه و أن جعل بيان الحق على يدك أو يكون مع خصمك فتحمد الله تعالى أن الله تعالى يسر لك الرجوع عن الباطل نعم وهيأ لك الحق فأنت على كل تقدير أنت في نعمة لكن ليكن رائدك الحق وهذه مسألة صعبة جدا على النفوس صعبة على النفوس أن يكون الإنسان ... في مثل هذه الأمور لأجل الوصول إلى الحق فإن كثيرا من الناس يراجع لأجل أن ينصر قوله طيب افرض فلنفرض أنك تعتقد أن قولك هو الصواب مائة بالمائة نعم وأنت تراجع لتنصر قولك فهل هذا ينافي النية الصحيحة ؟

الطالب : ...

الشيخ : نعم لا هذا لا ينافي لأنك إنما تقصد تقوية الحق وإلزام الخصم به و إن كنت تراجع بنية أن تنصر قولك ولو كان هو الحق النية فيها دخن ... نعم فالحاصل أن هذه مسألة ينبغي للإنسان أن يلاحظها وهو أن من لا يريد الحق لا يوفق له بل يلتبس عليه أمره لأن هؤلاء يقولون في أجل الأمور وأحقها يقولون إنها أساطير الأولين وانظر إلى بيان السبب في هذا في قول الله تعالى كلا .... لكن السبب أنهم قالوا أساطير الأولين في أنه ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فعموا عن الحق أو تعاموا عنه نعم واضح

الطالب : ....

الشيخ : ... يحب ذلك لأجل أن يكون إظهار الحق على يده و إن كان قصده أن يكون قوله هو الحق ... مغالبة فالمسألة فيها لبس أي نعم ولهذا مسائل النيات صعب جدا على الإنسان تحقيقه تحقيق صعب على الإنسان حتى قال بعض السلف " إني ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص " و هذا صحيح من أصعب الأمور الإخلاص لله عز وجل ولهذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام لما سأله أبو هريرة من أسعد الناس بشفاعتك قال من قال لا إله إلا الله لكن شرط خالصا من قلبه والشر هذا يعنى صعب على كثير من الناس وليس كل من قال لا إله إلا الله فقد سعد بشفاعة الرسول صلى الله عليه و سلم أو كان أسعد الناس بها بل لا بد أن يكون خالصا من قلبه و إذا كان خالصا... سيكون مطيعا لله و لهذا الذين يجادلون أحيانا يقولون كيف تقولون من ترك الصلاة وهو يقول لا إله إلا الله نعم و يؤمن بالله نقول نعم لو قالها حقا ما ترك الصلاة ...لو كان معتقد ذلك حقا لطلب هذا الإله لأن معنى لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله فأين لا إله إلا الله من رجل لا يعبد الله في أعظم العبادات نعم ثم الإيمان أيضا ليس الإيمان أن تقول بأن الله موجود وأن هذا الكون مخلوق هذا إيمان حتى الكفار يؤمنون بهذا أي عاقل لو هو أكفر الناس يؤمن بأن الحوادث لا بد لها من محدث و ليس هذا هو الإيمان، الإيمان أن تؤمن بالله سبحانه و تعالى بكل ما تضمنته معانى هذه الكلمة وقد سبق لنا شرح الإيمان أنه يتضمن أربعة أمور الحاصل أن الآن ... في هذا دليل على أن الإنسان الذي لا يريد الحق لا يوفق له و أنه يلبس عليه فيظن أن ما جاءت به الرسل من الحقائق يظنها أساطير نعم

الطالب : ...

الشيخ : نعم إذا سلك طرقه أي نعم .

الطالب :...

الشيخ : ... قد تكون هناك أشياء منعت من هذا ... لا على كل حال نقول أن هذا سبب من عمل صالحا دخل الجنة و قد لا يكون له ذلك عموما هذه الأشياء تذكر على أنها أسباب والله يقول ((**و لقد يسرنا القرآن للذكر**)) و يقول ((**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ**))**[المؤمنون:68]**،و لما كذبوا بالرسول عليه الصلاة والسلام قال الله ((**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ**))**[المؤمنون:69]** فالإنسان قد يحرم لأسباب تكون خفية على الناس إنما من طلب الحق بنية و إخلاص فلابد أن يصل إليه أما كون هذا الرجل ما وصل للحق نقول ما طلبه... نعم

الطالب : ...

الشيخ : ... نعم نعم لكن أصل الاجتهاد لابد أن يصل إلى الحق يتبين له الحق إلا انه قد يكون هذا الاجتهاد قد يكون فيه سبب من الأسباب منع الوصول إلى الحق هل كل مجتهد يكون مع آلة الاجتهاد على ما ينبغي نعلم أن الإنسان المجتهد ويسلك طرق الاجتهاد لابد أن يصل و إلا لبقى الحق أعمى ولكن هذا المجتهد إذا بذل جهده و جهده قد لا يكون هو السبب الوحيد الذي يوصل إلى الحق ... هذا جهدي وهذه طاقتي لكن عنده يكون نقص في العلم أو نقص في الفهم وحينئذ قد يخالفه الصواب من أجل ذلك من أجل إما نقص علمه وإما نقص فهمه وإما نقص السبل أيضا قد يكون مثلا انسان يراجع المسألة في كتاب أو كتابين بينما أن هناك كتب أخرى تفيده أكثر مما راجع يكون هذا فيه نقص ومعنى أنه اجتهد ليس معناه أنه أراد الحق فقط معناه بذل ما يستطيع من جهد ولكن هل ما يستطيعه الإنسان من جهد

هو الطريقة المؤدية للحق لا قد...

الطالب : ...

الشيخ :نعم الشيء الذي لا يستطيعه ما يعاقب عليه لا يكلف الله نفسا إلا وسعها

قال الله تعالى ((**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**))**[النمل:69]** يستفاد من هذه الآية بيان أهمية السير في الأرض من أين يؤخذ من أمر الله رسوله أن يبلغه إلى الناس وقد قلنا إن كل حكم أو خبر يقدر بقل هو دليل على الاهتمام به كأن الله تعالى جعل له عناية خاصة بالوصية بإبلاغه وإلا جميع الكتاب يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك لكن كون هذا الأمر يقدر بقل إذن ففيه عناية خاصة بإبلاغه الفائدة الثانية: فائدة السير في الأرض أن السير في الأرض ذو فائدة عظيمة ولهذا أمر بإبلاغه على سبيل الخصوص الفائدة الثالثة: أن السائر في الأرض يجب عليه أن يكون سيره على سبيل التفكر والاتعاظ لقوله فانظروا كيف والأمر للوجوب لاسيما إذا كان هذا المخاطب معاندا يعني الآية هنا قل سيروا في الأرض تخاطب المعاندين الجاحدين فيجب عليه أن يسير وينظر لأن هذا طريق إلى هدايته الفائدة الرابعة: أن عاقبة المجرمين وخيمة لقوله فانظروا كيف وكيف هذه للتعضيد أي أن عاقبتهم عظيمة... الفائدة الخامسة: أن العبرة بالعاقبة لا بالمبتدأ لقوله ((**كيف كان عاقبة**)) فإذا رأيت هذا المجرم قد نُعِم فلا تظن أنه على حق بل المعتبر العاقبة وستكون عاقبته وخيمة الفائدة السادسة أنه أيضا لا تعتبر الفرد فقط فإن من المجرمين ينقى...حتى يموت لكن العبرة بالخلد لهذا قال كيف كان عاقبة المجرمين فإن المجرمين مهما كانوا لا يمكن أن يستقر لهم قرار فإذا قال قائل في الوقت الحاضر الآن ما نرى أن المجرمين عوقبوا بل إنهم منعمون غاية التنعم فيقال إن هذه الأمة قد عهد الله إلى نبيا صلى الله عليه وسلم ألا يعذبهم بسنة عامة نعم ولكننا نرى في هؤلاء المجرمين من جعل البأس بينهم وتفرقهم وكذلك أيضا عدم استقرارهم فهو عقوبة فإن الذي يخرج إلى تلك الأمم يجد أنهم ليسوا مستقرين حتى إننا نسمع أن الإنسان ما يأمن أن يجعل في جيبه دراهم وأنه لو وجد في جيبه دراهم قتل ولذلك ما يتعاملون هناك إلا بالأوراق أوراق التحويل هذه يسمونها لها اسم خاص غير الشيكات لا فيه أوراق ...لأنهم ما يمكن يتعاملون بالدراهم وكذا يقتل الإنسان حدثني إنسان ذهب إلى أمريكا هذا العام يقول ما تأمن ثلاثين ألف ريال...وهذا .....، لأن الله يقول في عقاب القرية الآمنة المطمئنة ((**أَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ**)) فهب ما عندهم جوع ولكن عندهم خوف

وقال ((**وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**))**[النمل:70]** يستفاد من هذا الآية أولا أن الداعي إلى الله إذا بذل ما يجب عليه فلا ينبغي أن يحزن لمخالفة الناس لقوله فلا نحزن عليهم والحكمة من ذلك أن حزن الإنسان على مخالفة الناس يعيقه عن الدعوة إلى الله و يستحصر من أجلها لأن لا يمكن للنفس أن...وتسير وهي حزينة أليس كذلك ولكن سر على حسب ما أمرت فإن اهتدى الناس فلك ولهم وإن لم يهتدوا فلك وعليهم ولهذا إذا حزن الإنسان في هذه الأمور فإنه ييأس و يستحصر و لا ينشرح صدره ولا تنبسط نفسه الفائدة الثانية: عناية الله برسوله صلى الله عليه وسلم بالتسلية والتفريج عنه بقوله ولا تكن في ضيق مما يمكرون وجه ذلك أن نهيه عن ان يكون في ضيق معناه أن مكرهم يؤثر عليه و لا ما يضره وإذا ضاقت به نفس فإن ذلك لا يضره لأن الله يقول لا تكن في ضيق أي لا يهمك أمرهم ولا تضره فإن لدينا ما هو أعظم ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين الفائدة الثالثة هل هذا الأمر يكون للرسول ولغيره نعم يكون له ولغيره كل من يدعوا إلى شريعة الرسول عليه الصلاة والسلام فإننا نوجه إليه هذا الخطاب

ونقول إذا رأيت الناس لم يقبلوا فلا تحزن نعم ولاتكن في ضيق مما يمكرون وإلا فإن أعداء الرسول سوف يمكرون بالدعاة .

من الدقيقة 25 إلى آخر الدرس الصوت غير مسموع

والذي نقص عليهم ما كان فيه فائدة لهم ولغيرهم، ومن ذلك ما قص عليهم في شأن عيسى، فإن عيسى كما تعرفون اختلف فيه بني إسرائيل فمنهم من كذّبه وأنكره وزعم أن أمه بغي وقتله.

ومنهم من غلا فيه وقال: إنه ابن الله، أو إنه إله.

وكذلك أيضاً خلافهم في السبت وغير ذلك مما قص الله علينا في القرآن، فالقرآن قص أكثر الذي هم فيه يختلفون، وأما ما لا فائدة من قصه فتركه.

قال الله تعالى: ((**وَإِنَّهُ**)) أي: القرآن ((**لَهُدًى**)) " **من الضلالة** ((**وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**))**[النمل:77] من العذاب** ".

((**وَإِنَّهُ لَهُدًى**))[النمل:77] هذه الجملة مؤكد بإن واللام.. إنه لهدى، والهدى معناه الدلالة، فإن القرآن هدى يعني: دلالة ولكنه لا ينتفع به إلا المؤمنون كما قيّده به في قوله: ((**لِلْمُؤْمِنِينَ**))[النمل:77].

وقوله: ((**وَرَحْمَةٌ**))[النمل:77] أي: سببٌ لها سبب للرحمة؛ لأن الإنسان إذا اهتدى به نال رحمة الله سبحانه وتعالى، فيكون رحمةً لكن للمؤمنين، والتقييد بالمؤمنين؛ لأنهم المنتفعون به، وقد ذكر الله في القرآن أنه هدى للعالمين، وأنه هدى للمؤمنين وللمتقين، والجمع بينهما أنه في حالة العموم معناه: دالٌ وموضع دلالة، وفي حالة التقييد: أنه ما انتفع به ووفّق للاهتداء به إلا من قُيّد به.

هذه الآية من المطلق أو من المقيد؟

الطالب: من المقيد.

الشيخ: في ماذا؟

الطالب: في المؤمنين.

الشيخ: في المؤمنين. طيب إذاً: هدى هذا العلم، والرحمة العمل والتوفيق لأنه سبب الرحمة.

" ((**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ**)) **كغيرهم يوم القيامة** ((**بِحُكْمِهِ**)) **أي: عدله** ((**وَهُوَ الْعَزِيزُ**)) **الغالب** ((**الْعَلِيمُ**))**[النمل:78] بما يحكم به فلا يمكن أحدا مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه** ".

قال: ((**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ**))[النمل:78] أي: بين بني إسرائيل؛ لأن السياق فيهم، ولهذا قال: ((**أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**))[النمل:76] والمختلفون يحتاجون إلى من يحكم بينهم أيهم على الصواب.

فحكم الله بينهم في الدنيا ويحكم بينهم يوم القيامة.

بماذا حكم بينهم في الدنيا؟ بما أنزله في القرآن، المستفاد من قوله: ((**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**))[النمل:76].

ويحكم بينهم يوم القيامة بالحكم العدل ((**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ**))[النمل:78].

وقول المؤلف: " **يقضي بينهم كغيرهم يوم القيامة** " لا يتعين أن يكون هذا القضاء يوم القيامة، بل قد يكون في الدنيا أيضاً؛ فإن القضاء كما يكون يوم القيامة يكون أيضاً في الدنيا، وقد قضى بينهم في الدنيا بما أنزله في كتابه، وبيّن الذين على حق والذين على باطل من بني إسرائيل، وهذا نوع من القضاء.

ويوم القيامة يقضي بينهم قضاءً يترتب عليه الثواب، الثواب إما بالعقوبة وإما بالإحسان.

فالحاصل: أن قول الله عز وجل ((**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ**))[النمل:78] لا يتعين أن يكون يوم القيامة كما قيّده به المؤلف؛ لأن القضاء كما يكون في الآخرة يكون في الدنيا.

وقول المؤلف: " **كغيرهم** " يفيد أن القضاء يوم القيامة ليس بين بني إسرائيل فقط، بل بينهم وبين غيرهم، وهذا أمرٌ لا شك فيه، ولا حاجة إلى تقديره؛ لأنه ما دام السياق في بني إسرائيل فإن غيرهم لا ينبغي أن تقحم في هذه الآية؛ لأنك إذا أقحمت كغيرهم يكون كالاعتراض على القرآن؛ لأن معناه أن المقام يقتضيه، ولكنه لم يبيّن...

فنقول هنا: لا حاجة إلى تقييد كغيرهم، بل هو يقضي بينهم والآية هنا لم تتعرض للقضاء العام، وأما القضاء العام فهو مستفادٌ من آيات أخرى.

" ((**بِحُكْمِهِ**))**[النمل:78] أي: بعدله** ".

وهنا أضاف الحكم إلى الله سبحانه وتعالى لأمرين:

الأمر الأول: أنه حكمٌ متضمنٌ للعدل.

والأمر الثاني: أنه حكمٌ لا يُعقّب بخلاف حكم غيره فإنه ... للخلل من الناحيتين: من ناحية أنه قد يكون غير عدل، ومن ناحية أنه قد يكون غير منفّذ. أما حكم الله فإنه متضمن للأمرين: للعدل والثاني ؟ أنه لا يُعقّب، بل لا بد أن ينفذ.

((**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ**))[النمل:78] أي: عدله.

وهذا طرفٌ أو جزءٌ مما يدل عليه قوله: ((**بِحُكْمِهِ**))[النمل:78] إذ أنه يدل على الأمرين اللذين ذكرنا.

((**بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ**))[النمل:78] العزيز يقول المؤلف: " **الغالب** "...وقد مر علينا في شرح الأسماء الحسنى أن العزيز له ثلاثة معان وهي..؟

الطالب: عزة قهر، وعزّة قدر، وعزّة الامتنان.

الشيخ: وعزّة الامتنان، وأما العزيز معناه الممتنع عن كل نقص، الذي لا يلحقه نقص، وأنه غالب وأنه ذو قدرٍ عظيم.

وغالباً ما يفسّر المؤلف وغيره العزيز بالغالب؛ لأنه أظهر معانيه، ولأنه يكون أحياناً في سياقٍ يقتضي أن يكون الغلبة أخص به من غيره.

((**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ**))[النمل:78] " **بما يحكم به** ".

وهذان الأمران من شروط الحكم؛ لأن من حكم بغير علم أصاب حكمه الخلل، ومن حكم بغير عزّة أصاب حكمه الخلل أيضاً. فالأول بغير علم يحصل به خلل الحكم في إصابة الصواب؛ لأن من حكم بغير علمٍ فإصابته للصواب من باب المصادفة.

الثاني الغلبة إذا فاتت العزة حصل الخلل في الحكم لا من ناحية الصواب ولكن من ناحية التنفيذ، فإنه إذا كان ليس له عزة وحكم بأمرٍ فقد يُخالف في هذا الأمر، فلهذا قال: ((**وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ**))[النمل:78] ليتبين الأمران.

فإذا قال قائلٌ: كيف يُقدّم العزيز على العلم والعلم سابق من حيث الترتيب الحكمي، إذ أنه يعلم ثم يحكم ثم ينفّذ؟

قلنا: لأن المقام هنا يقتضي بيان قوة حكم الله سبحانه وتعالى وأن هذا الحكم لا بد أن ينفذ؛ لكونه صادراً عن عزيز. ويش قلنا يا خالد في تقدير العزيز العليم؟ يعني: الحكمة في أنه ختم قوله: ((**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ**))[النمل:78]؟

الطالب: نفس العليم أنه إذا حكم بدون العلم، حينئذ يحصل حكمه من قبيل المصادفة.

الشيخ: إصابة الصواب من قبيل المصادفة.

الطالب: وأما إذا كان عليم وبدون عزّة فإن حكمه لا ينفّذ، فيكون ...

الشيخ: فيكون خلل حكمي في فوات هذا وهذا، ....

فصار الخلل الآن في الحكم يكون إما من فوات العلم وإما من فوات العزّة، ففي فوات العلم يحصل الخلل من جهة الإصابة؛ لأن الجاهل إذا حكم توفيقه إلى الصواب من باب المصادفة.

وفي فوات العزّة خلل في التنفيذ؛ لأن الضعيف الذي ما عنده عزّة لا ينفّذ، ولهذا كان الحكم يفتقر إلى الوصفين جميعاً وهما: العزة والعلم.

أوردنا إشكالاً وهو تقديم العزيز على العليم، مع أن العزّة تتعلق بالتنفيذ والتنفيذ بعد الحكم، والعلم يتعلق بالحكم والحكم سابق على التنفيذ، فما هو الحكمة أنه يقدّم العزة هنا على العلم؟

قلنا: لأن المقام يقتضيه مقام تنفيذ وقضاء، فكان من المناسب أن تقدّم العزّة على العلم ((**وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ**))[النمل:78]. قال: " **فلا يمكن أحداً مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه** ".

الحكم في الدنيا كما قال المؤلف: يُخالف والمراد الحكم الشرعي يخالف، أما الحكم الكوني فلا يمكن أن يخالف لا في الدنيا ولا في الآخرة، ما أحد يقدر يخالف الله.

والحكم الشرعي تمكن مخالفته في الدنيا كما هو الصوفية، بل أكثر الناس يخالفون الحكم الشرعي في الدنيا؛ لأن بني آدم منهم تسعمائة وتسعة وتسعون من الألف كلهم مخالفون للحكم الشرعي، وواحد في الألف موافق للحكم الشرعي.

الطالب: ... فيه دليل عليها؟

الشيخ: إي نعم، فيه دليل حديث آدم أن الله يناديه يوم القيامة فيقول: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج من ذريتك بعثاً إلى النار، فيقول: وما بعث النار؟ قال: من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعون، واحد في الجنة وهؤلاء في النار.

ابن القيم يقول في النونية:

يـا سـلعة الـرحمن لـيس ينالهـا		**فـي الألـف إلا واحـدٌ لا اثنـان**

قال: ((**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**))[النمل:79].

" ((**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**)) **ثق به** ((**إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**))**[النمل:79] أي: الدين البين فالعاقبة لك بالنصر على الكفار** ".

((**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**))[النمل:79] الخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأمر هنا للوجوب، والتوكل نصف الدين قال الله تعالى: ((**فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ**))[هود:123]، وقال: ((**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**))[الفاتحة:5] ولا استعانة إلا باعتماد.

فلهذا يقولون: إن الدين عبادة وتوكل. عبادة يفعل بها الإنسان، وتوكل يعتمد به على الله سبحانه وتعالى.

هنا قال المؤلف: " ((**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**))**[النمل:79] ثق به** ".وفسّره غيره بأن التوكل والاعتماد على الله مع الثقة، فلا بد من اعتمادٍ وثقة، وبه يكون التوكل.

قد تعتمد على غير الله مثلاً لكن لا تثق به، تعتمد على إنسان في أن يشتري لك شيئاً، ولكنك مع هذا لا تثق به، قد تثق بالإنسان في أمانته ولكنك لا تعتمد عليه لضعفه. والأول إما لضعفه أو خيانته.

أما الله عز وجل فيجب عليك أن تعتمد عليه واثقاً به، ولا يمكن تحقيق التوكل إلا بهذا.

إذاً: التوكل على الله الاعتماد عليه مع الثقة به، فلا بد من الأمرين: من اعتماد وثقة.

والأمر بالتوكل لا ينافي فعل الأسباب، فالأسباب الصحيحة التي تؤثر في المسببات فإن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلا شك كان سيد المتوكلين، ومع ذلك كان يفعل الأسباب التي تحصل بها المنافع وتندفع بها المضار، كان يأكل ويشرب ويلبس، وكان أيضاً يتخذ ما يقي من الضرر، حتى إنه في أحد ظاهر بين درعين. يعني: لبس درعين، كل ذلك تقوية لأسباب التي تندفع بها الأضرار.

فإذاً: التوكل على الله لا يعني أن لا تأخذ بأسباب النجاح، بل خذ بالأسباب مع الاعتماد على الله تعالى والثقة به أن ينفع بهذا السبب. ولما حج قومٌ من أهل اليمن وليس معهم زاد، قالوا: نحن نحج ونحن المتوكلون، وقيل لهم: أنتم المتواكلون. ففرق بين التواكل والتوكل، الإنسان الذي يريد أن تأتيه الأمور بدون فعل أسبابها هذا متواكل، وليس عنده ولا عقل.. حتى العقل ما عنده عقل.

البهائم والحشرات وغيرها هي تفعل الأسباب أو ما تفعل الأسباب؟ تفعل الأسباب مع أن الذي قام برزقها وتكفل به هو الله سبحانه وتعالى ((**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**))[هود:6] ومع ذلك تجدها تفعل الأسباب.

بل قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً**) ما قال: تبقى في أوكارها ويأتيها رزقها، قال: (**تغدوا**) تذهب في الصباح في الغدو (**خماصاً**) يعني: جائعة (**وتروح**) في آخر النهار (**بطاناً**) ملآنة بطونها.

فالإنسان المتوكل هو الذي يأخذ بالأسباب النافعة، أما الأسباب التي لا تنفع فإن الأخذ بها نوعٌ من الشرك، كل من أخذ بسببٍ ليس بنافع يعني: ما دل على نفعه الحس ولا الشرع فإنه نوعٌ من الشرك.

ولهذا التمائم والتعوذات والتولة وما أشبه ذلك من الأمور التي يزعمون أنها تفعل وهي لا تفعل، جعلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الشرك؛ لأننا نقول في تقرير هذا: كل من اتخذ سبباً غير نافع يعني: لا يدل على نفعه شرعٌ ولا حس، وإن شئت قل: شرعٌ ولا قدر فإنه مشرك. كيف يكون مشركاً، ما وجه كونه مشركاً؟

الطالب: أشرك السبب.

الشيخ: أشرك سبباً لم يجعله الله سبباً فكان مشاركاً لله تعالى هنا في تقديره؛ لأن مقدر الأسباب وجاعل الأسباب سبباً هو الله، هذا إلى الله، فأنت إذا قلت: هذا سبب وهو ليس بسبب فقد أشركت مع الله، جعلت نفسك شريكاً مع الله سبحانه وتعالى.

الطالب: قوله تعالى: .....؟

الشيخ: في الوجوب أو الاستحباب ما كان بقدر الكفاية وهو الوجوب وما زاد فهو للاستحباب

الطالب: يتخذ سبب محرم مثل الربا، هل يعد من الشرك؟

الشيخ: لا. هذا ما يعد من الشرك به؛ لأن هذا السبب كونه سبب في الرزق سببٌ حسي لكنه محرّم شرعاً.

فالآن مثلاً الذي يرابي هل اتخذ وسيلة تحقق له الرزق قدراً؟

أسألك: الإنسان المرابي اتخذ وسيلة تكون للرزق قدراً، معروف الواحد إذا أراد ... يأخذ اثنا عشر، هذا سبب للرزق، لكنه سبب شرعي وإلا قدري؟

الطالب: قدري.

الشيخ: قدري، الله ما أذن فيه شرعاً لكن إذا وقع علمنا أنه أذن فيه قدراً، هذا ما يكون نوع من الشرك.. هذا ليس بالشرك لأنه سبب قدري، إنما هو محرم؛ لأنه منهيٌ عنه شرعاً.

الطالب: يا شيخ! ولكن يقول تعالى: ((**وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ**))[النمل:78] .... ولكن الحكم ... فلا يمكن لأحد يخالفه.

الشيخ: لا. يصدق في كل الأحكام.

الطالب: كون الحكم في مسألة الآخرة.

الشيخ: قلنا في الآخرة وفي الدنيا، الآية عامة.

الطالب: ... سياق الآية.

الشيخ: ما يخالف سياق الآية، ما هو سياق الآية؟ ((**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ**))[النمل:76 - 78].

من جملة ما قصّ الله علينا في القرآن القضاء بين بني إسرائيل، فبني إسرائيل اختلفوا مثلاً في أشياء كاختلافهم في عيسى وغيره، فحكم الله بينهم بالقرآن.

والحكم الذي يترتب عليه الثواب والجزاء يكون يوم القيامة، فهنا الحكم في الدنيا ما يتبين به الحق من الباطل، وأما في الآخرة فهو ما يترتب عليه الثواب أو العقاب.

الطالب: ....؟

الشيخ: نعم ما فيه مانع؛ لأن الاعتماد على الأسباب ... جائز، لكن مع اعتقاد أنه سبب لا أنه مستقل.

الطالب: الحكم بالقرآن ... بعدما انتهت قضيته.

الشيخ: لا. يحكم بينهم بأن هؤلاء مصيبون وهؤلاء مخطئون، فهو بيّن أن اليهود أخطأوا والنصارى أخطأوا أيضاً، والمعتدلين من النصارى أصابوا.

الطالب: قول العوام: وكّل الله؟

الشيخ: الظاهر أن معنى وكّل الله عندهم يعني: اعتمد على الله، ما هو معناه أني أجعل الله وكيلاً لك، أو معناه اجعل الله وكيلاً لك معناه: أن الله تعالى يكون شاهداً عليك، وإلا هو ما يقصد أني أنا في قيامي بأمرك مثل قيام الله بأمره.. ما يقصد هذا بلا شك.

الطالب: هو الظاهر أنه توكل على الله.

الشيخ: هم قصدهم توكل على الله يعنى: اعتمد على الله، ووكله عليَّ شهيداً. يعني: الآن لو أردنا أن نشوف ظاهر اللفظ أني أنا لك بمنزلة الله، وهم ما يريدون هذا أبداً، يريدون: وكّل الله يعني معناه: اجعله شهيداً عليّ، أو معناه وكّل بمعنى اعتمد على الله.

الطالب: وكّل الله توكلت على الله ....

الشيخ: طيب، اتكل على الله ما فيها شيء، هذه صحيحة وطيبة. أيضاً: الله وكّلت ما فيها شيء، واتكل عليه ما فيها شيء.

الطالب: وما تقتضي ....

الشيخ: لا. لأن الله وكّله بلا شك، إذا وقع الأمر فهو بقضاء الله، الشيء الواقع ما يحتاج .... بقضاء الله، الله وكّلك يعني: جعلك وكيلاً لي بالصيغة التي نطقت بها.

الطالب: إن قلت: ....

الشيخ: بشرط أنه يكون حقيقة مما يمكن أن يعتمد عليه كثير.

إذاً: التوكل على الله ما هو؟ الاعتماد على الله مع الثقة به، ما هو مجرد اعتماد بل مع الثقة، ولا ثقة إلا برجاء.

ثم إن التوكل قلنا لا ينافي فعل الأسباب التي جعلها الله تعالى سبباً شرعاً أو قدراً.

((**إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**))[النمل:79] أي: الدين البيّن. فسّر المؤلف الحق بالدين، والمبين بالبيّن. وليس هذا بجيد لأن الدين منه حقٌ وباطل، ولهذا قال: ((**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**))[التوبة:33] وهذا هو الدين الباطل، الدين الحق يظهر على الدين كله أي: على الدين الباطل.

فتفسير المؤلف الحق بالدين قصور بلا شك، بل الحق هنا الثابت بصدق أخباره وعدل أحكامه. هذا معنى الحق، أنه ثابتٌ، وذلك بالصدق في أخباره والعدل في أحكامه.

وأما قوله: ((**الْمُبِينِ**))[النمل:79] ففسّره بالبيّن، وعلى هذا جعل أبان من المتعدي أو اللازم؟ جعله من اللازم؛ لأن بان يبين فهو بيّن، وأبان يبين فهو مبين. هنا ما تصلح أن تكون بمعنى مظهر؟ الجواب: لا.

بيّن هنا أنسب من مظهر، فهذا الحق مبيّن ظاهر.

وفي قوله: ((**إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**))[النمل:79] تثبيت للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن يبقى على ما هو عليه معتمداً على الله تبارك وتعالى؛ لأن الإنسان إذا علم أنه على حق فإنه يثبت وترسخ قدماه، وإذا كان شاكاً أو متردداً فإنه لا يثبت، فأمره بأن يعتمد عليه وبيّن أن ما كان عليه من هذا الدين فهو حقٌ بيّنٌ ظاهر.

طيب إعراض هؤلاء المعرضين عنه هل يقدح في كونه بيّناً؟ ما يقدح؛ لأن البلاء ليس من القران، البلاء منهم ولهذا أعقبه بقوله: ((**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ** ...))[النمل:80] إلى آخره.

فالحاصل الآن أمر الله نبيه أن يعتمد على الله، وبيّن له الحال التي كان عليها، وأن هذا الدين حقٌ بيّن ((**إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**))[النمل:79].

ثم بيّن سبحانه وتعالى أن إعراض من أعرض عنه ليس لقصورٍ في بيان هذا الدين وظهوره، ولكن لقصورٍ في هؤلاء المعرضين؛ لأن الدين هنا بالنسبة إليهم لم يصادف محلاً، وأنتم تعرفون أن الأمر إذا لم يصادف محلاً ...قابلاً فإنه لم يثبت. حتى إن الإنسان ليقرأ آية على مريض فيشفى، ويقرأها على مريضٍ آخر بنفس المرض فلا يُشفى؛ لأن المريض الأول قابلٌ مؤمنٌ بتأثيرها، والثاني ليس مؤمناً بتأثيرها فلا تنفعه.

فلا بد في الأمور من قابلية يعني: محل يقبل هذا الشيء، وإذا لم يقبل فلا يمكن أن يلائمه، وهذا كما أنه في الأمور الشرعية كذلك أيضاً في الأمور القدرية، لو أننا زرعنا قلباً في إنسان ونفر منه الجسم هل يبقى؟ ما يبقى، يموت. أو زرعنا كلية في إنسان ونفر منها الجسم فإنها لا تبقى، تُعفِّن ويموت. فكل شيءٍ لا بد أن يكون المحل قابلاً له، فإن لم يقبله فلا مكان له.

هؤلاء الذين أعرضوا عن القرآن ليس معناه النقص في القرآن، فالقرآن حقٌ بيّن واضح، لكن البلاء منهم.

قال الله تعالى: ((**إِنَّكَ**)) أي: " **الدين البين فالعاقبة لك بالنصر على الكفار، ثم ضرب أمثالاً لهم بالموتى وبالصم وبالعمي فقال:** ((**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى**))**[النمل:80]** ".

الطالب: نفهم من الآية أن الموتى لا يسمعون؟

الشيخ: ما بعد وصلناها، ما وصلناها الآن ولا وصلنا الفوائد.

طيب يقول: " **ضرب أمثالاً لهم بالموتى وبالصم وبالعمي** "

فقال: ((**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى**))**[النمل:80]** ".

وهذا مثل كما قال المؤلف؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما خرج إلى المقابر يدعو أهل القبور، حتى يقال له: إنك لا تسمع الموتى، وإنما دعا الأحياء.

دعاء الأحياء انقسم الناس في هذه الدعوة إلى قسمين: قسمٌ قبلها واطمئن إليها فهو حي، ولهذا قال الله تعالى في القرآن: ((**لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ**))[يس:70] لا ليتبين أن المراد بالحياة هنا حياة القلب، وحياة الإيمان لا الحياة الجسدية؛ لأن مقابلة الشيء بالشيء تفيد معناه. ((**لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا**))[يس:70] حياة جسم؟

الطالب: لا.

الشيخ: لا. لو كانت حياة جسمٍ لقال: ويحق القول على الموتى، ولكن قال: على الكافرين. وبهذا عرفنا أن كل حياة في مثل هذا السياق فالمراد بالجهة حياة القلب لا حياة الجسم.

الطالب: ....؟

الشيخ: نعم. ((**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى**))[النمل:80] الموتى: جمع ميّت.

والمراد به هنا: ميّت القلب، أو نقول: إن المراد به ميّت الجسد ويكون هنا تشبيهاً. أي: أن هؤلاء الذين تدعوهم ولم يؤمنوا كالموتى، لو أتيت إلى ميت وقلت: يا فلان! اعبد الله وآمن بالرسول عليه الصلاة والسلام واتق الله لا ينتفع ؟ ما ينتفع كالحجر. ولا شك أن الرسول عليه الصلاة والسلام قرر الحق على الذين أُلقوا في قليب بدر وقال لهم: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً.

وقال: (**لستم بأسمع بما أقول منه**) لكن هذا على سبيل التوبيخ لا على سبيل الدعوة؛ لأن هؤلاء مهما كان لا يمكن أن يجيبوا في هذا الحال إجابة دعوة.

ولهذا الكافر ما ينتفع انتفاع ثوابٍ بما يسمع عند قبره من تلاوة أو ذكر لا ينتفع بها، وبه نعرف بدعة هؤلاء الذين ابتدعوا القراءة عند القبور أو على القبور، يظنون أن الميّت ينتفع. فنقول: إنه انتفاع الثواب لا يمكن أن ينتفع انتفاع ثواب.

أما انتفاع تخفيف عقاب، فهذا ربما ينفع لكن لما لم يرد صار من البدع، وإلا فهم يزعمون أن ذلك يخفف العذاب لأن الرسول قال في الجريدتين: (**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**) وقالوا: إن العِلَّة في ذلك أنها قبل اليبس تسبح الله، فيخفف عنه لكونه يُسبّح عند قبره. ولكن هذا ليس بصحيح.

إذاً: ((**لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى**))[النمل:80] يحتمل: أن يراد بالموتى هنا موتى القلوب، وحينئذ فالآية ليس فيها تشكيك، أو أنه موتى الأجسام فيكون هؤلاء مشبهين بالموتى.

الطالب: بعض الناس يقول: إذا قرأت قراءة ... عند قبره يتعذّب به، إن كان عاملاً به ... ومن كان لم يعمل فهو ....

الشيخ: والله ما أعرف في هذا، ما أظن. قال: ((**وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ**))[النمل:80] ولا تُسمع الصُمَّ وإلا الصمُّ؟

الطالب: الصُمَّ.

الشيخ: الصم طيب. أين الفاعل تُسمع؟

الطالب: .... ضميراً.

الشيخ: وجوباً. ((**وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ**))[النمل:80] إذاً: الصمَّ مفعول أول والدعاء مفعول ثاني.

((**وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ**))[النمل:80] يعني: ما تخلي الصمَّ الذين ما يسمعون، ما تخليهم يسمعون دعاءك، والمراد بالدعاء الطلب ما هو بدعاء الله. يعني: لو دعوت أصم وقلت: يا فلان! يا فلان! هل يسمع أو ما يسمع؟

الطالب: لا يسمع.

الشيخ: ما يسمع. وبهذه المناسبة هل تسمع الصمَّ الدعاء هو دعاء الله يعني: أنك إذا دعوت ما يسمعون؟ أو الدعاء طلبهم؟ طلبهم، المراد لو دعوتهم ما سمعوا قال الله تعالى: ((**لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**))[النور:63] يعني: دعوتكم إياه ودعوته إياكم، يشمل الأمرين على القول الصحيح. فالمعنى أن هذا لا تُسمع الصُمَّ الدعاء.

أيضاً إذا كانوا صماً وولوا مدبرين يكون هذا أبلغ؛ لأن الأصم إذا كان مقابلاً لك ربما يفهم الخطاب بحركة شفتيك، لكن إذا ولى مدبراً أبداً لو ترمي المدافع خلفه ما يسمع.

ولهذا قال: ((**وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**))[النمل:80] وهذا غاية ما يكون من البعد من بُعد السمع، والله تبارك وتعالى يبيّن الحقيقة أن هؤلاء حالهم كحال هؤلاء الصم المدبرين؛ ياولد لأن هؤلاء معرضون عن الحق غير قادرين له، فلذلك صار هذا التشبيه بهم من أبلغ ما يكون، فهم صمٌّ غير سامعين، ومع ذلك غير مقبلين؛ لأن الأصم إذا أقبل عليك كما قلت ربما يفهم منك بعض الشيء وإلا لا؟ لكن إذا كان مدبراً ما فيه ... ولا أمل.

وقول المؤلف ((**الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا**))[النمل:80] يقول: فيها [قراءتين] " **بتحقيق الهمزتين** " كيف أقرأها؟ الدعاءَ إذا. " **وتسهيل الثانية بينهما وبين الياء** " يعني: تسهّل الهمزة الثانية حتى تكون بين الهمزة والياء مثل: الدعاء إذا تخليها لا هي بياء خالصة ولا همزة خالصة.

((**إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**))[النمل:80] والتولي هو الإدبار، وعلى هذا فتكون مدبرين حالاً مؤكدة للعامل أو لصاحب الحال؟

الطالب: للعامل.

الشيخ: للعامل، ولّى لأن نفس التولي إدبار، مثلها كقوله تعالى: ((**وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**))[البقرة:60] فمفسدين حال من الواو، وهو مؤكدة للعامل؛ لأن العثو هو الفساد.

هنا ((**إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**))[النمل:80] ولّوا. مدبرين حال من الفاعل، لكن ليست مؤكدة للفاعل؛ لأن تأكيد الفاعل لو جاءت بلفظ أجمعين، فإن الواو دالة على الجمع لو جاءت بلفظ أجمعين صارت مؤكدة، لكن جاءت بلفظ مدبرين فهي مؤكدة للعامل ولّوا.

فيكون هذا فيه حقيقة تأكيدية، التولي والإدبار، مع أن التولي والإدبار لكن قد يكون من المتولي فيه رجاء وأمل يتولى ويلتفت بقلبه إليه، لكن إذا كان مدبراً إدبار جسدي وقلبي، وهو أصم يكون هنا فيه ثلاثة موانع للقبول أو للسماع وهي: الصمم، والتولي، والإدبار ((**إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**))[النمل:80].

((**وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ**))[النمل:81].

الطالب: ....؟

الشيخ: لاهذه نعم، هذه .... والتشبيه يعني: شبههم برجلٍ أصمَّ ولى مدبراً.

الطالب: لا. أنت تقول: صمَّ.

الشيخ: ما هم صم.

الطالب: ...

الشيخ: ((**وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**))[النمل:80] لا. على كل حال يصلح لكن بس هنا كونها تشبيهاً أقرب، وإلا هم يجوز أن نقول: إنهم صم وأنه انتفى السماع عنهم لانتفاء فائدته، يكون هنا نفي السمع عنهم لانتفاء فائدته، والشيء قد ينفى لانتفاء فائدته ((**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ**))[الأنفال:21].

ثم قال: ((**وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ**))[النمل:81].

((**وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ**))[النمل:81] بالكسر، هذه فيها إشكال من الناحية النحوية قال: ((**بِهَادِ الْعُمْيِ**))[النمل:81] ما هاد باسم فاعل؟. واسم الفاعل يعمل عمل الفعل، وهنا ما نسب العمي؟

الطالب: بالإضافة.

الشيخ: بالإضافة. إذاً: هو مضافٌ إلى مفعوله معنى وليس كقوله: .... مضاف إلى فاعله، وهنا مضافة إلى مفعولها. الإشكال الثاني قوله: ((**الْعُمْيِ**))[النمل:81] بالكسر، ونحن قلنا: إن الاسم إذا كان منقوصاً فإنه لا يظهر عليه إلا الفتحة، وهنا ظهرت الكسرة على الياء، ولو كان جمع لا فرق بين الجمع وبين غير الجمع، هذا مثل المنقوص.

الطالب: ... العمي ....

الشيخ: إذاً هذا ليس منقوصاً؛ لأن المنقوص كل اسمٍ معرب آخره ياء لازمه مكسورٌ ما قبلها، وهذه ساكنٌ ما قبلها، إذاً: ليس منقوصاً. ((**بِهَادِ الْعُمْيِ**)) جمع أعمى، ((**عَنْ ضَلالَتِهِمْ**))[النمل:81].

قوله: ((**عَنْ ضَلالَتِهِمْ**))[النمل:81] هي متعلقة بالعمي و إلا بهادٍ؟ بهادٍ بلا شك.

وقال بعضهم: متعلقة بالعمي، وتكون عن هذه للمجاوزة كقوله: ((**وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ**))[هود:53] أي: أنهم عميٌ بسبب ضلالتهم. ولكنه ليس بصحيح بل ((**عَنْ ضَلالَتِهِمْ**))[النمل:81] متعلق بهادٍ، ويصير هادٍ بمعنى صارف؛ لأن الهداية تتضمن أمرين: الصرف عن الضلال، والدلالة على الحق. فيقول: ما أنت بصارف من هؤلاء عن ضلالتهم إلى الحق، لماذا؟

" ((**إِنْ تُسْمِعُ**)) **سماع إفهام وقبول** ((**إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا**)) **القرآن** ((**فَهُمْ مُسْلِمُونَ**))**[النمل:81] مخلصون بتوحيد الله** ".

قوله: ما تُسمع إلا من يؤمن. ((**إِنْ**)) بمعنى ما، ونحن ذكرنا لكم قبل أن إن تأتي لعدة أمور: فتأتي يا احمد إن شرطية.

وتأتي نافية، إذا وقع بعدها إلا.

الطالب: للتوكيد.

الشيخ: للتوكيد، وهي المخففة من الثقيلة. الرابع؟

الطالب: تكون زائدة.

الشيخ: تكون زائدة. الزائدة في قوله:

بَنَـي غُدَانَـةَ مَـا إنْ أَنْـتُمْ ذَهَـبٌ	وَلَا صَـرِيفٌ وَلَكِـنْ أَنْـتُمْ الْخَـزَفُ

قوله: ما إن أنتم أي: ما أنتم، ولهذا قال ابن مالك:

" **إِعْمَالَ لَيْسَ أُعْمِلَتْ مَا دُوْنَ إِنْ مع بقا النفي وترتيب زكن** "

يقصد بإن الزائدة، كما في هذا البيت:

بَنَـي غُدَانَـةَ مَـا إنْ أَنْـتُمْ ذَهَـبٌ	وَلَا صَـرِيفٌ وَلَكِـنْ أَنْـتُمْ الْخَـزَفُ

الطالب: ...؟

الشيخ : لا هذه...كأن المخففة وليست ....نعم

((**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**))[النمل:82].

قبل أن أتكلم على هذا نستنبط من الفوائد ما شاء الله مما قبل من قوله: ((**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**))[النمل:76].

أولاً: في هذه الآية من الفوائد: أن القرآن كلامٌ، لقوله: ((**يَقُصُّ**))[النمل:76] والقصص قول، فالقرآن إذاً قولٌ. ومعلومٌ أن القرآن نزل من الله فيكون قولاً لله سبحانه وتعالى. كما يدل على ذلك سياق الآيات: ((**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ**))[النمل:78] في هذا القول الذي قصّ عليه.

الفائدة الثانية: أنه يجوز أن يُخصَّ طائفةٌ ممن يُخاطبون من أجل إقامة الحجة عليه، فإن القرآن يقص على بني إسرائيل وغيرهم، لكن بني إسرائيل اعتنى بهم هنا؛ لأن الموضوع فيما يتعلق بهم.

الفائدة الثالثة: أنه ينبغي أن يُعتنى بما هو أهم أو بما هو مهم، ويُترك ما لا فائدة منه.

لقوله: ((**أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**))[النمل:76] ولم يقص عليهم جميع ما يختلفون فيه؛ لأن مما اختلفوا فيه ما لا فائدة من ذكره أو ما لا داعي لذكره، وهذه المسألة ينبغي للإنسان أن يعتني بها، بأن يقتصر على المهم أو الأهم، وأن يدع ما لا فائدة منه؛ لأنه إضاعة للوقت وتطويلٌ للكلام بلا فائدة، ومن ذلك ما يوجد بكثيرٍ من التفاسير يذكرون الاختلاف في أمورٍ هي في الحقيقة واحد، تجده مثلاً يذكر الخلاف عن مجاهد ومقاتل وعلقمة وابن مسعود وابن عباس، والاختلاف بينهم إنما هو في التعبير فقط.

فمثلاً: ((**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**))[الإسراء:23] يقول: قال بعض العلماء: قضى بمعنى وصى، وبعضهم يقول: بمعنى عهد، وبعضهم يقول: بمعنى أوجب، وبعضهم يقول: بمعنى ألزم.. هذه لا داعي لها؛ لأن كل هذه الكلمات الأربع مثلاً تدل على معنى واحد.

كذلك أيضاً يذكرون الخلاف بما لا طائل تحته، كما ذكروا الاختلاف في كلب أصحاب الكهف، هو أسود أو أحمر أو أبيض.. وما أشبه ذلك.

وكذلك أيضاً اختلافهم في عدة أصحاب الكهف فإن الله تعالى ذكر الخلاف وأبطل قولين وأقر الثالث.. المهم أن الله يقول بعد ما ذكر القولين وأبطل الثالث: ((**قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا**))[الكهف:22] يعني: لا تتعمق إذا جودلت في هذا الأمر؛ لأنه لا فائدة منه.

فالشيء الذي لا فائدة منه أو فائدته قليلة ويضيع عليك ما هو أهم ينبغي لك تجنبه، وهذا ليتنا نسير عليه في حياتنا كلها لكنا نستوعب الوقت فيما فيه الفائدة، لكن ما أكثر الأوقات التي تضيع علينا، وما أكثر الأقوال التي

تقال ونضيع الوقت فيها. المهم أنه يؤخذ من هذه الآية أنه ينبغي الاعتناء بما هو أهم وترك ما لا فائدة منه؛ لقوله: ((**أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**))[النمل:76].

الفائدة الرابعة: الإشارة إلى الخلاف بين بني إسرائيل: ((**أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**))[النمل:76] والاختلاف رحمة أو شر؟

الطالب: شر.

الشيخ: وأما (**اختلاف أمتي رحمة**) فموضوع لا يصح؛ لأن الله يقول: ((**وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ**))[هود: 118 - 119] لكن لو صح هذا الحديث مثلاً، أو قاله بعض أهل العلم من قوله فالمعنى: أن هذا الاختلاف داخلٌ في رحمة الله وفي سعته بالنسبة للمختلفين. أي: أنهم لا يُعذّبون، وليس المعنى: أن إيقاع الخلاف بينهم من رحمة الله، بل ومن حكمة الله ولكن رحمة الله وسعت فلا يقال مثلاً: إنهم يُعذّبون في هذا الخلاف ، أو إن الواحد المصيب منهم له أجر والباقون محرومون أو ما أشبه ذلك.

الطالب:... هم معذرون ؟

الشيخ: لا لا ليس بصحيح يعني بعض الناس تقول هكذا، ويتخذ من هذا المعنى وسيلةً إلى إدراج الترخّص، ويقول: اختلافهم رحمة بمعنى أنه لي أن آخذ بأحد الأقوال التي تناسبني، ولكن ليس هكذا.

فإذا صدر من قول أهل العلم فإنه لا يصح إلا على الوجه الذي قلت: أن المعنى: أن هذا الاختلاف تحت رحمة الله، فلا يُعذّب أحد عليه.

الطالب: السؤال: يا شيخ! يكون يعني ... الإسلام الانتصار فيه العلماء إلى الآن كظاهرة الأحزاب الموجودة، هل هي موجودة على الخلاف في المصلحة أو لا؟

الشيخ: الجواب: نعم. لكن الحكمة اقتضت بأن الصراع بين هذه الأقوال يتبين به الحق أكثر، ولذلك تجد الإنسان عندما يمر به قولٌ لا خلاف فيه ما يتطلب الأدلة ولا يمرر نفسه عليه، فهذا الصراع بين المتخالفين فيه حكمة، وإلا لو كانوا على قولٍ واحد لكانوا أصلح بلا شك. والآية صريحةٌ في هذا. طيب إذاً يؤخذ من هذا: أن الاختلاف ليس بمحمود.

ثم قال الله تعالى: ((**وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**))[النمل:77]. يستفاد من هذه الآية:

أولاً: بيان مرتبة القرآن وفضله، وأنه هدى ورحمة، ... بالدلالة ورحمةٌ بالعمل به.

الفائدة الثانية: أنه لا ينال هذا الهدى وتلك الرحمة إلا المؤمنون؛ لقوله: ((**لِلْمُؤْمِنِينَ**))[النمل:77].

الفائدة الثالثة: أنه لا معارضة بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ((**هُدًى لِلنَّاسِ**))[البقرة:185] في وصف القرآن ((**هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**))[البقرة:185].

والجمع بينهما: أن الإثبات هنا والإثبات هناك مختلف الجهة، فهناك: ((**هُدًى لِلنَّاسِ**)) بمعنى دليلٌ لهم، فهو دليلٌ لكل الناس، لكن هل من استدل به انتفع به؟ لا. قد يهتدي به وقد لا يهتدي، إنما هو نفسه صالحٌ للهداية لجميع البشر.

الفائدة الرابعة: فائدة الإيمان، لو لم يكن من فوائد الإيمان إلا هذا لكفى، وهو: الاهتداء بالقرآن ونيل الرحمة به.

الفائدة الخامسة: أنه كلما كان الإنسان أقوى إيماناً كان أقوى اهتداءً بالقرآن، وهذا مأخوذٌ من قاعدة مرت علينا وهو: أن الحكم إذا عُلِّق بوصفٍ قوي ذلك الحكم بقوة ذلك الوصف وضعف بضعف ذلك الوصف.

فما دامت الهداية والرحمة معلّقة بوصف الإيمان، فكلما ازداد هذا الوصف ازداد الهدى وازدادت الرحمة.

القاعدة: أن الحكم إذا عُلِّق بوصف فإنه يزيد بزيادته وينقص بنقصانه.

الطالب: الفائدة؟

الشيخ: أين؟

الطالب: ...

الشيخ: فائدة الإيمان؟

الطالب: كلما كان الإنسان أقوى؟

الشيخ: أقوى إيماناً كان أقوى اهتداءً.

((**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ**))[النمل:78].

يستفاد من هذه الآية:

أولاً: أن القضاء موكولٌ إلى الله وحده؛ لقوله: ((**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ**))[النمل:78].

ثانياً: أن كل قضاء لا يستند إلى قضاء الله فهو باطل.

الفائدة الثالثة: إثبات العدل لله سبحانه وتعالى. من أين تؤخذ؟ من قوله: ((**بِحُكْمِهِ**))[النمل:78] فإن إضافة الحكم إلى الله دليلٌ على أنه مشتملٌ على العدل.

الفائدة الرابعة: وهي مستفادة من التفسير أيضاً: أن الحكم هذا يتضمن الحكم الشرعي والحكم الجزائي، فيقضي بينهم بحكمه شرعاً في الدنيا، وبجزائه عدلاً في الآخرة.ذكرنا في درس أمس للإضافة إلى حكم الله فائدتين من يعرفهما؟ الحكم إلى الله فيه فائدتين:

الطالب:...

الشيخ: لا غير هذا فيما إضافته إلى الله سبحانه وتعالى يقتضي أمرين: أحدهما: العدل، والثاني: الإصلاح.

يعني: ما دام حكماً مضافاً إلى الله سبحانه وتعالى وقد عُلم أنه سبحانه وتعالى حكيم، فإن هذا الحكم لا بد أن يكون مناسباً وموافقاً لمحله، وكل حكمٍ وافق محله فهو إصلاح. إن هذا يتضمن العدل والإصلاح.

الفائدة الخامسة: وصف الله تعالى بالعزّة والعلم؛ لقوله: ((**وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ**))[النمل:78].

الفائدة السادسة: قرن العزة مع العلم في هذا الموضع يستفاد منه فائدة مستقلة غير فائدة العزة على حدة والعلم على حدة. يعني: يستفاد من جمعهما فائدة مكونة منه وهي: أن حكم الله سبحانه وتعالى لا بد أن ينفذ لقوله: ((**وَهُوَ الْعَزِيزُ**)) ولا بد أن يكون مطابقاً وصحيحاً من قوله: ((**الْعَلِيمُ**))[النمل:78] لأننا قلنا فيما سبق: إن من كمال الحكم العلم والعزة. العلم ليحكم بالصواب، والعزة لينفذ ما حكم.

وأن خلل الحكم يأتي إما من الجهل وإما من الضعف.. إما لجهلٍ -أي: الحاكم- فيحكم بغير الصواب، وإما لضعفه فلا يستطيع أن ينفّذ. وإلا ؟إذاً: يؤخذ من جمع هذين الوصفين لله سبحانه وتعالى عقب ذكر الحكم: تمام حكم الله؛ حيث كان مبنياً على العزة والعلم، فبالعزة يكون التنفيذ وبالعلم يكون الصواب.

الفائدة السابعة: تقديم الأخص من الأوصاف على الأعم. الأخص يعني معناه: الأنسب للقضية، فهنا قدّم العزة على العلم مع أن العلم سابقٌ عليها في ترتيب الحكم أيهما أسبق؟

الطالب: العلم الأسبق؛ لأن الإنسان يعلم ثم يحكم.

الشيخ: يعلم ثم يحكم ثم ينفّذ، في الترتيب الحكمي؟ العلم مقدّم، لكن هنا قدّم العزة على العلم بالذكر؛ لأن المقصود الأهم في الحكم هو تنفيذه، فكان من المناسب تقديم العزة على العلم.

نظير هذا قوله تعالى عن الملائكة لما قالت لامرأة إبراهيم حينما صكت وجهها وقالت: عجوزٌ عقيم ((**قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ**))[الذاريات:30] فقدّموا الحكمة على العلم، مع أن العلم سابق؛ إذ لا حكمة إلا بعلم لكنه لما كان هذا أمراً خارجاً عن العادة ومستغرباً قدّموا الحكمة ليتبين لها أنه ما خرج ذلك عن العادة إلا لحكمة. هذه فوائد سبع من قوله: ((**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ**))[النمل:78].

قال الله تعالى: ((**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**))[النمل:79].

يستفاد من هذه الآية:

أولاً: وجوب التوكل على الله، وقوله: فتوكل على الله، والأصل في الأمر الوجوب. ومعنى التوكل سبق تفصيله.

الفائدة الثانية: أن بالتوكل على الله سبحانه وتعالى تتوفر الأمور؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام يكابد من عناد بني إسرائيل وغيرهم.

وأمر الله بالتوكل عليه لأن الله ذكر فائدة التوكل في قوله: ((**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**))[الطلاق:3] فبالاعتماد على الله تتوفر الأمور، وباعتماد الإنسان على نفسه يحصل الخذلان ((**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ**))[التوبة:25] مع أن الرسول معهم عليه الصلاة والسلام، ومع أنهم خير القرون، وأفضل أهل الأرض لما قالوا: لن نغلب اليوم من قلّة حصل هذا الأمر. فيتبين بهذا: أن من اعتمد على نفسه في حصول مقصوده أو دفع مضروره فإنه يُخذل، ولهذا أمر الله رسوله في التوكل على الله في هذا المقام مقام النزاع وبيان الحق لبني إسرائيل وهو يكابد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك.

والفائدة الثالثة: تسلية الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: ((**إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**))[النمل:79].

الفائدة الرابعة: شهادة الله تعالى لما جاء به الرسول بأنه الحق؛ لقوله: ((**إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**))[النمل:79].

ومن هذه الفائدة نستفيد فائدة أخرى وهي: الترغيب في سلوك طريق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما دام حقا لأن كل إنسانٍ عاقل يختار الحق على الباطل.

الفائدة الخامسة: فضيلة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث كان مسلكه الحق المبين: ((**إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**))[النمل:79] فهذا من الله وتسلية للرسول عليه الصلاة والسلام وهو يتضمن فضيلة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن الشهادة من الله أنه على الحق المبين.

الفائدة السادسة: أن كل ما خالف ما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام فهو باطل؛ لأننا لو قلنا إنه حق للزم الجمع بين النقيضين، يكون ما كان عليه الرسول حق وهذا حق وهو يخالفه؛ إذ هذا جمعٌ بين النقيضين. إذ لا يمكن أن يكون الشيئان المتناقضان كلٌ منهما حق، لا بد أن أحدهما هو الحق.

ولهذا يقول الله عز وجل: ((**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ**))[يونس:32]، ويقول: ((**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**))[سبأ:24].

وبهذا نعرف أن جميع ما خالف ما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام فهو باطل، وهو في النار كما قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**كلها في النار إلا واحدة**). فإن كانت المخالفة تامة فهو باطل كله، وإن كانت المخالفة جزئية كان فيه من الباطل بقدر ما خالف ما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الفائدة السابعة: ظهور أحقية ما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام، أنه حقٌ ليس فيه خفاء؛ لقوله: ((**الْمُبِينِ**))[النمل:79].

الفائدة الثامنة: أن بيان الحق لا يلزم منه أن يكون بيّناً لكل أحد، فإن الخفافيش تعمى بضياء النهار، فلا يلزم من كون الرسول عليه الصلاة والسلام على الحق المبين ألا يعرض عنه أحد، ولذلك أعقبه بقوله: ((**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى**))[النمل:80] يعني: لا تظن أن هؤلاء الذين أعرضوا أعرضوا لأنك على باطل، بل لعدم قابلية المحل.

وتعرفون أن الشيء وإن كان تاماً إذا لم يجد محلاً قابلاً لم يكن له تأثير، رجل معه سيفٌ ... وحادٌ للغاية، وأمامه عمودٌ من حديد صلب وهو ينتقد ويقول:" **أنا ابن جلا وطلّاعُ الثنايا** ". ويضرب هذا الصلب الحديد بالسيف يريد أن يقطعه، هل ينقطع هذا؟

الطالب: لا.

الشيخ: يرى؛ لعدم قابلية المحل. الآن السبب موجود سيفٌ صارم ورجلٌ شجاع، ورجل يعزز نفسه ويتشجع ويصيح بهذا العمود من الحديد، وطبعاً إذا أراد أن يضرب هذا الحديد يضرب بقوة، ومع ذلك لم يؤثر لأن المحل غير قابل، كما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام من الحق المبين هو حقٌ مبين بلا شك بيّن ظاهر، وعدم سماع هؤلاء له ليس لخللٍ فيه، السلف كان، لكن الخلل في المحل.. غير قادرٍ لهذا الحق. ولهذا ما أحسن هذه الآية بعد الآية التي قبلها

((**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى**))[النمل:80] فلا تظن أنك لست على حق، لكن هؤلاء موتى.هذه ثمان فوائد

((**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ**))[النمل:80 - 81].

في هذه من الفوائد:

أولاً: أن الميت والمراد بالميت هنا ميت القلب، أو الموتى.. موتى الأجسام على سبيل التمثيل لا يسمع، فإذا كان ميّت القلب فالأمر ظاهر أنه لا يسمع سماعاً ينتفع به، وإلا فهو يسمع سماع إدراك لكنه لا ينتفع به.

الفائدة الثانية: استدل بالآية هذه من قال: إن الموتى في قبورهم لا يسمعون.

وهذه المسألة اختلف فيها أهل العلم: منهم من قال: إن الموتى يسمعون ولكن لا يجيبون.

ومنهم من قال: إنهم لا يسمعون ويقبل ما وردت به السنة من سماعهم، لكنه يقصره على ذلك، ويقول فيما عدا ذلك لا يسمع الميت، والسنة وردت بأن الميت إذا دُفن وتولى عنه أصحابه فإنه يسمع قرع نعالهم، السنة وردت فيما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه وقف على أصحاب قليب بدر من المشركين، وجعل يؤنبهم: يا فلان

ابن فلان، يا فلان ابن فلان..! بأسمائهم وأسماء آبائهم هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؛ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً. فيقال للرسول عليه الصلاة والسلام: ما تكلم من قومٍ قد جيّفوا؟ فيقول: لستم بأسمع لما أقول منهم.

فهذا الكلام الآن ولماذا؟ كانت عند الدفن أو عند إلقاء الميت أو تسليمه للآخرة فلا يقتضي أن يسمع كل وقت، ومن العلماء من قال: إنه يسمع كل وقت كشيخ الإسلام ابن تيمية ويستدلون بالحديث الذي رواه ابن عبد البر وصححه وهو: (**ما من أحدٍ يمر بقبر يعرفه في الدنيا فيسلّم عليه إلا رد الله عليه روحه فرد عليه السلام**) فيصححون هذا الحديث، وبعضهم يضعفه ويقول: إنه لا يصح.

ولكن هذا الحديث كان ينبغي أن يكون هو ركيزة لمن يقول: إن الموتى يسمعون، بل إننا نقول: الموتى يسمعون قد نستدل بحديث أصح من هذا وهو ما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه يزور المقبرة ويقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، وتوجيه السلام إليهم في الخطاب يدل على أنهم يسمعون، وإلا لكان يقول: السلام على أهل الديار من المؤمنين ولا يقول: عليكم.

ولو قال قائل: إن هذا من باب قوة الاستحضار. قلنا: قوة الاستحضار لا تحتاج إلى الدنو، ولهذا نحن نقول: السلام عليك أيها النبي وإن كنا بعيدين، ولا يُسن أن نقول الآن هنا: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين. حتى نحضر إليهم. فدل هذا على أنهم يسمعون، يبقى عندنا: إذا كانوا يسمعون فما هو الجواب عن هذه الآية.

((**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى**))[النمل:80] نقول: المراد السماع سماع القبول إذا كان المقصود بالموتى موتى القلوب، أو السماع الذي تحصل به الإجابة وسماع الإدراك الدنيوي، هذا ما يمكن.

يعني: ليس سماع الميت لما يتكلم به الإنسان كإدراك الحي، بل هو سماعٌ ما نعرف عن كيفيته إنما هو سماعٌ لا يمكن أن يجيب، إلا إذا أراد الله تبارك وتعالى إحياءه وتكلم ونطق، فهذا يمكن مثل صاحب البقرة؛ فإن صاحب البقرة ضربوه ببعضها فأحياه الله وتكلم ومات، ولكنه لم يتكلم ولم يجب إلا بعد أن حي حياة دنيوية ثم أماته الله.

الطالب: ....؟

الشيخ: ما أدري.. ما أعرف.

الطالب: حديث ... وجه الدلالة ...

الشيخ: قوله: إلا رد الله عليه روحه فرد عليه السلام.

الطالب: .....

الشيخ: نعم. لكنه كلما سلّم عليه رد عليه وعرفه، إذاً هو يسمع.

الطالب: ما هو بأخص للدعوة.

الشيخ: لا. ما هو بأخص.

الطالب: طيب. قد لا يسلّم هو يتكلم بكلام آخر.

الشيخ: طيب، ما هو المانع؟ وهو على كل حال هم لا يسمعون كل كلام، يعني: ما فيه إلا نمر أنا وإياك في قبر ونحن نتكلم، لا يلزم من هذا أنهم يسمعون، لا يسمعون إلا الخطاب الموجه إليهم، وليس معنى ذلك أنهم يسمعون، وإن كان ظاهر كلام الفقهاء أنهم يسمعون حتى ما لا يخاطبون به.

الطالب: ما يكون مانع أنهم يسمعون الكلام إليهم فقط، وإن كلّمناهم مرة أخرى لا يسمعون.

الشيخ: لا. يسمعون مطلقاً؛ لأن السبب في هذا السماع هو الخطاب خطابنا لهم.

الطالب: السماع هنا توقيفي.

الشيخ: هو توقيفي لكن ما دام الخطاب يسمعون مرة يسمعوه مرة أخرى ما المانع؟

الطالب: طيب. ما يقال المفهوم بأنها يُنزع الرد على السلام؛ لأنها إذا رُدّت لأجل السلام...

الشيخ: نعم هو الظاهر.. هذا هو الظاهر، أنها إذا رُدّت فإنها إذا انتهى السلام لم تسمع. طيب دعنا نقول: كلما خوطبوا رد الله عليهم أرواحهم فسمعوا. بقي أن يقال: هل يسمعون بدون مخاطبة؟

ظاهر كلام الفقهاء أيضاً أنهم يسمعون، ولهذا قالوا: إن الميت يتأذى بفعل المنكر عندهم من قول أو فعل، وعلى هذا على رأي الفقهاء ولا أدري ما مستنده.. على رأي الفقهاء يكونوا يسمعون حتى ما لم يخاطبوا به، وعليه أيضاً يكون الإنسان إذا شرّف القبر بالأحجار التي تلقى عليه أو بالكتابات أو بغير ذلك، فإن الميت يتأذى به؛ لأن هذا من المنكر، تشريف القبر وتمييزه على غيره من القبور هذا منكر ولا يجوز.

فعلى كلام الفقهاء يكون الميت يتأذى بذلك، ويكون هذا الذي أراد تشريف ميّته هو في الحقيقة آذاه.

الطالب:...؟

الشيخ : ما هو صحيح...

على كل حال الفائدة الثالثة أو الرابعة : أن من لم يقبل الحق فهو بمنزلة الأصم الذي لا يسمعه؛ لقوله: ((**وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ**))[النمل:80].

الفائدة الرابعة: أن الجوارح والحواس التي لا يُنتفع بها كالمعدومة أصلاً، وجه ذلك: أن هؤلاء لهم آذان ولهم سمع، لكن لما لم ينتفعوا به صاروا صُمّاً.

الفائدة الخامسة: بيان الشدة في إعراض هؤلاء عن الحق؛ لأنهم صمٌّ مولون مدبرون، وهذا أبعد ما يكون عن السماع، فالأصم إذا كان مقبلاً إليك قد يفهم منك ما يفهمه من الإشارات والحركات، فينتفع بذلك ولو كان

أصم، لكن إذا ولّى مع الإدبار ولّى ببدنه وأدبر بقلبه أو بالعكس، فإن ذلك يكون أشد استحالة في سماعه مما إذا كان أصم مع الإقدام.

وأيضاً في هذا دليل على أن الإنسان والعياذ بالله إذا ولّى مدبراً عن الشرع، فإنه قد يعاقب بالصمم عن سماع الحق؛ بحيث أنه لا ينفعه موعظة ولا نصيحة، وهذا هو الغالب.. الغالب أن الإنسان إذا كان ما عنده إقبال على الحق أن يُحرم الحق، حتى لو تكلم الناس وفعلوا أقاموا الأدلة ما انتفع بذلك.

ونضرب لكم مثلاً الآن بالمرابين والمتحيلين على الربا، هم ما يسمعون المواعظ؟ يسمعونها لكنهم يولّون، يرون أن ما هم عليه لا بد أن يفعلوه، ولذلك ما وفّقوا ليبتعدوا، بل بقوا على ضلالهم، والسبب في هذا: أن ما عندهم أي إقبال من الإقبال الذي ينفعه، فلهذا نقول: إن هذه الآية تدل على أن الإنسان إذا ولّى ودبراً عن الحق فإنه لا يوفق لسماعه.

الفائدة السادسة: أن المعرض عن الحق في منزلة الأعمى، فهنا قال: ((**وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ**))[النمل:81].

الفائدة الثامنة: أن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يملك هداية الخلق؛ لقوله: ((**وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ**))[النمل:81] ولا يعارض هذا قول الله تعالى: ((**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**))[الشورى:52] لأن الهداية المثبتة غير الهداية المنفية.

ما هي الهداية المثبتة؟ هداية الدلالة والعلم والبيان، فالرسول عليه الصلاة والسلام معلم مبيّن، ودال للخلق على الحق، وأما التوفيق لذلك فهو بيد الله، فالجمع بين الهداية المثبتة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والنفي عنه: أن نقول: ما أُثبت للرسول فهو هداية العلم والبيان، وما نفي عنه فهو هداية التوفيق والعمل، ما يستطيع هذا أبداً.

ويستفاد من هذه الآية: أن هؤلاء الجماعة الذين أعرضوا عن الحق قد أُقفلت عليهم طرق الخير، فهم موتى القلوب لم ينتفعوا بقلوبهم صم الآذان لم ينتفعوا بآذانهم، عُمي العيون لم ينتفعوا بعيونهم..

والآيات إما عقلية أو مسموعة أو مرئية: فالعقلية محلها القلب، وقد ينتفى عنهم الانتفاع بها في قوله: ((**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى**))[النمل:80].

والمشهودة في العين، وقد يُنتفى عنهم الانتفاع بها في قوله: ((**وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ**))[النمل:81]. والمسموعة في الآذان، ينتفى عنهم الانتفاع بها في قوله: ((**وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ**))[النمل:80].

فجميع الطرق التي تحصل فيها الهداية في هؤلاء كلها والعياذ بالله مسدودة مغلقة...نرجع للفوائد ...

الفائدة التاسعة أو العاشرة: أن الذي ينتفع بالآيات التي جاء بها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم المؤمنون بها ((**إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا**))[النمل:81].

الفائدة الحادية عشرة: أنه كلما قوي إيمان الإنسان بآيات الله قوي انتفاعه بها؛ لأنه عُلِّق على وصف الإيمان به في هذه الآيات فكلما قوي هذا الوصف قوي الانتفاع.

الفائدة الثانية عشرة: أن الإيمان يستلزم الإسلام، لكن الإسلام لا يستلزم الإيمان؛ قد يكون الإنسان مسلماً وليس بمؤمن، ولهذا قيل عند الرسول عليه الصلاة والسلام عن رجل إنه مؤمن فقال(**أو مسلم**) فدل ذلك على الفرق بين الإيمان وبين الإسلام.

كثيرٌ من الناس الآن ... [انقطاع هنا في الصوت عند الدقيقة 40:25] من المسلمين مسلمون، ولكن ليسوا بمؤمنين، وكثيرٌ من المسلمين مستسلمون وليسوا بمسلمين. فالمسلمون اليوم إما مستسلم، أو مسلم، أو مؤمن.

أقلهم المؤمن بلا شك.

والمسلم المستسلم كثير في البلاد التي غير بلادنا أكثرهم مسلمٌ بمعنى مستسلم هوية فقط، ولهذا يجي أناس من البلاد الأخرى يقولون: ما نعرف نتوضأ ولا نعرف نصلي ولا نعرف أوقات الصلاة، ومع ذلك نقول في الهويّة مسلم.

القسم الثالث: المسلم غير المؤمن، وهذا كثير في بلادنا.. مسلمون لكن ليسوا بمؤمنين.

الدليل على هذا أن الأعمال أو الأخلاق التي عُلِّقت بالإيمان تجدها مفقودة في كثير من هؤلاء (**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**) موجود هذا بكثرة؟

الطالب: بقلّة.

الشيخ: بقلة (**من غشنا فليس منا**) انتفاء الغش موجود بكثرة؟ بقلّة.(**لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه**) بقلّة وقس على هذا. (**لا يدخل الجنة نمام**) هذا موجود النميمة بكثرة. فالمهم أن الإيمان بالنسبة للمسلمين اليوم قليل، والإسلام كثير، والاستسلام أكثر.

الطالب: السؤال: النمام لا يدخل الجنة؟

الشيخ: الجواب: يدخل الجنة؛ لأن المسلم شرعاً لكن ما دخل الإيمان في قلبه، لكن مآله إلى الجنة لكنه له معاص إما على ....

الطالب: ما الفرق؟

الشيخ: الفرق بينهما أن المسلم عنده إيمان، وأما المنافق فليس فيه إيمان إطلاقاً، المنافق قلبه خال من الإيمان والعياذ بالله.

الطالب: السؤال: أرفع من النفاق؟

الشيخ: الجواب: المستسلم أرفع من المنافق؛ لأن المستسلم عنده اتجاه الإسلام حقيقة، لكن ما عنده شيء مثلما عند المسلم الذي ينفّذ الشرائع، يكون غالباً جاهل.

الطالب: السؤال: ...

الشيخ: الجواب: نعم، بمعنى أنه بإيمانهم أسلم، يحقق الإسلام.

...نشوف إذا في فوائد فاتتنا وإلا شيء طيب

الفائدة الثالثة عشرة: قوله: ((**بِآيَاتِنَا**))[النمل:81] يفيد بأن الآيات كثيرة ليست واحدة وهي تنقسم إلى قسمين: آيات كونية وآيات شرعية، فما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب فهو آيات شرعية، وما دلت عليه الحوادث أو ما كان من الحوادث فهو من الآيات الكونية قال الله تعالى: ((**وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**))[فصلت:37] هذه ايش هي ؟كونية. وقال تعالى: ((**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ** ...)) ((**قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ**))[سبأ:43] هذه الآيات الشرعية.

ما وجه كون الآيات بأنها دالة على الله، ما نقول: على خالقها وهي شرعية. دالة على الله.

والآيات الكونية دالة على الخالق من حيث القدرة والحكمة والسلطان ... إلى غير ذلك من معاني الربوبية، الآيات الشرعية دالةٌ على منزّلها من حيث العدل والإصلاح.

لأن جميع الشرائع وليست شريعة الإسلام فقط -الذي أُنزل على محمد- كلها في حالٍ متساو، وكلها تقرر الصلاة، لكن شريعتنا تنفرد على غيرها بأنها تراعي المصالح العامة...

((**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**))[النمل:82].

إذا وقع عليهم القول يقول المفسّر: " **حق العذاب أن ينزل بهم في جملة الكفّار** " وهذا تفسيرٌ منه على أن الضمير في قوله عليهم يعود إلى كفار مكة، ولهذا تابعاً يقول: " **في جملة الكفّار** " لأجل التوطئة لما بعده، ((**أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**))[النمل:82].

ويجوز أن يكون الضمير عائداً إلى جميع الناس أي: إذا وقع القول على الناس، ولا يكون المراد بالقول هنا القول بالعذاب، بل يجوز أن يكون المراد به: القول في انتهاء الدنيا، وتحمل الآية على الدابة التي تنزل في آخر الزمان التي تخرج في آخر الزمان وهي من أشراط الساعة.

وقوله: ((**أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ**))[النمل:82] نكّرها لأنها غير معروفة فكأنها دابةٌ منفردة في نوعها، وقوله: ((**دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ**))[النمل:82] هل هي متعلقة بدابة أو بأخرجنا؟ الظاهر أنها متعلقة بدابة.

يعني: أخرجنا لهم دابة من الأرض لا من السماء.

وقوله: ((**تُكَلِّمُهُمْ**))[النمل:82] يعني: تكلم الناس، والكلام هنا بمعنى الحديث قال: " **أي: تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية** " يجوز أن تكون بالعربية أو بغيرها، على كل حال أنها تكلم الناس بكلامٍ يعرفونه، هذا هو المتبادر من الكلام.

ويرى بعض المفسرين أن المراد بالكلام هنا الجرح، تكلمهم يعني: تجرّحهم، أي: تخمشهم بأبصارها.

قالوا: لأن الكلّم يأتي بمعنى الجرح كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**ما من مكلومٍ يُكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يثعب دماً**) ولكن هذا القول ليس بصحيح؛ لأن الأصل في الكلام هو النطق، ولا معنى لكونها تجرح الناس، لكن تكلمهم بماذا؟

قال: " **من جملة كلامها عنا** ((**أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا** ...))**[النمل:82]** " إلى آخره.

قوله: " **من جملة كلامها عنا** " أي: أنها تقول على لسان الله؛ لأن قولهم: ((**أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**))[النمل:82] لا يستقيم أن يكون من كلام الدابة عن نفسها؛ إذ أنها -أي: الدابة- ليس لها آيات يجب الإيقان بها، وإنما الآيات يجب الإيقان بها لله، ولهذا يقول المؤلف هنا: " **عنا** ((**أَنَّ النَّاسَ**))**[النمل:82] أي: كفار مكة، وعلى قراءة فتح همزة أن تقدر الباء بعد تكلمهم** " أي: تكلمهم بهذا الكلام ((**كَانُوا بِآيَاتِنَا**))[النمل:82].

يستفاد من كلام المؤلف وعلى قراءة الفتح: أن الأصل الذي فسّره بالكسر ((**تكلمهم إن الناس**)) يكون هذا مقتضى الكلام، وعلى قراءة الفتح يكون على تقدير حرف الجر.

أي: بأن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون. وقول المؤلف: إن المراد بالناس كفار مكة. هذا فيه نظر، بل إن المراد بالناس الموجودون في ذلك الوقت، الذين وقع عليهم القول فأُخرجت لهم الدابة في جرف، وأما كونه يقال: أن كفار مكة لا يوقنون، فلا حاجة إلى إخبارهم عنها، اخبار القرآن عنها، أوكد من اخبار هذه الدابة عنها، فكلام المؤلف هنا فيه نظر ظاهر، وليس بصوابٍ أبداً بل هو خطأ، فهي تكلم الناس الذين وقع عليهم القول حين خروجها تحذرهم أن الناس كانوا بآيات الله لا يوقنون.

هذا ما مشى عليه المؤلف وأكثر المفسّرين على أن كلام هذه الدابة: ((**أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**))[النمل:82] ولهذا احتاج إلى تقدير أن...

لكن ابن كثير استبعد هذا القول وقال: إنها تكلمهم تحدثهم بحديث مستقل ما يوجد في القرآن، ويكون قوله: إن الناس. هذا تعليلٌ لقوله: ((**أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً**))[النمل:82].

يعني: ليست الدابة هي التي تقول للناس: ((**أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**))[النمل:82] لأن هذا القول لا يمكن أن تنطق به الدابة؛ إذ أنه لا يصح أن يكون إلا من الله؛ لهذا أنكر هذا القول مع أن ابن جرير رحمه الله تعالى اختاره، لكنه هو على أنه مختصر لابن جرير أنكر هذا، وقال: إنها تكلمهم بكلامٍ لم يُبيّن، وأن قوله: إن الناس أو أن الناس. بالفتح أو بالكسر الجملة تعليل لقوله: ((**أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ**))[النمل:82].

وقوله: ((**بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**))[النمل:82] لا يوقنون يقول: أي: " **لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب** " وتفسير الإيقان بالإيمان فيه قصور لكنه تقريبي؛ لأن الإيقان أبلغ من الإيمان وأخص منه، فهو درجةٌ عالية أعلى من الإيمان، ولهذا يقال: أيقنت بكذا أبلغ من قولك: آمنت به.

وهذه الدابة أولاً نبحث فيها: هل هي الدابة التي تخرج في آخر الزمان والتي ذكرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من علامات الساعة، أو دابة أخرى؟ يرى بعض العلماء: أنها هي الدابة التي تكون في آخر الزمان.

ويرى آخرون: أنها دابة أخرى، ولهذا جاءت في الحديث معرّفة وجاءت هنا منكّرة، فيقال: دابة والله أعلم بها، هل هي التي ستكون من أشراط الساعة، أو أنها دابة مستقلة؟

لأننا لو نعلم أن الحديث بعد هذه الآية لقلنا إن الدابة في الحديث للعهد الذهني يعني: الدابة التي عرفتموها يتحدث الله عنها، وحينئذ تكون الدابة هنا هي الدابة هناك، ولكننا لا نعلم ولهذا التوقف أولى هل هي هي أو غيرها.

ثانياً: هذه الدابة مبهمة من حيث المكان، أخرجنا لهم دابة من الأرض، لكن من أي مكان تخرج؟

وردت أحاديث لكنها ضعيفة أنها تخرج من مكة من أجياد وإلا من الصفا وإلا من مكان آخر.. المهم أنها تخرج من مكة، ولكنها أحاديث ضعيفة لا يعتمد عليها في العقيدة.

ثم هل هي تُخرج حقيقة من الأرض، تنشق عنها الأرض وتخرج سواءً من مكة أو غيرها، أو أن المراد بالإخراج هنا: إبرازها وإظهارها، وأنها دابة كغيرها من الدواب، ثم يتبين فيما يحصل لها من النطق، ويكون هذا كقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس**) لأن السباع في آخر الزمان تكلم الإنس.

هذه أيضاً محل توقف، ولذلك هذه الدابة نكرة لفظاً ومعنى، يعني: نحن ما نعرفها تماماً. يعني: ما وصفت بالقرآن أو بالسنة أوصافاً بحيث يجزم الإنسان بها.

البحث الرابع: هذه الدابة هل هي من جنس الدواب، أو أنها دابة معيّنة على شكل معيّن؟ تكلموا فيها كلاماً طويلاً في هذا، وكلما ذكروا إنما هو مأخوذٌ عن بني إسرائيل ولا يمكن أن يصدّق، غاية ما هنالك أنه يُذكر ويحدّث به ولا يصدّق ولا يكذّب، ولا يُعتمد عليه في العقيدة، ذكروا عن آذانها وذكروا عن عينها وعن رجلها.. أشياء غريبة جداً.

الطالب: مثل الدجال.

الشيخ: المهم أننا نقول: نُبهم ما أبهمه الله ولا نعيّن ما لم يُعينه الله ولا رسوله، وحسبنا أن نؤمن بأنه إذا وقع القول على الناس فسوف يُخرج الله لهم دابة من الأرض تحدثهم، وتكون هذه الدابة آية على أن العذاب قد قرُب وقوعه منه، هذا غاية ما يُستدل عليه من هذه الآية.

إذاً: يكون قوله: أن الناس أو إن الناس. ليس من قول الدابة على هذا التقدير، بل هو من قول الله تعليلٌ لقوله: ((**أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً**))[النمل:82] يعني: يخرجها لأن الناس كانوا.

وعليه فيكون مطابقة هذا التعليل للشرط في قوله: ((**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ**))[النمل:82] يكون مطابقته مطابقة السبب للمسبب إذا كانوا لا يوقنون حينئذ وقع عليهم القول، وحينئذ أُخرجت الدابة.

الطالب: ذكرت أن قوله: ((**أَنَّ النَّاسَ**))[النمل:82] من كلام الدابة؟

الشيخ: نعم.

الطالب: السؤال: وقلتم أنه على لسان الله؟

الشيخ: الجواب: لا. يعني: عن الله، على لسان الدابة.

الطالب: السؤال: طيب. هنا قوله: ((**مِنَ الأَرْضِ**))[النمل:82] يختلف المعنى إذا تعلق بالدابة ...؟

الشيخ: الجواب: نعم يختلف المعنى، إذا قال: أخرجنا لهم دابة من الأرض، يمكن أن يكون ملكاً ينزل ويخرج من الأرض.. ينزل في الأرض ثم يخرج منها؛ لأنه ما عيّن من أين يأتي هذه الدابة، وأما إذا قلنا: دابةً من الأرض فتتعين أن تكون من دواب الأرض.

الطالب: إذاً فنقول مثلاً: ((**أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً**))[النمل:82] يعني: في نفس ...، وأنها تكلمهم بمعنى تكلفهم، ويكون المعنى: أن تخصيص هذا النوع من الدابة ...؟

الشيخ: الجواب: هذا بعيد، وإلا يمكن أن يقال أنهم إذا لم يوقنوا بآيات الله أن الله يسلّط عليهم السباع، السباع تأكلهم وتجرحهم، لكن هذا بعيد ولا رأيت هذا من كلام السلف بل هو من كلام المتأخرين.

قال: ((**تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**))[النمل:82] قوله: ((**بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**))[النمل:82].

المراد بالآيات هنا الكونية والشرعية، لكن الكونية ألم يوقن بها الكفار؟ لكنه إيقانٌ لم ينفعهم، والشيء الذي لا ينفع يصح أن يُنفى لعدم الانتفاع به.

قال: " **وبخروجها –بخروج الدابة– ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يؤمن كافرٌ** " لماذا؟

لأنه قد وقع عليهم القول، وإذا صح هذا التفسير فإن معنى ذلك أن هذه الدابة من أشراط الساعة؛ لأنه لا يكون الأمر كذلك إلا في آخر الزمان بعد أن (**ينزل عيسى ويبقى في الأرض سبع سنين، لا يحصل بين اثنين عداوة ولا شحناء، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قِبل الشام فتقبض نفس كل مؤمن، ويبقى شرار الناس في عقول الطير واحلام السباع**).

إذا كان هذا الذي فهمه المؤلف من هذه الآية بهذا الأمر، فإن هذه الدابة يكون خروجها بعد عيسى ابن مريم؛ لأنه بعد ذلك يقول المؤلف: أنه لا يؤمن كافر ولا يؤمر بمعروف ولا يُنهى عن المنكر.

ولكن موقفي في هذا أن أقول: الله أعلم. يعني: أن هذه المسألة من مسائل الغيب التي يتوقف الإنسان فيها إلا على ما يفيده ظاهر القرآن.

فنقول: إيماننا بهذا أن نقول: إنه إذا وقع القول على الناس باستحقاق العذاب أخرج الله لهم هذه الدابة التي تكلمهم ولا نزيد على هذا، ولا نقول: ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا نقول: إنه لا يؤمن كافر؛ لأن ذلك أمرٌ يحتاج إلى توقيف.

ثم قال: " **كما أوحى الله إلى نوح عليه الصلاة والسلام** ((**أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ**))**[هود:36]** ".

" ((وَ)) **اذكر** ((**يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا**)) **جماعةً** ((**مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا**)) **وهم رؤساؤهم المتّبعون** ((**فَهُمْ يُوزَعُونَ**))**[النمل:83] أي: يجمعون برد آخرهم إلى أولهم ثم يساقون** ".

الطالب:...

الشيخ: ..يجمعون ...قال: " **واذكر يوم** " يستفاد من هذا التفسير أن يوم ظرف وأن عامله محذوف، التقدير اذكر يوم، وهذا الترتيب له نظائر في القرآن ويكون تقديره على هذا كما قدّر المؤلف هنا.

وقوله: ((**نَحْشُرُ**)) بمعنى نجمع. وقوله: ((**مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا**)) الأمة هي القبيلة أو الطائفة الكبيرة من الناس، والفوج أقل منهم، ولهذا يقول المؤلف: وهم رؤساؤهم المتّبعون.

وقوله: ((**فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ**))[النمل:83] من هذه لبيان الجنس أي: فوجاً من المكذبين بآيات الله الكونية والشرعية أو إحداهما. وهم أي الفوج رؤساؤهم المتّبعون، فهم يحشرون فيجمعون، ثم بعد ذلك يوزعون، والوزع بمعنى المنع. أي: يُحبس أولهم حتى يجتمع به آخرهم، ولهذا قال: " **برد آخرهم إلى أولهم** " فيكونون زمرة واحدة.

" **ثم يساقون إلى الله تبارك وتعالى.**

فإذا جاءوا مكان الحساب قال الله تعالى لهم: أكذبتم أنبيائي بآياتي ".

الطالب: ....؟

الشيخ: الوزع بمعنى الجمع من باب الشيء إذا..

الطالب: بمعنى ....

الشيخ: يمكن يأتي بمعنى ...، إلا أن هنا بمعنى الجمع يعني: يجمع الأول إلى الآخر.

قال: " **أكذبتم أنبيائي بآياتي** " المؤلف قال: أنبيائي، يشير بذلك إلى أن مفعول كذّبتم محذوف، وأن بآياتي هذه من أنبيائي، ولكن هذا التقرير لا معنى له ولا داعي له؛ لأن التكذيب دائماً يقع معموله معدّىً بالباء، كذّب بآيات الله، ما هو قال: كذّب أنبياء الله بآيات الله؟ بل كذّب بآياتي، والتكذيب هنا مضمّنٌ معنى الجحد، فعليه نقول: لا حاجة إلى تقدير المؤلف أنبيائي. بل نقول: بآياتي جار ومجرور متعلق بكذبتم.

((**أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي**))[النمل:84] يعني: أنكرتموها وجحدتموها. " **ولم تحيطوا من جهة تكذيبكم بها علماً** ".

" **ولم تحيطوا بها**" ...من جهة تكذيبكم بها علما والإحاطة بالشيء بمعنى إدراكه من جميع الجوانب، وأصله مشتقٌ من الحائط؛ لأنه يحيط بالمكان ، فمعنى أحاط بالشيء: أدركه من جميع جوانبه. المؤلف فسّر هنا الإدراك من جهة تكذيبه أي: أنكم كذبّتم من غير أن يكون لديكم علمٌ بالتكذيب، كذبّتم بلا علم، ولكن يحصل معنى آخر: أنكم كذّبتم بالآيات قبل أن تدركوها، فيكون هذا من البدار بالشيء قبل أن يدركه.

كما قال ابن القيم:

إن البـــدار بـــرد شـــيءٍ لـــم تحـــط	**علمـــاً بـــه ســـببٌ إلـــى الحرمـــان**

الآن لدينا تفسيران: أحدهما: أن قوله: ((**وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا**))[النمل:84] أي: من جهة تكذيبه، والمعنى على هذا: أنكم كذبّتم بدون علمٍ، وهو الذي مشى عليه المؤلف. قال: ((**وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا**))[النمل:84] من جهة تكذيبه. الآن إذا أتاك رجلٌ ذو خبر وقلت: كذبت؛ لأن فلاناً الذي أخبرت به هو موجودٌ عندي في تلك الساعة، الآن كذّبت بعلم أو بغير علم؟

الطالب: بعلم.

الشيخ: بعلم؛ لأنه مثلاً قال لك: إن فلاناً رأيته في بريدة أمس، فقلت له: كذبت، فلان أمس عندي. فهنا كذّبت بعلم، فإذا قال: رأيت فلاناً في بريدة أمس فقلت له: كذبت وأنا ما أدري، فقد كذّبت بلا علم.

الآن المؤلف يقول: من جهة تكذيبكم بها. يعني: أنكم كذّبتم بغير علم.

فيه رأي آخر يقول: لا. ((**وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا**))[النمل:84] يعني: أنكم كذّبتم بها من غير روية ومن غير تأمل، يعني: أنكم رددتموها من أول وهلة، فيكون كقوله تعالى: ((**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ**))[الأنعام:110] الفرق بين المعنيين ظاهر، الفرق بينهما ظاهر والأقرب المعنى الثاني؛ لأن قوله: كذّبتم بآياتي والحال أنكم لم تحيطوا بها علماً أبلى من كونهم كذّبوا بعد أن تروّوا، ولكن لم يجدوا لتكذيبهم دليلاً، فهم كذّبوا من غير تروٍ، بل إنهم في الحقيقة وخصوصاً الرؤساء منهم يعلمون أن ما جاءت به الرسل فهو الحق، ولكن كذّبوا بشيء مثلما قال الله: ((**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ**))[يونس:39] كذّبوا بشيء لم يحيطوا بعلمه، بل من أول وهلة، وهذا أشد في اللوم عليهم، فعليه الاستفهام في قوله: ((**أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي**))[النمل:84] للتوضيح واللوم؛ لأن من كذّب بالشيء بعد دراسته والإحاطة به ثم يتبين له الكذب هذا ما يلام عليه، لكن من كذّب لأول مرة بدون أن يحيط بالشيء علماً، فهو دليل على أنه ليس بقادرٍ إطلاقاً للحق.

قال تعالى: ((**أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**))[النمل:84]. يقول: " **أما فيه إدغام ما الاستفهامية** " أين هو إدغامه؟ في أم التي للإضراب، وأصله أم بمعنى بل، لما أُدغم إحداهما في الأخرى. " **وذا موصول أي: ما الذي كنتم** " ويجوز أن نجعل ذا مركبة مع ما، وتقول: ماذا كلها اسم استفهام، ولكن ليس هذا في كل مكان يجوز هذا وهذا، إنما في مثل هذا التركيب يجوز أن نجعل ماذا اسم استفهام جميعاً، وأن نجعل ما اسم استفهام ولا اسماً موصولاً أي: ما الذي كنتم تعملون؟

وعلى هذا التفسير الأخير: يجب أن نقدّر ضميراً في قوله: تعملون، أن يكون عائداً إلى اسم موصول، وعلى الأول لا حاجة لذلك، ونجعل ماذا مفعولاً مقدماً لتعملون.

الطالب: ....

الشيخ: لا أم منقطعة هنا. يعني: أم لحالها مكتوبة لكن أُدغمت ضمير.

الطالب: .... أمّاذا كنتم ...

الشيخ: لا. هذا كلام لا. هي لا بد من ما اسم استفهام، لكن هل تقدّر ما اسم استفهام وذا اسماً موصولاً وتحتاج إلى عائد يعود على الموصول في تعملون، أو نقدّر ماذا جميعاً على أنها اسم موصول يعني: اسم استفهام.

الطالب: ....؟

الشيخ: لا. أم نقول: أم هذه حرف عطف بمعنى بل والهمزة للاستفهام. نظيرها في القرآن: ((**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ**))[البقرة:219] فيها قراءتان: قُل العفوُ، وقل العفوَ.

كيف نعرب ماذا ينفقون على قراءة الرفع؟

نعرب ماذا على قراءة الرفع؟ نعرب ماذا ما اسم استفهام وذا اسم موصول، صارت ما مبتدأ والذي خبره، والكل منهما مرفوع. ثم يأتي يقول: العفوُ؛ لأن الجواب مطابقٌ للسؤال أي: العفو الذي ينفقون.

أما على قراءة النصب قل العفوَ فيتعين أن تجعل ماذا كلها اسم استفهام، مفعول مقدم لينفقون؛ لأجل أن تكون مطابقة للجواب، لأن الجواب منصوب فيكون السؤال كذلك منصوباً، وهذا هو الذي يبيّن لك الفرق بين الإعرابين، ويسألونك ماذا ينفقون قل: العفو.

نعم. نقول: على هذه القراءة يجب أن نُعرب ماذا اسم استفهام مفعولاً مقدّماً لينفقون؛... لأنا نعرف أن الجواب يكون مطابقاً للسؤال، فإذا كان السؤال منصوباً كان الجواب منصوب. على قراءة الرفع قل العفوُ. نجعل ما استفهاماً مبتدأ، وذا اسم موصول خبره. يعني: ما الذي ينفقون؟ فيكون التقدير: الذي ينفقونه العفوُ وتكون مرفوعة.

الطالب: من الآية إذاً نحتاج إلى ضمير؟

الشيخ: إذا جعلناها اسماً موصولاً، التقدير: ماذا كنتم تعملونه...((**أَمَّاذَا كُنتُمْ**))[النمل:84] ماذا كنتم تعملون يعني: في الدنيا.

فيكون الله تعالى وبّخهم على أمرين: أمر يتعلق بالعقيدة وهو قوله: ((**أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي**))[النمل:84].

وأمر يتعلق بالعمل وهو قوله: ماذا كنتم تعملون؛ لأن ماذا كنتم تعملون هذه استفهام لإنكار ما يعملونه، فيكون في هذا توبيخاً على العقيدة والعمل، وسيكون إن شاء الله فيه فائدة مهمة لمسألة اختلف فيها الأصوليون مبحثها غداً إن شاء الله.

" ((**وَوَقَعَ الْقَوْلُ**)) **حق عليهم العذاب** ((**عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا**)) **أي: أشركوا** ((**فَهُمْ لا يَنطِقُونَ**))**[النمل:85] إذ لا حجة لهم** ".

وقع القول يعني: قول الله بالعذاب، فإن الله تبارك وتعالى يأمر بتعذيبهم إذا لم يجيبوا، وهذا السؤال كما عرفتم ليس سؤال استهتار واستعلام، ولكنه سؤال توضيح وتقرير، حينئذ يقع عليهم القول، وهذا القول الذي وقع عليهم لم يظلموا به، ولكن هم الذين ظلموا، ولهذا قال: ((**بِمَا ظَلَمُوا**))[النمل:85] أي: بسبب، وما هنا مصدرية يعني: أن الفعل بعدها يحوّل إلى مصدر، فيكون التقدير: بظلمهم.. وقع القول عليهم بظلمهم.

وقول المؤلف: " **أي: أشركوا** " ينبغي أن نفسّر الظلم بما هو أعم من الشرك؛ لأن الله سبحانه وتعالى وبّخهم على التكذيب وعلى العمل المنحرف، فيكون الظلم الذي حصل منهم التكذيب والجحد الذي يتضمن الإشراك، وكذلك الفسوق والعصيان الذي حصل منهم كإيذاء الرسل وغير ذلك، فالأصح أن نجعل ((**بِمَا ظَلَمُوا**))[النمل:85] أي: بسبب ظلمهم ومنه الشرك.

((**فَهُمْ لا يَنطِقُونَ**))[النمل:85] الفاء مفرّعة على قوله: ووقع عليهم القول. أي: بعد أن وقع عليهم القول استحقوا العذاب ما يستطيعون النطق. يقول المؤلف: " **إذ لا حجة لهم** ".

وهذا في آخر الأمر؛ لأنهم كانوا بالأول ينطقون ويدافعون، ولكنهم إذا رأوا أن جوارحهم شهدت عليهم حينئذ أمسكوا ما يستطيعون الآن، وإلا يقول الله تعالى: ((**ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**))[الأنعام:23] فهم يقولون لو كنا ما أشركنا، ويقولون أيضاً...: ((**وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**))[الأنعام:27 - 28] فهم يتكلمون ويدافعون عن أنفسهم، ولكن ذلك لا ينفعهم.

((**رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ**))[السجدة:12] فالمهم أنهم يتكلمون، فقوله هنا: ((**فَهُمْ لا يَنطِقُونَ**))[النمل:85] هذا يكون الجمع بينه وبين الآيات الدالة على نطقهم: أن للقيامة أحوالاً؛ لأن يوم القيامة كم مقداره؟ مقداره خمسين ألف سنة، فالأحوال تتغير يكون الناطق فيه ساكتاً، ويكون الساكت

فيه ناطقاً.. وتتقلب الأحوال ((**يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ**))[النور:37] فهم في حالٍ لا ينطقون، وفي حالٍ ينطقون ويدافعون.

ولكنهم مهما قالوا ومهما فعلوا فإن لديهم شهوداً من أنفسهم ((**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**))[النور:24] اللسان ينطق بما قال، واليد تنطق بما فعلت، والرجل تنطق بما فعلت.

وأبلى من ذلك الجلود تشهد بما لمست، فجميع الذي فيه الإدراك والحاسة يشهد على هؤلاء بما فعلوا، فحينئذ ما يستطيعون أن يدافعوا، ما دام أن هذه الأشياء تشهد عليهم، إذاً من يشهد لهم؟ فهم لا ينطقون..

الطالب: يقاس عليه العمل؟

الشيخ: الأعمال؟

الطالب: العمل ....؟

الشيخ: يقاس ماذا؟

الطالب: فيه آيات تدل على أنه ....

الشيخ: ((**وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا**))[الإسراء:97].

الطالب: ....؟

الشيخ: لا. تتغير الأحوال، المتكبرون يحشرون يوم القيامة أمثال الذر يطأهم الناس بأقدامهم، ولكنهم إذا دخلوا النار يصير ضرس الواحد منهم مثل أحد والعياذ بالله.

((**أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ**))[النمل:86].

((**أَلَمْ يَرَوْا**))[النمل:86] الرؤية هنا بصرية أو علمية؟ علمية وبصرية أيضاً، لكن كونها علمية أعم؛ لأن من أبصر الشيء علمه وليس كل من علم الشيء أبصره، فالأعمى يرى الليل يعني: يعلمه، والمبصر يراه بعينه وبصيرته.

والهمزة هنا ألم يروا للتقرير، تقرير هذه الرؤية التي لا ينكرها أحد.

((**أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ**))[النمل:86] فسّر المؤلف الجعل هنا بالخلق فيكون متعدياً بمفعولٍ واحد، ويجوز أن يكون الجعل هنا بمعنى التصنيف. يعني: أنا جعلنا الليل مظلماً ليسكنوا فيه.

ويدل على هذا قوله تعالى الذي بعده ((**وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا**))[النمل:86] ليتصرفوا فيه، ويكون ثلثاً من كل جملة ما دل عليه المذكور في الجملة الأخرى، ويسمى هذا في علم البديع بالاحتباس.

الاحتباس: أن يُذكر في كل جملة ما حُذف من الأخرى مع التقابل.

هنا نقول: ((**أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ**)) مظلماً ((**لِيَسْكُنُوا فِيهِ**))[النمل:86] ... من هذا مظلماً، ذُكر مقابله مبصراً، وحُذف من قوله: والنهار مبصراً ليتصرفوا فيه وذكر في مقابله ليسكنوا فيه، فيكون في الجملة احتباس.

وهذا يكون استفدنا المعنى مع الاختصار، على هذا التقرير الذي ذكرنا: يكون جعلنا ليست بمعنى خلقنا، بل بمعنى صيّرنا تنصب مفعولين: المفعول الأول: الليل، والمفعول الثاني: محذوف تقديره مظلماً.

((**لِيَسْكُنُوا فِيهِ**)) اللام هنا للتعليل، والسكون معناه هو القرار وعدم الحركة، ولذلك كان الليل محل السكون للخلق، ولكنه بإذن الله محل عملٍ لخلقٍ آخرين.

الهوام والسباع ما تعمل إلا في الليل؛ لأنها تختفي في النهار إما خوفاً من الناس، وإما رحمة من الله عز وجل بالخلق؛ لأنه لو كانت هذه السباع وهذه الهوام تظهر في النهار أتعبت الناس، ولكنه والحمد لله ما تظهر إلا في الليل، إذا سكن الناس بدأ عملها بالتناوب، وهذا من رحمة الله تبارك وتعالى بالخلق أن يكون هذا التبادل ليعيش الناس بسلام، حتى هي أيضاً أزين له إذا كان ما تعيش إلا بالليل، آمن لها ما تُعارض.

فهنا المراد بالسكون يعني: الآدميين ومن أشبههم ممن سكونهم الليل، ولهذا كان الإنسان إذا أراد الصحة فليكن الليل سكناً له، ولا سيما أول الليل، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يكره الحديث بعد العشاء، وقد ذكروا أن نوم الليل الساعة منه تقابل ساعات من النهار، هذه الثروة السكونية التي أضعناها الآن بما لا نفع فيه، بل بما فيه ضرر الآن، الآن الناس يعكفون على مشاهدة التلفزيون إلى نصف الليل تقريباً.

بينما في الدول الغربية مع الأسف الشديد الكافرة الملحدة لا يتجاوز الساعة التاسعة من الليل.. الساعة التاسعة مغلق التلفزيون؛ لأنهم يعلمون ....، وعلى عمّالهم، وعلى مثقفيهم، وهم لا يريدون الضرر بالأمة، يقولون: إذا أبقيناه إلى ما بعد التاسعة سهر الناس عليه، وكان في ذلك إنهاكٌ للعمال، وكان في ذلك إهمالٌ للطلبة، فلذلك نحن نغلقه من الساعة التاسعة حتى ينام الناس، وحتى لا نكون نحن تسببنا الناس في إرهاقهم.

وحدثني بذلك عدة أناس من الذين جاءوا في أوروبا، يقولون: ابدا ما يمكن يتجاوز الساعة التاسعة، اللهم ... في الأشياء النادرة، لكن هذا هو برنامجهم.

نحن الآن على .... يقولون إنه يبقى إلى فوق الثانية عشرة يعني: الثانية عشر نصف الليل، أو تختلف الليالي.

أي نعم هذا مع ما يتطلب من الناحية الاقتصادية، كم يستهلك الناس من الكهرباء في هذه الساعة؟ تلفزيوناتهم وكذلك أيضاً في أنوارهم ؛ لأن المكان لا بد له من نور، يستهلك نور، يستهلك كهرباء في التلفزيون.. كم يكلّف العالم؟ وكم يرهق المعدات أيضاً؟

هذا بقطع النظر عن المفاسد الأخرى البدنية، ولكن العبرة بمن بصّره الله تبارك وتعالى، فمثل هذا المسئول الآن صاحب البيت، أنه إذا كانت الساعة مثلاً التاسعة يأمر أهله بالنوم ويغلقه.

الطالب: أو يكسره.

الشيخ: لا. الكسر لا. والنبي عليه الصلاة والسلام كره الحديث بعد العشاء، كوننا نسهر إلى نصف الليل أحياناً أو إلى أكثر ولو .... طارئة؛ حتى تكون العوارض عوارض، بل هي دائماً في الغالب.

هؤلاء الذين يسهرون إلى ما بعد نصف الليل أولاً ربما لا يقوم لصلاة الفجر، وإذا قاموا نصفهم نوم يؤدونها بكل كلف ومشقة، أو أنه لا يمكن في نفس المسجد أو في نفس الصلاة، ثم إذا رجعوا إلى بيوتهم ينامون إلى الظهر. يعني: أول النهار الذي هو محل البركة ومحل العمل يضيّع، والليل الذي هو محل السكون يضيع السكون فيه، وهذا من نقص الوعي في المسلمين.. هذا في الحقيقة يعتبر نقص وعي للمسلمين.

يقولون عن الكفار حدثني واحد قبل أمس، يقول أن هناك عندهم عطلة السبت والأحد، السبت لأجل اليهود والأحد لأجل النصارى، لكن يقول: .... من غروب الشمس وكلٌ في محله، ما يمكن لأجل يكون الصباح وإذا هو مباشر لعمله، ما يمكن يتأخرون، يقول: غريب يعني: العوائل يطلعون يتنزهون في اليومين هذه ...، لكن ما يمكن إذا غابت شمس الاثنين وإذا كل إنسان في محله، يكون متهيئ للعمل.

إذا قارنت حال هؤلاء بحال المسلمين اليوم، مع أن أحوالهم هذه هي التي يجب أن تكون للمسلمين، وجدت هذا السبب الذي جعلنا نتأخر وجعلنا في هذا الذل، وجعل كثير من شبابنا ما هم مقتنعين بأحوالنا. يعني: بعض الشباب الآن المنحرف قد يكون له عذر، يقول: أنتم تقولون الإسلام والإسلام.. أين الإسلام؟ ما فيه مسلم!

ولكن نقول: الذنب ذنب من ينتسبون إلى الإسلام ليس ذنب الإسلام، ذنب من يقولون: نحن أهل الإسلام، وفي أهل الإسلام من لا يعرف أركان الإسلام، قد يقول لي بعض الناس المسلمين الآن بيقولون هم مسلمين، المكتوب على هويتهم مسلم، ما يعرف يتوضأ ولا يصلي، هذا موجود.. ما يعرف يتوضأ ولا يصلي.

إذاً البيئة ما هي معناه؟ معنى هذا أن البيئة ما تتوضأ ولا تصلي، فأين الإسلام من قومٍ لا يتوضئون ولا يصلون.

هذا الذي أخّرنا، ولذلك أنا والله أحب دائماً أن يكون لدى أهل العلم، يعني: تطور في الحركة والعمل...

قرأنا ((**أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا**))[النمل:86] وقلنا أن فيه اختلاف وبينا ذلك، أتذكرون؟

((**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**))[النمل:86] آيات: جمع آية، وهي تدل على أن ما ذُكر فيه عدة آيات منها: إظلام الليل، والسكون فيه، وإبصار النهار، والتصرف فيه. أربع آيات، مع ما تتضمنه أيضاً من آية أخرى تستلزمها، ولهذا جمع فقال: ((**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ**))[النمل:86] فإذا قال قائلٌ: لكم. أين الآيات في الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً؟ نقول:

الطالب:...

الشيخ: السكون في الليل والتصرف في النهار؛ لأنا نحن قلنا: حُذف من النهار ما ذُكر في الليل، وحُذف من الليل ما ذُكر في النهار. يعني: بالمقابلة.

أما الفوائد مما سبق فهي:

أولاً: قال الله تعالى: ((**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**))[النمل:82].

يستفاد من هذا: خروج هذه الدابة إذا وقع القول على الناس، وذلك بأن كفروا وأعرضوا عن دين الله سبحانه وتعالى، أخرج الله لهم هذه الدابة.

الفائدة الثانية: أن هذه الدابة التي ذكر الله مبهمة، فلا تُعلم صفتها، ولا كيف تخرج، ولا من أين تخرج. وما ذُكر من الآثار في ذلك فكلها ضعيفة لا يعوّل عليها، وحسبنا أن نؤمن بما ذكر الله تبارك وتعالى مطلقاً.

الفائدة الثالثة: بيان قدرة الله عز وجل؛ حيث كانت هذه الدابة تكلم الناس بكلامٍ يفهمونه، مع أن الحيوانات تتكلم بكلام لا يفهمه الإنس إلا من علمه الله تعالى منطقها كما في قصة سليمان.

الفائدة الرابعة: بيان حكمة الله تبارك وتعالى في الإنذار، وأنه سبحانه وتعالى ينذر عباده بالآيات الكونية إذا لم تفدهم الآيات الشرعية. وهذا كثير كالكسوف، والزلازل، والفيضانات، والصواعق، والحاصل من السماء بالبرد أو غيره.. كل هذا إنذارٌ بالآيات الكونية إذا لم تُفد الآيات الشرعية.

وقد قيل:

العبـد يُضـرب بالعصـا		**والحـر تكفيـه الإشـارة**

فالمؤمن الواعي الحي يكفيه ما في القرآن من الآيات العظيمة، ولكن المعرض اللئيم لا ينفع فيه إلا العصا.. إلا الآيات الكونية التي تخضعه غصباً عنه، هذا إذا لم يكن أيضاً قلبه ميتاً للغاية، فإن كان قلبه ميتاً للغاية لن تنفع فيه حتى الآيات الكونية ((**وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا**)) ماذا يقولون؟ قطع من العذاب تنزل من السماء ((**يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ**))[الطور:44]، وعاد ((**فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا**))[الأحقاف:24] وفي الوقت الحاضر إذا رأوا هذه العقوبات يقولون: هذا أمر طبيعي، فيضانات طبيعية، براكين .. وما أشبه ذلك من الكلام الذي يدل على موت القلوب.

فإذاً: نستفيد من هذه الآية ((**أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ**))[النمل:82] : إنذار الله تعالى بالآيات الكونية كما هو عادته سبحانه وتعالى.

الفائدة الخامسة: أنه يُعطي سبحانه وتعالى العلم حتى البهائم، هذه الدابة تقول: ((**أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**))[النمل:82] على أحد القولين فيها.

والقول الثاني: أن هذا الكلام من كلام الله –انتهى الكلام على الدابة–، تكلمهم يعني كأنها منهم ثم يعلل الله هذا الإخراج بقوله: ((**أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**))[النمل:82].

الفائدة السادسة: فيه أن عدم اليقين بآيات الله سبحانه وتعالى سببٌ للهلاك، وأنه لا يكفي التردد أو الإيمان الضعيف، بل لا بد من إيقان، فالمتردد بما يجب الإيمان به مؤمن وإلا لا؟ ليس بمؤمن لأنه لم يوقن، فلا بد من الإيقان. وأما التردد والشك حتى مع ترجح ما ذكر الله فإنه لا يفيد الإنسان. يعني: لو أن إنساناً آمن لكن عنده بعض الشك، فإن ذلك ليس بمؤمن؛ لأنه لا بد من اليقين بما يجب الإيمان به.

الطالب: السؤال: قول الله تعالى: ... ما عندهم نوع من الشك؟

الشيخ: لا ما عندهم نوع من الشك، لكن عندهم نوع من الانقياد يعني: ضعف في الانقياد، وعدم علم ما أنزل الله، وأما لو كان عندهم شك ما صاروا مؤمنين إطلاقاً ولا مسلمين أيضاً، فهذا نفي كمال الإيمان لا نفي أصل الإيمان، وأما مع الشك فإن أصل الإيمان لم يوجد.

الطالب: السؤال: الإيمان الاعتقادي؟

الشيخ: الجواب: الإيمان الاعتقادي إذا لم يوجد كاملاً فهو ما ينفع الإسلام. فالإيمان يكون مفقوداً عند الشك فيه، لا بد من الإيمان الجازم، ولهذا من شك فيما وعد الله به ومن شك في أركان الإيمان الستة، وإذا شك في واحدٍ منها فهو كافر، لا بد أن يؤمن ...

الطالب: خبر الله.

الشيخ: فهو كافر أيضاً. يعني: خبر الله يجب التصديق به.

الطالب: هل يمكن أن يؤمن الإيمان كاملاً في جميع أركان الإسلام، يحصل مثلما حصل مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هؤلاء انحراف؟

الشيخ: يكون ما عنده .... في هذا، لكن عنده انحراف سوء تصرف فيما يجب عمله. مثلاً: (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده**) هذا يؤمن الإنسان بالرسول، وبأنه موجود، لكن تنقص محبته للرسول فيكون هنا ينتفى عنه الإيمان يعني: كماله.

وإلا لو يشك هل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق أو ليس بحق ما صار مؤمناً، لا بد أن يجزم جزماً بأنه رسول الله، ثم عاد هل مثلاً يقدّم محبته على محبة نفسه وأهله؟ هذا محل الكمال والنقص.

((**وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ**))[النمل:83] إلى آخره.

في هذا دليل على إثبات الحشر لقوله: ((**وَيَوْمَ نَحْشُرُ**))[النمل:83] لأن هذا على تقدير محذوف، ما هو المحذوف؟ اذكر يوم، لكن اذكره لمجرد العلم أو للعلم والعقيدة؟ للعلم والعقيدة، كل شيء في القرآن ليس يُذكر لمجرد النظر أو لمجرد أن نعلم به، بل هو يُذكر للاعتقاد إن كان عقيدة وللعمل إن كان عملاً.

الفائدة الثانية: أن الله سبحانه وتعالى يحشر من الأمم أفواجاً معيّنة يكونون أمة للباقين لقوله: ((**نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا**))[النمل:83] من كل الأمم فوج، ومن هم هؤلاء الفوج؟ أشدهم على الرحمن عتياً ((**ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِنْ**

كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا))[مريم:69] لأجل والعياذ يخزون خزياً أعظم؛ لأنهم قادة في الدنيا فيكونون قادة إلى النار في الآخرة، ((**يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ**))[هود:98].

الفائدة الثالثة: يستفاد مما قررنا الآن: عظم الإمامة بالسوء، كما أنها أيضاً عظيمة في الخير. فالإمام في الخير له أجر من اتّبعه، والإمام في الشر عليه وزر من اتّبعه.

فالإمامة في الخير أو في الشر هي أمرٌ عظيم، وخير الناس من دلهم إلى الخير، وشر الناس من دلهم على الشر.

الفائدة الرابعة:... قوله: ((**مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا**))[النمل:83] فيه دليل على أن التكذيب بالآيات كفر؛ لأنه يُحشر هؤلاء القوم إلى النار؛ لأنهم يكذبون بآيات الله، والتكذيب بآيات الله سبق أنه ينقسم إلى قسمين: التكذيب بالآيات الشرعية، وبالآيات الكونية.أما التكذيب بالآيات الكونية أقل من التكذيب بالآيات الشرعية.

الفائدة الخامسة: ما يفيده قوله: ((**فَهُمْ يُوزَعُونَ**))[النمل:83] يُجمع أولهم إلى آخرهم، وآخرهم إلى أولهم؛ لأن ذلك زيادةٌ في خزيهم وعارهم والعياذ بالله؛ حيث يعرفون أنفسهم ويُعرفون عند الخلق.

قال: ((**حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**))[النمل:84].

يستفاد من هذه الآية أولاً: إثبات الكلام لله عز وجل؛ لقوله: ((**قَالَ أَكَذَّبْتُمْ**))[النمل:84] وأنه بحرف وصوت؛ لأن الجمل التي هي مقول القول ... وأنه بصوت، ما هو وجه أنه بصوت؟

لأنه لولا أنهم يسمعون لم يكن لهذا فائدة، ولا سماع إلا بصوت.

الفائدة الثانية: توبيخ هؤلاء على تكذيبهم بآيات الله، وتعرفون أن التوبيخ لا سيما في ذلك المقام أشد من وقع السهام؛ لأنه توبيخٌ في مكانٍ يقع فيه الندم والحسرة، لأنه ما يمكن التخلص ولا التكذيب ولا الرجوع عما كان، وهو من أعظم ما يكون من العذاب والعياذ بالله مثل هذا التوبيخ لقوله: ((**أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي**))[النمل:84].

الفائدة الثالثة: أنه يزداد خبث التكذيب إذا لم يحط الإنسان علماً بما كذّب به لقوله: ((**وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا**))[النمل:84] وهذه الجملة محلها من الإعراب أي شيء يا عبد الرحمن...ايش محلها من الاعراب ...

الطالب: حالية

الشيخ : نعم الجملة حالية. يعني: والحال أنكم لم تحيطوا بها علماً.

الجملة إذا صار يصلح قبله والحال كذا فهي جملة حالية. ففيها زيادة توبيخ في كونهم يكذبون من غير أن يحيطوا علماً بما كذّبوا به ((**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**))[يونس:39].

طيب المؤلف فسّر ولم تحيطوا بها علماً على وجهٍ آخر، ما هو الوجه الآخر؟ يعني: كذّبتم بلا علم عن وجه هذا التكذيب.

الفائدة الرابعة: توبيخ هؤلاء على عملهم كما وبّخوا على التكذيب، وبّخوا أيضاً على العمل في قوله: ((**أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**))[النمل:84] وتقدم إعراب أمّاذا وما يجوز فيها من الوجهين.

قال الله تعالى: ((**وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنطِقُونَ**))[النمل:85].

وقع القول يستفاد منه: أن العذاب قد حق على هؤلاء، أو أن المعنى ((**وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا**))[النمل:85] أنه صدق القول عليهم فلم يستطيعوا الجواب، يعني: عما وبّخ بالتكذيب وبالعمل، فقال:

((**وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ**)) أي: ما قيل لهم من هذا التوبيخ صدق عليهم فلم يستطيعوا الدفاع.

بقينا في قوله: ((**فَهُمْ لا يَنطِقُونَ**))[النمل:85] وهذا الوجه لم نذكره بالأمس، لكنه فتح الله به علينا اليوم إن كان حقاً فالحمد لله، وإلا فنستغفر الله.

((**وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا**))[النمل:85] أي: أن هذا القول الذي وبّخوا به صدق عليهم. ولهذا قال: ((**فَهُمْ لا يَنطِقُونَ**))[النمل:85] لأن من وبّخ على أمرٍ لم يقع عليه، يستطيع أن ينطق فيدافع، لكن هؤلاء ما استطاعوا وقوله: ((**بِمَا ظَلَمُوا**))[النمل:85] يستفاد منها إثبات السبب؛ لأن الباء هنا للسببية، وإثبات الأسباب هو مذهب أهل السنة والجماعة، وأن الأمور مقرونة بأسبابها.

يقول العوام: وقد قال الله تعالى: وجعلنا لكل شيءٍ سبباً. صحيح هذا ؟ لا هذا ليس في القرآن، ولكنه كقراءة بعضهم لما ذُكر له الأعراب قال: ألم تسمع قول الله في الأعراب: سود الوجوه إذا لم يُظلموا ظلموا؟ هذا صحيح؟ هذا ليس من قول الله، لكن أحياناً العامة يحملون أشياء يعتقدونها من القرآن، فنحن نثبت الأسباب ولكن ما نقول: أن الله في القرآن ذكر أن لكل شيءٍ سبباً، إنما القرآن مملوء من إثبات الأسباب.

الطالب: ... سورة الكهف.

الشيخ: الظاهر أن آية الكهف حرّفوها .طيب فهمنا من هذا إثبات الأسباب وهو مذهب أهل السنة والجماعة، فهل أحدٌ من أهل البدع يخالفهم في ذلك؟ من؟

الطالب: الأشاعرة

الشيخ: من بعد؟

الطالب: الجبرية.

الشيخ: بالجبرية والأشاعرة ما يثبتون الأسباب، ويقولون: إن فعل الله سبحانه وتعالى بمجرد المشيئة، المعتزلة على العكس من هؤلاء يرون أن الأسباب موجبة، ولهذا يقولون: إن الله يجب عليه فعل الأصلح والصلاح!

الصواب أن نقول: إن المعقول والمنقول يدل على أن الأسباب مؤثرة، ولكن بأمر الله.. مؤثرة لكن بأمر الله.

وكم من سبب كان مؤثراً ثم لم ينفع إذا لم يرد الله تعالى أن ينفّذ هذا الشيء.

الفائدة الخامسة: أن الله تعالى لا يظلم الناس شيئاً ((**وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**))[يونس:44]. فهمتم؟

الثالثة: لقوله: ((**بِمَا ظَلَمُوا**))[النمل:85] يعني: فهذا الأمر الذي نزل بهم بسبب ظلمهم، ولم يظلمهم الله سبحانه وتعالى.

الفائدة الرابعة: أن للناس في يوم القيامة أحوالاً، فهم أحوال مختلفة. من أين؟ ((**فَهُمْ لا يَنطِقُونَ**))[النمل:85] لأن الله ذكر في بعض الآيات أنهم ينطقون ويدافعون، يقولون: ((**وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**))[الأنعام:23]، ويقول تعالى: ((**يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا**))[النساء:42].

فأنت الآن ما يمكن أن تجمع بين الآيات هذه إلا إذا قلت: إن الناس لهم أحوال: حال يمكنهم الكلام، وحال لا يمكنهم فيها الكلام، وبهذا يتآلف القرآن وهو مؤتلف.

((**أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**))[النمل:86].

((**أَلَمْ يَرَوْا**))[النمل:86] في هذا تقرير هذه القدرة الإلهية وهي: جعل الليل مظلماً للسكن والنهار مبصراً للمعيشة. ياولد وهذه النعمة كل يقر بها، ولهذا يقول: ((**أَلَمْ يَرَوْا**))[النمل:86].

الفائدة الثانية: الاستدلال بالشاهد على الغائب، فإن هذا الليل والنهار ما أحد من الخلق يستطيع أن يغير فيهما أقل تغيير، ((**مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ**))[القصص:71]، ((**مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ**))[القصص:72].

فالقادر على هذا التغيير قادرٌ على البعث، الإنسان في الليل يموت يتوفى، ثم يُبعث في النهار ((**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى**))[الأنعام:60] فالقادر على هذا قادرٌ على إعادة الناس بعد موتهم.

الفائدة الثالثة: بيان فضل الله سبحانه وتعالى في جعل الليل والنهار على هذا الوصف.

ظلام للسكنى، وإبصار للعمل، لو كان الدهر كله ظلاماً ما عمل الناس، ولو قُدِّر أنهم رتّبوا أعمالهم لاختلفوا، وكذلك لو كان نهاراً ما سكن الناس، ولو قُدِّر أنهم رتّبوا أوقاتهم وجعلوا مثلاً نصف الوقت سكن ونصف الوقت عمل لم يتفقوا فيه، ولكن من رحمة الله سبحانه وتعالى أنه جعل الليل والنهار ليسكن الناس جميعاً، ويبتغوا من فضله جميعاً.

الفائدة الرابعة: أنه ينبغي للعاقل أن يعتبر بهذه الآيات، وأن الاعتبار بها من الإيمان؛ لقوله: ((**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**))[النمل:86].

الفائدة الخامسة: أن الانتفاع بالآيات بقدر ما مع الإنسان من الإيمان؛ لأنها رُتّبت على وصف، والمرتب على وصف يزيد بزيادته وينقص بنقصانه.

الطالب: ... لو قلنا مثلاً النص .... هو الذي فيه الفائدة، والنص المدرج هو الذي لا فائدة فيه، كما قلنا ذلك في إثبات الأنساب وغيره.

الشيخ: لا ما يصلح؛ لأن هذا الأصل إذا أمكن أن يُجعل الشيء على حقيقته فهو الواجب، وهذا ممكن فلا حاجة إلى التأويل.

الطالب: والأنساب؟

الشيخ: الأنساب ثابت ((**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**))[الطور:21] وهذا في الجنة، إذاً فالنسب ثابت حتى في الآخرة.

الطالب: يرد مثلاً قوله تعالى: ((**فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ**))[المؤمنون:101].

الشيخ: نعم. الأنساب لا تنفعهم، يعني: النفي هنا بنفي النفع؛ لأن النسب ثابت في الدنيا والآخرة كما سمعت، فلذلك احتجنا إلى تأويله.

الطالب: الفائدة ...

الشيخ: الفائدة .... هي الاختصار مع تمام المعنى.

قال الله تعالى: ((**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ**))[النمل:87] القرن، هذه معطوفة على قوله: ((**وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ**))[النمل:83] فيكون من جملة المأمور بذكره، يعني: واذكر يوم يُنفخ في الصور.

والصور يقول المؤلف: " **القرن** " وقيل: إنه البوق. ولا تنافي بين القولين؛ لأن القرن المعوجّ يكون مثل البوق.

ولكن هذا القرن يوافق القرن المعروف في الاسم دون الحقيقة، قد ورد في بعض الآثار أن سعته كما بين السماء والأرض، وهو لا بد أن يكون بهذه السعة والعظمة؛ لأن النفخ فيه ايش يستلزم؟ الفزع والموت، ومثل هذا لو كان صغيراً يفزع الناس ويموتون منه كلهم؟ الجواب: لا.

وأيضاً يُنفخ فيه فتخرج منه الأرواح كلها وتعود إلى أجسامها. إذاً: فهو قرنٌ عظيم ما يعلم قدره إلا الله سبحانه وتعالى.

((**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ**))[النمل:87] قال: النفخة الأولى من إسرافيل، وفيه نفخة ثانية وإلا ؟((**ثم نفخ فيه فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**))[الزمر:68].

وقوله: من إسرافيل بيان للنافخ يعني: الذي ينفخ هو إسرافيل، ولكنه لا ينفخ بإرادته هو بل بإرادة الله.

وإسرافيل هو أحد حملة العرش، وهو أحد الملائكة الثلاثة الذين يستفتح بهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الليل، والثاني جبرائيل، والثالث ميكائيل.

والحكمة من ذلك: أن هؤلاء الثلاثة كلٌ منهم موكلٌ بحياة: فجبرائيل موكلٌ بالوحي الذي به حياة القلوب، وميكائيل بالقطر والنبات الذي به حياة الأرض، وإسرافيل بالصور الذي به حياة الأجساد.

ومناسبة الافتتاح في صلاة الليل ظاهرة جداً؛ لأنه بُعث الإنسان بعد موته أو وفاته بالنوم فهذه حياة، فناسب أن يبتدئ هذه الصلاة التي هي باب الحياة بمن وكّلوا بالحياة، وطبعاً هذا من باب التوكل؛ لأنك تقول: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ... إلى آخره.

الطالب: ....؟

الشيخ: الظاهر في قيام الليل؛ لأنه يفتتح قيام الليل بركعتين خفيفتين، فمعنى ذلك أن هذا ليس منها، ويحتمل أنه في الركعتين، لكن خفتهما يدل على أنها تخفف بأقل ما يمكن.

الطالب: في جميع الركعات؟

الشيخ: لا. في الركعة الأولى فقط.

الطالب: ...؟

الشيخ: نعم. فيه دليل ذكره .... حديث عن النبي عليه الصلاة والسلام.

الطالب: ....؟

الشيخ: هذا ذكره الترمذي لكن في ظني أن فيه ضعف.

قال: ((**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ**))[النمل:87].

((**مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ**))[النمل:87] من العقلاء وإلا غيرهم؟

الطالب: وغيرهم.

الشيخ: وغيرهم لماذا جاءت من؟

الطالب: للتغليب.

الشيخ: تغليباً، ولأن العاقل أشد فزعاً من غير العاقل؛ لأن العاقل يفزع للحاضر والمستقبل، وغير العاقل للحاضر فقط ولا يهمه المستقبل.

ولهذا لو سمعت صدمة دف بالباب قويّة، وعندك صبي كلكم يفزع من هذه الصدمة القوية، لكن الصبي إذا انتهت الصدمة ما صار عنده شيء ...في قلبه ، وأنت تفكّر في المستقبل وتخاف، فلهذا غُلِّب من هنا في جانب الفزع؛ لأن فزعهم أعظم يكون للحاضر والمستقبل.

وهنا قال: ((**فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ**))[النمل:87]، وفي آية في الزمر ((**فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ**))[الزمر:68] فهل هما نفختان فإذا جُمعت إلى الثالثة فإذا هم قيام ينظرون صارت ثلاث نفخات، أو أن نفخة الفزع والصعق واحدة، وأن الناس يفزعون أولاً ثم يموتون فزعٌ يليه الموت؟

لأن الظاهر والله أعلم أنه إذا نُفخ يكون صوت عظيم ممتد، فيفزعون ثم يموتون، مثل الصيحات التي يُصاح بالمجرمين كالتي أخذت ثمود.

هذه المسألة اختلف فيها أهل العلم، فمنهم من يرى أن النفخات ثلاث: نفخة يفزع الناس ويتأهبون ويكونون على حذر، ثم أخرى للصعق فيموتون، ثم ثالثة للبعث.

وقيل: إن نفخة الفزع بعد نفخة الصعق والبعث وأنهم يصعقون، ثم يُنفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يُنفخ ثالثة فيفزعون إلى الداعي، لكن هذا القول ضعيف.

المشهور: القولان السابقان: هل هما ثلاث: فزع، ثم نفخة أخرى فيها الصعق، ثم نفخة ثالثة فيها البعث.

أو هما نفختان: نفخة فيها فزعٌ وصعق، ونفخة فيها بعث. وهذا هو الأقرب؛ لأن حديث أبي هريرة رضي الله عنه يدل على هذا، فإنه ذكر النفختين وذكر أن بينهما أربعين، قيل له: يوم، أو شهر، أو سنة. قال: أبيت. ولم يبيّن لأنه ما يعلم.. سمع من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعين ولا يعلم هي أربعين يوم أو سنة أو شهر.

بعد النفخة هذه التي هي الفزع والصعق يرسل الله تبارك وتعالى مطراً كأنه الطل، والطل تعرفونه: هو الندى الذي ينزل من السماء عند الصحو في الليل، أو أنه الرذاذ الخفيف جداً ((**فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ**))[البقرة:265].

ثم تنبت الأجسام بإذن الله من هذا الماء، تنبت وهي في القبور، فإذا تكامل نباتها نُفخ في الصور النفخة الثانية، وحينئذ تخرج الأرواح وتعود إلى أجسامها، فيخرج الناس من القبور، وليس كما يتوهم بعض الناس أنهم ينبتون على قبورهم، بل هم ينبتون في القبور؛ لقوله تعالى: ((**يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا**))[ق:44] فمعنى ذلك أنهم يخرجون من القبور وهم مسرعون، فهم أحياء، وهذا بعد تكامل أجسادهم في القبور.

ثم إن هذا أيضاً مقتضى القياس في بدأ الخلق؛ لأن الإنسان يتكامل خلقه في بطن أمه، ويخرج حياً، والأرض للإنسان مثل بطن الأم له، والله سبحانه وتعالى حكيم ((**سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**))[الفتح:23]، أفعاله دائماً تكون متناسبة ليس فيها تناقض ولا تنافر.

طيب يقول الله عز وجل: ((**فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ**))[النمل:87] حتى الملائكة يفزعون؟ نعم وكذلك يصعقون، ((**فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**))[الزمر:68] يقول المؤلف: أي: " **خافوا الخوف المفضي إلى الموت كما في آية أخرى فصعق** " فعلى هذا يكون رأي المؤلف

أنهما نفختان: الأولى تتضمن الفزع والصعق.ثم: " **فصعق والتعبير فيه بالماضي لتحقق وقوعه** " أين الماضي يا سعود؟

الطالب: الماضي سبق.

الشيخ: لا. ما زال مع الآية.

الطالب: أعد الآية.

الشيخ: ((**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**))[النمل:87].

الطالب: ففزع.

الشيخ: ففزع، هذه في الماضي، يُنفخ مضارع وليس الكلام في يُنفخ؛ لأنه مضارع للمستقبل، لكن قوله: ففزع ولم يقل: فيفزع. يقول المؤلف: " **لتحقق وقوعه** " والشيء المتحقق الوقوع كالماضي، ولهذا قال الله تعالى: ((**أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ**))[النحل:1] كيف أتى فلا تستعجلوه؟ إذاً ما أتى، ما دام فلا تستعجلوه معناه ما بعد جاء، فعبّر بأتى لتحقق الوقوع، ... فيه أيضاً كأنه يقول فيه شيءٌ حصل.

فهنا ذكر يوم ينفخ بلفظ المضارع لأنه لم يكن، وذكر الفزع الذي يتصف به الناس بلفظ الماضي، كأنه شيءٌ قد وقع بهم.

((**إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**))[النمل:87] ثم عيّن المؤلف هذا المبهم فقال: " **أي: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت** " أربعة هؤلاء.

" **وعن ابن عباس هم الشهداء إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون** " فيكون المستثنى خمسة، هكذا قال المؤلف: وهذا يحتاج إلى توقيف ونص، إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام لا يدري فمن الذي يدري، أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أول من يفيق فيجد موسى عليه الصلاة والسلام آخذاً بقائمة من قوائم العرش يقول: (**فلا أدري أجوزي بصعقة الصور أم هو أفاق قبلي**).

إذاً: الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يدري من المستثنى؛ لأنه جهل أن يكون ممن استثنى الله، ولو كان عنده علمٌ به لعلم مثلاً أن موسى ليس منهم أو أنه منهم، فإذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعلم فغيره من باب أولى، ولهذا الصواب أنه يجب علينا أن نبهم ما أبهمه الله، إلا إذا جاءنا عن الرسول عليه الصلاة والسلام فإن الله يقول: ((**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**))[الجن:26 - 27] وأما إذا ما جاءنا عن المعصوم شيءٌ في هذا، فالواجب علينا أن نبهم ما أبهمه الله.والأمر في هذه المسائل من الخطورة بمكان.

الطالب: حتى آدم يا شيخ؟

الشيخ: حتى آدم، ما نستثني أحداً أبداً إلا من شاء الله، فإذا قال قائل: من الذي شاء الله؟ نقول: الله أعلم، نفهم أن الله سبحانه وتعالى استثنى أحداً قد يكون واحد، وقد يكون ألفاً، وقد يكون ألفين، وقد يكون عشرة آلاف.. ما ندري. إلا من شاء الله.

الطالب: إسرافيل ما يتعين؟

الشيخ: كيف؟

الطالب: يعني هو الذي ينفخ.

الشيخ: ولو ربما ينفخ ويصعق من حين النفخ، المهم ما هنا شيء يمكن أن يتعين أو أن نعينه، إلا بدليل عن معصوم، وهذا أيضاً يجب عليكم في كل شيءٍ أبهمه الله.. كل شيءٍ أبهمه الله ما يمكن أن نعيّن نحن إلا بدليل، بدليل عن الرسول عليه الصلاة والسلام.

الطالب: ....؟

الشيخ: الله أعلم إن صح عن ابن عباس فقد يقول قائل: أن ابن عباس ممن عُرفوا بالأخذ عن الإسرائيليات، فيُخشى أن يكون هذا مما أخذه من بني إسرائيل، وإن كان يُبعد أن يفسّر القرآن بما أخذه عن بني إسرائيل؛ لأن الصحابة عندهم من الورع ما يمنعهم من ذلك.

هذه نقطة يجب أن نتفطن لها: إذا جاءنا عن ابن عباس ونفهم ممن عُرفوا الأخذ عن الإسرائيليات تفسيراً للقرآن بهذا، فإنه قد يُمانع في كونه مردوداً؛ لأن ابن عباس ما يمكن يفسّر كلام الله بما أخذه عن بني إسرائيل وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (**إذا حدثكم بنو إسرائيل فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم**) لأن هذا يقتضي أننا إذا فسّرنا القرآن بما قالوا فقد صدّقناهم، وهذا بعيدٌ من الصحابة أن يفعلوا.

فالإنسان يتوقف فيما إذا جاء تفسير الآية عن ابن عباس وغيرهم من الصحابة الذين أخذوا من بني إسرائيل يتوقف في رده؛ وذلك لهذا الوجه الذي ذكرنا، وإن كانوا إذا ذكروا شيئاً لا يتعلق بالتفسير، كالقصص الذي ما أشار إليه القرآن فهذه يمكن أن يأخذها، أما إذا جعلوه تفسيراً لشيءٍ معين من القرآن كما في هذه الآية فالإنسان يتوقف.

الطالب: ....؟

الشيخ: لا. القصص ما تدخل في هذا.. القصص إذا ما هي في القرآن، لكن لو يفسّر شيءٍ في قصة فهذا هو الذي ذكرنا، لكن قصة مستقلة ما أشار إليها القرآن، هذا يكون على بابه.

الطالب: ....؟

الشيخ: والله ما .... قد يكون، نكله إليك إن شاء الله.

((**إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ**))[النمل:87].

" ((**وَكُلٌّ**)) **تنوينه عوض عن المضاف إليه أي: وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة** ((**أَتَوْهُ**)) " أي: أتوا الله عز وجل ((**دَاخِرِينَ**))[النمل:87]. يقول: " **تنوينه عوض عن المضاف إليه** " ايش المضاف إليه، ايش التقدير؟

الطالب: وكلهم.

الشيخ: وكلهم. إذاً تعويض عن اسم -عن كلمة-، والتنوين -تنوين العوض- يقولون إنه ثلاثة أقسام، وأنتم ملحّين علينا أنا ما نتعدى وندخل في النحو وإلا نحن مبينين وإلا ما هو من شأننا، فتنوين العوض ثلاثة أقسام: عوض عن جملة، وعوض عن كلمة، وعوض عن حرف.

مثل: ((**فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ**))[الواقعة:83 - 84] يكون هنا التنوين عن جملة يعني: حينئذ بلغت، ((**غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ**))[الروم:2 - 4].

ويومئذٍ عوضاً عن جملة وهي: ويومئذ يغلب الروم، عوض عن اسم مثل هذا تنوين كل وبعض، فإنها عوض عن اسم مثل قوله: ((**وَكُلٌّ**)) أي: وكلهم.((**وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ**))[يس:32] أي: وإن كلهم.

((**وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ**))[هود:111] أي: وإن كلهم.

العوض عن حرف: هو الذي يلحق مثل: جوارٍ، وغواش. يقول: أصلها جواري وغواشي فحذفت الياء وعوّض عنها التنوين، وهذا بالحقيقة مسألة التعويض عن الحرف ما له قيمة، المهم الذي يترتب عليه المعنى أو فهم المعنى هو العوض عن جملة أو اسم.قال: ((**وَكُلٌّ أَتَوْهُ**))[النمل:87] أتوا من؟ أتوا الله.

" **بصيغة الفعل واسم الفاعل** " ذكرها باسم الفاعل؟

الطالب: داخرين؟

الشيخ: ((**أَتَوْهُ**))[النمل:87] يقول: " **بصيغة الفعل واسم الفاعل** ".

الطالب: يأتوا؟

الشيخ: لا.

الطالب: كلٌ آتوه.

الشيخ: اسم الفاعل على وزن فاعل آتٍ، وإذا .... بالواو تقول: آتوه.. وكلٌ آتوه.

طيب. كلٌ أتوه هذا الفعل، واسم الفاعل: كلٌ آتوه. طيب. ((**دَاخِرِينَ**))[النمل:87] صاغرين ما هو إعرابه؟ حال، حال من أين؟ اعوذ بالله ...من مفعول أتوه من الهاء.

إذا كان فعلاً واضح أنه حال، لكن كلاً آتوه داخرين كيف تكون حال؟ أين العامل فيها؟ اسم الفاعل.. العامل فيها اسم الفاعل؛ لأن اسم الفاعل يعمل عمل فعله.

وقوله: ((**دَاخِرِينَ**))[النمل:87] أي: صاغرين. في ذلك الوقت حتى الرؤساء، وحتى الملوك، وحتى الأمراء، وحتى الأسياد.. كلهم واحد، كلهم يأتون في حال الصغار، أعظم ملك في الدنيا وأعظم رئيس في الدنيا الذي ما يمشي إلا على الزل وبين يديه وخلفه وعن يمينه وعن شماله خلائق البشر، يأتي يوم القيامة صاغراً، ولكن هذا الصغار بالنسبة لعظمة لخالق ((**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**))[غافر:16]. ثم قد يكون بالنسبة للشخص أيضاً وقد يكون بالنسبة لعظمة الخالق ...

فالخطاب ليس خاصاً بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن هذه الرؤية له ولغيره، والجبال معروفة، والرؤية هنا بصرية قال المؤلف: " **تبصرها** ".

وقوله: " **وقت النفخة** " فيه نظر؛ لأن وقت النفخة لم يكن الناس قد قاموا من قبورهم، ولكنها تراها يوم القيامة، بعد أن يأتي الناس إلى الله تعالى بآخرين.

" ((**تَحْسَبُهَا**))**[النمل:88] تظنها** ". والجملة في قوله: تحسبها في موضع نصبٍ على الحال، ثم إن الرؤية هنا بصرية، والرؤية البصرية لا تنصب إلا مفعولاً واحداً، ومعنى تحسبها أي: تظنها...تعال

" ((**جَامِدَةً**))**[النمل:88] واقفة مكانها لعظمها** ".

وقوله: ((**جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ**))[النمل:88] استعمل الجمود للوقوف بجامع الثبوت في كلٍ منهما؛ لأن الجامد ثابت، والواقف كذلك ثابت، ولكنها قول المؤلف: " **واقفة مكانها** " فيه نظر، إنما تحسبها جامدة أي: واقفة وإن كانت هي تدور، ولهذا قال: ((**وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**))[النمل:88] فتبين بهذا أنها ليست واقفةً في مكانها، ولكنها تُحسب واقفة وهي في الحقيقة سائرة، ولهذا قال: " ((**وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**))**[النمل:88] المطر إذا ضربته الريح أي: تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوي بها مبثوثة، ثم تصير كالعهن، ثم تصير هباء منثوراً** ".

قوله: ((**مَرَّ السَّحَابِ**))[النمل:88] يقول: مطر، وفيه نظرٌ أيضاً.والصواب: أن المراد بالسحاب هذا السحاب المعروف، والمعنى أنها تسير كما يسير السحاب في السرعة، وهي أبلغ من المطر الذي فسّره به المؤلف حيث قال: إنه مثل المطر إذا ضربته الريح، المطر إذا ضربته الريح تجده يزول عن مكانه، ولكنه في الحقيقة ليس كما يتصوره الإنسان من الآية، بل إن الآية على ظاهرها والمراد بالسحاب: هو السحاب المعروف؛ فإنه يمر بسرعة، ثم إن مشابهة الجبال للسحاب أقرب من مشابهة الجبال للمطر، قال الله تعالى: ((**وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ**))[النور:43].

فالصواب إبقاء الآية على ظاهرها بدون تأويل. وقوله: ((**تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**))[النمل:88] السحاب معروف أنه يمر بسرعة، فهي إذاً تقتلع من مكانها، وتكون مثل السحاب هباءً يطير.

ثم يقول المؤلف إنه بعد ذلك: " **تقع على الأرض فتستوي بها مبثوثة** ".

هذا محتمل ما قاله المؤلف، أنها بعد صعودها ومرورها مر السحاب تقع على الأرض ثم تستوي بالأرض، ويحتمل أنها تبقى طائرة ثم تكون هباءً منثوراً، بمعنى: أنها أولاً تضعف حتى تكون كالعهن المنفوش، ثم بعد ذلك تطير من الأرض حتى تمر مر السحاب مشاهدة لها جسمٌ متماسك.

ثم بعد ذلك تكون هباءً منثوراً تتبدد وتتفرق، وذلك من عظم الأهوال يومئذ، فتبقى الأرض بدل ما كانت مرتفعة ونازلة تبقى قاعاً صفصفاً كما قال الله تعالى: ((**لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا**))[طه:107].

قال الله تعالى: ((**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**))[النمل:88].

يقول: " **مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله أي: صنع الله ذلك صنعاً** ". يقول الله تعالى: ((**صُنْعَ اللَّهِ**))[النمل:88].

المؤلف يقول: " **مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله** " أين الجملة؟

الطالب: ((**وَتَرَى الْجِبَالَ**))[النمل:88].

الشيخ: ((**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**))[النمل:88] هذا فعلٌ من الله، هو الذي جعلها تكون على هذه الحال، ولهذا قال: ((**صُنْعَ اللَّهِ**))[النمل:88] فأكّد هذه الجملة بهذا المصدر.

إذاً: إذا كان المصدر مؤكداً لجملةٍ قبله فإنه عند النحويين يجب حذف عامله.

يقول ابن مالك: " **وحذف عامل المؤكد التزم** ".

يعني: أن المصدر إذا كان مؤكداً لجملةٍ قبله فإنه يجب حذف عامله؛ وذلك لأن الجملة التي قبله ما دام هو مؤكداً لها صارت كأنها فعله، فلا يُجمع بين البدل والمبدل.

وقوله: " **أضيف إلى فاعله** " ايش : " **أضيف إلى فاعله** "؟

يعني: المصدر صُنع أضيف إلى الله والله هو الفاعل. والمصدر يضاف تارة إلى فاعله ويضاف تارة إلى مفعوله، تقول مثلاً: عجبتُ من أكلك الطعام، أكل مصدر؛ ياولد لأن الفعل أكل يأكلُ أكلاً، فأكل مصدر مضاف إلى الكاف، الكاف فاعل أو مفعول؟

الطالب: مفعول.

الشيخ: من أكلك الطعام، أنت آكل وإلا مأكول؟

الطالب: آكل.

الشيخ: إذاً فالكاف فاعل، فهو مضاف إلى فاعل والطعام مفعولٌ به، عجبت من أكلك الطعام.

طيب. إضافته إلى المفعول تقول مثلاً: عجبتُ من أكل الطعام من زيد، مضاف إلى ماذا؟

طيب. عجبت من طحن الدقيق من زيد إلى المطحون؛ لأن الدقيق مطحون والطعام مأكول، فهو مضافٌ إلى مفعوله. هنا ((**صُنْعَ اللَّهِ**))[النمل:88] الله تعالى صانع، فيكون هنا مضافاً إلى فاعله.

وقوله: " **بعد حذف عامله** " وجوباً أو جوازاً؟ وجوباً، يجب حذف العامل وجوباً؛ وإنما وجب حذفه لأنه مؤكدٌ للجملة قبله فتكون هذه الجملة بمنزلة العامل أي: بمنزلة الفعل، ولا يُجمع بين البدل والمبدل منه.

" **أي: صنع الله ذلك صنعاً** " وفي إضافة الصنع إلى الله هنا تعظيمٌ لهذا الأمر، وأنه من الأمور العظيمة التي هي من صنع الله تبارك وتعالى، والفوائد إن شاء الله تأتي في الغد.

" ((**الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**)) ((**أَتْقَنَ**)) **أحكم** ((**كُلَّ شَيْءٍ**))**[النمل:88] صنعه** ".

فالله تبارك وتعالى أتقن كل شيءٍ صنعه، ومن جملة إتقانه: أنه حينما كانت الأرض محتاجةٌ إلى هذه الجبال صارت الجبال راسية ورواسي ترسو بها الأرض، وهي أيضاً في نفسها ثابتة، ويوم القيامة تزول الحاجة إليها، بل تقتضي الضرورة زوالها، فتزال هذه الجبال العظيمة وبهذا نعلم أن الله تبارك وتعالى صنع الجبال حين احتاج الناس إليها باقية، ولما زالت الضرورة إليها أزالها الله تبارك وتعالى.

وبهذا نعرف الفائدة و الحكمة في قوله: ((**الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**))[النمل:88] فصار وجود الجبال إتقان، وزوالها يوم القيامة إتقانٌ أيضاً.

وقوله: ((**أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**))[النمل:88] قال المؤلف: " **صنعه** " وينبغي أن لا يُقيّد بقولنا: صنعه؛ لأن الله أتقن كل شيءٍ صنعه وشرعه، والذي أوجب للمؤلف أن يقيد ذلك بقوله: " **صنعه** " لأن السياق في مقام الصنع؛ فلهذا قال: الذي أتقن كل شيءٍ صنعه.

ولكننا نقول: إن الله تعالى لم يقل: الذي أتقن صنعه، ولو كان الله تعالى –والله أعلم– يريد أن يقيد الإتقان بما صنع لقال كما قال: صنع الله. لقال: الذي أتقن صنعه، ولكنه سبحانه وتعالى يبيّن أنه أتقن كل شيء: صنعه أو شرعه، فما صنعه الله من المخلوقات فهو متقن، وما شرعه الله تعالى من الأحكام فهو أيضا متقن ليس فيه خلل.

قال الله تبارك وتعالى في سورة تبارك: ((**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ**))[الملك:3 – 4].

وقال تعالى في الآيات الشرعية: ((**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا**))[النساء:82].

فبين الله في آية تبارك وفي آية النساء، بيّن سبحانه وتعالى أنه متقنٌ لكل ما صنع، ومتقنٌ لكل ما شرع.

((**الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**))[النمل:88].

" **بالياء والتاء** " بما يفعلون وبما تفعلون.

أما على قراءة الياء –بما يفعلون– فيقول المؤلف: " **أي: أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة** ".

ولكن إذا قلنا على قراءة بما تفعلون ويفعلون فالخطاب لجميع الناس، والخبير بمعنى ذو الخبرة، والخبرة هي العلم ببواطن الأمور. وعلى هذا فهي أخص من العلم المطلق.

وإذا كان عالماً بالبواطن فهو عالمٌ بالظواهر أيضاً، فالله تبارك وتعالى عليمٌ بالظواهر وبالبواطن ((**إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**))[النمل:88].

طيب. ما مناسبة قوله: ((**إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**))[النمل:88]؟ لما تحدث الله عنه من صنعه هو. يعني: كان مقتضى السياق ألا تختم الآية بقوله: ((**إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**))[النمل:88] تختم بقوله: إنه عليمٌ حكيم، إنه على كل شيءٍ قدير.. وما أشبه ذلك؛ لقوله: ((**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**))[النمل:88].

وهذا يقتضي أن تُختم الآية بما يدل على القدرة والحكمة، ولكنها خُتمت بما يدل على العلم والخبرة.

الطالب: .... إذا كان الخلاق سبحانه وتعالى .... ما سيحصل يوم القيامة من فزع، فهو خبير ....

الشيخ: يعني: الله أعلم أن الحكمة من ذلك: هو أن قوله: ((**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**))[النمل:88] أنها جملة معترضة بالنسبة للمعنى لا بالنسبة للإعراب، وأن المقام يقتضي الإخبار بأن الله سبحانه وتعالى يعلم ما يفعلون؛ لأن يوم القيامة هو يوم الجزاء، والجزاء مرتبٌ على أي شيء؟ على العلم، فلهذا قال: ((**إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**))[النمل:88] نظيره قوله تعالى: ((**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**))[التغابن:7].

فيكون هنا ذكر العلم بما يفعل الناس في سياق يوم القيامة للإشارة إلى أن هذا اليوم هو يوم الجزاء الذي يجب على المرء أن يعمل له ويحتاط له واضح. طيب. ما هو الإشكال الذي أوردنا هنا وما هو الجواب؟

الطالب: ....

الشيخ: من نفس السياق ..لكن ما هو المناسب الذي يمكن أن تختم به الآية في بادئ الأمر؟

الطالب: بالقدرة.

الشيخ: نعم. فيما يدل على القدرة والحكمة، فقوله: ((**صُنْعَ اللَّهِ**)) هذه الصيغة.

((**الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**))[النمل:88] بالحكمة، فكان بادئ الأمر أن يكون المناسب ختم الآية بما يدل على القدرة والحكمة، لكنها خُتمت بالعلم بما يفعل العباد، فما هو الجواب عن هذا عن العدول عن الأول إلى هذا الثاني؟

الطالب: صنع الله، هذه يدل .... من حيث المعنى، وكان المقتضى أن يختم بجملة تدل على علمه ....

الشيخ: يعني: لما كان التحدث عن اليوم الآخر وهو موضع الجزاء؟

الطالب: يعني: كان مقتضى السياق أن يقدّم ما يدل على علمه في الناس، فيما يفعل العباد.

الشيخ: فيما يفعل العباد، الذي سوف يجازون عليه في ذلك اليوم. ونظّرنا لذلك بقوله...

الطالب:: ((**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا** ...))[التغابن:7].

الطالب: .... يستدلون بهذه الآية على دوران الأرض؟

الشيخ: كما بينا فيما سبق أن هذا ليس بصحيح، الآية في يوم القيامة، أما الآن نرى الجبال نحسبها جامدة وهي لا تمر مر السحاب؛ لأن السحاب يمر من فوق وهي ثابتة في الأرض.

الطالب: التقديرين للآية ما يقدح ...؟

الشيخ: أيهم؟

الطالب: التقدير بالنسبة للآية هذه.

الشيخ: ختم الآية بهذا؟

الطالب: لا. كونه يقول له: جملة معترضة وكان الأنسب ...

الشيخ: لا. الآن جملة معترضة من حيث المعنى، بمعنى إن الله لما ذكر سبحانه وتعالى حال الجبال يوم القيامة وقال أنها ستدور، ثم ذكر أن هذا من صنعه تبارك وتعالى، وأن ذلك غاية الإتقان حيث كانت ثابتة ثم لما زالت الحاجة إليها أُزيلت، ذكر فيما بعد ختم الآية بما يكون تحذيراً للناس من أن يعملوا ما يخالف أمر الله سبحانه وتعالى.

الطالب: في القرآن المعروف من معانيه كلها متناسقة.

الشيخ: معلوم، لكن هنا تناسق في بادئ الأمر، وهنا تناسق ما يظهر إلا بالتأمل ((**إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**))[المائدة:118] ما هو مقتضى السياق؟

الطالب: أنت الغفور.

الشيخ: فإنك أنت الغفور الرحيم، ومع ذلك ما صارت على هذا، قال: ((**فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**))[المائدة:118] وعدة آيات من هذا النوع، يتوقع الإنسان أن تختم الآية بكذا ثم تختم بكذا، فتكون في ظاهر الأمر مخالفة لمقتضى السياق، ولكنه عند التأمل يتبين للمرء أن الحكمة هو أن تكون على هذا الوجه.

الطالب: كيف يوم القيامة يعني: يراها متكاملة، جامدة ..... يعني: حسب نظر الإنسان جامدة وهي تمر؟

الشيخ: نعم. وهي تمر مر السحاب.

الطالب: يعني: الإنسان ما يشعر؟

الشيخ: نعم. ما يشعر بمرورها.. لا يشعر بمرورها لكنها تمر.

الطالب: .... أن الله ذكر القدرة، ذكر ... ويذكر بعدها القدرة؛ لأنه بيّن العلماء قدير لا يعجزه شيء، حكيم لا يضع العذاب إلا في موضعه، وخبير في أفعاله فلا ....

الشيخ: المهم على كل حال أن ختم الآية بهذا؛ لأن هذه الأمور تكون يوم القيامة الذي هو موضع الجزاء، والجزاء إنما يكون على الفعل.

الطالب: .... وهنا جامدة.

الشيخ: نحن قلنا لها أحوال، أحوال تتطور، تكون كالعهن المنفوش، ثم تمر مر السحاب، ثم تكون هباءً منثوراً وتزول بالكلية.

قال: ((**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا**))[النمل:89].

((**مَنْ جَاءَ**)) من شرطية، وجاء هي للشرط، وجملة ((**فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا**))[النمل:89] جواب الشرط.

وقوله تعالى: ((**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ**))[النمل:89] ما قال من فعل الحسنة، بل قال: ((**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ**))[النمل:89] لأن الإنسان قد يفعل الحسنة في الدنيا ولكنه لا يأتي بها لوجود ما يسقطها فتزول، ولكن الشأن كل الشأن في أن يأتي بها يوم القيامة.

وقوله: ((**بِالْحَسَنَةِ**))[النمل:89] الظاهر أن المراد بها الجنس وليس المراد بها العهد، ولكن المؤلف فسّرها على أن المراد بها العهد فقال: " **أي: لا إله إلا الله** " فجعل الحسنة حسنةً معيّنة معهودة وهي: لا إله إلا الله، ولكن الصواب بلا شك خلاف كلام المؤلف، وأن المراد بالحسنة الجنس. أي: أيّ حسنة يأتي بها الإنسان فله خيرٌ منها. ولهذا جاء في الحديث الصحيح: (**من همّ بحسنةٍ فعملها**) بحسنة نكرة يشمل جميع الحسنات فله خيرٌ منها. وقول المؤلف: " **يوم القيامة** " متعلق بجاء.

يعني: من جاء يوم القيامة بالحسنة. " ((**فَلَهُ خَيْرٌ**)) **ثوابٌ** ((**مِنْهَا**)) **أي: بسببها وليس للتفضيل إذا لا فعل خير منها** ".

هذا غريب، اقرأ الآية ((**فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا**))[النمل:89] يقول المؤلف المراد بالخير هنا: الثواب. يعني: ما يقابل الشر. ومنها ليست من المتعلقة باسم التفضيل ، ولكنها للسببية أي: فله ثوابٌ بسببها، وهذا تحريفٌ ظاهر للقرآن.. تحريف ليس هذا معناه، بل خيرٌ منها يعني: أفضل منها؛ وذلك بالمضاعفة.

أنت إذا أعطتني ريال وقلت: سأعطيك خيراً منه وأعطيتك ريالين، صار خيراً منه أو لا؟ خيراً منه.

إذاً: ((**فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا**))[النمل:89] أي: أفضل منها، فهو يأتي بواحدة ويُعطى عشراً إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعافٍ كثيرة. وأما تعليل المؤلف لمنع أن يكون المراد بالآية التفضيل بقوله: " **إذ لا فعل خيرٌ منها** " فنقول:

نعم، الحسنة حسنة بلا شك وهي خير، لكن ليس المراد هنا فله فعل خيرٍ منها، بل المراد الثواب والجزاء، والجزاء ليس بفعلٍ للعبد، ولكنه من الله عز وجل يجزي به العبد.

فتعليل المؤلف إذاً عليل بل ميّت ليس فيه روحٌ إطلاقاً؛ لأنه ليس المقام هنا مقام مقابلة حسنة بحسنة من العبد، وإنما المقام مقام جزاءٍ من الله، والله تعالى يجزي العبد بخيرٍ من فعله وأفضل.

" **وفي آية أخرى** ((**عَشْرُ أَمْثَالِهَا**))**[الأنعام:160]** ".

إذاً يا أخي هذا يرد عليه ((**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**))[الأنعام:160] يصلح ((**فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**))[الأنعام:160] عشرٌ بسببها؟ هذا يرد عليه في الحقيقة.

فالآية التي أشار إليها تفسّر هذه الآية التي ذكرها الله ((**فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا**))[النمل:89] إذاً: ((**عَشْرُ أَمْثَالِهَا**))[الأنعام:160]، وفي الحديث: (**إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعافٍ كثيرة**).

والغريب أن التفسير الذي نحى إليه المؤلف لا يكاد أحدٌ يفهمه أبداً، كل من قرأ القرآن لفظ عام ايش يفهم من قوله: ((**فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا**))[النمل:89]؟ يفهم جزاء أفضل منه وأكثر، وليس يفهم أن المعنى فله ثوابٌ بسبب هذه الحسنة، أبداً ما يفهم هذا، وإنما يفهم أن الثواب أكثر وأعظم وأفضل من العمل.

((**فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ**)) أي: " **الجاءون بها** ((**مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ**))**[النمل:89] بالإضافة وكسر الميم** " من فزع يومئذٍ. ((**مِنْ فَزَعٍ**)) فزع مضاف ويومِ مضاف إليه، ويوم مضاف وإذ مضاف إليه، وإذ مضاف والجملة محذوفة مضافٌ إليه. فيكون عندنا ثلاثة إضافات: فزع مضاف ليوم، ويوم مضاف لإذ، وإذ مضافة للجملة المحذوفة.

((**مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ**))[النمل:89] الفزع بمعنى الخوف، ولكنه ليس مجرد خوف، بل خوفٌ بقلقٍ وحركة واضطراب، ولهذا يقال: فزع الرجل ما هو مجرد أنه يخاف، ... قلقاً ثم يحاول مثلما نقول نحن في اللغة العامية: يفزّ من الفزع، فهم من هذا الفزع، وكلمة فزع مفرد مضاف فيعم كل ما يحصل به الفزع؛ لأنه حقيقة يوم القيامة فيه أفزاع عدة أسباب للفزع كأخذ الكتب بالشمال أو باليمين، وكذلك أيضاً دنو الشمس، وكذلك الميزان، وكذلك الحوض المورود.. وغير ذلك. كذلك أيضاً ينادى على الظالمين هؤلاء الذين كذبوا على الله.. وما أشبه ذلك.

كل هذه التي تثير المرء وتوجب الفزع، لكن هؤلاء الذين يأتون بالحسنة ((**مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ**))[النمل:89] وأضاف الفزع إلى يوم القيامة؛ لأنه فزعٌ لا نظير له في الدنيا، وعلى قراءة أخرى .... وفي أخرى " **بفتحها وفزع منوناً وفتح الميم** "... عندكم وفتحها بالإضافة وكسر الميم وفتحها.

إذاً: قراءتان بالإضافة فيها [قراءتين]: ((**مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ**))[النمل:89]، ومن فزع يومِئِذٍ، هذه قراءتين على الإضافة، والثالثة " **وفزعٍ منوناً وفتح الميم** " ((**مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ**))[النمل:89] أرجوا أن تنتبهوا للقراءات، فالقراءات كم صرن؟

الطالب: ثلاث قراءات.

الشيخ: فزع يومِئِذٍ ولا إشكال فيه، فزعٍ يومئذٍ ولا إشكال فيه أيضاً، فزعِ يومئذٍ بالإضافة فيها إشكال؛ حيث كانت يومَ بالفتح مع أنها مضافة، فيقتضي على هذا أن تكون مجرورة.

نخرّج هذا على واحد من أمرين: إما أن نجعلها مبنية على الفتح. يعني: فزع مضاف ويوم مضافاً إليه بالفتح محل جر.

أو نقول: من فزع في الأصل منونة حُذف التنوين تخفيفاً، وعلى هذا فتكون يوم مفعول يعني ظرف زمان كما هي على قراءة التنوين ((**فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ**))[النمل:89]. بالنسبة للمعنى أيهن أبلغ ((**مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ**))[النمل:89] أو من فزعِ يومِئِذٍ آمنون؟

الطالب: الأخيرة.

الشيخ: الأخير يدل على العموم من فزعِ يومِئِذٍ. كل فزع في ذلك اليوم وهم آمنون منه، وعلى قراءة ((**فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ**))[النمل:89] يعني: هم آمنون من فزعٍ في ذلك اليوم.

الطالب: فزع واحد.

الشيخ: وهو يقتضي أن يكون فزعاً واحداً إلا إذا قلنا إنه على تقدير من كل فزعٍ.. من فزعٍ أي: من كل فزعٍ آمنون، فتوافق القراءة الأولى التي هي بالإضافة ولكن القراءة بالإضافة أحسن؛ لأنها لا تحتاج إلى تأويل.

وقوله: ((**آمِنُونَ**))[النمل:89] آمنون من الفزع. هل المعنى أنهم لا يفزعون، أو أنهم يفزعون لكنهم آمنون؟

الطالب: هذا الذي يظهر.

الطالب: الأخير تؤيده السنة.

الشيخ: كيف السنة؟ ما هي السنة؟

الطالب: هو إذا كان الأنبياء في يوم القيامة يفزعون ... الله ... سواهم من باب أولى في العامة.

الشيخ: وكذلك على أحد التفسيرين اللذين أشرنا إليهما في قوله: ((**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ**))[النمل:87] من هذا الفزع بعد القيام؛ لأن بعض العلماء يرى أن النفخ يكون بالصعق والبعث

نفختين، ثم النفخة الثالثة للفزع بعد البعث، ولكن هذا سبق أنا قلنا إنه مرجوح، وأن الصواب أن الفزع هو الذي يكون فيه الصعق.

الطالب: ... المؤلف لكنه قال: الحسنة ... لا إله إلا الله، ولا فعل .... لا إله إلا الله.

الشيخ: كيف؟

الطالب: المؤلف لما قال: الحسنة لا إله إلا الله ((**فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا**))[النمل:89] يقول: لا خير من إله إلا الله.

الشيخ: يمكن هذا بناءً على تفسيره، لكن هذا خطأ، ما نفسر القرآن بشيء لا يدل عليه. إذاً: هم آمنون من الفزع، يحتمل أن المعنى أنهم لا يفزعون إطلاقاً، ويحتمل أنهم يفزعون ولكنهم آمنون، فيكون هذا الفزع مجرد شعورٍ بما يُفزع منه فقط وليسوا يخافون منه.

ثم قال: " ((**وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ**))**[النمل:90] أي: الشرك** " مثلها من جاء نقول فيها كما قلنا في قوله: من جاء بالحسنة؛ لأن الإنسان قد يعمل السيئة ولكنه لا يأتي بها، حينما هو لا يأتي بها يتوب منها أو تكون له أعمال صالحة تكفّرها أو ما أشبه ذلك.

الطالب: أو لمجرد المشيئة؟

الشيخ: لا. مجرد المشيئة الغالب أنه تُغفر يوم القيامة.

الطالب: يوم القيامة.

الشيخ: لا. هنا يقول..

الطالب: هو ما جاء به.

الشيخ: إلا جاء به، لكن غفرت، ولهذا يقرر بذنوبه ثم يقال: غفرناها لك.

وقوله: " **أي: الشرك** " فيه نظر، وإنما حمله على ذلك تفسيره الحسنة بأنها لا إله إلا الله وهو تأويل، فقال: " ((**وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ**))**[النمل:90] أي: الشرك** ". ولكن الصواب: أن المراد بالسيئة هنا الجنس، فيشمل كل سيئة.

((**وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ**))[النمل:90] " **بأن وليتها وذكرت الوجوه لأنها موضع الشرف من الحواس فغيرها من باب أولى** ".

الذي أوجب للمؤلف أن يحمل السيئة على الشرك جواب الشرط ((**وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ**))[النمل:90] فيقول: إن هذا لا يكون إلا للكافرين، وهذا فيه نظر أيضاً؛ لأن من جاء بالسيئة ولو دون

الشرك، فإنه إن لم يُغفر له يُكب في النار، ولكنه يعاقب على حسب ذنوبه، ثم بعد ذلك يخرج منه إما بشفاعة وإما بانتهاء جزائه إذا لم يشفع له.

فالحاصل: أنا نقول: إن قوله: ((**فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ**))[النمل:90] لا يلزم منه الخلود، هل يلزم من ذلك الخلود؟ لا يلزم منه الخلود، بل قد تُكب وجوههم في النار ثم ينجون.

فإذا قال قائل: كُبّت وجوههم في النار إذا كانوا عصاة فإن موضع السجود لا تأكله النار.

قلنا: إذا كُبّ على وجهه أصابته النار إلا موضع السجود، وهذا لا يمنع أن يُكب على وجهه وتحمى مواضع السجود من النار. وقوله: ((**فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ**))[النمل:90] الفاء هنا هو لها محل؟

الطالب: ....

الشيخ: طيب. ما هي بجواب الشرط هذا ماضي؟ كان مقتضى الأمر أن يقول: ومن جاء بالسيئة كُبَّت؛ لأن في هذا الشرط إذا كان ماضياً وجوابه إذا كان ماضياً ما يحتاج إلى الفاء.

الطالب: لأنه ماض ... على مضارع؛ لأنه بما أنه ثبت وقوعه عُبِّر بالماضي.

الشيخ: يقولون: إن الفاء تدل على تقدير قد. يعني: فقد كُبّت وتكون دالة على تحقيق هذا الأمر؛ لأن قد للتحقيق، ولكنه حذفت لفظاً وأشير إليها معنى، فالفاء تشير إلى قد، وحذفت لفظاً لأن قد للتحقيق والمسألة لم تقع، فكان في تحقيقها بقد وهي لم تقع نوع من التناقض، فلذلك حُذفت بلفظٍ وأشير إليها بالمعنى بالفاء، وتعلمون أن جواب الشرط إذا اقترن بقد يجب أن يكون مقروناً بالفاء

اسميةٌ، طلبية، وبجانب، وبنا، وقد، وبلم، وبالتنفيس. سبعة مواضع إذا كانت جواباً للشرط وجب اقتران الفاء بها والله أعلم.

الطالب: ....

الشيخ:....

الشيخ: قوله تعالى: ((**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ**))[النمل:87]

من فوائد هذه الآية: إثبات النفخ في الصور، ولم يعيّن الله تبارك وتعالى النافخ ولكنه جاءت به السنة، وأنه إسرافيل أحد حملة العرش.

ثانياً من فوائدها أيضاً: أن هذا النفخ عظيم؛ لأنه ينتج الفزع ((**فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ**))[النمل:87] لو أن قنابل فُجّرت بمكان مهما بلغت قوتها تفزع من حولها، ولكنها لا تفزع أهل الأرض كلهم

ولا أهل الأرض وأهل السماوات. وهذا النفخ يُفزع أهل السماوات وأهل الأرض ((**مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ**))[النمل:87]. فيدل ذلك على عظمة هذه النفخة، ولذلك قال الله تعالى: ((**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ**))[الحاقة:13] أكدها بواحدة؛ ليتبين أنها عظيمة ما تحتاج إلى إعادة وتكرار.

الفائدة الثالثة: أنه لا يفزع جميع من في الأرض ومن في السماوات، بل يبقى من لا يفزع بمشيئة الله؛ لقوله: ((**إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**))[النمل:87].

وهل هذا المبهم في الآية معلومٌ لنا؟ لا. الصحيح أنه ليس بمعلوم، ولذلك أشكل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل كان موسى ممن صعق أو ممن استثنى الله، فدل هذا على أنه ليس معلوماً للناس من هم المستثنون، وهذا يرجع إلى كمال ربوبية الله سبحانه وتعالى.

الفائدة الرابعة: كمال الربوبية والسلطان لله عز وجل في قوله: ((**إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**))[النمل:87] ووجه ذلك أن العظيم إذا أبهم ما يتصرف به، دل هذا على أنه لا معارض له، وأن سلطانه تام.واضح ؟

يعني: كأنه لا أحد يسأله من هذا الذي لا يفزع ومن هذا الذي يفزع، وذلك دليلٌ على كمال السلطان والعظمة. قال الله عز وجل: ((**لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**))[الأنبياء:23] وذلك لكمال سلطانه وحكمته.

الطالب: ...؟

الشيخ: المتعلق بالعرش.

الطالب: هل هذه النفخة متعلقة بالعرش؟

الشيخ: النفخة هذه لما قلنا: إنه من في السماوات ومن في الأرض كلها، والمتعلق بالعرش هو في السماوات، وهذه النفخة نفخة الفزع هي المقدمة لنفخة الصعق، يفزعون ثم يصعقون، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: (**لا أدري أجوزي بصعقة الصور أم أنه ممن استثنى الله**).

الطالب: موسى ما هو في الأرض. يعني: ما في الأرض.

الشيخ: يعني ما في الأرض ودفن في الأرض.

الطالب: ودفن في الأرض، فإذا نهض يعني: يكون في الأرض، ثم يُرفع؟

الشيخ: ما ندري، هل إنه يُرفع أو أنه يتعلق بقوائم العرش وإن لم يكن مباشراً له، هل يدل عليه شيء؟ ما نفهم، المهم أن هذه أمور غيبية، معناه ما نحيط به.

الطالب: في الأثر عن ابن عباس عن الشهداء ....؟

الشيخ: لا. ليس صحيح.

طيب. هذه أربع فوائد.

الفائدة الخامسة: أن كل أحدٍ يأتي يوم القيامة صاغراً ذليلاً لله سبحانه وتعالى، لا فرق بين الملك والمملوك والرئيس والمرءوس؛ لقوله: ((**وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ**))[النمل:87] كلٌ لأن هذا التنوين عوضٌ عن كلمة، التقدير: وكلهم – أي: من في السماوات ومن في الأرض– أتوا الله سبحانه وتعالى داخرين.

يمكن أن نأخذ منها الفائدة السادسة وهي: إثبات البعث بقوله: ((**وَكُلٌّ أَتَوْهُ**)) أو كلٌ آتوه ((**دَاخِرِينَ**))[النمل:87] فيستفاد منها أيضاً الفائدة السابعة وهي إثبات البعث.

قال: ((**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**))[النمل:88].

يستفاد من هذه الآية:

كيف يراها واقفة وهي تمر مر السحاب؟

نقول: من أجل عظم هذه الأهوال وارتفاعه، الشيء إذا كان مرتفعاً ولو كان يجري بسرعة فإنه يُظن أنه واقف.

الفائدة الثانية من هذه الآية: يستفاد من ذلك: أن هذا الأمر الذي حصل لهذه الجبال هو من صنع الله عز وجل، وقوله: ((**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**))[النمل:88] فالذي جعلها جامدة في الدنيا راسية عظيمة ثقيلة كانت في الآخرة تمر مر السحاب، وذلك صنعٌ من صنع الله الذي لا يستطيع البشر أن يفعلوه.

الفائدة الثالثة: جواز إضافة الصنع إلى الله ((**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**))[النمل:88]، ولكن هل يؤخذ منه إثبات اسم الصانع لله أو لا؟ لا يؤخذ منه، ولكنه يخبر به عن الله، فيقال: إن الله تعالى صانع كل شيء على سبيل الخبرية، وأما إثبات اسم الصانع فلا على أنه يوجد في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وكلام ابن القيم رحمه الله دائماً كلمة الصانع، والظاهر أنهم أرادوا بهذا مخاطبة أهل الكلام بمثل ما يتكلمون به، ولذلك يقول مثلاً: إثبات الصانع يدل عليه كذا وكذا، مع أننا نرى أن الأولى والأفضل ألا يُثبت حتى بهذا اللفظ، بل يقال إثبات الخالق دل عليه كذا وكذا، والخالق جاء في القرآن وهو أبلغ من الصانع.

إنما على كل حال الإخبار عن الله بأنه صانع مضافاً إلى التعميم مثل: صانع كل شيء. هذا جائزٌ لا بأس به، والناس يقولون في عباراتهم العامية: صانع كل مصنوع، هذا خبر صحيح، أما أن تجعله اسماً من أسماء الله فلا؛ لأنه يفرّق بين الاسم وبين الخبر.

الطالب: الصفة.

الشيخ: يعني: يقال: صنعة الله هذا؟

الطالب: لا. يقال: هو صانع.

الشيخ: هذا خطأ.

الطالب: ما الفرق بين الخبر والصفة؟

الشيخ: الخبر ضد الاسم يعني: الشيء إما أن يُخبر به عن الله أو يسمى به الله.

فالخبر عن الله يجوز أن تخبر عن الله تعالى بكل ما ثبت له من فعل، مقيداً إن كان مقيداً ومطلقاً إن كان مطلقاً.

وأما الاسم فلا تسمي الله إلا بما سمى به نفسه.

ولهذا يصح أن نقول عن الله سبحانه وتعالى إنه مدبّر الأمور، مسخّر السماوات والأرض، مذلّل الإبل لراكبيها.. وما أشبه ذلك، لكن كونك تسميه بهذا الاسم...

الطالب: الأسماء توقيفية لكن الصفة، الصفة هي مثل الخبر؟

الشيخ: الصفة نعم، الصفة التي يصح إضافتها إلى الله تخبر بها عن الله لا مانع؛ لأن ضرورة أن المشتق دال على صفته، كل مشتق فهو دالٌ على صفته فلا يمكن أن تقول عن شيء إنه مشتق ثم تنفي الصفة التي اشتق منها.

الفائدة الرابعة: أن هذا الأمر الذي يقع للجبال يوم القيامة أمرٌ عظيم، وجه عظمته: إضافته إلى الله حيث قال: ((**صُنْعَ اللَّهِ**))[النمل:88] وما أضيف إلى العظيم فهو عظيم، كما أن ما أضيف إلى الحقير فهو حقيرٌ.

الفائدة الخامسة: أن الله تعالى متقنٌ لكل شيء من الأفعال والأحكام؛ لقوله: ((**الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**))[النمل:88] مما صنع وإلا مما صنع وشرع؟ مما صنع وشرع، وأما تقييد المؤلف له بقوله: " **صنعه** " ففيه نظر، ولا يقال: إن السياق في الكلام على الصنع؛ لأننا نقول: الكلام على الصنع لكنه جاء بعد ذلك تعميم، ما قال: أتقن كل ما صنع، قال: كل شيء.

إذاً: فالله تعالى متقنٌ لكل ما صنع ولكل ما شرع. يستنتج من هذه الفائدة: إثبات الحكمة لله عز وجل؛ لأنه لا إتقان إلا بحكمة، فلا يمكن أن يتقن الشيء إلا بعلمٍ من المتقن كيف يتقنه، والثاني بحكمة بحيث ينزّل كل شيءٍ منزلته، وإلا لفات الإتقان. كيف يتقن الشيء من لا يعلم كيف يتقنه؟ فهمتم هذا وإلا ؟ هذا ليس بممكن.

وكيف يتقنه وهو يعلم كيف يتقنه، لكنه سفيه لا يحسن أن يتصرف؟ أيضاً لا يصل الإتقان، فلا إتقان إلا بعلمٍ وحكمة. فمن إتقان الله نستنتج هذه الفائدة وهي: إثبات الحكمة له سبحانه وتعالى؛ ضرورة أنه لا إتقان إلا بعلمٍ وحكمة.

الفائدة السادسة:.... ووجه ذلك أن الله أتقنه، والله تبارك وتعالى أعلم وأحكم من عباده، فأنت متى علمت هذا الشيء انقطع عنك كل اعتراض، سواءٌ سمعته من غيرك أو أوردته على نفسك، والإنسان يعرض له أحياناً شبهات ك... يلقيه الشيطان في قلبه: كيف كان كذا؟ لم كان كذا؟ وما أشبه ذلك.

نقول: متى آمنت بأن الله سبحانه وتعالى قد أتقن كل شيء انقطع عنك هذا الاعتراض، وأمكنك أن تقطع به اعتراض غيرك أيضاً، لو فرضنا أن المطر جاء في غير وقته وأفسد الثمار، إذا علمنا أن الله أتقن كل شيء، وأن هذا المطر من فعله ومن صنعه، لا يمكننا أن نعترض؛ لأنا نعلم أنه نتيجة إتقانٍ مبنيٍ على علمٍ وحكمة، تتقاصر علومنا وحكماتنا عن إدراكه. وهذا أمرٌ يفيد الإنسان في أشياء كثيرة، في الشرع أحياناً تأتي أحكام يخفى على المرء وجه التفريق بينها، وهي ثابتة عن الشرع، ولكنك تقول: الله تعالى أتقن كل شيء.

ومن ثم أحدث الفقهاء. احدثوا مسائل سمّوها بالتعبديات، يعني: هم ما أحدثوها في الحقيقة هي مسائل ثابتة، لكنهم وضعوا لها هذا الاسم التعبّدي، ومعنى التعبدي ليس الذي ليس له حكمة؟ لأنه ما من شيء إلا وله

حكمة، ولكن معناه: الذي تخفى حكمته علينا، وليس لنا فيه إلا التعبّد كعدد الركعات في الصلوات وكونها خمساً، وكذلك أشياء كثيرة في الطهارة يخفى على المرء حكمتها، وكذلك في الحج..

فالمهم أنه متى بنينا اعتقادنا على هذه المسألة وهي: أن الله أتقن كل شيء زالت عنا شبهات كثيرة.

الفائدة السابعة: كمال علم الله سبحانه وتعالى وذلك بالخبرة التي هي أخص من مطلق العلم؛ لأن الخبرة كما سبق لنا هي العلم ببواطن الأمور، مأخوذة من الخبير وهو المزارع الذي يدفن الحب في الأرض فتخفى، فالخبرة العلم ببواطن الأمور.

والفائدة الثامنة: تحذير المرء أن يعمل ما يخالف حكم الله. من أين يؤخذ؟ ((**إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**))[النمل:88]. لو أن أباك قال لك: اذهب سو ما تريد، أنا أعلم بما تفعل، ماذا يقتضي هذا؟

يقتضي هذا التحذير، وأن تحذر من مخالفة أبيك، فكيف بالله عز وجل الذي هو خبيرٌ بكل ما نفعل؟

إذاً: فالجملة تفيد تحذير المرء من المخالفة، وأنك عندما تسوّل لك نفسك معصية لله عز وجل فإنك تعرض عليها مثل هذه الآية ((**إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**))[النمل:88]، ((**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**))[الحديد:4]وما أشبه ذلك من الأشياء التي يجب على المرء إذا هم بسيئة أن يستعرض هذه الآيات؛ حتى تمنعه.

الفائدة التاسعة: هو أن ما يتعلق بالهم المجرّد فإنه لا يؤاخذ به العبد؛ لأن المقصود من قوله: ((**إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**))[النمل:88] التحذير من هذا الفعل المخالف.

فإذا قُدّر أنه همٌ مجرد فإنه ليس بفعل، فلا يؤاخذ عليه العبد، وهذه الفائدة بعيدة التصور، ولكنها دلّت عليها السنة، وأن مجرد الهم لا يؤاخذ به العبد حتى يفعل، إلا الهم بالحسنة فإنه يُكتب للمرء، ولكنه لا يدخل في الآية هنا؛ لأن الآية سيقت للتحذير، والهم بالحسنة يحذر منه أو يرغّب فيه؟. فالهم بالسيئة لا يُعاقب عليه العبد، والهم بالحسنة يُثاب عليه العبد. ما مقتضى العدل؟

مقتضى العدل: أن يُعاقب على السيئة وأن يُثاب على الحسنة، أو أن لا يُعاقب على السيئة ولا يُثاب على الحسنة، ولكن رحمة الله تعالى اقتضت الفضل دون العدل، فصار الهم بالسيئة ليس فيه شيء، والهم بالحسنة فيه ثواب.

ثم قال تعالى: ((**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ**))[النمل:89].

يستفاد من هذه الآية فوائد:

أولاً: أن الحسنات يؤتى بها يوم القيامة؛ لقوله: ((**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ**))[النمل:89].

فإذا قال قائلٌ: كيف يؤتى بالحسنات وهي أعمالٌ مضت، والأعمال معاني ليست أجساماً، فيقال: إن الله تبارك وتعالى على كل شيء قدير، يقلب هذه المعاني إلى أجسام، مثل ما قلب الموت وهو معنى إلى جسم وهو الكبش، فالله تعالى على كل شيء قدير.

قال النبي عليه الصلاة والسلام لأصحابه:(**من تعدّون المفلس فيكم؟ قالوا: من لا درهم عنده ولا متاع، فقال:** (**المفلس من يأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال**) وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أن الله تعالى يقبل الصدقة من الكسب الطيب بعدل التمرة –أي: ما يعادلها– فيربيها كما يربي الإنسان فلوّة حتى تكون مثل الجبل**) وهذا أيضاً عمل. المهم أنا نقول: إن المجيء بالأعمال يوم القيامة ليس بممتنع؛ لأن الله تعالى على كل شيء قدير.

الفائدة الثانية: أن العبرة بالمجيء بالحسنة لا بعملها؛ لقوله: ((**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ**))[النمل:89] وذلك لأن عامل الحسنة في الدنيا قد لا يأتي بها يوم القيامة، يحصل ما يبطلها ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى**))[البقرة:264]. فقد يعمل الإنسان الحسنة، لكن يأتي شيءٌ يبطلها فلا يأتي بها يوم القيامة، والمدار على الإتيان بها يوم القيامة.

الفائدة الثالثة: أن الجزاء أفضل من العمل وأعظم؛ لقوله: ((**فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا**))[النمل:89]. وكيفية المفاضلة خالد؟

الطالب:...

الشيخ: ما اريد الدليل كيف يكون خيراً منها، في ماذا يكون الخيرية؟

الطالب: بأن يثاب ثواباً من عند الله أكبر مما عمل من العمل.

الشيخ: نعم. لكن كيف؟

الطالب: ((**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**))[الأنعام:160].

الشيخ: هذه الخيرية نعم.

الفائدة الرابعة: إثبات الفزع في يوم القيامة لقوله: ((**وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ**))[النمل:89].

الفائدة التي بعدها الخامسة: أمن من جاء بالحسنة من هذا الفزع.

والسادسة: أن من جاء بالسيئة فإنه لا يأمن منها، وهو مأخوذٌ من المفهوم ((**وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ**))[النمل:89] يعني: وأما من جاء بالسيئة فإنه لا يأمن، ولهذا تُكبّ وجوههم في النار.

ويستفاد من هذا أيضاً: أن يوم القيامة لا يقاس بأمر الدنيا، هذه الأفزاع العظيمة لا تفزع المؤمنين الذين جاءوا بالحسنات وإن كانت عظيمةً في ذاتها؛ لأن الله سبحانه وتعالى في يوم القيامة يخلق أشياء يستبعدها العقل في الدنيا، فالشمس تدنو من الخلائق قدر ميل، ومن الناس من يكون في ظلٍ منها، والعرق يصل من بعض الناس إلى كعبيه، وإلى ركبتيه، وإلى حقويه، ومنهم من يلجمه وهم في مكانٍ واحد؛ مما يتبين به قدرة الله سبحانه وتعالى، وأنه في هذا المكان الواحد وفي الزمن الواحد يختلفون هذا الاختلاف المتباين.

وفي إضافة الفزع إلى ذلك اليوم دليلٌ على شدته ((**مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ**))[النمل:89].

قال تعالى: ((**وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**))[النمل:90].

وهذه الآية مبتدأ درس اليوم، هل تجزون أي: ما تجزون.

يعني: أن الاستفهام هنا بمعنى النفي، والاستفهام بمعنى النفي أبلغ من النفي المجرد؛ لأنه يدل على النفي وزيادة، فهو مثلاً ما تجزون إلا ما كنتم تعملون، يدل على أنهم لا يجزون إلا ما كانوا يعملون.

لكن هل تجزون؟ يدل على تقرير هذا الأمر، وأنه لا يمكن للإنسان أن يجازى إلا بما كان يعمل، ويكون فيه تقرير وتقريع في نفس الوقت.

قال المؤلف: " **ويقال لهم تبكيتاً** ((**هَلْ**)) **أي: ما** ((**تُجْزَوْنَ إِلَّا**)) **جزاء** ((**مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**))**[النمل:90] من الشرك والمعاصي** "... وقوله: " **إلا جزاء ما كنتم تعملون** " هل فيه صرفٌ للفظ عن ظاهره؟

الطالب: ...

الشيخ: كيف ذلك؟

الطالب: ...

الشيخ: جزاء ما كنتم، طيب. ما الفرق؟ لأن قوله: ((**إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**))[النمل:90] يقتضي أن يكون العمل هو الجزاء نفسه ((**إِلَّا مَا كُنتُمْ**))[النمل:90] ومن المعلوم أن العمل ليس الجزاء، بل الجزاء شيء والعمل شيء آخر، عندما تستأجر إنساناً يعمل لك، ثم تعطيه الأجرة، فعمله غير أجرته، العامل لله سبحانه وتعالى عمله غير جزائه. فظاهر الآية: ((**هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**))[النمل:90] أن الإنسان يُجزى بعمله.

لذلك احتاج المؤلف أن يقدّر هذا المحذوف ((**إِلَّا**)) جزاء ((**مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**))[النمل:90]، لكن ما في الآية أبلغ؛ لأنه من باب المبالغة في العدل أن يُجعل الجزاء هو العمل، كأن الجزاء نفسه عملك مبالغة في العدل.

فأنت إذا كنت تريد ثواباً كثيراً فاعمل كثيراً؛ لأن ثوابك عملك.

وأما قوله: " ((**تُجْزَوْنَ إِلَّا**)) **جزاء** ((**مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**))**[النمل:90]** " ففيه أيضاً ركاكة، ما تجزون إلا جزاء العمل. معلوم كلمة تجزون يستفاد منها الجزاء فلا حاجة إلى تقدير، فالصواب إبقاء الآية على ما هي عليه على ظاهرها، ويُفهم أن الذي يُعطونه هو الجزاء من قوله: ((**هَلْ تُجْزَوْنَ**))[النمل:90] والتعبير عن الجزاء بالعمل نفسه مبالغةٌ في العدل، بحيث يكون جزاؤك عملك.

وقوله: " **من الشرك والمعاصي** " هذا ما ذهب إليه جمهور أهل العلم وهو الصواب: أن الكافر يُعاقب على أصل الكفر وعلى المعاصي أيضاً التي عملها. فالمشرك إذا زنى وسرق وشرب الخمر يعاقب على ذلك، فيعاقب على الأصل والفرع، وهذا هو الذي عليه جمهور أهل العلم.

واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ((**يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ**))[المدثر:40 - 46].

فالصلاة والصدقة ليست من الأصول، وإن كان الصواب أن الصلاة من الأصول وأن تاركها يكفر، لكن الصدقة ليست من الأصول، حتى الزكاة على القول الصحيح لا يكفر تاركها، ومع ذلك ذكروا أنها من أسباب دخولهم النار، ولو لا أن لهم تأثيراً في الجزاء ما صارت من الأسباب، وهذا دليلٌ على أنهم يعاقبون على فروع الإسلام كما يعاقبون على أصوله.

وعلى هذا: فيعاقبون على معاصيهم التي دون الشرك، وهذا بلا شك كمال العدل؛ لأنه إذا كان المسلم يعاقب عليها فكيف بالكافر؟ هل تكون للمسلم نقمة وتكون للكافر نعمة؟ لا.

بل أبلغ من ذلك: الكافر يعاقب حتى على المباح للمسلم.. حتى المباح للمؤمن الكافر يُعاقب عليه، قال الله تعالى: ((**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))[الأعراف:32] ففهم من قوله: ((**خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))[الأعراف:32] أنها لغير المؤمنين ليست خالصة، وأنهم سيجازون عليها، وهذا أيضاً مقتضى النظر؛ إذ كيف يتنعم الإنسان بنعم الخالق وهو يعصي الخالق؟ لا بد أن يعاقبه يقول: أنا أحسنت إليه، أطعمته، سقيته، كسوته، أسكنته، زوجته.. وما أشبه ذلك، فيعاقب على هذه النعمة؛ لأنها تحتاج إلى شكر.

قال: " **قل لهم**: ((**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ**)) **أي: مكة** ".

((**الَّذِي**))[النمل:91] ما قال: التي، لايش؟ لأنها صفة لمذكر ربّ هذه.

((**رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي**))[النمل:91] ولهذا تعرب الذي على أنها اسمٌ موصول مبنيٌ على السكون في محل نصب، صفة لأي شيء ؟ لربّ.. ((**رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ**)). " ((**الَّذِي حَرَّمَهَا**)) **أي: جعلها حرماً آمناً** " جعلها كوناً أو شرعاً؟

الطالب: شرعاً.

الشيخ: جعلها شرعاً " **حرماً آمناً** " . وقوله: ((**رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ**))[النمل:91] إضافته الربوبية إليها تفيد الفضل، وأن الله سبحانه وتعالى قد اعتنى بها وشرّفها.

قال: " **لا يسفك فيها دم إنسان** " والحديث: (**لا يُسفك فيها دمٌ**) وأيهما أعم دم إنسان أو دم؟ دم أعم. ولهذا لا يُسفك فيها دم إنسان ولا دم صيد، وأما المواشي من الإبل والبقر والغنم وما أشبهها، فإن هذا دلّت السنة على جوازه.

وقوله: " **ولا يُظلم فيها أحد** " هذا ليس خاصاً بمكة، حتى غير مكة لا يجوز أن يُظلم فيها أحد، ولذلك ما جاء في الحديث لا يُظلم فيها أحد، بل قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لا يُسفك فيها دمٌ**) فليس من خصائص مكة أن لا يُظلم أحد، صحيح أن الظلم في مكة أعظم من غيره ((**وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**))[الحج:25] أما أن نظن أنه في غيره مباح فلا. كذلك " **ولا يصاد صيدها** ".

الطالب: ....؟

الشيخ: لا ما تدل عليه؛ لأن هنا ((**وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ**))[الحج:25] الباء تدل على أن الفعل مضمّن معنى العزيمة الصادقة.

الطالب: ....؟

الشيخ: ما تضاعف السيئة بمكة، تضاعف بالكيفية فقط لا الكمية. ما هو بمعناه أن السيئة يجزى عنها سيئتان، وإنما المعنى أنها تكون أعظم، وأن تعرف الفرق بالكيفية أن كيفية العقوبة تختلف، قد أضرب هذا الإنسان ضربة واحدة وأضرب الآخر ضربة واحدة وتكون هذه الثانية مؤلمة والأولى غير مؤلمة. قال: " **ولا يصاد صيدها** " صحيح هذا؟ صحيح، وغيرها يصاد." **ولا يختلى خلاها** " صحيح وغيرها يختلى.

الطالب: المدينة ....؟

الشيخ: المدينة يختلى خلاها نعم يجوز، إنما يحرم الشيء الذي بدون حاجة في المدينة، وأما الذي بحاجة فيجوز. هذا الفرق بينها وبين مكة.

" **وذلك من النعم على قريش أهلها في رفع الله تعالى عن بلدهم العذاب والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب** ".

إذاً: قوله: ((**الَّذِي حَرَّمَهَا**))[النمل:91] أي: جعلها حرماً وجعلها حراماً، وما قلناه أعم مما قال المؤلف؛ لأن المؤلف يقول: " **جعلها حرماً آمناً** " ثم ذكر الأشياء. فهي حرم وحرام أيضاً. حرم بمعنى أنها محترمة، وحرام بمعنى أنها محرّمة. لهذا من قصدها فإنه يُشرع له بإجماع أهل العلم ألا يدخلها إلا محرما، وفي وجوبه خلافٌ معروف.

أيضاً: من جملة احترامها أن المشركين لا يقربونها ياولد: أولاً: لا يقربون المسجد الحرام، فيكون الحرم كله محرماً عليه؛ لأن دخولهم الحرم من قربان المسجد الحرام، فلهذا كان ذلك احتراماً لهذه البلدة. ومع ذلك يقول الله عز وجل: ولهُ تعالى كل شيءٍ؛ فهو ربه وخالقه ومالكه.

الجملة الأخيرة فيها فائدة عظيمة؛ لأنه لما قال: ((**رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ**))[النمل:91] قد يتوهم متوهم أنه سبحانه وتعالى تختص ربوبيته بهذه البلدة، فأتى بعد ذلك بالتعميم قال: ((**وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ**))[النمل:91].

نظير هذا قوله تعالى: ((**لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا**)) قال بعدها: ((**وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى**))[الحديد:10] حتى لا يتوهم متوهم أن ذلك الفضل خاصٌ بأولئك، فبين أن الجزاء للجميع وهو الجنة وإن كانوا لا يستوون.

هنا: ((**رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ**))[النمل:91] ربوبية الله عامة لكل شيء، لكن ربوبيته لهذه البلدة أخص من ربوبيته العامة.

الطالب: ...؟

الشيخ: لا. ما هو بالذكورية، يعني خاص بالذكورية لفظاً، أما معناه لا، ما يجوز أنك تقول: مذكّر، تقول: اللفظ مذكّر، أما الله عز وجل ما يجوز وصفه لا بهذا ولا بهذا.

قال: ((**وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**))[النمل:91].

أمرتُ من أمره؟ ((**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ**))، ((**وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**))[النمل:91] أليست العبادة هي الإسلام؟ الجواب: بلى العبادة هي الإسلام، لكن هناك قال: ((**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا**))[النمل:91] والعبادة هي التذلل له بالطاعة، ثم قال: ((**وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**))[النمل:91] أي: أن أحقق هذه العبادة بالاستسلام التام لأوامر الله تبارك وتعالى.

فالإنسان قد يكون عابداً في الأصل، لكن الانقياد التام بجميع مشروعات الإسلام يستفاد من قوله: ((**وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**))[النمل:91] أي: من المنقادين لله سبحانه وتعالى انقياداً تاماً، لا معارضة عندهم ولا استكبار. وفي قوله: ((**أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**))[النمل:91] دليل على أن هناك مسلمين.

طيب. اليهود والنصارى مسلمون؟ حينئذ كانت شرائعهم قائمة هم المسلمون، لكن أما بعد أن نُسخت فإنهم إذا لم يلتزموا بالشريعة الناسخة لم يكونوا مسلمين.

فالإسلام هو الدين عند الله في كل زمان ومكان، وبعد بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام لا إسلام إلا باتباع شريعته، وإلا فأصل الإسلام كما تعرفون من الاستسلام وهو الانقياد، وهذا يشمل كل انقيادٍ لله سبحانه وتعالى سواءً في عصر هذه الأمة أو قبلها.

نوح عليه الصلاة والسلام يقول: ((**وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**))[يونس:72] مثلما قيل للرسول عليه الصلاة والسلام، وقال عن يعقوب أنه قال لبنيه: ((**يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**))[البقرة:132]، وقالت بلقيس: ((**إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**))[النمل:44]. ((**وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**))[النمل:91].

" ((**وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ**)) **عليكم تلاوة الدعوى إلى الإيمان** ((**فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ**)) **أي: لأجلها فإن ثواب اهتدائه له** ((**وَمَنْ ضَلَّ**)) **عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى** ((**فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ**))**[النمل:92]** ".

قوله: ((**وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ**)) التلاوة تنقسم إلى قسمين: تلاوة لفظية، وتلاوة معنوية.

فالتلاوة الأولى: قراءة القرآن.

والتلاوة الثانية: العمل بما جاء به القرآن مأخوذة من تلا الشيء يتلوه إذا تبعه وصار تلواً له.

كقول الرسول ((**وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ**))[النمل:92] يشمل هذا وهذا، أن أتلوه قراءة، وأن أتلوه اتباعاً، فهو مأمورٌ بذلك يعني: فكأنه يقول: سأتلو القرآن عليكم تلاوة قراءة، وأيضاً سأتلو القرآن تلاوة اتباع ولا أبالي بمخالفتكم وإعراضكم. وهذا ليس للرسول عليه الصلاة والسلام فحسب، بل لكل من اتبع الرسول يجب عليه أن يتلو القرآن تلاوة لفظية، وقد عُلم أن قراءة الفاتحة ركنٌ من أركان الصلاة التي هي من أركان الإسلام.

ثانياً: يجب على المسلم أن يتلو القرآن تلاوة اتباعية ولا يبالي بمن خالفه، ولو أننا راعينا شعور الناس وراعينا عصور الناس بقي الدين ليس ديناً، بل صار الدين عادة إن تقبّله الناس حسب عاداتهم صار ديناً، وإن لم يقبلوه لم يكن ديناً.

والواجب أن يكون الدين بعيداً عن عادات الناس، بمعنى: أن يكون الحكم هو القرآن والسنة، لا ما يعتاده الناس فيما يفعلونه من عبادات أو غيرها خلافاً لبعض الناس الآن الذين يريدون أن يتابعوا الناس بما هم عليه ولو كان باطلاً، وهذا ليس بصحيح؛ لأننا لو مشينا على هذا الأمر أو على هذا المنهاج ما بقي حياة للإسلام، كان الإسلام يبقى ميتٌ ويموت منه جزءٌ في هذا العصر، ثم يأتي عصر آخر فيموت منه جزءٌ آخر... وهكذا حتى ينقضي، ولكننا إذا قمنا نعمل بالإسلام ونجدد حسب ما يقتضيه الكتاب والسنة لا حسب آرائنا، صار ذلك هو القيادة. وأما أن نسكت وندس رؤوسنا في التراب ونقول: هذا الناس ما يمكن تخالفهم، أو نتهيب قول بعض الناس: طلعتم علينا بدين جديد، هذا الدين ما عرفناه من قبل... وما أشبه ذلك، فإن هذا لا ينبغي أن يمنع الإنسان عن قول الحق، ولهذا قوله: ((**وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ**))[النمل:92] تلاوة لفظٍ تقوم به الحجة عليكم، وتلاوة اتباع لا أبالي بمعارضتكم ومخالفتكم. وهذا هو الواجب على كل مسلم في كل مكان.

لكن مراعاة الناس بمعنى تدريج الناس حتى يسلكوا الصراط الصحيح، هل يجوز أو لا؟

نعم. مراعاة الحال يعني: بالتدريج لا بأس به، ولهذا الذي نرى أن الدعاء إلى الله سبحانه وتعالى بالحكمة يتناول هذا الأمر، وهي نقل الناس إلى الإسلام مرحلة مرحلة، وإن كان بعض الناس يقولون: إن هذا في أول الدعوة، صحيح أن الإسلام تطور جاءت الصلاة، ثم الزكاة، ثم الصيام، ثم الحج، حُرّم الخمر على عدة وجوه، الصيام وجب على عدة وجوه.. لكن نقول: كما أن هذا في أصل الدعوة أو في أول الدعوة هو أيضاً في آخره.

بعث معاذ متى كان؟ في سنة عشرة من الهجرة، ومع ذلك يقول: ادعهم أولاً إلى الشهادتين، ثم إلى الصلاة، ثم إلى الزكاة. رسول الله رتّب هذا، ما قال ادعهم إليها جميعاً.

فمثلاً لو رأينا إنساناً منهمكاً على فعل معصية، وعرفنا أننا لو قلنا له: أقلع عنها نهائياً أنه ما يتمكن، أو أن يرفض فلا بأس أن ننقله عنها شيئاً فشيئاً بالتدريج؛ لأن هذا كمعالجة المرض، المرض ما يمكن أن تعالجه مرة واحدة، لا بد من تنقل من شيءٍ إلى شيء حتى يتم استئصال هذا المرض.

مثل هذه المسألة تعود إلى حال الناس وليس معناها الاستسلام لحال الناس؛ لأن معنى الاستسلام الذي أنكرته قبل هو أن الإنسان يدع الناس ولا يعارضهم بالحق، أما هذا ما يدعهم لكنه ينقّلهم من مرحلة إلى مرحلة حتى يستقيموا.

فمثلاً: عندما نريد أن نعمل عملاً في الصلاة ليست من عادة الناس، فإن من الحكمة أن نمهّد له بالقول أولاً، ثم إذا علم به الناس واستقر في نفوسهم نقلناهم بعد ذلك إلى الفعل، وهكذا أيضاً غير هذه المسألة.

المهم أن تلاوة القرآن على الناس المعرضين مما أُمر به الرسول عليه الصلاة والسلام وأمرت به الأمة كلها أيضاً، ويكون التلاوة هنا لفظاً واتباعاً، ولكن الشأن كله في أن نتخاذل أمام الأمر الواقع، بل يجب علينا أن نكون على وجه أقوى وأشد.

الطالب: النقل لو كان من معصية إلى معصية أخف؟

الشيخ: إلى معصية أخرى أخف منها لا ما يجوز.

الطالب: بالتدريج.

الشيخ: مثال ذلك إذا كانت من الجنس ربما نقول، مثلاً لو فرضنا أن إنسان مبتلى بالزنا والعياذ بالله، وقلنا له: يا أخي الشهوة التي عندك هذه تستطيع أن تخففها بالاستمناء مثلاً، هذا من الجنس ما فيه بأس، لكن واحد يسرق نقول: يا أخذ اترك السرقة اشرب الخمر أزين لك؟! هذا ما يجوز.

الطالب: أقصد من الجنس الأول.

الشيخ: إيه اللي من الجنس معناه التخفيف؛ لأنك لو نقلته إلى شيءٍ آخر فاتجاهه الأول ما يزول في الغالب.

الطالب: ... حديث (**حتى إذا رأيت دنيا مؤثرة وهوى متبع واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك**).

الشيخ: المعنى أنه حتى (**وعليك بخاصة نفسك**) ما ينافي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنه من خاصتك، لكن المعنى أنك دعهم يعني: لا تهتم بهم بحيث يشغلونك عما يجب؛ لأن بعض الناس يهتم بهذا الأمر حتى إنه ينشغل بالناس عن نفسه، تجده حتى يصلي وهو يشعر بأنه يأمر فلان أو يتصور أنه ناس معه وكان يقول: يالله صل. فهذا هو الذي يُنهى عنه.

الطالب: ...

الشيخ: ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ**))[المائدة:105] لأن بعض الناس تفهم أن الإنسان إذا أصلح نفسه ما عليه من إصلاح غيره، ولكن نقول: إن أصلاح غيرك منوطٌ بك من إصلاح نفسك، أنت مأمور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن إذا ضلّوا فإن ضلالهم لا يضرك بعد أن تقوم بما يجب عليك من الدعوة والأمر.

الطالب:.... قال تعالى: ...

الشيخ: صحيح اجتنبوه، لكن التدرج هذا طريق وليس معنى ذلك أني إذا نقلته من هذا إلى أخف أني أبيح له الأخف، لكنه طريق تدرج، فالتدرج هنا ليس معناه ثبوت الحكم على الدرجة التي نزّلناه إليها، ولكن معناه أننا

ننقله من الدرجة العظمى إلى الأخف، ثم إلى تركها بالكليّة. فقوله عليه الصلاة والسلام: (**اجتنبوه**) لكن ما هو طريق الاجتناب؟ هو هذا الذي نقول.. الطريق إلى اجتنابه هو هذا الذي نقول.

ولذلك الآن عندما تنهى إنسان عن منكر تأتيه في اليوم الثاني وتنهاه أيضاً، هذا في الحقيقة يُعتبر تطور، ما نقول: لما...

((**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا**))[النمل:91].

وهنا قد عُلم المكان الذي قاله النبي عليه الصلاة والسلام فيه، فهو مكة لقوله: ((**هَذِهِ الْبَلْدَةِ**))[النمل:91] والإشارة هنا للقريب.

ثم إن قوله: ((**الَّذِي حَرَّمَهَا**))[النمل:91] فيه إظهار لفضل الله تبارك وتعالى على ساكني هذه القرية حيث جعل الله هذه القرية حراماً.

قال: ((**وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**))[النمل:91] أي: المنقادين لحكم الله، ولا منافاة بينه وبين العبادة فيما سبق ((**أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ**))[النمل:91] لأنه أصل العبادة شيء، والإسلام في جميع الشريعة شيءٌ آخر.

((**وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ**))[النمل:92] تلاوة لفظية تقوم بها الحجة عليكم، وتلاوة عملية تطبيقية يتبين بها أنني لست بمبالٍ بمن يخالفني في هذا الأمر. وقوله: القرآن، هو هذا الذي نزل عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعد تلاوة القرآن " ((**فَمَنِ اهْتَدَى**)) **له** ". ايش عندكم اهتدى له أو به ؟

الطالب...

الشيخ: ((**فَمَنِ اهْتَدَى**)) **له** ".ولكن على تفسير المؤلف يقول: اهتدى بمعنى انقاد؛ لأن اهتدى ما تتعدى باللام، تتعدى بالباء بسببه، لكنه ضمّنه بمعنى انقاد.وتضمينه معنى الانقياد ليشمل هداية العلم وهداية التوفيق، فالذي يهتدي وينقاد له.

" ((**فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ**))**[النمل:92] أي: لأجلها، فإن ثواب اهتدائه له** "...

من اهتدى بهذا القرآن وانقاد له فالمصلحة ليست لله عز وجل لأن الله غني عنه، وليست لفلان ولا لفلان؛ لأن كل نفسٍ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت.

إذاً: فهو لنفسه، وإن كان ينتفع الداعي بذلك أيضاً انتفاع الدال، فإن الدال على الخير كفاعله، لكن أصل الثواب لمن ؟ للفاعل، فلا يقال مثلاً: أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو الناس ليهتدوا فيكون له أجر، بل قصده عليه الصلاة والسلام الأول هو نفع الخلق، ولهذا قال: ((**فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ**))[النمل:92] وإن كان النبي عليه الصلاة والسلام ينتفع باهتدائه فهو كذا.

" ((**فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ**)) **عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى** ((**فَقُلْ**)) **له:** ((**إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ**))**[النمل:92]** ".

المؤلف قدّر له بمن اهتدى، وقدّر هنا: فقل له، والسبب أنه يقدّر هنا لأجل أن يرتبط الجواب بفعل الشرط؛ لأن قوله: ((**وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى**))[النمل:92] اهتدى لأي شيء؟ بالقرآن الذي أتلوه.

وهنا من ضلّ منْ شرطية. ((**فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ**))[النمل:92] ما يمكن يكون: قل إنما أنا من المنذرين جواباً لقوله: ((**وَمَنْ ضَلَّ**))[النمل:92] إلا إذا كان فيه ضمير يعود عليه، ولهذا قدّره بقوله: " ((**فَقُلْ**)) **له** ((**إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ**))**[النمل:92]** ".

فإذا قال قائل: ما هو الحكمة في حذفه؟ قلنا: الحكمة في حذفه العموم. يعني: فقل له ولغيره: إنما أنا من المنذرين.يعني: معناه من هذه الجملة التي هي وصف ثابت للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليست خاصة لمن يضل، بل من يضل ومن لا يضل يقال له: إن الرسول عليه الصلاة والسلام من المنذرين، ومعنى المنذر: المخوّف.

قال: " **المخوّفين فليس عليّ إلا التبليغ** ".

وقوله: ((**إِنَّمَا أَنَا**))[النمل:92] إنما أداة حصر، فإذا قال قائلٌ: هذا يفيد اختصاص الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإنذار، مع أن الله يقول: ((**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**))[البقرة:119].

قلنا: لكن لكل سياقٍ ما يناسبه من اللفظ، فهنا المخاطب من؟قومٌ منكرون فكان ذكر جانب التخويف في حقهم أولى من الجمع بينه وبين الترشيد.

قال: " **وهذا قبل الأمر بالقتال** ".

والمؤلف رحمه الله يسلك هذا المسلك كثيراً في مثل هذه الآية، ويقول: إنه قبل الأمر بالقتال، وهذا يتضمن أن تكون الآية منسوخة لا يُعمل بها، ولكن هذا قولٌ في غاية الضعف، والصواب: أن هذا يقال حتى بعد الأمر بالقتال، فالنبي عليه الصلاة والسلام ايش عليه؟ عليه الإنذار والتبليغ وليس عليه الهداية.

والرسول عليه الصلاة والسلام يقرأ في كل جمعة غالباً أو كثيراً: ((**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ**))[الغاشية:21 - 22]، ((**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**))[الغاشية:25 - 26].

وكيف تكون مثل هذه الآيات التي تكرر على المسلمين في جمعاتهم منسوخة؟

ثم إن النسخ دعواه ليست بالأمر الهيّن، ايش: معناه؟

معناه: إبطال دلالة الآية أو الحديث، وهذا يتضمن الاعتداء على الله سبحانه وتعالى وعلى رسوله، ولهذا يجب على الإنسان أن يحترز غاية الاحتراز من دعوى النسخ، وإذا عجز عن الجمع فيقول: سبحانك لا علم لنا إلا ما

علمتنا، لكن المؤلف رحمه الله وغيره كثير من أهل العلم إذا عجزوا عن الجمع قالوا: هذا منسوخ، وهذا مسلكٌ ليس بجيد وليس بسديد وليس بصواب، بل هو خطير.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن المنسوخ في الشريعة لا يتجاوز عشرة أحكام، ولو سلكنا ما سلكه المؤلف لكان المنسوخ عشرات الأحكام، أو ربما يبلغ المائة. وفي هذا خطأ عظيم.

فالصواب: أن هذا القول: ((**فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ**))[النمل:92] يقال حتى الآن.. حتى بعد الأمر بالقتال، فهو منذر، لكن هذا الإنذار لا يقتضي ألا يقوم بما يجب عليه من الجهاد، يقول: أنا منذر فليس عليَّ هداكم وهداكم على الله سبحانه وتعالى.

وأما مسألة الأمر بالقتال فهذا شيءٌ يمكن حتى مع هذا القول. فالصواب في هذه المسألة: أن الآية محكمة وغيرها من أمثالها محكم ولا يجوز دعوى النسخ فيه؛ لأن من أهم شروط النسخ: تعذّر إمكان الجمع، وإذا أمكن الجمع فلا نسخ؛ لأن النسخ كما سمعتم هو عبارة عن إبطال مدلول الآية أو الحديث، وهذا أمرٌ ليس بالهيّن يأتي حديث وتمسح عليه، ترى معنى النسخ ضربنا عليه.

الطالب: ... من شروط النسخ أن يكون الناسخ ...، وأن يشترط أن فيه قرينة تدل على النسخ؟

الشيخ: لا. ما هو بشرط هذا، المهم إذا تعذّر الجمع وعُلم التاريخ فالمتأخر ناسخ.

ويقول: ((**إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ**))[النمل:92] هي بالكسر أو بالفتح ؟ لأنها اسم فاعل فهو منذر والناس منذرون.

((**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ**))[النمل:93] معطوف على قوله: ((**إِنَّمَا أُمِرْتُ**))[النمل:91] فإنه على تفصيل قل. يعني: ((**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ**))[النمل:93] وهذه الجملة للثناء على الله تبارك وتعالى.

وقد أثنى الله على نفسه في ابتداء الخلق وفي انتهائه، وفي ابتداء إنزال القرآن، وفي مقام التعظيم للرسول عليه الصلاة والسلام.. في إنزال القرآن وما أشبهه.

فهنا قال: الحمد لله. ويش هو عليه؟ على كمال صفاته وبيان آياته. ومنها ((**سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا**))[النمل:93].

((**سَيُرِيكُمْ**)) والإراءة أبلغ من البيان؛ لأنه قد يكون الشيء بيناً وتعمى عنه الأبصار، ولكن الإراءة أبلغ؛ إذ كل مرئي فهو بيّن وليس كل بيّنٍ مرئياً. والسين في قوله: ((**سَيُرِيكُمْ**)) تفيد فائدتين:

الفائدة الأولى: قرب هذا الأمر.

والفائدة الثانية: تحققه.

فهي تفيد التحقيق والتقريب ((**سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ**))[النمل:93] والإراءة هنا بصرية وهي لما كانت معدّاة بالهمزة تنصب مفعولين، فالمفعول الأول الكاف، والمفعول الثاني آياته.

وقوله: ((**سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ**))[النمل:93] هل المراد بآيات الله هنا الآيات الدالة على صدق ما أخبر به في القرآن فتكون الآيات الكونية، أو هي أشمل من ذلك؟ الظاهر أنها أشمل من ذلك، أنها تشمل الآيات الدالة على صدق ما وعد به رسوله وتوعد به أولئك. وكذلك أيضاً الآيات الشرعية الدالة على كمال شريعته.

وقوله: ((**فَتَعْرِفُونَهَا**))[النمل:93] أيضاً أبلغ من الإراءة؛ لأنني قد أري الإنسان شيئاً ولكن لا يعرفه، وهنا قال: ((**فَتَعْرِفُونَهَا**))[النمل:93] فعندنا بيان، وإراءة، ومعرفة. أعلاها المعرفة، ثم الإراءة، ثم البيان.

قوله: ((**فَتَعْرِفُونَهَا**))[النمل:93] نتيجة هذا: أن تقوم عليكم الحجة؛ لأنهم إذا أروا الآيات حتى عرفوها قامت عليهم الحجة.

قال المؤلف رحمه الله: " **فأراهم الله يوم بدر القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وعجلهم الله إلى النار** ".

هذه من جملة الآيات التي أراهم إياها، وإلا فقد أراهم الله تعالى انشقاق القمر قبل بدر، فإنهم طلبوا آية من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأشار إلى القمر فانفلقت فلقتين، حتى شاهدوه بأعينهم فقالوا: سحرنا محمد، فاسألوا الركبان الذين يقدمون إلى مكة هل شاهدوا ذلك أم لا؟ فسألوهم فأخبروهم بأنهم شاهدوا ذلك.

وقد أنكر قومٌ هذه الآية –انشقاق القمر– ومنهم محمد رشيد رضا وأظن شيخه كذلك محمد عبده، وهذا خطأ فاضح والعياذ بالله؛ لأن الأحاديث فيه متواترة، وإشارة القرآن إليه ظاهرة ((**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**))[القمر:1]. هم حرّفوا القرآن فقالوا: انشق القمر أي: بان ضياء الحق والنور بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، وهذا بلا شك تحريفٌ للقرآن وتكذيبٌ بما تواترت به السنة، فالصواب الذي لا شك فيه وهو من معتقدات أهل السنة والجماعة أن القمر انشق.

وقولهم: إنه لو انشق لكان أمراً عالمياً، وكان له ذكرٌ تاريخي؛ لأنه أمر عالمي حيث إن القمر آية أفقية كلٌ يشاهده، وحيث أن هذه الحالة بالقمر حالة غريبة خارجة عن العادة. الهمم تتوافر على نقلها، ولا بد أن تُذكر في التواريخ كتاريخ الهند، والروم، والفرس.. وما أشبه ذلك.

فنقول: تباً لكم أن تجعلوا ما أخبر الله به موضعاً للشك لأن هؤلاء لم يذكروه؟ بل لو ذكروا أنه لم يقع لقلنا كذبتم وصدق الله.

وأيضاً الجواب على هذا أن نقول: لا يلزم إذا انشق القمر حتى رآه أهل مكة ومن بقربهم أن يراه الناس جميعاً؛ لأن نصف الكرة الأرضية لا يمكن أن يروه؛ لأنه غائبٌ عنهم، هذه واحدة.

الكرة المقابلة التي هي خسف الأرض لأهل مكة ومن حولهم قد يكون أتاهم في منتصف الليل، أو في آخر الليل، أو عندهم غيوم مانعة.. أو ما أشبه ذلك. فموانع رؤيتهم له كثيرة، ولكنه ما يهمنا أن يروه أو لا يروه، أو يدونوه في تواريخهم أو لا يدونوه. وتكذيب القرآن بمثل هذه الأمور أو السنة المتواترة بمثل هذه الأمور، هذا في الحقيقة إيغالٌ في العقل أو في العقليات على ما يقولون. فالإنسان ما ينبغي أن يكون عقلانياً محضاً، ولا ينبغي أن يكون ظاهرياً محضاً، بل يجب أن يكون عنده عقل يزن به الأمور، وإذا بانت الأمور الشرعية فإنه لا مجال للعقل.

إذاً: أراهم الله تعالى آيات:

منها: انشقاق القمر.

ومنها أيضاً: أن النبي عليه الصلاة والسلام شهد الناس كلهم أن الحجر يسلّم عليه والشجر يسلّم عليه، حتى أنه يقول: (**كان حجرٌ يسلّم عليَّ بمكة أعرفه**).

وكذلك أيضاً من الآيات: ما حصل يوم بدر، يوم بدر حصل من الآيات قتل وسبي وقتلٌ لمن؟ لرؤساء الكفار ما هو لأطرافهم.. لصناديد قريش، وقتل صناديد أعداء النبي عليه الصلاة والسلام آية له؛ لأن ذلك نصرٌ له، ولو كان ما قاله باطلاً ما كان الله تبارك وتعالى لينصره أبداً؛ لأن الله ما ينصر الباطل على الحق نصراً مستمراً، ولكن قد يكون للباطل صولة ليمحّص الله المؤمنين فينتصر أهل الباطل، لكنه انتصار مؤقت.

كذلك أيضاً: السبي، سبي منهم أحد أو لا؟ نعم. سُبي سبعين رجلاً منهم ودفع بهم إلى المدينة وهم أيضاً يمثّلون من أشرافهم.المهم أن هذه الوقعة –وقعة بدر– أثخنتهم تماماً وأذلتهم إذلالاً بالغاً، ولهذا سمّاه الله تعالى يوم الفرقان لأن الله فرق فيه بين الحق والباطل. وتعلمون أن الناس ينتظرون ماذا يحصل، العرب لما رأوا من النبي عليه الصلاة والسلام وهم قلّة ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً غلبوا حوالي ألف من قريش، بكامل العدّة والعدد كثير، عرفوا أن أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيظهر. وكذلك أيضاً الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، هل هذا ورد في بدر أو ورد في الكفّار مطلقاً؟

الطالب: الجميع ... محمد.

الشيخ: ((**وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**))[الأنفال:50].

الطالب: ...

الشيخ: طيب. لكن في بدر هل ذُكر أن الملائكة تضرب وجوههم وأدبارهم؟

الطالب: ....

الشيخ: ((**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**))[الأنفال:12] ما فيه أنه تضرب الوجوه والأدبار، فيه أنه يُضرب فوق الأعناق، يعني: فوق أعناقهم، ويُضرب منهم كل بنان يعني: الأيدي. فهذا هو الظاهر.

وأما ما ذهب إليه المؤلف فلا أعرف في ذلك سنة أيضاً بينت هذا، وإن كان المؤلف له وجهة نظر بأن الملائكة تضرب وجوههم إذا أقبلوا على المسلمين، وتضرب أدبارهم إذا أدبروا عن المسلمين.

لكن ما دام أن هذا لم يرد فالأولى الاقتصار على ما ورد، وهو أن الله قال لهم: ((**فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**))[الأنفال:12] ما قال: اضربوا وجوههم وأدبارهم إلا أن يقول قائل: إن قوله: ((**وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ**))[الأنفال:50] يشمل هؤلاء فإنهم من الكفار، فهم عند الوفاة يضربون وجوههم وأدبارهم. فإن أراد المؤلف بها ما تشير إليه الآية عموم الآية فهو مقبول، قال: " **وعجلهم الله إلى النار** ". كيف عجّلهم إلى النار؟

الطالب: من حين يموت الإنسان فهو في عذاب القبر.

الشيخ: يعني: معناه عجّلهم الله قبل موت الرسول عليه الصلاة والسلام، قبل موت الرسول عليه الصلاة والسلام حصل لهم هذا الأمر وتعجلوا إلى النار.

قال: " ((**وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**))**[النمل:93] بالياء والتاء** " أي: عما يعملون، وعما تعملون. قراءتان سبعيتان. " **وإنما يمهلهم لوقتهم** ".

قوله: ((**وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**))[النمل:93] هذه جملة المقصود بها التحذير والتسلية.

تحذير هؤلاء المكذبين وتسلية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وفيها من صفات الله أنها صفةٌ من الصفات السلبية، وقد مر علينا أن الصفات السلبية تتضمن أمرين:

نفي الصفة المذكورة، وإثبات كمال ضدها فالله تعالى لا يغفل؛ لكمال علمه ومراقبته.. كامل العلم وكامل المراقبة ((**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا**))[الأحزاب:52]. انتهت السورة ولم نأخذ فوائد الدرس الماضي، نأخذه الآن.

أولاً: قال الله تبارك وتعالى: ((**وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ**))[النمل:90] يستفاد منها:

أن المدار في العقاب على السيئات هو المجيء بها يوم القيامة، لا مجرد العمل، قد يعمل الإنسان السيئة وتكفّر أو يتوب منها، ولكن العبرة بالمجيء.

الفائدة الثانية: إثبات عذاب النار؛ لقوله: ((**فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ**))[النمل:90] والعياذ بالله.

الفائدة الثالثة: بيان شدة العقوبة والعياذ بالله لهؤلاء حيث يكبّون على وجوههم في النار، والوجه أشرف الأعضاء وإهانته أعظم من إهانة غيره، لو أن أحداً صفعك على خدك أو ضرب في رجلك أيهن أشد إهانة؟

الطالب: الوجه.

الشيخ: الوجه أشد، ولهذا كان إكبابهم على وجوههم في النار والعياذ بالله أشد وأبلغ في الإهانة وفي العذاب.

الفائدة الرابعة: كمال عدل الله عز وجل؛ لقوله: ((**هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**))[النمل:90] يعني: ما ظلمناكم أنتم الذين ظلمتم أنفسكم، فعملتم ما استحققتم به هذا العذاب.

الفائدة الخامسة: أن عذاب أهل النار والعياذ بالله عذابٌ نفسيٌ وبدني. بدني حيث تكب وجوههم في النار، نفسي حيث يوبخون ويقرّعون ((**هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**))[النمل:90].

ما ظنك بمن يقال له مثل هذا، تجده مثلاً يمتلئ خجلاً، ويمتلئ أيضاً ندماً.. يقول: ليتني ما عملت، ليت وليت، ولكن ((**وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ**))[سبأ:52].

فإذاً يُجمع لهم والعياذ بالله بين العذاب البدني والعذاب النفسي، وقد ذكر الله تعالى في سورة المؤمنون أنهم يقولون: ((**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ**))[المؤمنون:107] وهم لو أخرجوا منها لعادوا لظلمهم ما فيه إشكال، كما قال الله تعالى: ((**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ**))[الأنعام:28]، لكن يقولون هذا من شدة ما يجدون. فكان الجواب والعياذ بالله أعظم الجواب في الإهانة: ((**اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ**))[المؤمنون:108] والعياذ بالله، هذا جواب في غاية الإهانة والصغار والذل، وقد ذُكر أن الله تعالى لا يكلمهم إلا بعد مدة طويلة.. بعد مدة طويلة يكلمهم بهذا الكلام الذي لا خير فيه لهم، بل هو تيئيس من كل خير، ومن كل فرج نسأل الله العافية ((**اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ**))[المؤمنون:108] يعني: اندحروا وذلوا، وتلحقكم المهانة والإهانة ومع ذلك لا تكلمونِ، لستم أهلاً لأن تكلمونِ، نسأل الله العافية. فإذاً يُجمع لأهل النار بين العذابين: البدني، والنفسي.

قال: ((**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**))[النمل:91].

في هذه الآية من الفوائد:

أولاً: وجوب إعلان الرسول عليه الصلاة والسلام بما ذُكر؛ لأنه على تفصيل: قل ((**إِنَّمَا أُمِرْتُ**))[النمل:91] وهو واجبٌ عليه أن يُعلن ذلك لأجل أن يكون قدوةً فيه.

ثانياً: قوله: ((**أَنْ أَعْبُدَ**))[النمل:91] وجوب العبادة على النبي عليه الصلاة والسلام

((**أَنْ أَعْبُدَ**))[النمل:91] ما يقال: إن التكاليف تسقط عن الأنبياء والأولياء، بل تجب على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما تجب على غيره، ويجب عليه هو عليه الصلاة والسلام أن يشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله. هذا مقتضى الإسلام.

الثالث: بهذا نعرف بطلان ما ادعاه أهل من يُزعم أنهم أولياء، أو أصحاب من يُزعم أنهم أولياء؛ حيث قالوا: إن الولي يصل إلى درجة يسقط بها عنه التكليف، وهذا موجود عند الصوفية وغيرهم.. يقولون: هذه العبادات التي نُكلّف بها وسائل إلى غاية، الغاية اليقين ((**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**))[الحجر:99] فإذا وصل الإنسان إلى اليقين سقطت عنه العبادة، وصار لا يجب عليه صلاة، ولا زكاة، ولا صوم، ولا حج، ولا يحرم عليه نكاح أحد يتزوج من شاء من ذكور وإناث والعياذ بالله، ومن عدد صغير وكبير.

حتى الناس معهم الآن في أفريقيا الواحد منهم له خمسين امرأة، تعدوا النبي عليه الصلاة والسلام خمسين امرأة، وأيضاً ما يتزوج بعقد، إذا اشتهى امرأة أرسل إلى أبيها وقال: خل بنتك تتزوج بي، أريدها زوجةً لي، ولا أحد يتمكن من أن يعارض؛ لأنهم يزعمون أنهم وصلوا إلى غاية لا يحتاجون معها إلى تكليف، وإذا كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمر أن يعبد الله فغيره من باب أولى.

الطالب:...؟

الشيخ: بلى ...كفار والعياذ بالله

الطالب: شيخ هم يزعمون أن الولي أعلى من النبي.

الشيخ: هذا ما هو صحيح لو زعموه، هذا أيضاً من الكذب.

أيضاً من فوائد هذه الآية: فضيلة مكة من وجهين: من إضافة الربوبية إليها ((**رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ**))[النمل:91]، ومن كونه تعالى حرّمها ((**الَّذِي حَرَّمَهَا**))[النمل:91] ففيه فضيلة مكة على سائر البلاد، ولها فضائل كثيرة لو لم يكن منها إلا أن قصدها من أركان الإسلام.. قصدها للعبادة من أركان الإسلام، يُعد ركن من أركان الإسلام، ما في أي بلدٍ في العالم يكون القصد إليه فرضاً أبداً، ولا سنة إلا المدينة والمسجد الأقصى.

الفائدة الرابعة: أن الذي حرّم مكة هو الله؛ لقوله: ((**الَّذِي حَرَّمَهَا**))[النمل:91] فإذا قال قائلٌ يعارض ذلك ما ثبت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قوله: (**إن إبراهيم حرّم مكة**) قلنا: لا؛ لأن معنى قوله: (**حرّم مكة**) أي: أظهر تحريمها وأبانه، وإلا فالذي حرّمها هو الله. ولهذا نقول مثلاً: إن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرّم الميتة والخمر والخنزير يعني: أظهر تحريمه وأبانه، وإن كان الذي حرّمه هو الله.

فالمهم أن هنا لا منافاة بين قوله: ((**الَّذِي حَرَّمَهَا**))[النمل:91] وقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إن إبراهيم حرّم مكة**) والجمع بسيط وواضح.

الطالب: والمدينة حرمها الله؟

الشيخ: إي نعم حرّمها الله.

والفائدة الخامسة: قوله: ((**وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ**))[النمل:91]. أن كل شيءٍ فهو ملكٌ لله مكة وغيرها لقوله: ((**وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ**))[النمل:91].

الفائدة السادسة: الرد على القدرية الذين يقولون: إن الإنسان مستقل بعمله، فإنه على قولهم: يخرج بعض الأشياء عن ملك الله، والله تعالى يقول: ((**وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ**))[النمل:91].

الفائدة السابعة: بلاغة القرآن؛ لأنه لما قال: ((**رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ**))[النمل:91] فإن أحداً يفهم أن ربوبية الله تعالى خاصةٌ في هذا المكان، فاحترازاً من هذا الفهم الخاطئ أعقبه بقوله: ((**وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ**))[النمل:91] وهذا من بلاغة القرآن. هل تدخل مكة في قوله: ((**وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ**))[النمل:91]؟

هذه المسألة مختلفٌ فيها عند الأصوليين يعني: إذا ذُكر الخاص مع العام، فهل التنصيص عليه مخرجٌ له من العموم؟ فيكون ذُكر مرة لكن نص عليه لشرفه مثلاً والعناية به، أو أنه لا يخرجه من العموم فيكون ذُكر مرتين: مرة بصيغة التخصيص، ومرة بصيغة التعميم. فما هو المتبادر للذهن؟

((**تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ**))[القدر:4] ما الذي يتبادر إلى أذهانكم؟

الطالب: الروح أمام الملائكة.

الشيخ: هو الروح أمام الملائكة وهو جبريل، لكن يتبادر إلى الذهن في ذهني أنا: أنه إذا ذُكر الخاص بعد العام أو قبله أنه ما أريد دخوله في العام، عندما تقول: جاء الطلبة وعليٌ. وهنا منهم الطلبة؟ معروفون من الطلبة، أنت تفهم أنه خرج عنهم لما نص عليه، وكفى بذلك فخراً أن يُخرج من بين العموم وإن نص عليه في الحكم، لكن أولئك يقولون: إنه ذُكر مرتين: مرة بطريق العموم، ومرة بطريق الخصوص، ولكنه فيما أظن ويتبادر إليّ أنه ليس كذلك، نعم لو ذُكر العموم في موضعٍ آخر ولم يُذكر الخصوص، فلا شك أنه داخلٌ في العموم.

الطالب: ...؟

الشيخ: نعم. على القول بأنه إذا ذُكر خاص يكون عاما مخصوص.

الطالب: ....

الشيخ: الذي يقولون بهذا يقولون: إنه توكيد، لكن ليس توكيد مطابق توكيد بالعموم.

الفائدة التاسعة: أنه لا يجوز لأحد أن يحكم بغير ما أنزل الله؛ لقوله: ((**وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ**))[النمل:91] لأن من جملة الأشياء الحكم بين العباد، بل هو من أعظم الأشياء، فإذا كان ذلك لله فلا يجوز لأحدٍ أن يستقل به، ومن أراد أن يستقل به فقد حاول أن يكون شريكاً لله تعالى في ذلك، ونزّل نفسه منزلة لا يستحقها.

إذاً: أمر التحليل والتحريم والإيجاب إلى الله؛ لأن له كل شيء. أمر التحسين والتقبيح؟

الطالب: إلى الله.

الشيخ: لا. الصواب نعم إلى الله، لأن بعض الأشياء ما نعرف عن حسنها وقبحها إلا من الله، لكن أيضاً للعقل مجال في هذا. ولذلك ((**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ**))[البقرة:44] دل هذا على أن العقل يحسّن ويقبّح، فإن هذا من القبيح.

لا تنــه عــن خلــقٍ وتــأتي مثلــه	**عــارٌ عليــك إذا فعلــت عظــيمُ**

فالعقل يحسّن ويقبّح، لكنه لا يوجب ويحرّم.. الإيجاب والتحريم إلى الله، وأما التحسين والتقبيح فيحسّن ويقبّح، ولهذا يحيل الله تعالى أشياء كثيرة إلى العقل، فدل ذلك على أن للعقل أن يحسّن ويقبّح.

ولكن من الأشياء ما لا يُعلم حسنه وقبحه إلا بطريق الشرع، وهذا هو الصحيح في هذه المسألة.. مسألة التقبيح والتحسين العقلي صار فيها نزاع طويل بين أهل السنة والجماعة، وبين أهل البدع، منهم من قال: لا يحسّن ولا يقبّح. والغريب أن هذا هو المفهوم من مذهب الحنابلة، قال الفتوحي في كتاب مختصر التحرير في أصول الفقه: " **العقل لا يحسّن ولا يقبّح ولا يوجب ولا يحرّم** ".

نقول: أما قوله: " **لا يوجب ولا يحرّم** " هذا صحيح، وأما لا يحسّن ولا يقبّح فهذا ليس بصحيح.

يروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: " **ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه قبيحاً فهو عند الله قبيح** ".

وربما يشهد لهذا قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**الإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطّلع عليه الناس**) فإن هذا دليل على أن الإنسان، لكن الإنسان الذي صفت سريرته وخلصت نيته، هذا ما يطمئن للإثم أبداً، أما الإنسان الفاسق فالفاسق تعرفون أن الزبّال لا تهمه الزبالة، لكن العطّار إذا قعد عند الزبالة ما يمكن يجلس.

فالإنسان الذي صفت سريرته وخلصت نيته، وعلم الله منه حسن القصد يوصى، وتجده إذا عمل السيئة لو هو ما يدري أنها سيئة ما تطيب نفسه ولا تستقر، ولهذا قال: (**البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، الإثم ما حاك في نفسك وتردد في الصدر**) لكن هذا من نخاطب به؟ كل الناس؟ لا. صاحب القلب الصافي والإيمان الخالص، أما الناس المنهمكون في هذا فلا يخاطبون به.

الطالب: ... العقل مع عموم العرف.

الشيخ: لا لا. العقل العرف ما له دخل، الآن العرف يحسّن أشياء قبيحة.

الطالب: ... الآن الزبّال يستحسن الزبالة، والعطّار ما يستحسن.

الشيخ: لا. هذا ما هو ما يستحسنه، ربما أن العقل يستحسن الزبالة إذا صارت طريقاً للكسب، لكن نفسيته ما ترتاح لها الإنسان لأنها مؤذية برائحتها، العرف ما يصلح؛ لأن الناس الآن وقبل الآن يمكن يستقبحون الحسن ويستحسنون القبيح.

الطالب: ...؟

الشيخ: نعم معلوم، حتى المسلم الخالص الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**ما حاك في نفسك**).

طيب. من فوائد الآية أيضاً: أن الرسول عليه الصلاة والسلام مأمورٌ بأن يكون من المسلمين، ((**وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**))[النمل:91].

الفائدة الحادي عشرة...: أن الإيمان والإسلام شيءٌ واحد؛ لأن قوله: ((**أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**))[النمل:91] لا شك أن ما أمر به هو أعلى الحالات، وهو الإيمان، ولكن هذه المسألة وهي هل الإسلام الإيمان أو لا؟ فيها أيضاً عراك بين أهل السنة والجماعة أنفسهم وبينهم وبين الأشاعرة.

والصواب أن يقال: إن الإسلام عند الإطلاق يشمل الإيمان، والإيمان عند الإطلاق يشمل الإسلام، وأما عند التقييد وأن يقرن بينهما فإنه يكون الإيمان ما وقر في القلب، والإسلام ما قامت به الجوارح؛ لأن الإسلام من الاستسلام وهي عدم المعارضة، بل الموافقة. فالمنافقون الذين لا ... نسميهم مسلمين، لكن ما نسميهم مؤمنين؛ لعدم وجود الإيمان في قلوبهم.

ومن الناس من يكونون وسطاً ((**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**))[الحجرات:14] لما يدخل ما قال لم يدخل؛ ليفيد أن الإيمان قريب الدخول في قلوبهم، لكنه لم يدخل إنما هو قريب.

والإيمان من المنافقين بعيد، هم ينفرون منه، لو قرب إليهم نفروا منه، لكن هؤلاء الأعراب ما بعد دخل الإيمان في قلوبهم إلا أنه قريب ((**وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**))[الحجرات:14].

إذاً: الصواب في هذه المسألة: أن الإيمان والإسلام إذا اقترنا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

الطالب: ... ... بينما الإيمان هو الأعمال الصالحة.

الشيخ: نعم. الإيمان لأنه داخلٌ فيه، وهو إذا اقترن مع الإسلام فُسّر هذا بهذا وهذا بهذا، أما عند الإطلاق فيدخل فيه.

الطالب: ... لما قلنا المنافقين مسلمين.

الشيخ: نعم. مسلمون ظاهراً.

الطالب: الظاهر منقادون، ما يأتون ....

الشيخ: لا. لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يفسر ذلك بالأعمال الظاهرة المبنية على الإخلاص، والأعمال الظاهرة عند المنافقين مبنية على الإخلاص، ولهذا يجو هم يصلون مع الناس، ويذكرون الله سبحانه وتعالى في صلاتهم، لكنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً.

والرسول عليه الصلاة والسلام لم يفرّق بينهم وبين أقاربهم في الميراث وغيره، يورِّث بعضهم من بعض، وأخذ بهذا شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: إن المنافق يرث من المؤمن، والمؤمن يرث من المنافق، واستدل بأن الرسول عليه الصلاة والسلام...

وهذا الذي قاله صحيح إلا أننا نعارضه فيما إذا عُلم نفقاهم، فإنه إذا علم نفاقه ما يجوز أن يورث من المسلم أو يورث المسلم منه، وقد قال الله تعالى: ((**وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ**))[التوبة:84].

الطالب: ... ما يعلم عن الناس كلهم.

الشيخ: فيهم ناس يعلمهم وفيهم ناس ما يعلمهم.

قال: ((**وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ**))[النمل:92].

يستفاد من هذه الآية أولاً: وجوب تلاوة القرآن بنوعيه ماهما النوعان ؟ اللفظية والعملية.

فهو واجب على المرء أن يتلو القرآن تلاوة لفظية وعملية، عن ظهر قلب أو وإن كان نظر؟ وإن كان نظر.

الفائدة الثانية: فضيلة القرآن وشرفه، حيث كان مأموراً بتلاوته.

الفائدة الثالثة: وجوب تحكيم القرآن؛ لقوله: ((**وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ**))[النمل:92].

الفائدة الرابعة: وجوب تبليغ القرآن على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لقوله: ((**وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ**))[النمل:91 - 92].